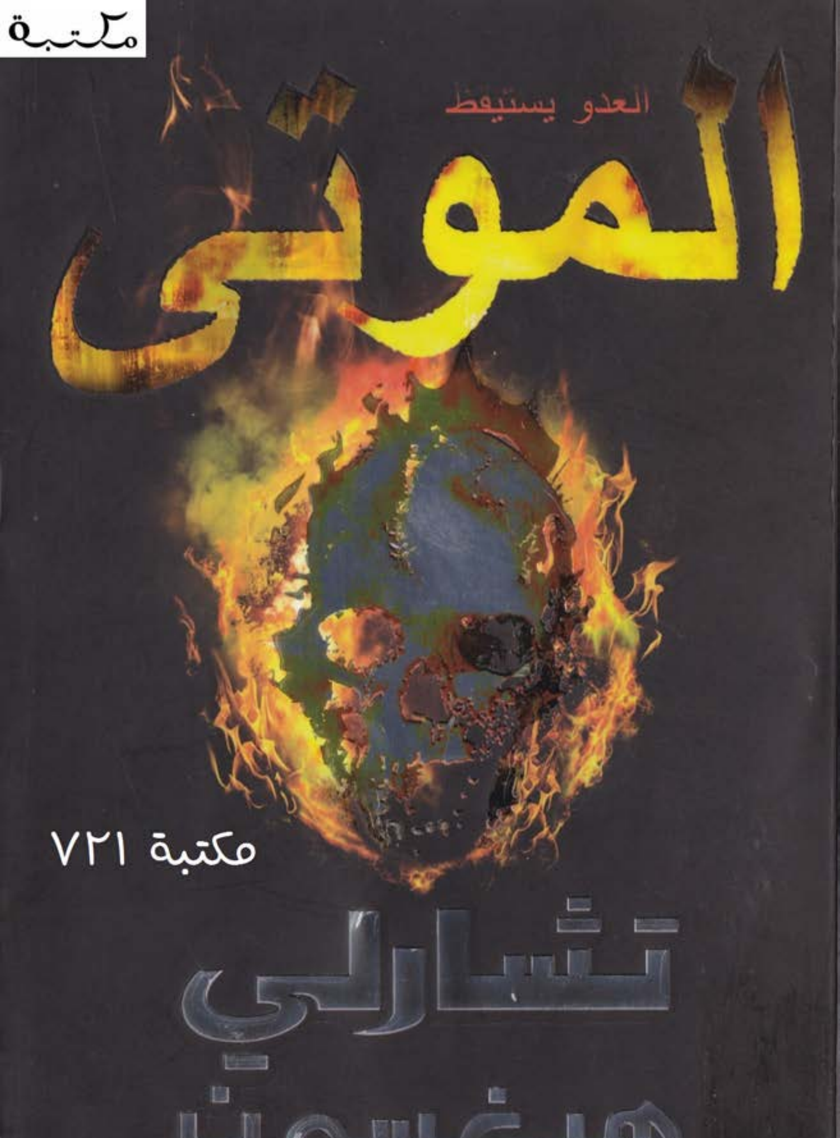


«عنيفة، تغزوها وحوش الزومبي ... إنها الورقة الرابحة» FHM.com

قيل في

العدوّ

«العدوّ تصيب الهدف في تقديم الرؤية الوحشية لعالم ما بعد الكارثة.»
Financial Times

«الترفيه المرّوع على أعلى مستوى.» *Books Quarterly*

«أتقن هيغسون الموازنة بين إراقة الدم والعنف.» *Daily Mirror*

«ليست كثيرة الأشياء التي تشدّنا للسفر عبر آلة الزمن والعودة إلى أيام مراهقتنا، لكن رواية العدو قد تكون واحدة منها.» Esquire.com

«تجتاحك بمستوى بالكاد مقبول من العنف.» *Bookseller*

«إثارة توقف القلب وتأسرك بقراءتها في الليل.» *Venue*

«أربعة وثمانون في المئة من الشجاعة وإراقة الدماء، لذا اقرأها.» توم، 13 سنة

«جذبتني هذه الرواية مباشرة، تقتُ لمعرفة ما سيحصل تالياً. عمل رائع!»
سام، 12 سنة

«إدمان تامّ... إنها واحدة من تلك الروايات التي لا تستطيع مقاومة قراءتها.»
أليس، 15 سنة

«رواية تزيد الأدرينالين، ومقززة إلى أبعد الحدود.» *Sunday Times*

«رائعة بكل تأكيد، لكن مُخيفة.» جون، 14 سنة

«رواية آسرة، تجمّد الدم في عروقك. مزيجها من الرعب والواقع مثالي لطالبي الرعب.» فيليكس، 13 سنة

تشارلي هيغسون اشتهر برواياته وأفلامه السينمائية. حازت رواياته العديد من الجوائز وترجمت إلى لغات كثيرة. تشارلي من محبّي أفلام الرعب، ويأمل بهذه السلسلة أن يجعل النوم يهجر أجفان الشبان.

تشارلي
هيغسون

الموتى

ترجمة
صبحية عوض

مكتبة | 721
سُر مَن قرأ





The Enemy, by Charlie Higson
First published in Great Britain in the English language in 2010
by Puffin books
Penguin Books Ltd, 80 Strand, London WC2R 0RL, England

الطبعة العربية

ISBN 978-1-85516-934-0

الساقي

بناية النور، شارع العويني، فردان، ص.ب: 113/5342، بيروت، لبنان
الرمز البريدي: 2033–6114
هاتف: 442 866–1–961+، فاكس: 443 866–1–961+

email: info@daralsaqi.com

يمكنكم شراء كتبنا عبر موقعنا الإلكتروني
www.daralsaqi.com

تابعونا على

@DarAlSaqi
دار الساقي
Dar Al Saqi

شكر

حصلتُ على مساعدة كبيرة من أشخاص رائعين كُثر في إجراء التحقيقات لبعض أجزاء هذه السلسلة، لكن أود أن أشكر على وجه الخصوص:

جايمس تايلور وتيري تشارمان من متحف إمبيريال وور.

دايفيد كووبر من برج لندن.

دانيال أرمسترونغ من ويتروز، شارع هولوواي لمساعدتي في فهم كيفية عمل المتاجر الكبيرة.

جون سورتيس من استاد أوفال الذي أرشدني في جولة رائعة ضُيعت قليلاً على شخص مثلي غير محب للكريكيت.

أود أن أوصي بزيارة أي من هذه المؤسسات، أكنت تريد أن تتحقق عن أماكن من الكتب أو مهتماً بالتاريخ والثقافة الإنكليزية.



الفتى الخائف

عندما نُشر الفيديو على موقع يوتيوب حقّق على الفور نسبة مشاهدة عالية. خلال أيام قليلة كان الجميع يتحدثون عنه.

«هل شاهدتم فيديو 'الفتى الخائف'؟»

«إنه مروّع بالفعل.»

«في البداية ظننت أنه مجرد مزحة، لكنه يبدو حقيقياً جداً.»

«إنه ملفّق بكل تأكيد، لكنه لا يزال مخيفاً.»

«لا أستطيع مشاهدته. إنه مخيف جداً.»

«من يكون؟ هل تعرفون من يكون؟ من هو الفتى الخائف؟»

«لا أحد يعرف...»

قد يكون فيديو قصير لفيلم رعب جديد؟ ربما إعلان مصوَّر لشيء ما؛ سيارة جديدة أو لوح شوكولا؟ أو ربما هو حقيقي فحسب...

هناك أمر غريب بشأنه؛ أمر ما بشأن الفتى. ليس هناك فتى في العاشرة من عمره يبرع في التمثيل إلى هذه الدرجة. وإذا كان هناك من يلفّق مقلباً له، فلا بد أن يكون شخصاً مريضاً عقلياً بالفعل أو أنه قد قام بعمل ممتاز بالفعل. من عساه يفعل أمراً مماثلاً؟ ولَمَ لم يتّخذ أحد أيَّ خطوة لشرح ما يحدث؟

حتى بعد كل ما يحدث، حتى بعدما يتغير العالم إلى الأبد، وعندما يعرف الجميع أن الفيديو لم يكن خدعة، بل بداية لشيء مروّع، سيتذكر الناس الفتى

الخائف: وجهه الصغير المسكين الخائف؛ كأنه آخر ما شاهده الجميع قبل أن تنطفئ الأضواء.

يجلس هناك أمام حاسوبه يتحدث إلى كاميرا تصله مباشرةً بالشبكة. من الواضح أنه يبكي منذ وقت طويل، عيناه محمرّتان جداً، وجهه ملطَّخ بالدموع، يرتجف بطريقة لا يُمكن السيطرة عليها وأسنانه تصطك بقوة لدرجة أنك يمكنك سماع صوت اصطكاكها. سيكون الأمر مضحكاً لو لم يكن غريباً جداً. بالكاد يستطيع التفوه بالكلمات، فهو يتلعثم فتتشابك بعضها بعضاً.

«لا أعرف ماذا... ماذا عليّ أن أفعل... لا أعرف... لقد قتلوا داني وإيف... قتلوا داني وإيف... داني وإيف... وإيف و... و... إنهم في الخارج الآن... أستطيع أن أراهم... أستطيع أن أراهم في الخارج... هناك ثلاث أمهات وأب...»

هذا هو الجزء الأغرب على الإطلاق، الجزء الذي يعلق في أذهان الناس، إنه يسميهم أمهات وأب.

«لقد أتوا إلى المنزل... وقتلوا... قتلوا داني وإيف... هناك دماء... يا إلهي... يا إلهي هناك دماء... ثلاث أمهات وأب... لقد قتلوا داني إيف... اجعلوهم يبتعدون أرجوكم... اجعلوهم يبتعدون...»

ثم يلتقط الكاميرا ويديرها في اتجاه النافذة. حينها يطمس الضوء الشاشة. الآن يمكن رؤية الشارع. الوقت ليل. الصورة سيئة لكن يمكن رؤية أولئك الأشخاص الأربعة تحت أضواء الشارع ـ ثلاث أمهات وأب، ثلاث نساء ورجل، وبالقرب منهم ما يبدو جثة هامدة؛ جثة طفل.

هناك أمر مريب بشأن هؤلاء الأشخاص. لا يبدون مثل ممثلين. الطريقة التي يقفون بها. وعندما ينظر أحدهم إلى أعلى، نحو الكاميرا، يظهر أبشع ما يمكن رؤيته... نظرة موت، مثل حيوان. هل هم ممثلون؟ الصورة سيئة لذا من الصعب معرفة ذلك.

ثم عاد صوت الفتى الخائف مجدداً.

«هل تستطيعون رؤيتهم؟ لقد جُنّ جنونهم – ثلاث أمهات وأب – إنها يحاولون مراراً وتكراراً الدخول مجدداً إلى المنزل... لكن داني وإيف.. إنهما ميتان وليس هناك أحد آخر هنا... لقد ماتوا جميعهم... بقيتُ هنا وحدي...»

تتحرك الكاميرا مجدداً. يمكن سماع صوت تحطيم وتكسير في الخلفية. صراخ. والآن، ها هو الفتى قد عاد إلى كرسيه، محدِّقاً في العدسة، كما لو أنه يحدِّق في قبره. هو الآن أكثر خوفاً من قبل. يرتجف. يرتجف.

«سأنشر هذا الفيديو – لقد علمني داني الطريقة لذلك – لقد قتلوه... ثلاث أمهات وأب... يجب أن أفعل ذلك بسرعة... لا أعرف ما الذي يحدث الآن... لا أظن أن أحداً سيساعدني... أظن أنني سأموت مثل... مثل...»

وكانت تلك نهاية الفيديو.

بعض الأولاد يسجّلون مقاطع وهم يقلدونه، وينشرونها على الشبكة. هناك تسجيلات صوتية دُمج فيها صوت الفتى مع موسيقى الموت. لكن المسألة هي أنّ الفيديو مخيف لأنه يبدو حقيقياً جداً. يشاهده الناس مراراً وتكراراً، في محاولة لفهم حقيقته. وعندما يبدأ الراشدون بالموت واحداً تلو الآخر، عندما يصبح واضحاً أن وباءً جديداً مروّعاً يصيب كل من تزيد أعمارهم عن أربعة عشر عاماً، يصبح الفتى الخائف في عيون كل من شاهده متنبّئاً ما بكلّ ما يجري.

خلال فترة قصيرة جداً يصبح فيديو «الفتى الخائف» أكثر فيديو يحظى بمشاهدة على موقع يوتيوب. بعد شهر، يُمحى عن الموقع. تظهر رسالة تقول إنه قد أُزيل. في اليوم التالي يتوقف موقع يوتيوب بأكمله عن العمل من دون أي أسباب.

في اليوم الذي يلي ذلك تتوقف شبكة الانترنت عن العمل كلياً.

تختفي فحسب.

حينها يدرك الناس أخيراً أن أمراً خطيراً ما يحدث.

تبدأ أحداث هذه الرواية قبل عام واحد من الأحداث
التي جرت في **رواية العدو**.

1

كان السيد هيويت يزحف عبر النافذة المكسورة. ينزلق فوق الإفريز على بطنه. يداه تتلمّسان الهواء، أصابعه تنقبض وتنفتح، ذراعاه تلوّحان كما لو كان يحاول السباحة على صدره. في الضوء الخافت استطاع جاك أن يتبيّن النظرة البادية على وجهه الأصفر الشاحب. نظرة غبيّة. لم يعد بشرياً. عينان واسعتان ومحدّقتان. دموع من الدم تسيل من تحت جفنيه. لسان متدلٍّ من بين شفتين متشققتين ومتورّمتين. بشرة مغطّاة بالدمامل والقروح.

وقف جاك هناك متجمّداً، يشدّ على مضرب الكريكيت براحتين متعرقتين. كان يعرف أنّ عليه أن يخطو إلى الأمام ويضرب السيد هيويت على رأسه بكل ما أوتي من قوة، لكنّ ذراعه اليمنى كانت تؤلمه كثيراً. كان يلوّح بالمضرب طوال الليل، وقد خلع كتفه عندما ضرب المدرّس الأخير. بات يؤلمه الآن من مجرد حمل المضرب، الذي أحسَّ أن وزنه وزن الرصاص الثقيل في يديه.

كان يعرف أن ذلك لم يكن السبب الحقيقي. فعندما دقت ساعة الحقيقة لم يستطع إجبار نفسه على ضرب السيد هيويت. لقد أحبّه دائماً. كان مدرّس جاك في مادة اللغة الإنكليزية العام الماضي. كان من الأساتذة الأصغر سناً والأكثر شعبيةً في المدرسة. كان يتحدث دائماً إلى الفتيان عن الأفلام والتلفاز والألعاب الإلكترونية، ليس بطريقة غريبة، وليس بهدف التحبّب إلى الأولاد، بل بكل بساطة لأنه كان مهتماً بصدق بنفس الأمور التي كانوا يهتمّون بها. عندما ضرب الوباء، وعندما لم يعد هناك ما يسير على ما يرام،

فعل السيد هيويت كل ما بوسعه لمساعدة الفتيان. حاول التواصل مع الأهل وإجراء الترتيبات، والرفع من معنوياتهم، تهدئتهم، طمأنتهم، باحثاً دائماً عن الطعام والماء، متأكداً من أن المباني آمنة...

وعندما ساءت الأحوال كثيراً، عندما بدأ أولئك الراشدون الذين أُصيبوا بالمرض، لكن لم يموتوا، بالانقلاب على الأولاد ومهاجمتهم مثل حيوانات مفترسة، ساعد السيد هيويت في قتالهم.

لم يملّ أو يكلّ، وبدا أنه قد ينجو من المرض.

كان بطلاً.

والآن ها هو يزحف ببطء، ببطء، ببطء، إلى القاعة الرئيسية مثل سحلية خرقاء ضخمة. رفع رأسه، ماطّاً رقبته. كان يتنفّس بصفير وهو ينظر إلى جاك، واللعاب المخضّب بالدماء يخرج فقاقيعَ من بين أسنانه. استطاع جاك أن يرى مدرّسين خلفه، يحاولون بجنون المرور عبر النافذة.

بلع جاك ريقه. آلمه حلقه، فهو لم يشرب شيئاً طوال اليوم. كان ومن بقي من الطلاب يحاولون تقاسم كمية المياه التي بدأت تنفد. أحسَّ بوخز في رأسه. هذه هي الليلة الثانية التي يهاجم فيها المدرّسون بوحشية. ليلة جاك الثانية من دون نوم. التوتر والتعب كانا يُشعرانه قليلاً بالجنون. أحسَّ باختلال في خفقات قلبه، كان على شفا فقدان صوابه، يكاد ينهار ويغرق في عويل أو ضحك لا يمكن السيطرة عليه، أو كليهما معاً. كان يرى أشياء في كلّ مكان، رأى بطرف عينه أشكال تتحرك في الظلال. كان يصرخ صرخة تحذير ويستدير، لكنْ لا شيء هناك.

لكنّ السيد هيويت كان حقيقياً، شيئاً من كابوس واقع، ينزلق إنشاً بعد إنش.

كانت الساعة الأخيرة عبارة عن حالة فوضى وذعر وركض في أرجاء المكان في الظلام من غرفة إلى أخرى. تفقدوا الأبواب والنوافذ، قضوا على المدرّسين الذين تخطوا الحواجز الدفاعية. ثم سمعوا صوت تحطّم زجاج في الغرفة المشتركة، فهرع هو وإدّ للتأكد مما يحدث.

وهناك... كان السيد هيويت.

لم يستطع جاك القيام بذلك بمفرده. بحث عن إدّ ورآه متكوِّماً خلف طاولة مقلوبة، ووجهه الكئيب يطلّ من فوقها بعينين بيضاوين محدّقتين. إدّ، صديقه الأقرب. إدّ الذي ظنّ الجميع أنه رائع؛ ذكي من دون أن يكون مغروراً أو متملقاً؛ إدّ الوسيم الذي كانت تلاحقه كل الفتيات؛ إدّ الذي كان يتغلّب عليه في التنس من دون جهد. شعر جاك دائماً أنه في المرتبة الثانية بعده، رغم أنهما فعلا كل شيء معاً، تسكّعا معاً كل الوقت، تشاركا الكتب والمجلات الكوميدية والموسيقى، لعبا في فريق كرة القدم نفسه، وأيضاً فريق الكريكيت.

أصدرت المدرسة العام الماضي كتيباً إعلانياً عنها للأهالي الجدد، وعلى الغلاف كانت صورة إدّ – الفتى الأكثر احتمالاً للنجاح؛ وجه «روهارست» السعيد، المبتسم، الواثق.

حسناً، ها هو ذا وجه المدرسة الجديد يختبئ خلف الطاولة، خائفاً تقريباً حتى الموت، بينما المدرّسون يزحفون عبر النافذة المكسورة.

ذكّر إد جاك بأحدهم... بالفتى الخائف.

كان إدّ في حالة مزرية، وجعله خوفه من دون فائدة تقريباً.

«ساعدني»، صرخ جاك.

«أنا أراقب المكان»، قال إدّ بصراخ خافت.

نعم، صحيح، يراقب المكان... بالأحرى يُبقي نفسه في أمان.

تنهّد جاك. تعبه وخوفه كانا يجعلانه عدوانياً.

«إن لم تساعدني، اذهب على الأقل واجلب أحداً من الآخرين»، قال جاك.

هزّ إدّ رأسه: «سأبقى معك.»

«افعل شيئاً إذاً. يكاد هيويت يعبر. أحتاج إلى المساعدة هنا»، صرخ جاك.

«ماذا...؟ ماذا تريدني أن أفعل؟»

فرك جاك كتفه. لقد اكتفى من المدرسة. لقد اكتفى من هذه الفوضى، ليلة بعد ليلة، الطقس اللعين نفسه. في هذه الأثناء يفضِّل أن يكون في أيِّ مكان آخر بدلاً من هنا.

أكثر ما أراده هو أن يكون في المنزل؛ في منزله هو، في غرفته، مع أشيائه، تحت ملاءته، بعيداً عن العالم بأكمله.

المنزل...

رمى بالمضرب إلى إدّ. ارتطم المضرب بالطاولة وهبط على السجادة.

«اضربه يا إدّ»، قال.

«لا أظن أنني أستطيع»، أجاب إدّ.

«التقط المضرب واضربه»، أحسَّ جاك بالدموع في عينيه فأغمضهما بقوة ثم فركهما، «أرجوك إد، اضربه فحسب.»

«ثم ماذا؟»، سأل إد، «سيواصلون الدخول يا جاك. لا يمكننا قتلهم جميعهم.»

«اضربه يا إدّ! أرجوك، اضربه فحسب!»

2

نظر إدّ إلى المضرب المرمي تحت ضوء القمر الذي انعكس على السجادة البالية. كانت الكهرباء قد انقطعت منذ ثلاثة أسابيع. شعر أنه شهد الليالي حالكةً أكثر من أيّ وقت مضى على الإطلاق.

لم يعرف ما عليه أن يفعله. عرف أن عليه مساعدة جاك، لكنه كان عاجزاً. لكن إن لم يفعل شيئاً، ألن يكون الوضع أسوأ؟ سيقبض المدرّسون عليه، تماماً كما قبضوا على جامي وآدم وويل. سيهاجمون بأظافرهم القذرة الفظيعة وأسنانهم الجائعة. سيقبضون عليه...

ربما سيكون ذلك أفضل. أن ينه كل شيء. كل ما يستطيع رؤيته أمامه هو شريط لا نهاية له من الليالي الحالَكة التي تتخللها معارك مع الراشدين، تماماً كما حصل مع أصدقائه الذين قُتلوا واحداً تلو الآخر.

ينهي كل شيء.

أغمضْ عينيك، استلقِ أرضاً وستكون النهاية...

رأَى يداً تمتد إلى المضرب، كما لو كان يشاهد فيلماً؛ كما لو أنّ هذا يحدث لشخصٍ آخر. شدّت الأصابع على مقبض المضرب.

أصابعه.

التقط المضرب ورفع نفسه مستعداً للوقوف. كان الدم يتدفق في رأسه، وأحسَّ أنه قد يتقيأ في أيّ لحظة. إذا خرج من وراء الطاولة وركض إلى الأمام فسيتمكن من التغلب على السيد هيويت قبل عبور الأخير كلياً من النافذة والنزول منها على قدميه. قد يساعد جاك. سيكونان بخير.

نعم.

دفع الطاولة بعيداً عن الطريق وزحف إلى الأمام. ماذا إن استعجل السيد هيويت؟ ماذا إن لم يكن جميع الراشدين المرضى بطيئين ومرتبكين؟ كان ارتكاب الخطأ سهلاً جداً. كل فتى وقع في أيديهم وقع بسبب خطأ أحمق؛ تصرَّف دون حذر.

رفع إدّ مضربه بينما ارتطم هيويت بالأرض. للحظة استلقى هناك دون حراك. تساءل إدّ إن كان ميتاً. ثم حرّك المدرّس رأسه من جانب إلى آخر ورفع نفسه بجهد ليركع على السجادة الدبقة. تجشّأ وتقيّأ مادةً سائلة مائعة أمامه. كانت رائحتها كريهة جداً.

«اضربه يا إدّ.»

نظر إدّ سريعاً نحو جاك. كان منحنياً، يتنفس بصعوبة، عيناه غاضبتان ولامعتان. كان متعباً، وحمّى الفراولة التي غطّت أحد جانبي وجهه، وأعطته تعبيراً غاضباً دائماً، كانت حمراء كالدم.

«اضربه الآن.»

عندما عاد إدّ بانتباهه إلى السيد هيويت كان المدرّس قد وقف واقترب متثاقلاً. كانت هناك ثلاثة جروح طويلة برزت من تحت قميصه الأبيض. ألقى إدّ نظرة سريعة على إطار النافذة حيث علق صفّ من شظايا الزجاج المكسور على طول أسفل الإطار. لا بد أن السيد هيويت قد خدش جذعه بها وهو يزحف للدخول. إنه أحمق كفايةً كي يدرك ما يحدث. كان الدم ينزّ من خلف التمزقات ويبلّل قميصه. كانت ربطة عنقه معقودة بقوة.

علت ضجّة من الخارج. كانت هناك أشكال أخرى عند النافذة تتدافع فيما بينها لتعبر.

ارتجف هيويت فجأةً وانتفضت إحدى يديه. ترنّح إدّ إلى الوراء.

«اضرب يا إدّ»، همس جاك بغضب، بصوتٍ على شفير البكاء، «اسحق جمجمته اللعينة. اقتله. أكرهُه. أكرهُه.»

المشكلة كانت أنّ إدّ لم يضرب راشداً واحداً حتى الآن، و لم يكن يعرف

إن كان يستطيع ذلك. لم يكن يعرف إن كان يستطيع أرجحة المضرب والإحساس به يهشّم عظماً ولحماً. لم يستمتع بالقتال أبداً من قبل، استطاع دائماً تجنّب أيّ مشكلة عنيفة. بل، في الواقع، بدا أنّ الجميع يحبونه وأرادوا أن يكونوا أصدقاءَ له وأبقوه بعيداً عن المشاكل. نشأ على أنّ من الخطأ ضرب شخص آخر، أن يؤذي شخصاً آخر عن عمد.

وليس أيّ شخص. كان السيد هيويت، الذي كان حتى الأسبوعين الماضيين تقريباً ودوداً وطبيعياً...

طبيعي! كم اشتاق إدّ إلى عودة الأشياء طبيعية مجدداً.

حسناً، لن يعودوا طبيعيين أبداً، أليس كذلك؟ لذا أرجِح ذلك المضرب اللعين. لتُحس بالعظام تتكسر تحته...

أرجَحَه. لم تكن ضربة من كل قلبه، وبالتالي لم تكن قوية. ارتطم المضرب بخفة بذراع السيد هيويت، فترنّح إلى الجانب. زمجر هيويت واندفع نحو إدّ الذي صرخ وقفز إلى الخلف. ارتطم ظهر إدّ بإحدى قوائم الطاولة فترنّح وفقد توازنه. وقع، واصطدم رأسه بالطاولة. استلقى هناك للحظة في ارتباك وذهول، حتى أعادته إلى رشده صرخة من جاك.

أين كان المضرب؟ لقد أوقع المضرب. أين هو؟

وقع بالقرب من السيد هيويت الذي داس عليه. لم يعد بإمكان إد الوصول إليه الآن، وكذلك جاك. ليس من دون إبعاد السيد هيويت عن الطريق.

كاد هيويت يصل إليه. كان هناك ضوء كافٍ استطاع من خلاله رؤية الدمامل المتورّمة بالقيح، دمامل انتشرت على وجهه. رفع يديه إلى مستوى صدره، مستعدّاً للامساك بإدّ، وقميصه خارج بنطاله.

«ساعدني يا جاك!»

لكن قبل أن يتمكن جاك من فعل أي شيء علا صوت يشبه البقبقة والغرغرة، مثل صوت حوض استحمام كان مسدوداً وانفتح، وعبقت رائحة كريهة مروّعة في المكان. عوى السيد هيويت. لقد قطع الزجاج

في أعماق بطنه أكثر مما كان ظاهراً. نظر بحماقة نحو جلده المفتوح فإذا بأحشائه تخرج.

كان دور جاك كي يتقيأ.

وقع السيد هيويت على ركبتيه وبدأ يمسك بلفائف طويلة من أحشائه، كما لو كان يحاول حشوها مجدّداً داخل جسمه. تحرّك جاك أخيراً، ركل هيويت، أمسك بالمضرب المرمي ثم هرع إلى إدّ.

«هيا»، قال وهو يُمسك معصم إدّ سريعاً ويرفعه ليقف على رجليه، «سنخرج من هنا.»



أسرَعا في اتجاه الرواق وأوصد جاك الباب خلفه.

«أنا آسف»، قال إدّ، «لا أستطيع فعل هذا.»

«لا بأس»، قال جاك، ثم حضن إدّ، «لا بأس يا صديقي، لا بأس.»

شعر جاك بالغرابة. لطالما جرّت الأمور بالطريقة المعاكسة. إدّ يساعد جاك، إدّ الهادئ والمتحكّم دائماً في زمام الأمور يسخر بلطف من جاك الذي كان يقلق بشأن كل شيء. لم يكن جاك أبداً واثقاً من نفسه بسبب تلك الوحمة على جسده. لم يكن إدّ ليتفوّه بأيّ شيء بشأنها، لكنها كانت دائماً هنا، مثل علم مرفرف. لكن ما أهمية ذلك الآن؟ في خضم قائمة لا نهاية لها من الأشياء السيئة في هذا العالم، لم تكن وحمته التافهة تلك حتى من بين الأشياء المئة الأهم.

«هل يجدر بنا أن نحاول إقفال الباب بطريقة ما؟»، سأل إدّ وهو يحاول أن يبدو كمن يحكم سيطرته على زمام الأمور مجدداً.

«بماذا؟»، سأل جاك، «دعنا نعد إلى الأعلى للانضمام إلى الآخرين فحسب، اتفقنا؟»

«ماذا عن المدرّسين؟» قال إد وهو ينظر بخوف نحو الباب.

«ليس هناك ما نستطيع فعله يا إدّ. ربما سيتلهّى الباقون منهم بالسيد هيويت. لا أعرف. ربما سيتوقفون لالتهامه. فالطعام هو كل ما يبحثون عنه، أليس كذلك؟ لقد رأيتَهم بأم عينيك.»

أطلق إدّ ضحكةً مجلجلة وقال: «استمع إلى نفسك، استمع إلى ما تقول يا

جاك. هذا جنون. تتحدث عن أناس يأكلون بعضهم بعضاً. هذا غير حقيقي.»

لكن إدّ رآهم فعلاً. مجموعة من المدرّسين تمزّق جثة إلى قطع وتلتهم القطع المخضّبة بالدماء.

لا. كانَ عليه أن يحاول عدم التفكير في تلك الأشياء والتركيز على الموقف الحالي؛ البقاء على قيد الحياة بين ثانية وأخرى.

«حسناً»، قال وقد أصبح صوته أكثر هدوئاً، «لنرجع إلى الآخرين. لنتأكد من أنهم جميعاً بخير. علينا البقاء معاً.»

«نعم.»

أمسك إدّ بذراع جاك.

«عدني جاك... ستفعل أليس كذلك؟»

«أفعل ماذا؟»

«أن نبقى معاً مهما حدث.»

«بالطبع.»

ابتسم إد.

«هيا بنا»، قال جاك وهو يسحب مصباحه من جيبه ويضيئه على طول الرواق. كانت هناك أبوابٌ مقاومة للحريق عند طرفي الرواق، أبقاها الأولاد موصدة لإبطاء حركة أي دخيل. كان هذا الجزء من الرواق خالياً. كان عليهما مواصلة سيرهما. لم يكن لديهما أي فكرة عن الوقت الذي سيتأخر فيه المدرّسون في القاعة العامة.

شعر إدّ فجأةً بأنه أكثر إرهاقاً من أيّ وقتٍ مضى في حياته. لم يعد متأكداً من أنه يملك الطاقة حتى ليخطو خطوةً أخرى. عرف أن جاك يشعر بالمثل.

حينها فُتح أحد الأبواب المقاومة للحريق وإذا بإدّ يعدو مجدداً.

خرج منه أحد المدرّسين مترنّحاً. مسيو موريل، من قسم اللغة الفرنسية. كان رجلاً ضخم البنية، ذا شعر مموَّج داكن ولحية غير مرتبة. الآن بدا وكأنه دبٌّ غاضب، وقد زاد من شكله سوءاً أنه كان يرتدي معطفَ فرو نسائياً وجده في مكانٍ ما. كان ضيقاً جداً عليه وتعلوه بقع الدم الجافة. تقدّم عبر

الرواق نحو الصّبيين على رجلين متثاقلتين، وذراعاه مفتوحتان ملوّحتان.
لم ينتظره الصبيّان. اختفيا سريعاً عبر أحد الأبواب المقاومة للحريق عند الطرف المعاكس، لكن لم يكادا يعبرانه حتى ارتطما بأستاذ آخر. ترنّح مرتطماً بالجدار. من دون تفكير لوّح جاك بمضربه، موجّهاً إياه بضربةٍ قوية إلى جانب الرأس تركت الأستاذ في حالة ذهول.
وصل جاك وإدّ إلى نهاية مسدودة. كان هذا الجزء من الرواق مكتظّاً بالمدرّسين. الله وحده يعلم كم كان عددهم. ساد الجو صمتٌ رهيب، لم يقطعه سوى سعال ونحنحات كمن يحاول تصفية حلقه.
ومض إدّ بمصباحه في المكان، فرأى أحد المدرّسين يستدير في اتجاههما. ومض النور عبر مجموعة من الوجوه الموبوءة المشوَّهة، تسيل منها مادة مخاطية، أسنان متكسرة، عيون واسعة محدّقة، جلد متقشّر، جروح مفتوحة وبثور مفزعة بلونها الرمادي الأخضر.
كانوا عُزّلَ وقد أرهقهم الوباء، لكنهم كانوا لا يزالون أكبر حجماً، وعموماً أكثر قوةً من الصبيين، وبوجود مجموعة كبيرة كهذه، فهم يشكّلون خطراً مميتاً. كانت مجموعة الأولاد قد حصّنت أحد المهاجع في الطبقة العليا حيث كانوا يسكنون، لكن كان من المستحيل على جاك وإدّ الوصول إلى السلالم متخطيين مجموعة المدرّسين هذه.
لم يكن بوسعهما العودة ومحاولة سلك طريق آخر لأنّ مسيو موريل كان يعبر الباب المقاوم للحريق، ومن خلفه مجموعة صغيرة من المدرّسات.
«ها نحن قادمون!»
صرخ صوتٌ مدوٍّ ورأى إدّ عبر الضوء الخافت أجسام المدرسين تتساقط أرضاً، ثم ترنّح موريل جانباً عندما هاجمته مجموعة من الفتيان من الخلف. في مقدمتهم كان هاري «بام» بامفودر، أحد أبطال الرياضة في المدرسة، وإلى جانبه، وقفوا في مجموعة، أربعة من زملائه من فريق الركبي، مسلّحين بمضارب الهوكي. نادوا على جاك وإدّ كي يتبعاهم، فشقّ الصّبيان طريقهما عبر المدرّسين المذهولين الذين كانوا يترنّحون على الجانبين. استجمع الفتيان

السبعة كل ما أوتوا من قوة لعبور الرواق نحو مدخل القاعة الرئيسي عند النهاية. لم يتوقفوا ولا لثانية واحدة. كان إد يتسلق السلالم ثلاث درجات في كل خطوة، وقد نسي كل تعبه.

عند وصولهم الطبقة العليا من المبنى انهالت أيديهم بالطرقات على باب المهجع.

«افتحوا! هذا نحن!»، صرخ بام. عند أسفل السلالم كان المدرّسون قد بدأوا يتسلقون في اتجاههم.

سُمعت أصواتاً مكبوتة من المهجع وأصوتَ حركةٍ ناشطة.

«هيا، بسرعة»، صرخ جاك.

كان مسيو موريل يتسلّق السلالم أسرع من الراشدين الآخرين، وقدماه الضخمتان تضربان بقوة على كلٍ درجة حتى بدت عضلات رجليه تعملان مثل مكبسين ينهبان المسافة نهباً.

أخيراً سمع الفتيان صوت الخزانة التي كانوا يستخدمونها كمتراس تُزاح على الجهة الأخرى من الباب. كانوا يعرفون أن تحريك تلك الخزانة الثقيلة وجرّها جانباً عبر الأرضية الخشبية كان أمراً صعباً ويستغرق وقتاً طويلاً.

كان عليهم إيجاد نظام جديد أفضل من هذا.

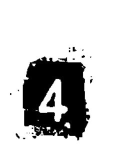
استدار جاك. كان موريل على وشك الوصول إليهم.

«افتحوا بسرعة»، طرق إدّ بقوة بقبضتيه على الباب الذي أخيراً فُتح شقّ صغير فيه. وضع الفتى الذي على الجهة الأخرى عينه على الفتحة ليتأكّد مِن هوية مَن في الخارج.

«افتح الباب اللعين فحسب»، صرخ بام.

كان موريل قد وصل إلى أعلى السلم، فركله جاك بكعب حذائه بقوة في صدره. أطلق الرجل الضخم صرخةً مبحوحة وهو يترنّح إلى الخلف ثم يسقط متدحرجاً عبر السلالم مرتطماً في طريقه بمجموعة من المدرّسين كانوا عند أسفل الدرجات.

فُتح الباب نحو الداخل. عبره الفتيان السبعة نحو برّ الأمان.



كان الراشدون يكشطون جدران المهجع بأصابعهم ويضربون بأيدٍ ثقيلة على الباب. كانوا يرتاحون بين الحين والآخر، يعمّ الصمت لثوانٍ، فيسمع الفتيان أحد الراشدين يشمّ مثل الكلب عبر الشق في أسفل الباب، ثم تعود وتبدأ مجدداً سلسلة الضربات المجنونة والطائشة على الباب والجدران.

«هل تظنون أنهم سيستسلمون ويغادرون؟» سأل جونو، أحد لاعبي الروكبي، الذي كان يقف بالقرب من الخزانة الثقيلة التي استخدمها الفتيان كمتراس للباب. كان يحدّق فيها كما لو أنه كان يحاول من خلالها رؤية الراشدين في الجانب الآخر.

«ما رأيك أنت؟» ردّ جاك، ولهجة ساخرة تشوب كلماته.

«لا.»

«تماماً. لَم تسأل سؤالاً غبياً كهذا إذاً؟»

«مهلاً، مهلاً، مهلاً، لا داعي لهذه الانتقادات الآن» قال بام وهو يقترب من صديقه ويلقي ذراعاً حول كتفيه، «كان جونو يفكر بصوت عالٍ فحسب، أليس كذلك يا جي؟ لقد قال ما نفكّر به جميعاً فحسب.»

«نعم، أعرف، أنا آسف»، وهو يرمي بنفسه على سرير ويمرّر أصابعه عبر شعره، «أشعر بشيء غريب في داخلي. لا أستطيع التفكير باتزان.»

«إنه الأدرينالين»، تكلم صوتٌ عالي النبرة من الجهة الأخرى من الغرفة، «عامل المواجهة أو الهرب الكيميائي.»

«ما الذي ستتحدث عنه هذه المرة، ويكي؟»، قال بام، وتعبير ساخر

يظهر على وجه الواسع المسطح.

كان اسم ويكي الحقيقي هو توماس. كان فتىً نحيفاً، هزيل البنية، في الثانية عشر من العمر، يضع نظّارة، وبدا أنه يعرف كل شيء عن كل شيء، وقد أُطلقت عليه تسمية «ويكي» اشتقاقاً من ويكيبيديا.

«أدرينالين، الذي يجدر بنا تسميته التسمية الصحيحة وهي إبينيفرين»، قال بلهجة أهل مانشستر الحادة، «هرمون ينتجه جسدك عندما تكون في خطر. وهو يعمل على زيادة نبضات قلبك وانقباض الأوعية الدموية حتى تكون مستعداً إما لمواجهة الخطر والتخلص منه أو الهرب منه. بسببه، تحسّ بشحنة كبيرة من الطاقة، لكن بعد ذلك بحالة انحطاط. إنه هرمون تفرزه الغدّة الكظرية[1] من التيروزين والفينيل ألانين، وهما من الأحماض الأمينية.»

«شكراً ويكي»، قال بام وهو يحاول منع نفسه من الضحك، «ماذا كنا سنفعل من دونك؟»

تجاهله ويكي، وقبل أن يتمكن من قول أي شيء آخر دوّت ضربة قوية من الخارج فتوجهت عيون كل من في الغرفة نحو الباب.

جال إدّ بنظره بين الوجوه الواجمة والمتسخة تحت ضوء الشموع الكبيرة التي كانوا قد عثروا عليها في كنيسة المدرسة. بعض هؤلاء الفتية كانوا أصدقاءه من قبل، وبعضهم بالكاد كان يعرفهم. ها هم الآن يعيشون في هذه الغرفة معاً منذ أسبوع وكان قد بدأ يشعر بالاشمئزاز من رؤيتهم طول الوقت.

كان هناك جاك، يجلس وحيداً يعضّ على شفتيه، أصابع يده اليمنى تمرّ ذهاباً وإياباً فوق وحمته. بام مع زملائه الأربعة من لعبة الركبي، جونو وبيرز والأخوين سوليفان، داميان وأنطوني، اللذين كانا يتمتعان بسمعة «غبيين» ولم يفعلا شيئاً أبداً ليثبتا العكس. ويكي الصغير وصديقه أرثر الذي لا يكفّ عن الكلام تقريباً. مجموعة من ستة فتيان من فيلد هاوس، الواقعة على

---

1 الغدة الكظرية: واحدة من أهم الغدد في جسم الإنسان، وهي غدة هرمية الشكل تقع فوق الكليتين.

مسافة شارع واحد، لم يفترقوا أبداً و لم يتحدثوا كثيراً. كوانيلي نكوسي، طويل، أنيق، وبطريقة ما، رغم كل ما يحدث، يبقى مرتدياً أفضل الملابس وأنظفها. كريس ماركر، الجالس بالقرب من النافذة، يقرأ كتاباً – فهذا هو كل ما يفعله الآن، يقرأ الكتب، واحداً تلو الآخر و لم يتحدث أبداً – وهناك الأذكياء الثلاثة الذين كانوا جميعهم في صف الفيزياء مع إدّ.

تسعة عشر وجهاً، جميعها يعلوها التعبير نفسه: كئيب، سارح، متعب، وحزين قليلاً. فكر إدّ أن هذه الحال هي بكل تأكيد ما كانت تسود في الخنادق والحصون خلال الحرب العالمية الأولى. المحاولة في عدم التفكير بالغد، أو البارحة، أو أيّ شيء على الإطلاق.

باستثناء هؤلاء التسعة والعشرين فتى في هذه الغرفة، كان إدّ وحيداً في هذا العالم. لم يكن يعيش وهمَ أنّ أبويه قد يكونان ما زالا على قيد الحياة. كان الشيء الوحيد الذي تمكّن العلماء من قوله بثقة بشأن الوباء، قبل أن يمرضوا هم أيضاً، هو أنه كان يصيب كل من تزيد أعمارهم عن أربعة عشر عاماً. أخوه دان كان أكبر سنّاً منه، في الثامنة عشر من العمر، لذا من المرجّح أنه ميت أيضاً أو مُصاب بالوباء، وهذا الاحتمال أسوأ من الموت.

كان الاتصال الأخير بين إدّ وعائلته عبر اتصال هاتفي مع والدته منذ حوالى أربعة أسابيع مضت. طلبت منه أن يبقى حيث هو. لم تبدُ حينها في حال جيدة.

كان هناك على الأرجح أولاد آخرون حول المدرسة، يختبئون في أماكن مختلفة. عرف أن مات بالمر قد أخذ مجموعة إلى الكنيسة الصغيرة، لكن، جوهرياً، كان عالم إدّ قد تقلص لينحسر في هذه الغرفة – هذه الوجوه التسعة عشر.

كان مجرد التفكير في الأمر يفزعه. كم بدا مستقبله مزعزعاً. شعر أنه نقطة صغيرة في وسط كون شاسع وبارد. لم يرد أن يفكّر بما في الخارج. الفوضى في العالم. كيف أنّ شيئاً لم يعد كما يجب. شعر بالارتياح عندما تعطّلت كل أجهزة التلفاز. لا مزيد من الأخبار. كان عليه أن يركّز على نفسه الآن؛

على محاولة البقاء على قيد الحياة. كل يوم على حدة؛ ساعة بساعة، دقيقة بدقيقة، ثانية بثانية.

«كم عدد الثواني في حياة الإنسان يا ويكي؟»، سأل.

أتى صوت ويكي رفيعاً لكن واثقاً: «ستون ثانية في الدقيقة، ستون دقيقة في الساعة، أربع وعشرون ساعة في اليوم، ثلاثمئة وخمسة وستون يوماً في السنة، بل في الواقع ثلاثمئة وخمسة وستون وربع يوم، وذلك بسبب السنوات الكبيسة، لذا لنقل إنّ معدل الحياة هو حوالى خمس وسبعين سنة، هذا ستون ضرب ستين ضرب أربعة وعشرين، أي... آهً... ستّاً وثمانين ألفاً وأربعمئة ثانية في اليوم. ثم ثلاثمئة وخمسة وستون يوماً ضرب خمسة وسبعين يساوي، لنرَ، سبعة وعشرين ألفاً وثلاثمئة وخمسة وسبعين يوماً في خمس وسبعين سنة. إذاً نضرب ذينك العديدين ببضعهما...»

سكت ويكي.

«هذا مجموع كبير»، قال إد، «حسناً، لا يهم.»

«إنه كبير جداً»، أضاف آرثر محاولاً أن يكون مفيداً، «الكثير من الثواني.»

وكثيرة جداً تلك الثواني التي قُضيت في هذه الغرفة اللعينة. كانوا قد أحضروا الأسرّة جرّاً من جميع أرجاء المهجع إلى هنا، حتى يبقوا معاً، لكن ذلك عنى ازدحاماً، جواً خانقاً، ورائحة كريهة في الغرفة. لا أحد منهم يتذكر متى كانت آخر مرة استحمّوا فيها، باستثناء كوانيلي على الأرجح. كان يحمل معه بذلات المدرسة التي خاطها خصيصاً له خياط في لندن، وكان يتباهى دائماً بأنّ حلاقة شعره كانت تكلّفه في كل مرة خمسون جنيهاً. كان يستطيع المحافظة على نظافته بطريقة ما. كانت لديه معايير يحافظ عليها.

كانت الغرفة قد أصبحت ضيقة أكثر بسبب أكوام صناديق الكرتون في أحد جوانبها. تلك الصناديق التي احتوت خلال الأسابيع الماضية على طعامهم وقناني المياه، لكن عملياً لم يعد لديهم شيء الآن. كانت لديهم مؤونة تكفي ليومين آخرين، ربما ثلاثة إذا توخوا الحذر في استهلاكها. كان جاك

يفتّش في الكومة، يُبعد الصناديق الفارغة جانباً.

دوّت ضربة أعنف من سابقاتها وبدا أن الخزانة تهتز قليلاً. كانوا قد كدّسوا داخلها كل ما عثروا عليه من خردة لتصبح أثقل وزناً، وبكل تأكيد ستحتاج إلى ضربة قوية أو دفعة ثقيلة من الخارج لإبعادها عن الطريق، لكن لم يكن ذلك مستحيلاً.

«يجب أن نغادر هذا المكان»، تمتم جاك.

«ماذا؟»، قطب إدّ في وجهه.

«قلتُ إن علينا مغادرة هذا المكان»، هذه المرة أتى صوت جاك أعلى وأكثر وضوحاً فسمعه الجميع، «لا جدوى من البقاء؛ لا جدوى على الإطلاق. حتى لو غادر أولئك المدرّسون في الخارج في الصباح، أو زحفوا عائدين إلى المكان الذي ينامون فيه – ونحن غير متأكدين من أنهم سيفعلون أصلاً – سنضطر إلى قضاء طوال يوم غد في محاولة إقفال الأبواب والنوافذ وتدعيمها مجدداً. ثم ماذا؟ سيعودون ليل غد ويدخلون. لا نستطيع أن ننام، لا نستطيع أن نأكل. من حسن حظنا أن أحداً منا لم يتأذَّ الليلة، لكن... أقصد، إن لم يتمكن المدرّسون من الدخول فسنتضور جوعاً حتى الموت إن بقينا هنا.»

«نعم، أنا أوافق جاك الرأي»، قال بام، «أظن أن علينا مغادرة المكان في الصباح.» رنّ صوت بام عالياً في غرفة المهجع الضيقة. بام الذي لطالما كان لديه الميل للصراخ أكثر من الكلام، وقبل الكارثة كان الفتيان يجدون هذا الأمر مزعجاً جداً. كان ضخماً وصاخباً، يتجول في المكان مثل زوبعة صغيرة، يكسر الأشياء عن غير قصد، يلقي نكاتاً حمقاء، ويمارس ألاعيب على الناس، ويضحك بصخب كثيراً. الآن لم يعد الآخرون يستطيعون تخيّل الاستمرار من دونه. لم يبدُ عليه أنه يتعب أبداً أو يصبح متقلّب المزاج. لم يكن فظاً أبداً، ولا متهكماً، بل شجاعٌ لا يخاف أبداً.

«علينا أن نعثر على مكان يمكننا فيه الدفاع عن أنفسنا بطرق أفضل من هذه»، تابع بام، «مكان بالقرب من مصدر طعام وماء.»

«مصدر الطعام الوحيد في هذا المكان هو نحن»، قال جاك.

«قد يرحلون»، قال آرثر صديق ويكي، «قد يموتون جميعهم ليلاً. كثيرون منهم ماتوا بالفعل. إذا صمدنا وانتظرنا لوقت أطول فسيموتون، سيفرقعون مثل حبّات الفشار. أرأيتم عندما ماتت الآنسة جيسوب، مدرّسة مادة العلوم؟ كانت ممدّدة على العشب تحت الشمس، كانت جثة هامدة وبدأ جلدها يفرقع مثل الفشار تماماً، لم تكفّ دمامله عن الانفقاء، مثل زهرات صغيرة على كلّ جسمها. تماماً كما كنّا نشاهد الأزهار تتفتّح سريعاً في فيلم مُسرَّع المشاهد؟ فرقعت وفرقعت وفرقعت وبعد وقت قصير لم يبقَ منها شيء، صارت مجرّد كتلة من اللحم الأسود، ثم أتى كلب وأخذ يلتهمها لكن سرعان ما مات الكلب أيضاً»، توقف آرثر عن الكلام ورمش بعينيه، «أظن أنّ علينا البقاء هنا حتى يغادرون جميعهم ويفرقعون مثل الفشار.»

«لن يغادروا أبداً»، قال جاك وهو يتجه نحو النافذة حيث كان كريس لا يزال يقرأ كتابه وعيناه مركّزتان على صفحاته. كان القمر مشعّاً هذه الليلة، فأرسل ببعض من أشعته إلى الغرفة، لكن شكّ جاك أنّ هذا الضوء الخافت كان كافياً ليرى كريس الكلمات جيداً، لكنّ ذلك لم يمنع كريس عن القراءة؛ لا شيء يمكنه منعه الآن.

نظر جاك إلى الشارع في الأسفل. كان هناك مدرّسان ومراهق، ربما في السابعة عشرة أو الثامنة عشرة من العمر. كانوا يمشون بتثاقل، يعرجون كما لو أنّ كل خطوة كانت تؤلم أرجلهم.

«يموت بعضهم من الوباء وآخرون يبقون على قيد الحياة. لا أحد يعرف السبب»، قال جاك واستدار من عند النافذة ليسير في اتجاه الباب حيث كان أحد مهاجميهم يخشخش بمقبض الباب، «ومن يعرف كم ستستغرق تلك المجموعة في الخارج من الوقت كي تموت. قد يكون أسابيع... لكن في الوقت الحالي هم يعرفون أننا هنا ولن يستسلموا حتى يقبضوا علينا. سيواصلون هجماتهم علينا، كل ليلة، حالما يحل الظلام، ليلة تلو ليلة. لقد غادر معظم الفتيان الآخرين منذ وقتٍ طويل. أما نحن فقد بقينا لعلّ أحدهم

يأتى لإنقاذنا. يا لسخرية القدر! لم يأتِ أحد لإنقاذنا، ولنواجه الواقع، لن يأتي أحد أبداً.»

«ملياران وثلاثمئة وخمس وستون مليوناً ومئتا ألف ثانية تقريباً في حياة الإنسان، إن كنتَ محظوظاً...»، قال ويكي بهدوء.

5

في الصباح احتاجوا إلى أربعة منهم لتحريك الخزانة جانباً، مدركين أنهم يحرّكونها للمرة الأخيرة.

عندما لم تعد هناك حواجز تسدّ الباب، ألصق بام أذنه بالباب الخشبي. نظر نحو جاك. لعق جاك شفتيه متوتراً.

«إذاً؟»

هزّ بام رأسه: «لا أسمع شيئاً.»

«هيا إذاً.»

أمسك بام بالمقبض، أداره. طقطق القفل وانفتح شقٌّ صغير في الباب. تأكّد من أن الجميع مستعدّون. وقف صف من الفتيان في الانتظار. كانوا قد فكّكوا أطر الأسرّة المعدنية لصنع أسلحة من السنّادات والزنبركات الثقيلة، كما وحزموا كل ما بقي لديهم من مؤن ومقتنيات خاصة في حقائب ظهر أو صرر من الملاءات.

«مستعدون؟»

أومأ الفتيان إيجاباً. أخذ بام نفساً عميقاً وفتح الباب.

عبر ضوء شاحب وكئيب تسللت أشعته من خلال النوافذ الصغيرة. بدا الرواق خالياً.

لقد غادر المدرّسون.

واحداً تلو الآخر خرج الفتيان من المهجع، متيقظين وحذرين. كانوا يرتجفون. كثرة عددهم في تلك الغرفة الضيقة كانت تُبقيهم دافئين، لكن

كان الوقت في أوائل شهر آذار/ مارس فأحسّوا بلسعات الهواء البارد.

«انظروا إلى ذلك»، أومأ جونو في اتجاه الباب. بدا الباب من الخارج وكأنّ حيوانات برية قد هاجمته. كانت هناك تشققات وطعجات كبيرة، جروح طويلة كما لو أنها من فعل مخالب حادة. كان أكثرها حول المقبض. كان المدرّسون قد تمكنوا تقريباً من الحفر بأصابعهم عبر الخشب. كانت الجدران مخربشة أيضاً، تقشّرت وتكسّرت قطع منها وطُبعت عليها بصمات أيادٍ دامية.

«يبدو أننا نغادر في الوقت المناسب»، قال بام، «ليلة واحدة أخرى وكانوا سيقبضون علينا.»

كانت الرائحة كريهة في الردهة الرئيسية. كان من الواضح أنّ مدرّساً واحداً على الأقل قد استخدم السجّادة كمرحاض. كان هناك ورق جدران ممزّق على طول السلالم وبقع دم جديدة على أحد الجدران. ربما كانوا يتقاتلون فيما بينهم.

«هيا بنا.» قاد بام الطريق إلى الأسفل. خلفه مشى جونو وزملاؤه الآخرون من فريق الركبي، يحملون عصيّاً معدنية حادّة فكّكوها من أطر الأسرّة، رُبطت أطرافها بشرائط متينة مزّقوها من الملاءات وذلك لحماية أصابعهم. خلفهم كان جاك وإدّ. كان جاك يحمل مضرب كريكيت، وإدّ يحمل عصا هوكي. خلفهم كان آرثر وويكي يتحدثان بينما يلوّحان إلى أعلى وأسفل الزنبركين المعدنيين اللذين كانا يحملان. ثم كريس ماركر الذي كان لا يزال يقرأ كتاباً وهو يمشي، ويحمل على ظهره حقيبة كانت ممتلئة أيضاً بالمزيد من الكتب. ثم الأذكياء الثلاثة وهم يحملون مضارب خشبية مصنوعة من أرجل الكراسي. خلفهم كان يمشي كوانيلي، نظيفاً كعادته، في بذلته وربطة العنق، ويحمل حقيبة سفر باهظة الثمن وحقيبة بذلات امتلأت ببذلاته المفضلة. أخيراً الفتيان الستة من فيلد هاوس، يراقبون المؤخرة، مسلّحين بتشكيلة متنوعة غريبة من أدوات الحديقة.

عند أسفل السلالم كان السجاد أسودَ ودبقاً، وكأنّ حوضاً من العسل

الأسود قد سُكب عليه. كانت أحذية الفتيان الرياضية تلتصق بالأرض، فكانوا يرفعون أقدامهم لمواصلة طريقهم كمن يخوض في بركة من الوحل السميك. كانت الرائحة أسوأ هنا في الأسفل، مزيجٌ مقزز وقذر من الدم واللحم الميت والجثث التي لم تتحلل بعد. العفَن والقذارة في كل مكان.

كان المدخل الرئيسي للدخول والخروج من المبنى عبارة عن باب مزدوج كبير. أول أمر فعله السيد هيويت، عندما قرروا سابقاً تأمين المنزل، هو سدّ الأبواب بالمسامير وقطع الخشب السميكة. كانوا يستخدمون للدخول والخروج باباً بديلاً في خلفية المطبخ، لأن عملية فتحه كانت أسهل وإغلاقه أسرع. كانوا يملكون مفاتيح للباب الخلفي إضافةً إلى باب المطبخ، لذا كان لديهم خطّ دفاع إضافي. تبيّن لاحقاً أن كل ذلك مضيعة للوقت، وذلك حين وجد المدرسون الموبوؤن طرقاً أخرى لدخول المهجع.

وضع بام يده فوق فمه حتى لا يشمّ الرائحة الكريهة.

«من هنا»، قال، متقدّماً المجموعة عبر الرواق المؤدي إلى المطبخ.

كان الظلام حالكاً في الرواق فمشوا بسرعة. أراد جميع الفتيان الخروج بأسرع وقت ممكن. وصلوا سريعاً إلى باب المطبخ، الذي كان في وسطه نافذة صغيرة من الزجاج المقوى وذات أسلاك شبك معدنية.

خطا بام خطوات واسعة في اتجاهها متلهّفاً، بقدر الآخرين، للخروج من هذا المكان. أخرج من جيبه كومة من المفاتيح، اختار واحداً منها وأدخله في القفل. كان على وشك أن يدير المفتاح في القفل عندما شدّه جاك إلى الخلف.

«انتظر لحظة.»

توقّف بام. لاح على وجهه تعبيرٌ غاضب، ثم ضحك ضحكةً خفيفة.

تنهّد جاك: «بربك بام، يمكنك على الأقل استطلاع المكان قبل أن تفتح الباب.»

«آسف يا صديقي، لكنّ دماغي ليس ذكياً كفاية. لم ينجز يوماً العمل بدقة مئة في المئة، ولأكون صادقاً الآن، إنه لم يعد يعمل الآن. ما زال نائماً على

ما أظن»، ثم طقطق بقبضته على جانب رأسه وقال: «استيقظ، هيا هيا!»

ألصق جاك أنفه بالنافذة الصغيرة وحدّق داخل المطبخ. كان المكان مظلماً. أشرقت الشمس عند الجانب الآخر من المبنى و لم يكن الضوء قد وصل إلى هذه الجهة بعد. لم يستطع رؤية أي حركة في الظلام. ثم تبيّن له أن الباب الخلفي للمطبخ كان نصف مفتوح. مؤكد أن أحدهم كان في الداخل خلال الليل.

«ما الذي تراه؟ هل المكان آمن؟» سأل بام.

«لحظة واحدة. لا أستطيع تأكيد ذلك بعد.»

كانت عينا جاك قد بدأتا تعتادان الظلام في الداخل. بدأ يرى بعض التفاصيل في المطبخ. كانت هناك بقعة دم قرمزي على النافذة فوق حوض المغسلة. وهناك، على الطاولة، كان شيء يشبه شريحة اللحم. أدرك جاك أن هناك ذراعاً لا تزال متصلة بها. بلع ريقه، مسيطراً على نفسه كي لا يتقيأ.

«لستُ متأكداً من أنه يجدر بنا المرور من هنا»، قال.

«هل هناك مدرّسون في الداخل؟» سأل بام وهو يحاول استراق النظر من فوق كتف جاك.

«من الصعب معرفة ذلك.»

«حسناً، دعني ألقي نظرة.» أزاح بام جاك جانباً وأخذ مكانه عند النافذة.

«ليس مشهداً جميلاً، أليس كذلك؟ لكن لا أظن أن هناك أحداً في الداخل... وااااو!» تراجع بسرعة إلى الخلف عندما رمت مدرّسة نفسها بقوة على الباب، ملصقةً وجهه بالزجاج وملطّخةً إياه بالقيح. بدت كأنها الآنسة وارلوك، من قسم اللغة الإنكليزية، لكن كان التأكد مسألةً صعبة بسبب التشوهات.

تلك الصدمة جعلت بام يُطلق ضحكة مدوّية ساخراً وسرعان ما انضم إليه الفتيان الآخرون. أما جاك فحدّق في الباب الذي كان يهتز عند مفاصله تحت ثقل الآنسة وارلوك التي كانت ترمي نفسها مراراً وتكراراً على الباب

وهي تصدر أصواتاً تشبه الأنين بينما لعابها يسيل على الزجاج.

تجرّأ إدّ على الاقتراب على مهل والمخاطرة بإلقاء نظرة، ثم قال:

«في الداخل أكثر من واحد منهم. سنضطر إلى سلوك طريقٍ آخر.»

«هل أنت جاد؟» غمغم جاك ساخراً.

«كما علينا أن نتحرك بسرعة»، قال إدّ متجاهلاً جاك، «يستطيعون كسر هذا الباب إن كان هناك عددٌ كافٍ منهم. أو ربما يكتشفون أنّ هناك طريقاً آخر للدخول... ربما الطريق الذيٍ دخلوا منه الليلة الماضية.»

عاد الفتيان أدراجهم عبر الرواق، وقد زاد توترهم وكذلك لهفتهم للخروج من المبنى الذي كان يشعرهم أكثر فأكثر وكأنه فخٌّ. عند وصولهم إلى القاعة توجّهوا نحو الأبواب.

رأى جاك ما يشبه كرة قدم على الأرض في وسط القاعة. شعر بالرغبة في الركض وركلها، كردّ فعل تلقائي. تقدّم عدة خطوات إلى الأمام ثم توقف فجأةً، يكاد يفقد توازنه، تماماً كما يحدث عندما يجد الشخص نفسه فجأةً على طرف جرف عالٍ في فيلم كرتون.

لم تكن كرة قدم. كان رأساً بشرياً. كل ما بقي من السيد هيويت. كانت عيناه مفتوحتين، وبدا هادئاً وفي سلام. لم يعد يشبه ذلك المختلّ عقلياً الذي كان عليه في آخر مرة رآه جاك فيها.

رأى بام الرأس، فقال ضاحكاً:

«يا للهول! من الأفضل أن نتخلص من هذا، فهو مخيف بعض الشيء.»

التقط الرأس بحذر من الشعر ثم رماه عبر القاعة نحو حاوية قمامة كانت في الزاوية المظلمة. كان مذهلاً كيف دخل الرأس في الحاوية بضربة مباشرة. هلّل بام وضرب قبضته في الهواء.

«رمية ناجحة!»

لم يعرف جاك إن كان عليه أن يضحك أو أن يكوّر نفسه مثل كرة ويضرب جبهته على الأرض يأساً. وقف هناك، وقد نضبت كل طاقته، متمنياً لو كان على بُعد ملايين الأميال عن هنا.

بام وجونو وبيرز كانوا قد اتجهوا إلى الأبواب وبدأوا يعملون على فتحها بإزالة القطع الخشبية المثبتة بالمسامير وذلك بواسطة العصي الحديدية التي كانوا يحملونها. كان عملاً بطيئاً، وواقع أن الفتيان بالكاد استطاعوا النوم مجدداً الليلة الماضية أبطأهم أكثر فأكثر. كانت أيديهم تعمل بتثاقل و لم تعمل عضلاتهم كما يجب، كما لو أنّ إشارات الدماغ لم تكن تصل واضحةً. استفاق جاك من ذهوله، فلم يحتمل رؤيتهم يجاهدون ويعملون بوهن لفتح الباب. أوقظ نفسه وذهب للمساعدة.

بينما هم يعملون كانوا يستطيعون سماع المدرّسين عبر الرواق وهم يضربون باب المطبخ ويرتطمون به.

«ألا يمكنكم العمل أسرع؟» قال كوانيلي الذي كان يقف في الخلف يراقب، وقد وضع حقيبة متاعه بترتيب عند أسفل قدميه كما لو كان في انتظار وصول القطار.

«نحن نعمل بأقصى سرعتنا»، قال بام.

«إذا كنت مستعجلاً إلى هذا الحد فلمَ لا تأتي وتساعدنا؟ أم أنك لا تريد إفساد ملابسك؟»، قال جاك بغضب.

«أنا لا أتقن استخدم يدي»، قال كوانيلي وهو يمسّد على طيّة صدر بذلته، «ونعم، لا أريد أن أفسد ملابسي. هذا القميص من كوم دي غارسون.»

هزّ جاك رأسه مفكراً. لو لم يكن كوانيلي سخيفاً جداً لفقد الآخرون صبرهم معه منذ وقت طويل.

كان قد بقي أمامهم لوح خشبي واحد، أكبر وأسمك من الألواح الأخرى، ثُبّت على الباب بعشرة مسامير كبيرة. كان الفتيان يقفون في طريق بعضهم بعضاً، فانزلقت عصا جونو الحديدية لتجرح يد بيرز. مصّ بيرز أصابعه وشتم جونو.

حينها سُمع صوت ارتطام قوي من المطبخ.

ألقى جاك نظرة إلى الخلف: هل تمكن المدرِّسون من الباب أخيراً؟

«هيا بسرعة، هيا»، خاطب لوح الخشب بقدر الفتيان الآخرين. كان

يخربش بأصابعه على اللوح محاولاً زعزعته من مكانه. وبقدر ما كان عازماً على إزالته، لم يعد يدري بما يجري خلفه. لم يلتفت إلى الخلف إلا حين سمع صرخةً مدوية.

كان هناك مدرِّسون في الردهة، ستة منهم، من بينهم مسيو موريل الذي كان يقبض بكفيه الضخمتين على عنق أحد أولاد فيلد هاوس ويهزّه مثل دمية. انهال رفاق الفتى على المدرّس بعصيهم، بينما تصدى للمدرّسين الآخرين الأخوان سوليفان والأذكياء الثلاثة الذين بقوا في مجموعة واحدة، وهم يصرخون ويشتمون.

كان إدّ برفقة الفتيان الآخرين الذين وقفوا جانباً في دائرة مرعوبين لا يعرفون ما عليهم فعله.

أعطى جونو عصاه الحديدية لجاك والتقط مطفأة حريق كانت معلقة على الحائط، وصرخ:

«تولَّ أنت فتح الباب، وسنتولى نحن أمر أولئك المدرّسين.»

سارع إدّ لمساعدة جاك، وبمساعدة بعضهما استطاعا خلع جزء من اللوح. شدّا بكل ما أوتيا من قوة وعلا صريرٌ مروّع عندما بدأت المسامير تنقلع مسماراً تلو الآخر.

ضرب جونو على الغطاء في أعلى مطفأة الحريق فانفجر من الخرطوم سيلٌ من الرغوة البيضاء. صوّب نحو مجموعة المدرّسين، مصيباً إياهم بالعمى.

كان مسيو موريل لا يزال يعذّب الفتى من فيلد هاوس. بدا أن الضربات التي كان الأولاد الآخرون ينهالون بها على ظهره لا تأتي بأي نتيجة.

في محاولةٍ أخيرة انخلع اللوح بكامله عن الباب. أمسك جاك بطرف اللوح وركضَ به نحو موريل.

«ابتعِد عن الطريق!»

أرجَح قطعة الخشب نحو رأس الرجل فأصابه إصابة سريعة ومباشرة. لا بدّ أن أحد المسامير قد ثقب جمجمته. وقف موريل، واللوح الخشبي متدلٍّ من الجزء الخلفي من رأسه مثل ذيل حصان ضخم، ومدّ ذراعه في اتجاه جاك،

لكنه تيبّس فجأةً ثم ارتجف بقوة قبل أن يسقط جانباً فوق الآنسة وارلوك التي تزحلقت وتلوّت على الأرض غير قادرة على الوقوف في بركة من الرغوة السائلة.

«هيا، هيا لنذهب، لنذهب!»، صرخ بام من عند الباب.

«لا نعرف ماذا هناك في الخارج»، بدا إدّ قلقاً.

«لا يمكن أن يكون أسوأ ممّا هنا»، صرخ جاك وهو يركض في اتجاه المدخل متخطياً إدّ.

أغمض إدّ عينيه وأخذ نفساً عميقاً، محاولاً أن يجد في داخله ولو ذرّة واحدة مخبأة من الشجاعة.

عندما فتح عينيه أدرك أنه قد تُرك في الخلف. كان الآخرون قد أصبحوا خارجاً قبله. هرع خلفهم فوجدهم في مجموعة متلاصقة، عيونهم تطرف بسرعة في ضوء النهار الباكر. بدا الفتيان من فيلد هاوس في حالة ذهول تامة. أدرك إد حينها أن صديقهم لم ينجُ. لم يتفوّه بكلمة. كان يشعر بالغثيان وعدم القدرة على قول شيء.

لم يبدُ أن هناك أحداً في الخارج أو في أي مكان بالقرب، لكنّ أنيناً خافتاً من الخلف جعل إدّ يستدير. كان المدرّسون يخرجون من المنزل وقد غطتهم الرغوة بأكملهم. كانوا لا يستطيعون السير بسرعة بسبب اشتداد المرض عليهم، والدمامل والقروح التي تغطي جلودهم جعلتهم يسيرون وكأنهم يدوسون حفاةً على زجاج متكسّر، لكن الفتيان كانوا يعرفوا، عن سابق خبرة، أنّ عدوهم لن يتوقف أبداً – حالما يبدأ بتعقبهم لن يستسلم أبداً.

«أسرعوا!» صرخ بام، فركض الفتيان بأقصى سرعتهم عبر الملعب الواسع نحو مدخل المدرسة الرئيسي.

بقي إدّ في الخلف، يساعد ويكي وآرثر. كانا أصغر حجماً من الفتية الآخرين وأبطأ. لم يكن إدّ يعرف ماذا سيفعل إن تُرك أحدهما. شجّعهما على السير بسرعة، صارخاً الكلمات المشجعة، مدركاً طول الوقت أن المدرّسين كانوا في الخلف، يطاردونهم بتثاقل لكن باصرار.

قطعوا المسافة من المهجع نحو المدخل الرئيسي ثم اتجهوا نحو المدخل المقنطر الذي يؤدي إلى ساحة المدرسة. رأى إدّ صديقه جاك أمامه. كان يخفف من سرعته بينما يحدق إلى الخلف نحو مبنى الإدارة بالقرب من البوابات الرئيسية.

ماذا الآن؟

كان إدّ خائفاً جداً كي يتوقف. ركض عبر المدخل المقنطر، لكن بينما كان يركض بالقرب من جاك أمسكه صديقه من سترته وشدّه نحوه.

تابع ويكي وآرثر ركضهما.

«ما المشكلة؟»، خرج صوت إدّ خشناً من حنجرته.

«هل تستطيع رؤية ذلك؟»، قال جاك وعيناه تطرفان، كما لو أنه لا يريد أن يصدّق ما تراه عيناه.

استدار إدّ إلى الاتجاه الذي نظر نحوه جاك. للحظة لم يستطع رؤية شيء.

«ماذا؟» قال، خائفاً وغاضباً وتائقاً إلى الابتعاد عن المكان، «ما الذي أنظرُ إليه تحديداً؟»

«هناك. المكتب حيث يعمل أمناء المدرسة.»

«ماذا؟ ماذا هناك...؟ أوه، يا إلهي.»

كانت هناك فتاة عند النافذة تضرب بيديها على الزجاج وفمها يتحرك في صرخةٍ صامتة.

6

«مَن تكون تلك الفتاة بحق الجحيم؟»

«لا أعرف. لم أرَها من قبل على الإطلاق»، أتى صوت جاك جافاً ومتحشرجاً بقدر صوت إدّ.

«علينا أن نلحق بالآخرين»، قال إدّ بتوتر وهو يلقي نظرة سريعة نحو الطريق حيث كان ويكي وآرثر قد بدآ يبتعدان عن الأنظار.

«لا يمكننا أن نتركها هناك ونرحل»، قال جاك.

«لا... أعرف... لم أقصد ذلك.»

«ما الذي قصدتَه إذاً؟»

«لا أعرف»، دلّك إد رقبته من الخلف. لم يستطع أن يفكر بأيٍّ كلمات أخرى يقولها.

«سنذهب لمساعدتها في الحال، اتفقنا؟»، قال جاك.

استدار إد مجدداً نحو الطريق المقنطر. لم يكن هناك أي أثر للمدرسين بعد، لكنها كانت مسألة وقت قصير كي يصلوا إليهما.

«حسناً»، قال.

ظهر تعبير ارتياح على وجه الفتاة الواقفة عند النافذة عند رؤيتهما يتجهان نحو مبنى الإدارة. كانت نحيلة، ذات شعر طويل وأنف كبير بعض الشيء وفم ممتلئ. كان خدّاها مبلليَن من الدموع وعيناها حمراوين من البكاء.

أشار لها الولدان كي تفتح النافذة. هزّت رأسها في إشارة إلى أن النافذة موصدة.

«لمَ لا تستخدم الباب فحسب؟»، سأل إدّ بينما توجّه وجاك إلى المدخل الأمامَي. أتى الجواب على سؤاله سريعاً عندما وجدا أمامهما مجموعة صغيرة من المدرّسين يخربشون بأصابعهم مدخل المبنى محاولين الدخول.

عاد الصبيّان أدراجهما بسرعة، ولحسن حظهما لم يرهما المدرسون المصممون على الدخول. عندما عادا إلى أسفل النافذة كانت الفتاة تبكي مجدداً وتضرب بفردة حذاء على الزجاج، لكن من دون جدوى.

«الوضع سيئ للغاية، إنه زجاج مقوّى»، قال جاك.

حاول إدّ السيطرة على خوفه، مقاوماً دافعاً داخلياً يحثّه على تركها والرحيل. وحين تلفّت حوله رأى حاويتين خضراوين كبيرتين على عجلات عند الجانب الآخر من الساحة، فقال مشيراً نحوهما:

«علينا أن نستخدم واحدة من هذه الحاويات، ربما نستطيع بواسطتها كسر الزجاج.»

«هيا، لنجرّب ذلك»، قال جاك، وأسرعا عبر الرصيف المبلّط لإحضار إحدى الحاويات. كان الفتيان الآخرون قد اختفوا عن الأنظار عندما أدرك إد أنه كان وحيداً مع جاك في الساحة.

لا، ليسا وحيدين تماماً. كان قد ظهر أول المدرّسين الذين هاجموهما والفتيان الآخرين سابقاً داخل المهجع، يمشون متثاقلين من تحت القوس، والرغوة تقطر منهم.

دحرج الصبيّان الحاوية فوق الرصيف، وصوت عجلاتها الصغيرة يقعقع ويطقطق. بدا الصوت وكأنه رعد، والصمت يلفّ المكان، وكان إدّ خائفاً من أن يجذب الصوت القوي المدرّسين عند الشرفة.

«ارجعي إلى الخلف!» صرخ بالفتاة عندما اقتربا، ثم رفع هو وجاك الحاوية إلى كتفيهما وركضا بها ورمياها نحو النافذة. دوّت فرقعة عنيفة عندما تحطّم الزجاج متناثراً من الأعلى. لثوان قليلة لم يكن هناك أثر للفتاة، لكنها أطلّت شيئاً فشيئاً عند إطار النافذة المكسورة الزجاج، فبدت شاحبةً ومذهولة.

«أيمكنك التسلق إلى الخارج؟» سأل جاك.

«أظن ذلك»، قالت الفتاة بلهجة غريبة، لهجة بدت أجنبية.

«انتبهي من الزجاج المكسر»، قال إدّ، مسترجعاً في ذاكرته ما حدث للسيد هيويت الليلة الماضية. اختفت الفتاة مجدداً وعندما ظهرت ثانيةً كانت تحمل لحافاً وبعض الملاءات التي ربطتها ببعضها ورمتها من النافذة. ثم اختفت مجدداً لتحضر شيئاً آخر.

«هيا تحركي»، تمتم إدّ بصوت غاضب. كان المدرسون يقتربون عبر الساحة، وحين اقتربوا أكثر استطاعَ إدّ رؤيتهم بشكل أفضل. كانت عيونهم صفراء ومتورّمة، جلودهم متكتلة وقد غزتها البثور والأورام، ونبتت بين طياتها قروح ودمامل. كانت الرغوة تسيل منهم على شكل خطوط، وواحد منهم أو اثنان كان الدم يسيل من فمهما. أحدهم كانت أذنه مدلاّة وكانت تتأرجح بينما كان يمشي متثاقلاً، وآخر برز من قميصه الممزق ورمٌ ضخم، كما لو أنه ابتلع مصباح مكتب. كان جسمه بأكمله مشوهّاً ومقزز الشكل.

دوّت صرخة من النافذة. كانت الفتاة تقف هناك، تحمل قفصاً بلاستيكياً كبيراً. رمته إلى إد فأدرك أنّ في داخله قطة مخططة، تكوّرت في زاوية القفص، خائفة مرتجفة. حالما أصبحت القطة بأمان تسلقت الفتاة حافة النافذة فساعدها جاك على النزول إلى الأرض. كان جسمها بأكمله يرتجف، وأنفاسها متسارعة وخفيفة.

رمت بذراعيها حول جاك وهي تشهق بالبكاء ودفنت وجهها في كتفه مبللةً سترته بدموعها. تفوهت بالكلمات نفسها مراراً وتكراراً، وكان صوتها يضيع في شهقاتها.

«شكراً لكما، شكراً لكما، شكراً لكما...»

«يجب أن نواصل سيرنا، علينا أن نبتعد عن هذا المكان»، قال جاك وهو يبعدها عنه.

أومأت الفتاة موافقةً وأخذت القطة من إدّ. نظرت داخل القفص وهي تُصدر أصواتاً مطمئنة، ثم تحدثت إلى القطة بلهجة بدت كأنها فرنسية.

التفت إدّ نحو المدرّسين. لم تكن الفتاة قد رأتهم بعد. كانوا يقتربون منهم أكثر فأكثر.

«علينا أن نُسرع» قال، فالتفتت إليه بعينين واسعتين خائفتين. حتى في حالتها هذه، بشعرها المشعث ووجهها الملطّخ من البكاء، تفاجأ إدّ: إنها جميلة.

شدّها من يدها، لكنها قاومت.

«والدي، لا أعرف أين والدي»، قالت.

«من يكون والدك؟» سأل إد، رغم معرفته بأن سؤاله هذا سخيف جداً.

«مسيو موريل. إنه مدرّس هنا. كان يرعاني، لكنه خرج البارحة. كان يشعر بالمرض، ذهب يبحث عن دواء، لكنه لم يرجع. انتظرته، انتظرته طوال الليل. لم يرجع.»

توقفت الفتاة عن الكلام. لاحظت أخيراً النظرة المرعوبة على وجه إدّ. أدارت رأسها سريعاً وشهقت عندما رأت المدرّسين على مسافة قريبة للإمساك بهم.

أمسكها جاك من ذراعها وشدّها وهو يهمّ بالركض، مُجبراً إياها على الركض إلى جانبه، وقال:

«عليك أن تنسي أمر والدك. كل الراشدون، كل من تزيد أعمارهم عن أربع عشرة سنة، يُصابون بالمرض. إنهم يموتون، فهمتِ؟ أو يتحولون إلى... أحد هؤلاء.»

«هل هو... هل هو مريض؟ هل تحول؟»، سألت الفتاة بصوتٍ مرتجف متوتر.

«لا، لا، لم يتحول»، أجاب إد وهم يركضون عبر بوابات المدرسة.

«هل رأيتماه؟ يجب أن تخبراني»، سألت الفتاة.

«نعم»، تبادل نظرة حزينة متألمة مع إدّ، «لقد رأيناه. إنه ميت. آسفان.»

«عرفتُ ذلك...»، خرجت الكلمات مخنوقة من فم الفتاة ثم ناحت في يأس. هزّ جاك برأسه إلى إدّ. كان من الأفضل عدم التفوّه بالمزيد. على الأقل

لم يكذب أيٌّ منهما في ما قالاه.

كانت قد مرّت عدة أسابيع منذ غادر إدّ المدرسة للمرة الأخيرة لأن ذلك لم يكن آمناً. لذا كانت رؤية الطريق الرئيسي من دون حركة سير أو مارّة أمراً غريباً. حتى أيام الآحاد كانت حركة السير ذهاباً وإياباً لا تنقطع ليلاً أو نهاراً، أما الآن فالمكان هادئ تماماً. كانت الطيور تغرّد فوق الأشجار، غافلةً عن التغيير الذي حلّ على العالم، غير آبهةٍ بالبشر ومشاكلهم.

يا للسرعة التي انهار بها كل شيء!

أدرك إدّ في لحظة وعي لم يعتدها أخيراً أن العالم سيصبح مكاناً أفضل للطيور، بل لجميع الحيوانات. لا مزيد من السيارات، لا مزيد من التلوث، لا مزيد من المصانع والطائرات وآبار النفط ومناجم الفحم...

كان الاحتمال كبير جداً أنّ البشر سينقرضون كلياً خلال وقت قريب. ما الفرصة التي يملكها أولاد تحت سن الرابعة عشر في البقاء على قيد الحياة؟ ما الجدوى من مواصلة الطريق؟ ما الجدوى من عبور الطريق؟ الهرب، القتال، الاختباء...

رغم ذلك، لم يتوقف. شيء ما في داخله كان يدفعه إلى مواصلة الركض، تماماً كما دفعه أمر ما لالتقاط ذلك المضرب ليلة البارحة.

نظر خلفه. كانوا قد ابتعدوا عن المدرّسين خلفهم. لم يخرج أحد باستثنائهم من بوابات المدرسة. ربما هو في أمان لبعض الوقت.

على مسافة قصيرة، عند آخر الشارع، كانت كنيسة المدرسة. كان عمر الكنيسة حوالى مئتي عام لكنها بُنيت لتكون شبيهة بكنيسة صغيرة من القرون الوسطى، أُتبِعت ببرج للجرس ونوافذ ذات زجاج مائل إلى اللون الأصفر. كان من السهل معرفة السبب الذي جعل مات بلامر يفكر بأن الكنيسة مكان آمن لهم. كانت هناك أسوار ذات فتحات حول أعلى البرج، ما جعله يبدو جزءاً من قصر.

كان مات قد أتى إلى هنا منذ عشرة أيام مع مجموعة أخرى من الفتيان. إذا تمكنوا من إقناعه بضمّهم إلى مجموعته والبحث جميعاً عن مكان أفضل

للبقاء فيه، فسيضمن لهم عددهم الكبير حمايةً أفضل.

حالما دخل جاك وإدّ والفتاة من البوابة وعبروا المدافن رأوا مجموعتهم من الفتيان أمامهم وقد وقفوا كتفاً إلى كتف أمام مدخل الكنيسة الرئيسي. لَمَ كانوا يقفون هناك و لم يدخلوا كما كان متفقاً؟

«إنهم لا يفتحون لنا الباب»، شرح جونو عندما ركض نحوهم جاك وإدّ، «إنهم لا يردّون على نداءاتنا حتى»، توقّف عن الكلام عندما رأى الفتاة، وعبس بخبث في وجهي جاك وإد.

«هذه ابنة مسيو موريل»، قال جاك وهو يلقي نحو الفتيان نظرة تقول لهم: إياكم و التفوّه بكلمة واحدة، «لا نعرف اسمها.»

وقفت الفتاة على مسافة من مجموعة الفتيان. كان شعرها يتدلّى على جانبي وجهها كالستائر، وكانت تحدّق في الأرض. مشى جونو إليها. كان فتىً وسيماً يتحلى بثقة كبيرة بالنفس، وكان ينجح دائماً في جذب الفتيات إليه. لم يكن من الممكن نسب هذه الصفات إلى باقي الفتيان في المجموعة. كانت مدرسة روهارست للفتيان فقط، لذا لم تكن لمعظمهم خبرة مع الفتيات.

قرفص جونو قليلاً حتى يتمكّن من النظر إلى وجه الفتاة، وسألها:

«ما اسمك أيتها الجميلة؟»

بقيت الفتاة صامتة.

«هيا، أخبرينا باسمك. أنت في آمان الآن.»

«فريديريك»، تمتمت الفتاة بصوت بالكاد يمكن سماعه.

وضع جونو يده على ذراعها وقالً: «أنا جونو». لم تجب الفتاة. التفت جونو إلى أصدقائه، بحاجبين مرفوعين، غير متأكد من خطوته التالية. كانوا جميعاً لا يزالون تحت صدمة أحداث الصباح، ولولا أنهم كانوا يحاولون الصمود وعدم الظهور ضعفاء أمام بعضهم بعضاً لكانوا جميعهم انعزلوا وطأطأوا رؤوسهم مثل فريديريك.

كان إد يلقي نظرة إلى المكان. كان هناك دليل واضح أنّ عدداً من

المدرسين كانوا يحاولون الدخول إلى الكنيسة، لكنّ أبواب السنديان الثقيلة بدت نوعاً ما غير قابلة للكسر، كما كان الوصول إلى النوافذ المرتفعة والمسيّجة بالقضبان المعدنية صعباً جداً. ضرب الباب بقبضتيه.

«مات!»، صرخ، «ماثيو! افتح الباب! هذا نحن! افتح الباب اللعين.»

صمت وأنصت السمع برأسٍ منحنٍ. لا شيء. لا صوت على الإطلاق.

«ربما ليسوا في الداخل»، قال، «ربما غادروا جميعهم.»

«يجب أن نجد طريقة للدخول»، قال آرثر وهو ينظر خلفه في اتجاه الشارع. ثلاثة مدرّسين كانوا يعبرون في اتجاههم، الآنسة وارلوك والرجل ذو الجسم المتلوّي المشوّه ومدرّس التاريخ العجوز السيد لانغستون. كان شعره الرمادي منتصباً مثل عُرف على رأسه. بدا مرتبكاً.

«هناك باب جانبي»، قال أحد فتيان فيلد هاوس، «يوصلنا إلى حجرة ارتداء الملابس في الكنيسة. كنا نسلكه من أجل تدريبات الجوقة.»

«هل نستطيع أن نفتحه؟» سأل جاك.

هز الفتى كتفيه.

«حسناً، لَم تذكره إذاً؟»، صرخ به جاك بشراسة، «ما فائدته لنا؟»

«هناك مفتَاح»، تمتم الفتى، «كان السيد لويس، مدرّب الجوقة، يستخدمه في بعض الأحيان. ليس من المفترض أن نعرف بشأنه، لكننا جميعاً نعرف.»

«لَم لم تقل هذا من قبل؟ دلّنا إليه.»

قادَهم الفتى حول الكنيسة وصولاً إلى جانبها حيث كان هناك مبنى منخفض ذو سقف مسطّح. أمام باب المبنى الصغير كانت هناك شرفة مبلطة. مدّ الفتى يده بين عارضتين، تحسّس المكان حتى عثر على ما كان يبحث عنه، فأخرج مفتاحين معلّقين بحلقة واحدة. اختار أحدهما بسرعة، أدخله في فتحة القفل، أداره ودفع الباب.

هبّ الهواء عبر الباب وكأن الكنيسة تأخذ نفساً بعد انقطاع دام طويلاً، فبدأ الفتيان يسعلون وهم يدخلون المكان بحذر، وكانوا يشعُرون بحرقة في أعينهم. كانت هناك رائحة دخان تفوح في المكان. كانت سحابة من

الضباب الخفيف تغطّي المكان، فكان من الصعب عليهم التنفس بسهولة. كانت الحجرة مليئة بأغراض خاصة بالكنيسة، كتب صلاة وملابس أفراد جوقة الترتيل وأيضاً أشياء هنا وهناك للقس.

«المكان هنا خالٍ من الأوكسجين»، قال إدّ.

«هل اكتشفت هذا لوحدك يا إينشتاين»، سخر جاك.

استدار إدّ بغضب نحو صديقه ووضع يده على صدره، فدفعه بلطف إلى الخلف بينما تابع الآخرون دخولهم الكنيسة.

«هدّئ من روعك يا جاك ودع الأمر أرجوك. كفّ عن التسبّب بالوقت العصيب لنا جميعاً. ما مشكلتك؟ لم تكن على هذه الحال ولا مرة في حياتك.»

«نعم، أعرف، أنا آسف»، تنحنح جاك وبصق على الأرض، ثم مرّر أصابعه فوق وحمته الحمراء على وجهه، «لكن لم يكن هناك أبداً وقت كالذي نمرّ به الآن، أليس كذلك؟»

نظر جاك إلى إدّ متحدياً إياه لفتح شجار.

«حسناً، الظروف التي تمرّ بك تمرّ بنا جميعاً»، ردّ إد، «فكيف تكون تصرفاتك هذه مفيدة؟ فأنت دائماً متأهّب للشجار ومنتقد لاذع؟»

«قلتُ إنني آسف، ألم أفعل؟»

«هل فعلتَ حقاً؟ لم يبدُ لي ما قلتَه للتو اعتذاراً.»

«فيمَ يهمّ ذلك الآن؟»، قال جاك وهو يُبعد يد إد، «ما الذي يهمّ في كل ما كنّا نقوله سابقاً؟ مرحباً، وداعاً، رجاءً، شكراً، آسف، أستمحيك عذراً، أيمكنك أن تمرّر الملح لي رجاءً؟ ما الذي ستغيّره هذه الكلمات السخيفة الآن؟ فنحن غارقون في الكارثة حتى أعناقنا.»

لم يستطع إدّ أن يفكر في شيء يقوله، فهزّ برأسه واستدار وتبع الآخرين إلى داخل الكنيسة.

كانت هناك حاوية نفايات معدنية في وسط الممر وفيها حطب يتصاعد منه الدخان، فحلّقت سحابة رمادية اللون من الدخان وصولاً حتى السقف.

كان في الداخل حوالى خمسة عشر فتىً. بعضهم كانوا ممدّدين داخل أكياس خاصة للنوم وآخرون تحت بطانيات على الأرض، بينما استرخى بعضهم على المقاعد الخشبية الطويلة.

«هل هم موتى؟» سأل بام وهو يمرّ بنظره على الأجسام التي بدت بلا حياة.

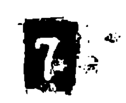
لم يعرف إدّ أن كان السبب هو الهواء الرطب في الكنيسة أم خوفه أم التعب ببساطة، لكنه أحس بضغط في رأسه، وكأن نبضات تتسارع في داخله. كانت رئتاه تحرقانه. دون أنً ينتبه إلى ما يفعل، كان يضغط على فمه منذ شجاره مع جاك. اقترب من أحد الفتيان على الأرض، فذهل عندما وجده صديقه مالك.

مدّ يده إليه. بدا مالك وكأنّ جسمه قد خلا من الدم. كان هادئاً تماماً. لمس إدّ عنقه. لم يكن بارداً جداً. جثى إلى جانبه ووضع أذنه على صدره. استطاع سماع أخفّ نبض سمعه يوماً، بالكاد يُسمّى نبضاً، نبضة ترتفع وتهبط بصعوبة في صدره.

«لا، ليسوا موتى.» وقف إدّ بسرعة. أحسّ بالدوار فتمايل على رجليه.

«علينا أن نُخرجهم من هذا المكان»، قال أحد الفتيان الأذكياء، «إنهم يحتاجون إلى الهواء النقي.»

«ليست هناك نوافذ مفتوحة»، قال ويكي وهو يتلفت من حوله، «إذا كانوا يحرقون الخشب طوال الوقت فلا بدّ أنّ أول أوكسيد الكربون يملأ المكان. لقد عبق في المكان عندما لم تعد هناك كمية أوكسجين كافية كي تحترق المواد العضوية بطريقة صحيحة. إنه سمٌّ قاتل. قد يسمِّمنا جميعاً.»



تمكّن الأخوان سوليفان من فكّ مسامير الأبواب الرئيسية للكنيسة وفتحها على مصراعيها. حمل جونو وبيرز وأصدقائهما من فريق الروكبي فتىً في غيبوبة، لكنهم توقفوا فجأةً عند المدخل.

كانوا قد نسوا أمر المدرّسين.

نظر بيرز، الأكبر حجماً بين الأخوين، بتوتر إلى الخلف وقال: «لا يزالون في الخارج.»

سار جاك إلى حيث كان الأخوان بيرز قد وضعا سلاحهما، فالتقطه دون أن يتوقف. تابع سيره إلى الخارج. تبعه بام ونظرة متجهمة تعلو وجهه. كان مدرّس مادة التاريخ، السيد لانغستون، يحاول فتح البوابة، وأصابعه المتورمة غير قادرة على الإمساك بشيء بطريقة صحيحة. إلى جانبه كانت الآنسة وارلوك والمدرّسون الآخرون يترنّحون ويئنّون.

تابع جاك سيره. لم يكن هناك ما يمكن أن يوقفه. توجّه مباشرةً نحو السيد لانغستون وأرجح تلك القطعة الحديدية بضربةٍ قوية على جانب رأس المدرس. سقط لانغستون أرضاً.

قفز بام منقضّاً على الآنسة وارلوك فأوقعها أرضاً، ثم أرجح عصاه نحو المدرّس الثالث. جعلت الضربة رأس المدرّس يتمايل بطريقة غريبة لكنه بقي واقفاً على قدميه. تسلق جاك الجدار وهاجم المدرس من الخلف. سُمع صوت طقطقة رطبة بشعة عندما انهال جاك بمضربه على جمجمة المدرس من الخلف.

لم يكن بإمكان الفتيان الآخرين رؤية ما يحدث بينما أجهز جاك وبام على المدرسين الثلاثة، لكن كان بإمكانهم سماع ما يحدث. كانت الأصوات تشبه أصوات مجموعة من الرجال يعملون في ورشة إصلاحات على الطريق.

على الأقل استطاع جاك العودة إلى الكنيسة.

«أخرجوهم من هناك»، صرخ وهو يلوّح بالعصا الحديدية في اتجاه الخارج.

بدأ الأقوياء من بينهم يجرّون الفتيان المغمى عليهم إلى الهواء الطلق بطريقة محمومة، يحملونهم من أيديهم وأرجلهم. حالما كانوا يرمون بأحدهم على العشب كانوا يعودون إلى الداخل لجلب آخر. عندما بدأ الهواء النقي يدخل رئات فاقدي الوعي بدأوا يتحركون ويستعيدون وعيهم شيئاً فشيئاً. بعضهم تمدّد هناك، يئنّ فحسب. آخرون جلسوا متّكئين على شواهد قبور أسياد ورجال كنيسة ماتوا منذ زمنٍ بعيد، مترنّحين، شاحبين ومرتبكين. حاول أحد الفتيان الوقوف فانهار على ركبتيه وتقيّأ على الأرض.

بعدما تأكّد من أنّ مالك بخير عاد إد للعثور على مات، الفتى الذي قادهم جميعاً إلى الكنيسة. وجده متكوّراً تحت المذبح، وإحدى ذراعيه ممدودة كما لو كانت تحاول الوصول إلى شيء. كان يمسك بيده الأخرى حزمة أوراق نصف متفحّمة مُزِّقت من كتابٍ ما، كانت تبدو وكأنها صفحات من الإنجيل.

صفع إدّ وجه مات بلطف. لم يتجاوب الأخير، لذا لفّ ذراعيه حول صدره مستعداً لرفعه. حالما فعل استعاد مات وعيه فجأةً. أمسك بإدّ بقبضةٍ قوية وأصابعه مشدودة وحدّق في عينيه.

«لقد رأيتُه»، قال.

«لا بأس، استطعنا إنقاذكم قبل فوات الأوان»، قال إد.

«لقد رأيتُه.»

«من الذي رأيته يا صديقي؟»

«الحمل. الحمل سينقذنا جميعاً.»

«من الجيد معرفة ذلك»، قال إد ممازحاً صديقه بينما لا يزال يحاول رفعه للوقوف على رجليه.

«لقد أتى في غيمةٍ من الضوء الذهبي، ظلّه خلفه. الحمل. سينقذنا جميعاً. علينا أن نستعد لمجيئه.»

أتى بام لتقديم المساعدة، فسنداه من تحت إبطيه وسارا به نحو الخارج، ومات يهذي بكلمات غير مفهومة ولا تمّت إلى المنطق بصلة.

أجلساه على المقعد في المقبرة وألقيا نظرة سريعة على المكان للتأكد من خلوّه من أيّ مدرسين.

بدا المكان وكأنه ساحة آثار ما بعد معركة أو هجوم بالغاز. تمدّد الفتيان من الكنيسة بين شواهد القبور، يتقيئون ويئنّون، يُمسكون بجوانبهم بألمٍ مبرح، لكن بدا أنهم كانوا يسترجعون عافيتهم نوعاً ما.

كان الأخوان سوليفان آخر الخارجين، وكانا يحملان فتىً نحيلاً. وضعاه بلطف على الأرض بعيداً عن الآخرين، ثم اتجها نحو إدّ وبام وقالا:

«أظن أنّ عليكما المجيء وتفقّد هذا الفتى. إنه لا يستيقظ.»

كان وجه الفتى الصغير أبيض بلون الطبشور، وشفتاه مائلتان إلى الزرقة. وضع إدّ أذنه على صدره علّه يسمع نبضاً ثم رفع جفنيه. حاول أن يعطيه تنفساً اصناعياً، لكن لم يكن هناك أيّ تجاوب. كان قد فارق الحياة.

«كان اسمه جايكوب»، قال مالك الذي كان قد استعاد من عافيته ما يكفي للسير نحو مجموعة الفتيان المحتشدة مع إد حول الفتى الميت.

«لم يكن في حالة صحية جيدة في الأصل»، تابع مالك، «كان يعاني من الربو ونفد لديه المستنشق الذي كان يستخدمه للتنفس.»

«يا للفتى المسكين!»، قال بام، «ماذا سنفعل به؟»

«لا يمكننا أن نتركه هنا. سيأكله الراشدون»، تفوّه أنطوني بحقيقة واقعة لا محالة.

«لكن إن أخذناه إلى الداخل سوف... تعرفون... تفوح رائحته...»،

قال داميان سوليفان وهو ينظر إلى أخيه.

«نحن في مقبرة، ألسنا كذلك؟»، قال جاك، «سندفنه.»

«لقد أخذه الحمل.»

استدار الجميع. كان مات يقف هناك ملتفاً بملاءة، وابتسامة غريبة ثملة تعلو وجهه.

«أخذه إلى جيشه»، تابع مات، «لا تشعروا بالأسى حياله. الحمل سينقذنا جميعاً!»



«كان الجو بارداً جداً في الداخل أثناء الليل. لم نستطع إيجاد وسيلة للبقاء دافئين لذا كسرنا عدداً من مقاعد الكنيسة واستخدمنا خشبها لإيقاد النار.»
كان مالك، صديق إدّ، يجلس على المقعد، يشرب من قنينة مياه بلاستيكية. كانت عيناه تذرفان الدموع ومحتقنتين بالدم بينما يداه ترتعشان. وقف إد على مقربة يراقب تحسّباً لظهور أي مدرّسين.

«أظن أن الدخان قد تكثّف وعبق بقوة دون أن نلاحظ ذلك»، تابع مالك كلامه بصوت أجش.

«لحسن حظكم أنكم لم تموتوا جميعاً»، قال إد وهو يجلس بالقرب من مالك، «أول أوكسيد الكربون قاتل كما تعرفون.»

«أشعر أنني ميت»، ردّ مالك وهو يلقي نحو إدّ ابتسامة مريضة، «أظن أن رأسي سينفجر. عليك أن تنتبه يا صديقي، فقد أتقيأ في أيّ لحظة. فقط لا تطلب مني أن أقف قبل ثلاثة أيام من الآن. إنني أشعر بدوار فظيع حتى وأنا جالس.»

«ستضطر إلى الوقوف عاجلاً أو آجلاً يا مالك»، كان إدّ لا يزال يتفحّص الطريق، «نحن بخير الآن، لكنها مجرد مسألة وقت حتى يكتشف المدرّسون مكاننا بعد بحث طويل عنا.»

«أظن أن مسألة تمكني من الدخول إلى هناك هي مسألة حياة أو موت»، تأوّه مالك ثم دفن رأسه بين ركبتيه ولفّ حولهما ذراعيه المرتجفتين، «هل تعرف ما إن كان أول أوكسيد الكربون يمكن أن يتسبّب لك بضررٍ دائم؟»

«لا فكرة لدي»، قال إد، «ويكي هو الشخص المناسب لتطرح عليه هذا السؤال.»

ردّ مالك وتعبيرٌ غريب يعلو وجهه: «لا أريد أن أُصاب بتلف في الدماغ أو ما إلى ذلك.»

لكزه إدّ بخفة في كتفه وقال: «لن ألاحظ الفرق على أي حال. لكن بجد، ماذا حدث لمات؟ هذا إذا أردنا التحدث فيما يخصّ تلفاً في الدماغ؛ فهو لا يزال يتفوه بأشياء طائشة عشوائية.»

تنفّس مالك ببطء لكن بصخب ثم ضحك شاخراً من أنفه وقال:

«أظن أنه وجد الطريق إلى الله.»

«بطريقة غريبة»، ضحك إد مع صديقه، «هل كان متديناً من قبل؟»

«ليس على حد علمي»، قال مالك، «لكن أن تكون عالقاً هناك...»، أومأ برأسه في اتجاه الكنيسة، «كل ما استطعنا قراءته هو الإنجيل وكتب الصلوات. هل تعرف أرتشي بيشوب؟»

«نعم.»

«حسناً، قال ذات ليلة إنّ علينا جميعاً أن نصلي.»

«كان دائماً متديناً وممّن لا ينقطعون عن الصلاة»، قاطعه إد، «كان والده قساً أو شيئاً من هذا القبيل على ما أظن.»

«حسناً، أنا مسلم كما تعرف»، قال مالك، «لذا أنا أصلي كل يوم في مطلق الأحوال، أو بالأحرى هي فريضة يجب أن أؤدّيها. وهكذا كنا جميعاً هناك في الداخل. كنت أصلّي لربي وهم يصلّون لربهم. حتى أولئك الفتيان الذين لم يكونوا يؤمنون بشيء من قبل انضموا إلى الصلوات. كان أمراً جمعنا وجعلنا أكثر تكاتفاً بطريقة غريبة بالفعل. وبدا أنّ مات ينجرف كثيراً في مسألة التقرّب إلى الله. بدأ بقراءة مقتطفات من الإنجيل، من كتب المبشرين على ما أظن. لم أفهم معظم ما كُتب ولا أظن أنه فهم أيضاً.»

«ما كل تلك الأمور التي يتفوه بها بشأن الحمل؟»، سأل إد، «من أين أتى بكل ذلك؟»

«حسناً، كما قلتُ لك سابقاً، كان الجو قارساً في الداخل»، تابع مالك، «وبدأنا نحاول أن نشعل تلك النيران للتدفئة مستخدمين كل ما استطعنا العثور عليه من أوراق من كتب الصلوات وكتب الأناجيل القديمة وكل ما قد يوقد النيران. لكن ليلة البارحة أُصيب مات بحالة من الفزع وقال إننا لا يجدر بنا إحراق المزيد من الكتب، وبدأ يحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه من الأوراق من الموقد الذي كنّا قد أضرمناه. لاحقاً، استطعنا إيجاد بعض الفحم. كانت فكرة سيئة، وكان الأوان قد فات حتى ندرك أننا جميعاً قد تسمّمنا بسبب الدخان. كلنا فقدنا الوعي، واحداً تلو الآخر.»

«لحسن حظكم أننا أتينا إليكم في الوقت المناسب.»

«صحيح يا صديقي»، قال مالك، «كنتُ أتجه نحو الضوء، في منتصف الطريق إلى الجنة، عندما أوقظتني. ظننتك ملاكاً ما!»

ضحك إدّ، لكنّ مالك تابع كلامه بجدية أكبر قائلاً: «أظن أن مات قد أُصيب بالجنون. لا يمكنني لومه. لقد مررنا جميعاً بوقت عصيب. نفد الطعام من عندنا منذ ثلاثة أيام، لكن كان لا يزال لدينا بعضُ الماء. أظن أننا جميعاً كنا نرى ونتوهّم أشياء، ومات... حسناً، يبدو أنّ مات يظن نفسه نبياً مرسَلاً أو شيئاً من هذا القبيل الآن.»

«لنأمل ألاّ يتمكن من دبّ الفزع في قلوب الفتيان الآخرين»، قال إد.

«فات الأوان على هذا»، قال مالك وهو يُمسِّد صدغه، «لقد تمكّن مسبقاً من جعل الأصغر سناً يتبعونه كيفما ذهب. نسميهم «مساعدي الكاهن». أما أرتشي بيشوف فقد أصبح ثانيه في القيادة.»

نهض إدّ عن المقعد: «سأذهب لأرى إن كان على ما يرام.»

كان مات يجلس وحيداً، بعيداً عن الفتية الآخرين. فتى طويل، يكسو عظمه القليل من اللحم. كانت عظامه ناتئة قليلاً عند ركبيته وكوعيه، وهو ذو كتفين حادّتين وذقن مدبّبة وأنف كبير. شعره المرتّب جداً عادةً كان قد طال وأصبح كثيفاً. بدا لون جلده رمادياً. عيناه، الغائرتان في محجرين بنفسجيي اللون فوق عظمتي الخدين، كانتا غائمتين وغير مركزتين.

جلس إدّ إلى جانبه.

«كيف حالك؟»

«أفضل من أي وقت مضى»، ابتسم مات ابتسامته الغريبة تلك مجدداً. ربما ظن أنه يبدو من خلالها ملائكياً، لكنه بدا بالنسبة إلى إدّ غريب الأطوار.

«هذا جيد. اسمع، السبب الذي جعلنا نأتي إلى الكنيسة والبحث عنكم هو أننا نظن أن علينا عدم البقاء هنا لوقت أطول. علينا العثور على مكان فيه طعام وشراب، ولذلك أجمعنا كلنا على أن من الأفضل أن نبقى معاً بأكبر عدد.»

«نعم»، قال مات وقد تغيّرت ملامح وجهه ليرسم ابتسامة عريضة متوهجة، «هل رأيتَها أيضاً؟»

«رأيتُ ماذا؟»

«الرؤيا.»

هزّ إدّ رأسه بالنفي: «لم تراودني أيّ رؤى يا مات.»

قبض مات على ذراع إدّ، أصابعه تشدّ على اللحم الناعم: «لقد رأيته. لقد رأيته بوضوح تام.»

«رأيتَ ماذا؟»

«كنيسة كبيرة في لندن، أكبر من أي كنيسة حقيقية، كبيرة بقدر مدينة كاملة، وفيها آلاف الالآف من الأولاد. مثل بيت النمل. كانت تلمع، كانت قبة الكنيسة تلمع، والحمل كان هناك. يجب أن نكون هناك حتى نلتقيه.»

«نلتقي الحمل؟»

«نعم. سيعتني بنا، سيحمينا من أي سوء ما دمنا نتبعه ونتبع ما أراني إياه في الرؤيا...»

«راودتك رؤيا عن حمل يخبرك بالذهاب إلى لندن؟»

«نعم. كانت واضحة تماماً، وهي مكتوبة هنا بتفاصيلها...» رفع مات الأوراق الممزقة والمتفحّمة التي كان يُمسك بها عندما أنقذه إدّ في الكنيسة. وضعها مباشرةً في وجه إد. حاول إد النهوض لكنّ مات كان لا يزال يقبض

على ذراعه بيده الأخرى.

«اسمع»، قال وبدأ يقرأ، «(وَعَرْشُ اللهِ وَالْخَرُوف يَكُونُ فيهَا، وَعَبيدُهُ يَخْدمُونَهُ. وَهُمْ سَيَنْظُرُونَ وَجْهَهُ، وَاسْمُهُ عَلَى جِباهِهِمْ. وَلا يَكُونُ لَيْلٌ هُنَاكَ، وَلاَ يَحْتَاجُونَ إِلَى سِرَاج أَوْ نُورِ شَمْس، لأَنَّ الرَّبَّ الإِلهَ يُنِيرُ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ سَيَمْلكُونَ إِلَى أَبَدِ الآبدِّينَ.) ألا تفهم؟ لقد ترك لنا رسالة، رسالة جديدة. إنها مخبَّأة بين أوراق الإنجيل القديم، في الكلمات، لكن هذه رسالة جديدة.»

حاول إدّ ألاّ يضحك: «أي نوع من الرسائل؟»

«لا أفهمها كلها»، قال مات، وقد أطلق أخيراً سراح ذراع إدّ حتى يتمكّن من تصفّح أوراقه، «ليس بعد، لكنني أعمل على ذلك. أحتاج إلى دراسة الصفحات. انظر، أترى؟ لقد تغيّر المعنى... أحتاج إلى وضعها بترتيب معين. لقد احترقت بعض الكلمات...»

لوّح بورقة أمام إد.

«انظر إلى هذه هنا... الباكورة من الأموات. حارس مفاتيح الجحيم والموت... لا، ليس هذا هو المقطع الذي قصدت، بل هنا، نعم... (وَسَمِعْتُ صَوْتًا عَظِيمًا مِنَ الْهَيْكَلِ قَائلاً للسَّبْعَة الْمَلاَئكَة: امْضُوا وَاسْكُبُوا جَامَات غَضَبِ اللهِ عَلَى الأَرْضِ. فَمَضَى الأَوَّلُ وَسَكَبَ جَامَهُ عَلَى الأَرْضِ، فَحَدَثَتْ دَمَاملُ خَبِيثَةٌ وَرَديَّةٌ عَلَى النَّاسِ الَّذينَ بِهِمْ سِمَةُ الْوَحْشِ وَالَّذينَ يَسْجُدُونَ لصُورَته). أترى؟ كل شيء مكتوب هنا. المرض، كل شيء. لقد كُتب لكل هذا أن يحدث»، أمعن مات النظر في الخطوط المطبوعة وقرأ فقرةً أخرى، «(وَكَانُوا يَعَضُّونَ عَلَى أَلْسنَتهِمْ مِنَ الْوَجَعِ. وَجَدَّفُوا عَلَى إِلهِ السَّمَاءِ مِنْ أَوْجَاعِهِمْ وَمِنْ قُرُوحِهِمْ، وَلَمْ يَتُوبُوا عَنْ أَعْمَالِهِمْ).»

«حسناً، اسمع يا مات، أنا لا أفهم حقاً كل هذه الأمور. لست متأكداً حتى مما تعنيه كلمة توبة.»

«سيقوم الموتى مجدداً يا إدّ، لكن فقط الحمل يستطيع إنقاذنا.»

«أنت تقول إذاً إن المسيح سيعتني بنا؟»

«لا... ليس المسيح، بل الحمل.»

«ظننت أن الحمل هو المسيح.»
«لا... الحمل مخلوق جديد، نوع من مبشّر.»
«تبدو مرتبكاً قليلاً في ما يتعلق بهذا الشأن يا مات.»
«لا. لقد رأيته، لقد رأيته بوضوح.»
«حقاً؟ كيف كان شكله إذاً، شكل هذا الحمل؟»
«كان واحداً منا... فتى، طفل، بل أصغر. ذهبي الشعر. طفل ليس طفلاً. في الرؤيا التي راودتني كان يمشي خارجاً من الظلام، والنور كان يشعّ من حوله، وفي ظلّه كان يمشي شيطان.»
«شيطان؟»
«نعم، نعم... أظن ذلك، لكنه كان في الظلام.»
«أيّ نوع من الشياطين؟»
«كان بهيئة طفل أيضاً، لكن كان وجهه أسودَ بينما وجه الحمل كان يشعّ. كان في الظل. كأنهما وجهان لقطعة نقدية واحدة، طرّة ونقش، ين ويانغ.»
«الرجل الوطواط وروبن»، وقف إدّ وضرب على بنطاله الجينز منظّفاً الغبار.
«لا تسخر من الأمر يا إدّ حتى لا تتلقى عقاباً قاسياً.»
«مات، لا يمكنني أن آخذ أيّاً من هذا على محمل الجد. كيف أفعل؟ الناس العاديون لا تراودهم رؤى.»
هذه المرة وقف مات، مواجهاً إدّ، يكاد يكون ملتصقاً به: «نحن بالكاد نعرف أيّ شيء عن العالم يا إد. أليس هذا واضحاً؟ أليس هذا واضحاً وضوح الشمس في كبد السماء الآن؟ لو قال أحدهم منذ ستة أشهر مضت أن كل من تزيد أعمارهم عن الرابعة عشر إما سيموتون أو يتحولون إلى وحوش زومبي لكنت ضحكت مما قيل. أما تكن لتفعل؟»
«نعم، لكن...»
«هذه أوقات غريبة جديدة التي نمرّ بها اليوم»، قال مات، «لكنّ جميع

تفاصيلها كُتبت من البداية في صفحات الإنجيل. كان يجدر بنا أن نرى بالطريقة الصحيحة فحسب. علينا أن نستعدّ. أولاً، هناك الوباء، ثم الحريق، ثم نهرٌ من الدماء، ثم...»

«حسناً، حسناً»، رفع إدّ يداً معلناً الاستسلام، «لن أسخر ممّا تقول مات، لكن ربما من الأفضل أن تُبقي هذه الأمور لنفسك، اتفقنا؟»

«لا يا إدّ، لا!»، من فرط حماسته كان مات يبصق وهو يتكلم، «عليك أن تستمع إلي. على الجميع أن يستمعوا إليّ. علينا الذهاب إلى لندن! إذا لم تكن هنا لترحّب بالحمل فسيُقضى عليك حالك حال المخطئين الآخرين.»

«ربما لا نريد جميعاً الذهاب إلى لندن!»

«أنا ذاهب إلى لندن»، خلال شجارهما كان جاك قد أتى إليهما واستمع إلى محادثتهما، فوقف بين الصبيين، واضعاً مسافة بينهما.

«سأذهب معك يا مات، على الأقل وصولاً إلى جنوب لندن.»

«جاك، علينا أن نبقى جميعاً معاً»، كان إدّ يحاول الحفاظ على رنّة صوته هادئة وخالية من المشاعر، «سيكون الذهاب إلى لندن ضرباً من الجنون. سيكون هناك طعام ومياه أكثر في الريف.»

رفع جاك كتفيه متجاهلاً: «أريد أن أذهب إلى المنزل فحسب.»

«لكن لم يبقَ شيء هناك يا جاك.»

«لا يهمني. أريد أن أرى منزلي، غرفة نومي. أريد أن آخذ بعض أشيائي القديمة، صور العائلة. كل ذكرياتي هناك. لا يمكنني ترك كل ذلك.»

«جاك، ظننتُ أننا اتخذنا جميعاً قراراً موحّداً ليلة البارحة»، احتجّ إدّ، «يجب أن تكون لدينا خطة واضحة. وخطتنا البارحة كانت الذهاب إلى الريف. علينا البقاء معاً ويجب أن تكون لدينا خطة.»

«أنا لدي خطة»، قال جاك، «أنا عائد إلى منزلي.»

9

فتح كريس ماركر كتابه على الصفحة التي كان قد طوى زاويتها من قبل. اكتشف أنه يستطيع أن يتوقف عن القراءة عند فصل ما ثم العودة مجدداً إلى نفس النقطة من دون الاضطرار إلى تصفح الأوراق ومراجعة أي شيء. لم يضطر أبداً إلى تذكير نفسه بما يحصل. بدا وكأن لم تكن هناك فترة استراحة ما بين الانتهاء من القراءة والبدء بها مجدداً. بطريقة ما، أصبحت الرواية التي كان يقرأها العالم الحقيقي بالنسبة إليه، أكثر واقعيةً من العالم الذي يجد نفسه فيه عندما كان يرفع عينيه عن الصفحة، ويرمش تائهاً. لم تكن الحياة الواقعية أكثر من مقاطعة سخيفة لقراءته.

كان جميع الأولاد متجمهرين في الكنيسة وكانوا يتكملون ويتكلمون ويتكلمون. مشهد متكرر لما حدث الليلة الماضية في المهجع... «علينا البقاء معاً، نحن بحاجة إلى العثور على الطعام والماء، يجب أن نذهب إلى لندن، يجب أن نذهب إلى الريف، يجب أن نذهب إلى القمر... ثرثرات، ثرثرات، ثرثرات...»

إنهم يثرثرون كثيراً. أي فرق سيُحدث كل هذا؟

سمع تنهّداً ونحيباً خافتاً فالتفت جانباً عبر المقاعد الخشبية الممتدة. الفتاة الفرنسية، فريديريك، كانت تجلس هناك مع لاعب الروكبي جونو، تضمّ بشدة إلى حضنها قفص قطتها. لم تكن قد تكلمت منذ وصولهم إلى الكنيسة، لكن بدت مرتاحة لاعتناء جونو بها طول الوقت.

تعالت بعض الأصوات فالتفت كريس إلى الأمام. كان جاك وإدّ

يتشاجران مع بعضهما مجدداً. هزّ كريس رأسه. حاول ألاّ يتبسم. تساءل إن كان جاك سيخبر فريديريك يوماً بأنه أطاح برأس والدها بلوح خشبي كله مسامير.

جاك وإد كانا مختلفين تماماً. إد، فتى الغلاف لمجلة المدرسة، لم يضطر يوماً للقلق حيال أي شيء قبل هذه الظروف، أما الآن فقد بدا متعباً وخائفاً طوال الوقت. جاك، الذي جعلته وحمة الفراولة يبدو دائماً غاضباً، بدا الآن في مزاج سيئ للغاية. كان أقصر من إد وشعره أدكن. شعر كريس أنه كمن يحاول أن يبدأ عراكاً.

ها هما الاثنان يحاولان تولّي المسؤولية، السيطرة على المجموعة. كانا صبيين في الرابعة عشر من العمر فحسب. كانا ولدين يافعين فحسب. كانوا جميعهم مجرد أولاد. وهناك... خارج الكنيسة...

لم يرد كريس أن يفكر بذلك.

ها هو أنطوني سوليفان ينضمّ إلى الشجار. سأل:

«كم هي المسافة إلى لندن؟ كم هو الوقت الذي نحتاج إليه للوصول إلى هناك؟»

«المسافة حوالى خمسة وعشرين ميلاً على ما أظن»، أجاب جاك، «أي توازي مسافة سباق ماراثون.»

«المسافة هي واحد وعشرون ميلاً إلى ترافلغار سكوير»، قال ويكي، «لذا إذا سار الشخص بمعدل ثلاثة أميال في الساعة فسيستغرق ذلك سبع ساعات، هذا إن كان المسير متواصلاً خالياً من أي عقبات.»

«كم الوقت الآن؟» سال أنطوني سوليفان.

«الحادية عشرة وخمسة عشر دقيقة»، أجاب مات، «يمكننا أن نكون في لندن عند الساعة السادسة مساءً.»

«هذا إن لم تواجهنا أي تأخيرات»، قاطعه إد، «إنك تجعل الأمر يبدو وكأن تمشية في المتنزه، للا للا للا للا... دعونا جميعنا نتمشى إلى لندن ونستمتع بالمشهد من أعلى حافلة مفتوحة. بربكم، نحن لا نعرف ماذا

هناك في الخارج. إذا ذهبتم إلى لندن فقد تضطرون إلى خوض قتال في كل خطوة تخطونها.»

«أنت لا تعرف أيضاً إن كانت الظروف ستكون أقل خطورةً بالذهاب إلى الريف»، قال جاك.

«لم أحب لندن قط»، قال بام، «لقد نشأت في الريف.»

«أنت مجرّد فلاح يا بام»، قال صديقه بيرز، فابتسم بام ابتسامةً عريضة.

«أورررررر!» سخر، فضحك الأولاد الأصغر سناً.

«أنا مع بام»، أضاف بيرز، «أنا أصوّت للذهاب إلى الريف.»

كان رأس كريس مطأطأً، لا يزال يقرأ في كتابه.

لم يكن سيشارك في أي مسألة تصويت سخيفة. سيوافق على ما يقرره الآخرون. ما دام معه بعض الكتب فسيكون بأفضل حال. كان يحمل حقيبةً مليئةً بالكتب التي أخذها من مكتبة المدرسة. ستكون هناك مكتبات أخرى، محال لبيع الكتب، منازل وأرفف كتب، عالم من الكتب...

لقد أحب القراءة دائماً. حتى قبل حلول الوباء كان يلجأ دائماً إلى هدوء وأمن القصص. كانت الكتب بوابته إلى الكون البديل؛ كانت سحراً. قد يحمل الكتاب أي شيء في داخله.

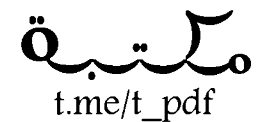
قد يخبّئ الكتاب كريس في طيات صفحاته.

قلب الصفحة. كان يقرأ مغامرةً علمية خيالية اسمها Fever Crumb، تجري أحداثها في لندن بعد مئات السنين في المستقبل. وجد ذلك مطمئناً. سيكون هناك شيء في المستقبل، لم يكن العالم سينتهي بعد.

ابتسم.

كان هناك، داخل الكتاب، يجول في شوارع لندن، يعيش في المدينة المستقبلية.

وكان سعيداً هناك.



10

كانت السماء الشتوية ملبّدة بغيوم رمادية غير متقطعة. جعل الضوء الباهت روهارست تبدو مثل صورة ممدودة نحو الأسفل، من حيث يقف، وليست بلدة حقيقية على الإطلاق. من هنا، أعلى برج الكنيسة، استطاع جاك أن يرى بوضوح حتى آخر الشارع ومباني المدرسة الرئيسية على طوله. كان يتكئ على السور ملتفاً بمعطفه لاتّقاء البرد. لفحات خفيفة من الهواء التي تحمل رذاذاً استقرت على شعره ووجهه و لم تتوقف عن التسلل نزولاً على مؤخرة عنقه.

كان المطر يلطّخ حجارة المدرسة الرمادية ببقع داكنة. لقد أُسِّس هذا الصرح التعليمي منذ أربعمئة سنة مضت، لكن مع مرور الوقت بقيت مبانٍ قليلة منه. أما معظم المباني الباقية فقد بُنيت في القرن التاسع عشر بأسلوبٍ فخم ومهيب، لكن بشع. كان هناك صفّ من القضبان السوداء عند الواجهة تفصله بوابات حديدية ثقيلة نُقش في أعلى كلٍّ منها اسم المدرسة بأحرف قوطية غليظة. الفتيان يدخلون ويخرجون عبر تلك البوابات منذ ما يقارب مئة وخمسين عاماً. عددٌ كبيرٌ لا يُعدُّ ولا يُحصى من الفتيان. تساءل جاك إن كان أحد من أولئك الفتيان سيعود يوماً إلى هنا. هل سيعود هذا المكان مدرسةً يوماً ما، أم ستتفتت المباني ببطئ وتتهاوى، تشققها الرياح والأمطار والصقيع وجذور الأشجار والأعشاب المتمددة؟ هو لم يستمتع بوقته في المدرسة كثيراً، فقد كان يواجه صعوبة في فهم الدروس، مما اضطر أهله لتعيين مدرّسين خاصين له لينجح في امتحان الدخول، وكان يشعر دائماً

بأنه لن يتمكن من مجاراة الفتيان الآخرين في صفه.

كانت روهارست مدرسة والده القديمة. لطالما أخبره كم كان سعيداً فيها وأنه لا يزال على اتصال بأصدقاء الدراسة القدامى...

لا. ليس بعد الآن. كان على جاك أن لا يكفّ عن تذكير نفسه أنّ ذلك العالم لم يعد موجوداً بعد الآن؛ عالم إعادة لمّ شمل أصدقاء الدراسة وذكريات والده عن إجازة الفتيان الخاصة، رحلات الصيد وركوب الدراجة وتذوق المشروبات الجديدة.

أهلاً إلى الجحيم.

جحيم بارد رمادي.

لكنّ الغرابة في الأمر هي أن جاك كان يفتقد المدرسة، فقد كانت جزءاً كبيراً من حياته، ولكان استفاد الكثير الكثير منها في مطلق الأحوال. أصبح لديه أصدقاء طيبون. استمتع بممارسة الرياضات المختلفة. كان بارعاً في مجالات رياضية كثيرةً، من كرة القدم إلى الجري، لعب التنس، الكريكيت، وحتى السباحة. إضافةً إلى كل ذلك، فقد أحب التمثيل في مسرحيات المدرسة. كان يستطيع إخفاء وحمته بمستحضرات التجميل، وكان يضع شعراً مستعاراً وزيّاً مختلفاً، ويدّعي أنه شخص مختلف. أكثر ما استمتع به كان لعب دور الشخصية الشريرة. كان هو من مثّل دور أياغو في مسرحية عُطيل. لعب كوانيلي الدور الرئيسي، فقد كان الفتى الأسود الوحيد في المدرسة. لم يكن كوانيلي ممثلاً بارعاً، وكاد يحوّل المسرحية إلى كوميديا، لكنّ الجمهور أحبه وذلك منحه ميزة النجومية. اتفق الجميع على أن مشاهد جاك وكوانيلي معاً كانت أفضل مشاهد المسرحية، وأنهما قدّما أفضل مسرحية شهدتها المدرسة على الإطلاق. كان لإد دور صغير، وذلك أمر غير معتاد. إد الذي لم يستطع إنقاذ نفسه. لم يكن بإمكانه فعل شيء سوى أن يكون نفسه. إدّ كارتر الجيد؛ كان خجولاً و لم يستطع التوقف عن الابتسام بخجل.

الذكريات. هي كل ما بقي لجاك الآن. هذا كل ما ستصبح المدرسة

عليه: ذكرى، ذكرى حية بفضل العديد من الفتيان الذين بقوا على قيد الحياة. هل سيتمكن جاك يوماً من إخبار ولده عن قصص أيام المدرسة بينما كانوا يختبئون في الظلام في مبنى متصدّع ما، يأكلون الجرذان ويشربون المياه الملوثة.

آه، نعم، يا بني، أفضل أيام حياتي...

على الأرجح ستكون كذلك، فهو لا يستطيع أن يرى حياته تصبح أفضل من هذا المكان.

الذكريات. عليك التشبث بذكرياتك بطريقة ما. لهذا السبب أراد العودة إلى المنزل - ليحاول إيجاد زاوية من الماضي والتشبّث بها قدر الإمكان.

بصق من فوق السور، مراقباً بصقته تسقط مع حبات المطر.

لن يتمكن من نسيان المدرسة بكل تأكيد. ليس بعد كل ما حدث هنا في الأسابيع القليلة الأخيرة. تساءل: كم عدد المدرسين الذين قتلهم بيده؟

لم يكن يُحصي عددهم.

أما المنزل فكان ذكرى غالية على قلبه، ذكرى بدا أنها تضمحلّ ببطء شيئاً فشيئاً. مكان سحري ضائع. مكان عاش فيه جاك القديم؛ جاك الذي كان يركب الدراجة ويتشاجر مع والدته ووالده ويشاهد التلفاز حتى أوقات متأخرة ويمضي ساعات في استخدام شبكة الإنترنت.

حياة مختلفة تماماً لجاك الجديد، الذي دقّ أعناق وكسر جماجم مدرّسين ودفن أولاداً موتى.

كان ينوي العودة إلى هناك مهما كان الثمن.

كان قد صعد إلى أعلى البرج ليلقي نظرة أخيرة على المكان؛ ليرى ما الذي سيكون في انتظاره هناك في الخارج. كان المشهد من الأعلى واضحاً. كان بإمكانه رؤية معظم المدرسة وجزءاً لا بأس به من البلدة. الشارع أمامه كان الطريق الرئيسي للدخول والخروج إلى مباني المدرسة بأكملها، وكان يراه على امتداده بوضوح وعلى كلي الجانبين.

بدت البلدة هادئة وآمنة من الأعلى. لو كانت الشمس مشرقة لكانت

تشبه صورة طبيعة خلابة على صندوق أحجية. بلدة نموذجية في كِنت، بيوتها تشبه ذلك النوع الذي يرسمه الأطفال، بقرميدها الأحمر وأسقفها المدببة ومداخنها. ففي حال لم يكن لديك أي فكرة عمّا يجري هنا، لما عرفت أبداً مدى الرعب الحاصل من حولك. إن نظرت عن قرب يمكنك رؤية بعض المباني المحترقة، وسيارات مهجورة على طول الطريق. جثة ملقاة عند المزراب. منذ تسلقه أعلى البرج وحتى الآن لم يستطع أن يرى شخصاً حياً واحداً، أما المدرسون الموبوؤن فقد كانوا يعمدون إلى البقاء في الداخل خلال النهار. لكنهم كانوا هناك. المئات منهم، الآلاف...

لا يمكن أن يكون الوضع أسوأ من هذا في لندن.

نظر جاك في اتجاه الشمال، تخيّل المكان الذي يقع فيه منزل عائلته في كلافام. أمعن في أدقّ التفاصيل. أراد أن ينطلق بأسرع وقت والعثور على مكان جيد للنوم قبل حلول الظلام.

«هل المكان آمن؟»، كان إدّ قد صعد السلالم وظهر من عند البرج الصغير في زاوية السطح.

«يبدو كذلك»، قال جاك، «هل أنت متأكد من أنك لا تريد أن تغيّر رأيك؟ ألا تريد أن ترافقني؟ ما الذي حدث لفكرة أننا سنبقى معاً مهما حدث؟»

«ليس لدي ما أفعله في لندن يا جاك.»

شعر جاك بأنه يريد أن يقول إنّ هناك أنا، صديقك المقرب، جاك، لكنه لم ينبث ببنت شفة. كانت صداقتها قد أصبحت صعبة في الأيام الأخيرة. ربما الوقت قد حان ليذهب كلٌّ منهما في طريق مختلف.

«أظن أنّ فرصة النجاة في الريف أكبر»، قال إد، «يبدو في نظري أن الذهاب إلى البلدة ضربٌ من الجنون.»

تجاهل جاك إجابة صديقه: «ربما تُقام في لندن حفلات على مدار أربع وعشرين ساعة من دون راشدين يملون على أحد متى يحين موعد الذهابَ إلى الفراش.»

ابتسم إد: «ربما.»

«ستكون على ما يرام»، قال جاك، «معك بام والباقون. بام يعرف كيف يعتني بنفسه. ابقَ إلى جانبه وستكون على خير ما يرام».

كان جاك يعرف أنّ هذا ما هو مُقرَّر لإدّ لكنه لم يقل ذلك. كان سيبقى قريباً من بام ولاعبي الروكبي الآخرين. لم يستطع جاك أن يلومه. البقاء على قيد الحياة كان كلَ شيء الآن؛ كان أقوى من الصداقات القديمة حتى.

ابتسم وسارع لمعانقة إدّ معانقةً عجولة.

«اعتنِ بنفسك.»

«حسناً.»

بدا إدّ متألماً، كما لو أنه كان يواجه صعوبة في قول شيء. لكن مهما كان ذلك فهو لم ينطق به. كانا، كلاهما، يحتفظان بأسرارهما لنفسيهما.

كانت تلك هي الطريقة للبقاء على قيد الحياة.

لكن ما الجدوى من البقاء على قيد الحياة إن أصبحتَ حيواناً؟ استجداء الطعام، القتال، القتل للبقاء على قيد الحياة؟ منزل جاك، وكل ما فيه، أصبح شيئاً مميزاً يشغل تفكيره. لأن ما في ذلك المنزل هو ما جعل منه بشرياً. لم يكن بإمكانه شرح ذلك لإدّ. لم يكن متأكداً من أنه هو نفسه يفهم ذلك. لم تكن تراوده أفكار غريبة كهذه من قبل. بطريقة ما، القرب من الموت يجعلك تتعمق في تفكيرك أكثر فأكثر. إما ذلك، أو فعل ما فعله بام، تعطيل دماغك عن العمل، عدم التفكير في أي شيء، التعامل مع كل شيء على أنه أضحوكة كبيرة.

مشى جاك نحو السلالم.

«أرجوك تعال معنا»، توسّل إليه إد، «أرجوك يا جاك.»

«لقد اتخذتُ قراري.»

«لطالما كنتَ فتى عنيداً.»

«وسأبقى كذلك دائماً. يجب أن أذهب الآن.»

11

قرر جاك أن ينزع من رأسه تلك الأغنية وهكذا لن يعاني من الغناء الفظيع بعد الآن. كان إد قد بدأ القصة والآن باتوا جميعاً يدندنونها وهم يشقّون طريقهم في صف طويل مبعثر غير منتظم تحت رذاذ المطر، كما لو أنهم مجموعة من تلاميذ الابتدائية الجامحين الذاهبين في رحلة.

أما المشكلة فكانت أنّ أحداً لا يعرف كلمات الأغنية.

«سأنجو... دا دا دا دادا...»

تساءل إد إن كان من الأفضل التزام الصمت حتى لا يجذبوا الانتباه إلى أنفسهم، لكن بدا أنّ الغناء وسيلة مناسبة لإبعاد الخوف عن عقولهم ومنحهم الشجاعة. ما داموا يغنون كانوا يشعرون أنهم لا يُقهرون.

«سأنجو... دا دا دا دادا...»

انطلقوا جنوباً، خارج البلدة، تاركين وراءهم المدرسة والكنيسة. لم يكن أياً منهم قد غادر المدرسة منذ ما لا يقل عن خمسة أسابيع. منذ فترة ليست بعيدة كانت البلدة تعيش حالة من الفوضى، والشوارع تعجّ بالمجانين. أما الآن فقد ذُهل الفتيان للمشهد الذي رأوه، إذ كان المكان مهجوراً وخالياً تماماً. تلك المحال التي لطالما عجّت بالحركة كانت أبوابها مشرعة وخالية، منهوبة من كل بضاعتها. كانت المنازل مظلمة، لا حياة فيها، ومهملة، مع أكوام من النفايات المتراكمة في الحدائق. كانت المكاتب صامتة. السيارات مركونة من دون حراك. كانت علامة الحياة الوحيدة كلبٌ ركض خارج أحد المتاجر وهو ينبح عليهم. جعلتهم الصدمة يقفزون جميعاً من مكانهم،

لكن بعد لحظة من الفزع انفجروا ضاحكين وسخروا من بعضهم بعضاً. كم كانوا مجموعة من الضعفاء! كان الكلب لا يزال يسير خلفهم، محافظاً على مسافة حذرة. كان نحيلاً وأجربَ، وقد فقد من جسده بعض الفراء.

لكنهم حتى الآن لم يروا أيّاً من البشر؛ أحياء أو أموات. استطاعوا الوصول إلى ضواحي البلدة. المتاجر كانت مهجورة، خالها حال المنازل والمحال الصغيرة. مرّوا بالقرب من عيادة جراحة خاصة، طبيب أسنان، الحانة المحلية، متجر «هوب ساك» الذي تلوّنت نوافذه بالأسود جراء الحرائق. كان أمامهم مباشرة متجر «تيسكو»، ومن ثم «فيوتشر إنتربرايز زون» Future Enterprise Zone المعروف لدى سكان المنطقة باسم «فيز»، وهو متنزّه صناعي حديث بشع للبيع بالتجزئة، وكانت تحتل الجز الأكبر منه المستودعات وشركات تأجير المعدات.

كان أرثر وويكي يمشيان جنباً إلى جنب مع فتى يدعى ستانلي، وكان فرداً من أفراد المجموعة. كانوا يخوضون مناقشة انفعالية عمّا إذا كان الشخص يصبح مبللاً أكثر حين المشي أو الركض.

«علمياً، كلما قضيت وقتاً أقل تحت المطر قلّت نسبة تبلُّلك»، كان ويكي يشرح، «لذا فالركض هو الأنسب. هذا ما دمتَ تركض في اتجاه مأوى.»

«واجهنا فيضانات العام الماضي في بلدتنا»، قال أرثر، «أمطرت بغزارة لمدة يومين وليلتين متتاليتين ففاضت الأنهار على ضفافها، وأصبحت الشوارع كما لو أنها نفسها أنهاراً. اضطررنا إلى استخدام القوارب للتنقل من مكان إلى آخر. كان الأمر مسلياً جداً، وظننت حينها أن ذلك كان أكثر الأشياء إثارةً ممّا قد يحدث في حياتي يوماً. تعرفان، مثل فيلم عن الكوارث، تشاهدانه في السينما وتفكران: هذا يبدو مذهلاً، لكن لن يحصل معي أبداً، لأنّ العيش في إنكلترا غالباً ما يكون مملاً. لكن ليس بعد الآن، ما يحدث الآن أكثر أقسى من أي فيضان، بل أكثر من هذا، ربما لا يكون مسلياً بقدر فيضان، بل هو أكثر رعباً، لكن لا يزال مثل فيلم عن الكوارث، ولم أفكر يوماً أن هذا قد يحدث معي أبداً.»

عند وصولهم إلى «تيسكو» توقفوا لإلقاء نظرة، لكن كان المكان قد نُهب تماماً وأُشعلت فيه النيران. كل الطعام والشراب سُرق من محطة الوقود بالقرب من المتجر، لكن كانت هناك بعض الأدوات المفيدة على الرفوف، مثل المشاعل وولاعات السجائر وبطاريات ومجموعة من خرائط الطرقات.

فتح بام إحدىٰ الخرائط ومدّها على المنضدة.

«انظروا»، قال وهو يشير إلى الخريطة بإصبع قصير وبدين، «نحن هنا، في روهارست. نحن نسير في هذا الاتجاه، جنوب غرب، مرروا بـ«فيز». بعدها سيتضاءل عدد المباني أكثر فأكثر وسنكون قد بدأنا مسيرنا في الريف. ليس الريف فعلياً، سيكون علينا عبور بعض البلدات والقرى. علينا أن نتجه جنوباً أكثر نحو هذه المنطقة المفتوحة، أي هنا في اتجاه «سيفن أوكس» و«ميدستون». هذه أراضٍ زارعية بحتة. سنحظى بفكرة جيدة عمّا علينا توقعه عندما نصل إلى هناك. كما أنها قريبة كفاية إلى عدد من البلدات الرئيسية، هذا إن قررنا أن حياة الريف ليست مناسبة لنا جميعاً.»

«تبدو هذه خطة مناسبة»، قال إد.

عند خروجهم من المحطة وجدوا أن الفتيان من مجموعة فيلد هاوس يرمون الحجارة على سيارة مرسيدس سوداء لامعة كانت قد رُكنت في موقف السيارات. كانوا يحاولون كسر الزجاج الأمامي، لكن حتى تلك اللحظة كانت الحجارة ترتد وتسقط من دون نتيجة.

«تنحّوا جانباً!» قال بام، والتقط حجراً كبيراً.

ركض نحو السيارة وانهال بثقله كالصاروخ وهو يُطلق صرخة عالية.

هذه المرّة تفتت الزجاج وهلّل الفتيان.

دوّى صوت الضربة بقوة، وكذلك صافرة الإنذار الخاصة بالسيارة، التي تبعت التحطيم. انطلقت الصافرة لمدة ثلاثين ثانية تقريباً ثم توقفت.

كان الصمت الذي تلك اللحظات مُجفلاً. لم تكون هناك صيحات غاضبة من أيّ راشدين، لا ضجة حركة مرور، ولا طائرات فوق الرؤوس، لا موسيقى...

كان الفتيان صامتين أيضاً. يفكّرون. كانوا في عالم من الصمت الآن، شيء لم يختبره أو يعرفه أيٌّ منهم من قبل. لقد تلاشت همهمات وغمغمات الحضارة تماماً.

«هيا»، صرخ بام، «دعونا نسمع بعض الضجة! ماذا حدث للغناء؟ نحن على الطريق، مجموعة من الأخوة، ماذا عن جهود الفريق وما إلى ذلك! ما رأيكم بعناق جماعي قبل الانطلاق؟»

«ماذا؟» نظر إدّ إليه كما لو أنه فقد عقله.

«إنها مزحة، اتفقنا؟»، قال بام ضاحكاً، «إياك وفقدان روح الفكاهة لديك يا صديقي القديم إد. والآن هيا بنا، لنذهب. دعونا ننطلق.»

بينما انطلقوا يغنّون انطلقت صافرة السيارة مجدّداً كما لو أنها كانت تهلّل لهم.

12

كان جاك يسير في الاتجاه المعاكس خارج البلدة، متسائلاً في قرارة نفسه إن كان قد اتخذ القرار الصحيح. ما عدا مات وأرتشي بيشوب وأتباعه الستة الصغار، لم يرافقه أحد، وكان قد بدأ يشعر بالوحدة.

لم يخرس مات أبداً. بدا أنه يستطيع التكلم دون كللٍ أو ملل عن ديانته الجديدة، متفوهاً من دون توقف بثرثرات سخيفة طويلة. لتزداد الأمور سوءاً، عندما كان مات يتوقف عن الكلام كان أحد الفتيان الأتباع يسارع ويطرح سؤالاً فيسترسل مات مجدداً بالشرح.

كان يحدّثهم الآن عمّا يمكن توقعه عند وصولهم إلى لندن:

«... سيغيّر الحمل كل شيء فيصبح مدينة من الذهب الخالص، بصفاء الزجاج، مثل زجاج شفاف مع اثني عشرة بوابة مصنوعة من اللآلئ، كل بوابة مصنوعة من لؤلؤة. أتفهمون؟ سيكون هناك طعام، طعام أكثر مما نحتاج إلى تناوله، وأيضاً مياه نظيفة.»

«لكن، ألن يكون الوصول إلى هناك صعباً؟» سأل فيل، التابع الأصغر سناً.

«الحمل سيختبرنا»، قال مات ثم قلّب صفحات كتابه الخشنة لبضع دقائق قبل أن يعثر على الأصحاح الذي كان يبحث عنه، «(فَبَوَّقَ الْمَلاَكُ الأَوَّلُ، فَحَدَثَ بَرَدٌ وَنَارٌ مَخْلُوطَانِ بِدَمٍ، وَأُلْقِيَا إِلَى الأَرْضِ، فَاحْتَرَقَ ثُلْثُ الأَشْجَارِ، وَاحْتَرَقَ كُلُّ عُشْبٍ أَخْضَرَ. ثُمَّ بَوَّقَ الْمَلاَكُ الثَّانِي، فَكَأَنَّ جَبَلاً عَظِيمًا مُتَّقِدًا بِالنَّارِ أُلْقِيَ إِلَى الْبَحْرِ، فَصَارَ ثُلْثُ الْبَحْرِ دَمًا. وَمَاتَ ثُلْثُ الْخَلاَئِقِ الَّتِي فِي

الْبَحْرِ الَّتِي لَهَا حَيَاةٌ، وَأُهْلِكَ ثُلْثُ السُّفُنِ. أترون، ستضطرون إلى عبور نار، وأنهر من الدم). »

«وسفينة هالكة؟» سأل تابع آخر.

«ربما.»

«يبدو هذا مخيفاً نوعاً ما»، قال فيل، «كل هذا حقيقي جداً. كان لا بأس بحالنا في الكنيسة. أنا لا أحب المكان هنا. إنه مثل بلدة أشباح.»

«لا تخف»، قال مات مقتبساً مرة أخرى، «(لاَ تَخَفْ، أَنَا هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ، وَالْحَيُّ. وَكُنْتُ مَيْتًا، وَهَا أَنَا حَيٌّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ! آمِينَ. وَلِي مَفَاتِيحُ الْهَاوِيَةِ وَالْمَوْتِ). أترون؟ الحمل سيعتني بنا.»

تنهد جاك. لم يكن لديه جهاز آي بود ليضع سماعتيه في أذنيه. كانت البطارية قد فرُغت منذ وقت طويل. لم يكن متأكداً من أنه يستطيع احتمال هذا لسبع ساعات متواصلة أخرى.

13

كان إد يسير مع مالك وبام. بام، بمرحه المعهود، بدا أنّ حتى المطر لا يستطيع إفساد مزاجه الجيد.

«ألا تشعر بالبؤس أبداً يا بام؟» سأل إد.

«لا.»

«أو الخوف؟»

«لا.»

« لم لا؟ ما هو سرك؟»

«ليست لدي مخيلة»، قال بام بطريقته الواقعية المعروفة، « لم أُطلق العنان لمخيلتي يوماً، ولن أفعل أبداً، وهذا يناسبني تماماً.»

«هل تظن أننا نفعل الشيء الصحيح؟»، سأل إدّ بصوتٍ منخفض، «أقصد الذهاب إلى الريف وما إلى ذلك؟»

«الله وحده يعلم»، قال بام، «لا تفكر في الأمر فحسب يا صديقي، بدءاً من الآن وحتى أي وقت لاحق!» مع تلك الكلمات صفع بام ظهر إدّ صفعة قوية ثم أسرع في سيره ليلحق بصديقه بيرز.

«أنت تقلق كثيراً بشأن ما حولك، أليس كذلك يا إد؟»، قال مالك، « لم تكن كذلك أبداً.»

«هناك أشياء كثيرة يجب القلق بشأنها.»

«سنكون بخير يا إد. سنجد حظيرة ما ننام فيها، ونهراً لنشرب منه. ربما ستكون هناك أبقار نستطيع حلبها، أو حتى خراف ودجاج.»

«خنازير»، أضاف إد.

«تقنياً، من المفترض ألاّ آكل لحم خنزير»، قال مالك، «لكن أظن أن الله سيسامحني هذه المرة إذا كنتُ أحاول البقاء على قيد الحياة.»

«سيكون الأمر بمثابة العودة إلى العصر الفيكتوري»، قال إد، «يمكننا أن نؤسس مجتمعاً جديداً.»

«سنحتاج إلى العثور على بعض الفتيات»، قال مالك.

«ماذا؟ أتعني من أجل التنظيف والطبخ؟»

«لا»، هز مالك رأسه في سخط، «ليس هذا ما قصدته.»

«حسناً، لم يبدُ لي أنّ من الصعب فهم كلامك يا مالك»، احتجّ إد، «أعرف طريقة قومك في التفكير فيما يتعلق بالنساء - بقاؤهن في المنزل لإنجاز الأعمال المنزلية وما إلى ذلك.»

«لسنا جميعاً هكذا يا إد. كما أنكم، أنتم المسيحيون، لستم جميعاً متشابهين.»

«لستُ متأكداً من أنني مسيحي»، قال إد.

«لا يهمّ»، هزّ مالك كتفيه، «كنتُ أقصد أنّ علينا العثور على بعض الفتيات إذا أردنا أن نتكاثر ونؤسِّس أمماً جديدة.»

«وجهة نظر جيدة. لدينا فريديريك لتكون البداية. سنعثر على أخريات. فتيات فاتنات من الريف.»

«لنأمل أن نتمكن من إقناعهن بالانضمام إلينا»، قال مالك، «فأنا لا أعرف الكثير عن الفتيات.»

«هل تمنيت يوماً لو أنك ذهبت إلى مدرسة مختلطة؟» سأل إد.

«لم يكن والديّ ليسمحا بهذا الأمر أبداً»، قال مالك، «لم يكونا مسلمين متعصبين، لكن هناك بعض الأمور التي يفكرون فيها بطريقة قديمة نوعاً ما.»

«ألا يعرفان بشأن حبيبتك السابقة؟»

«مستحيل.»

«ما الذي حصل لها على أي حال؟»

«تركتني من أجل فتى أكبر سناً»، قال مالك، «كانت لديه سيارته الخاصة وما إلى ذلك. كما أنه لم يكن يتبع أي التزامات أو يلقي بأي أعذار بشأن ديانته.»

«يا لها من طريقة تفكير سطحية»، قال إدّ بصوت مستهزء أخنّ.

«بالفعل»، قال مالك وهو يقلّد صوت صديقه، «يا لها من طريقة تفكير سطحية.»

كان جونو، لاعب الروكبي، يسير إلى جانب فريديريك، يحاول أن يجعلها تخرج من العزلة التي هي فيها. كانت تمشي بخطوات ثقيلة، رأسها منحنٍ إلى الأمام، شعرها متدل حول وجهها مثل وشاح. كل ما استطاع جونو رؤيته من وجهها هو طرف أنفها الطويل، لكن كان بإمكانه أن يعرف أنها ما زالت تشعر ببؤس شديد. كتفاها كانا مرتخيين وبالكاد كانت ترفع قدميها وهي تمشي، كما لو أن كل خطوة كانت جهداً جباراً بالنسبة إليها.

حاول أن يسألها عن قطتها، عن فرنسا، عن مدرستها، لكنه لم يحظَ بأي إجابة منها، ولا حتى نفَس، فاستسلم وراح يحدّثها عن نفسه. فكّر أن ذلك قد يشدّ انتباهها. أخبرها كيف نشأ في دوفر؛ كيف عمل والده في الجمارك في مرفأ فيري. كانت لديه أختان، وكان والداه مطلقين. كما أنه دخل المدرسة بسبب منحة رياضية. أخبرها كيف أنه عاش حياته من أجل الروكبي. الفرنسيون كانوا يلعبون الروكبي أيضاً، لذا فكر أنها قد تكون مهتمة بهذا الأمر، رغم أنه يعرف من خبرته أن الفتيات لا ينجذبن كثيراً لرياضة الروكبي.

«أحب الموسيقى أيضاً»، قال، «وليس الروكبي فقط. لا أحب موسيقى البوب، وأكره نوع الـ«آر أند بي». أحب الموسيقى الصاخبة.»

لم يعد يذكر متى كانت آخر مرة سمع فيها موسيقى. كانوا بحاجة إلى الكهرباء للاستماع إلى أي شيء. هل اختفت كل الموسيقى في العالم مع الطاقة؟ يا لها من فكرة غريبة، لمجرد أن تفكر أنه لم يعد هناك فرقة آي سي/ دي سي، لا مزيد من ليد زيب ونيرفانا ورولينغ ستونز وستون روزيز...

من الأفضل ألاّ يتفوه بأيٍّ من أفكاره تلك أمام فريديريك. فمن المفترض

به أن يُبهجها، أليس كذلك؟ لن يفلح إلا في إتعاسها أكثر إذا تحدث عن كل ما يدور في باله، عن الأشياء التي لم تعد موجودة بسبب انقطاع الكهرباء التام.

شبكة الإنترنت، الموسيقى، التلفاز، الأفلام...

اللعنة.

كانوا على وشك الوصول إلى «فيوتشر انتيربرايز زون» - «زا فيز»؛ سلسلة من المباني المنخفضة ذات القرميد لكلٍ منها موقف خاص أمامها.

لحق بام بجونو.

«كنتُ أفكر»، قال.

«هل أنت متأكد من أن هذه فكرة جيدة؟» سأل جونو مبتسماً.

«هاها، يا لك من فتى متحاذق»، قال بام، «لا، اسمع. هناك قسم خاص بالمعدات في «زا فيز»، علينا أن نتفقده. يمكننا أن نجد عدداً لا بأس به من المعدات التي يمكن استخدامها كأسلحة. فكل ما نملكه الآن هو مجرد قطع من العصي وحديد الأسرّة المكسورة. سنجد هناك فؤوساً وعتلات... ومناشر.»

قال «مناشر» بطريقة من يستمتع بالفكرة، فابتسم جونو.

«ربما، المكان يستحق التفقد»، قال.

«هيا بنا إذاً.»

نشر بام الأخبار بين أفراد المجموعة، فغيّروا مسارهم نحو «زا فيز» الذي بدا مهجوراً بقدر أي مكانٍ آخر في روهارست.

عبروا مستودع السجّاد، وكان هناك أمامهم متجر المعدات. بدا كل شيء في مكانه، رغم وجود بعض الآثار لاندلاع حريق في مصنع الصفيح عند الجهة اليمنى. كان المِصراع الفولاذي لمدخل مساحة التحميل مرفوعاً، وفي الداخل كان السخام والسواد يغطيان المكان.

مشى إد ومالك في وسط المجموعة. كانا لا يزالان يناقشان مسألة العثور على الفتيات. لم يكونا يعيران أي انتباه إلى أين يتجهان.

«علينا أن نفكر بطريقة عملية»، كان مالك يقول، «علينا أن نتأكد من أن جنس البشر لن يفنى. من الصعب تخيل ذلك - جيلنا نحن، نحن المستقبل.»

نظر إدّ من حوله نحو الآخرين: «لا يبدو مستقبلاً واعداً، أليس كذلك؟ مجموعة من فتيان مدرسة رسمية وفتاة واحدة مع قطة في قفص صغير.»

«سنعثر على أولاد آخرين»، قال مالك، «لا يعقل أن نكون وحدنا من بقي على قيد الحياة.»

«حسناً، هذا ما يبدو عليه الأمر حتى الآن»، قال إد.

«لا»، قال مالك، «سترى. للمرة الأولى منذ أسابيع بدأت أشعر بالتفاؤل. ليس الكثير من التفاؤل، دعنا لا نتمادى كثيراً، لكن أظن فعلاً أن...»

اختفى مالك.

في لحظة كان إدّ يتحدث إليه، وفي اللحظة التالية...

استغرق إدّ لحظة ليفهم ما حدث، ليستوعب تماماً ما رأى – لمحة سريعة إلى وجهٍ في الظلام عند مدخل المصنع، وجه أبيض ذو عينين سوداوين وأسنان صفراء، يدان تمتدان نحو رقبة مالك.

لقد جُذب إلى الداخل.

قبل أن يكون لدى إدّ الوقت ليصرخ، ليحذر الآخرين، هجمت أجسام من كل حدب وصوب، من البوابة الرئيسية، من الفتحات بين المباني، من خلف المباني، تتحرك بسرعة، تضرب الفتيان بقوة.

علّت الصيحات من حول إد. كيفما كان يدور بوجهه ويلتفت كان يرى أجساماً تتمايل وأخرى ترتطم.

ماذا عليّ أن أفعل؟ ماذا عليّ أن أفعل؟

كان مالك داخل المبنى. صديقه مالك. تقدم إد بخطى خائفة نحو الباب، ورأى في المكان المظلم شكل عشرة أشخاص، ثلاثة أو أربعة كانوا جاثمين فوق جسم مالك، والآخرون كانوا يسيرون مباشرةً في اتجاهه، يشنّون هجوماً، خارجين من الظلام. تراجع إد إلى الخلف وبرزت تلك الأشكال إلى الضوء، بأذرع ممدودة تضرب يمنةً ويسرة، وأسنان مكشرة.

مراهقون. فتيان وفتيات. بدا أن أعمارهم تتراوح ما بين سبعة عشر أو ثمانية عشر عاماً.

استدار إد وركض، صارخاً بالفتيان الآخرين.

«ابقوا معي. ابتعدوا عن المكان.» لكن لم يكن لديه أي فكرة إن كان هناك من يسمعه، إن كان هناك من يستطيع فعل أي شيء.

رأى جونو يقع أرضاً وقد أمسك به ثلاثة أو أربعة مراهقين من ظهره، واثنان آخران كانا يشدّانه من ذراعيه ورجليه. وقف فتيان فيلد هاوس متقاربين، فزعين. الأذكياء الثلاثة كانوا قد تراجعوا إلى الخلف حتى التصقوا بالجدار، ينتحبون.

كان المراهقون أسرع وأقوى وأكثر بطشاً من المدرّسين الأكبر سناً من المدرسة. كانوا قذرين جداً وملابسهم مبقعة بالدم. بعضهم كان يرتدي كنزات ذات قبعات، وآخرون يرتدون مجرد قمصان رقيقة، وملابس بعضهم الآخر كانت ممزقة لدرجة أنه بات من الصعب تبيّن ما يرتدونه أصلاً - كانت ملابسهم متدلّية بطريقة بالية ومترهلة. بعضهم كان شبه عارٍ، أجسامهم تغطيها الإصابات والدمامل المتورّمة بالقيح. واحد أو اثنان منهم كانا أكبر سناً من سنّ المدرسة، يرتديان بذلتين. ميّز إد طالباً من السنة الأخيرة. كان قد فقد معظم شعره وإحدى عينيه، وبدا حيواناً أكثر منه بشرياً. كان يمسك بفتىً صغيراً، هو ستانلي، أحد فتيان الكنيسة الذي تذّكر إد أنه حمله إلى الهواء الطلق منذ ساعة مضت فحسب. كان فتى السنة الأخيرة يؤرجح ستانلي بذراع واحدة، ووجهه خالٍ من أي تعبير أو عاطفة.

في خضمّ كل ذلك كان المطر ينهمر برذاذ رتيب. كان الجو كئيباً، رطباً ورمادياً. يوم إنكليزي نموذجي، مملّ ورتيب؛ يوم يصلح للبقاء داخل المنزل وانتظار اليوم التالي. وها هم الآن يموتون في هذا المكان الصناعي الكئيب.

رأى إدّ فريديريك، كانت لا تزال متشبثة بقفص قطتها. كان تقف متجمدةً، تحدّق على بعد مئات الأميال، بينما كان القتال محتدماً من حولها. أمسك بها وشدّها بعيداً عن المكان حيث كان أربعة مراهقين يجثمون على جونو على الأرض ويحاولون عضّه في معدته. ثم رأى إدّ كلاً من ويكي وآرثر يختبئان خلف كومة من الصناديق. أمسك إد بويكي وأمل أن يتبعه آرثر.

«علينا أن نهرب من هنا»، صرخ، لكن لم يكن هناك مكان للهرب. أينما كانوا يتجهون كانوا يجدون المزيد من المراهقين.

شدّ إد رفاقه نحو الأخوين سوليفان، اللذين تمكّنا من الوصول إلى الشارع الخلفي وكانا لا يزالان صامدين يقاتلان بتهور لكن بفعالية بواسطة مجرفتين خاصتين بتنظيف الحدائق. كان هناك الكثير من المراهقين، وقبل أن يتمكن إد من الوصول إلى الأخوين سوليفان لاحظ عاجزاً مراهقة سمينة تُمسك بأنطوني من الخلف وتزرع أسنانها في عنقه. صرخ أنطوني وضغط على الجرح، مُفلتاً المجرفة من يده. على الفور هاجمته مراهقتان أخريتان، فتاتان ذات وجهين متآكلين مغطّين بالبثور والدمامل.

حاول داميان إبعاد الفتيات عن أخيه، لكن هاجمته مجموعة من الفتيان الأكبر سناً فسقط أرضاً يقاوم ويشتم.

غيّر إد من اتجاهه واصطدم بشخص كان يركض في الاتجاه المعاكس. سقط أرضاً، موقعاً معه فريديريك وويكي. تركهما وتدحرج جانباً ليقف على قدميه. كان الأخوان سوليفان قد باتا كليهما أرضاً، ولم يبدُ أنهما سيتمكنان من النهوض مجدداً. كان هناك أحد فتيان فيلد هاوس، كان يحاول الهرب وقد تشبثت بظهره مراهقتان وأخرى قد لفّت ذراعها حول رجله. سقط أرضاً وهو يصرخ.

استطاع إد الخروج من نطاق المباني نحو الطريق الرئيسي لكنه وقع مجدداً وانتهى به الأمر وقد جثم أحدهم عليه. ضرب بكوعي يديه وركبتيه بيأس.

«أوه، توقف!»، كان أحد الفتيان الأذكياء، وكان قميصه قد تمزّق من الظهر. اعتذر إدّ وساعدا بعضهما على الوقوف. الفتى الذكي، جاستن، التقط قطعة من إطار سرير كانت قد وقعت من أحد لاعبي الروكبي وبدأ يلوّح بها يمنةً ويسرة على غير هدى، وقد احمّر وجهه من الغضب، مُبعداً المراهقين الملتفين من حوله.

نظر إد من حوله بحثاً عن فريديريك والفتيان الأصغر سناً. كان ويكي وآرثر قد اختفيا لكنّ فريديريك كانت تقف دون حراك مجدداً. مراهق ذو

وجه مدمّى، يسيل لعابه، كان يجثم أمامها، يشمّها، رأسه يتحرك أعلى وأسفل على جسمها. لسببٍ ما لم يهاجمها، ربما لأنها كانت تقف دون حراك فلم يتمكن من معرفة إن كانت على قيد الحياة أم لا.

أليس من المفترض أن يكون هذا ما عليك فعله عندما تتعرض لهجوم من دب؟ أن تؤدي دور الميت؟

لكن الأهم في كل هذا أن المراهق، بلعابه السائل، كان يشمّ دون أن يهجم، وفريدريريك لا تحرّك ساكناً.

كان لدى إد الوقت الكافي ليرى ما يحدث قبل أن يُسقطه أحدهم أرضاً مرة أخرى. وعلى هذا المنوال، كان لا يكاد يقف على رجليه حتى يسقط مجدداً. كان الارتباك يعمّ المكان والأجسام ترتطم ببعضها على غير هدى فلم يستطع البقاء واقفاً أكثر من بضع ثوانٍ في كل مرة. أحياناً كان يسقط أرضاً بسبب ارتطام بعض المراهقين به، وأحياناً أخرى من أحد أصدقائه من المدرسة.

كان يبكي في خوف وغضب وإحباط.

لم يرد أن يموت. ليس هناك. ليس هكذا...



بينما كان يمشي كان جاك يتفحص محيطه دون انقطاع، باقياً على حذره من أي حركة أو أي إشارة لخطر وشيك. كان من الغرابة أن يعود مجدداً إلى الشوارع بعد كل تلك الأيام الطويلة التي قضاها في المدرسة، و لم يكن لديه أي فكرة عن الخطر الموجود في العالم الخارجي. لم يكن هناك أي إشارة لعنف ما. كانوا قد رأوا متاجر محطّمة وبضع جثث ميتة، لكنهم حتى الآن لم يروا أي أحياء. لا أولاد، لا راشدين، لا شيء، فقط امتداد مملّ لمنازل مهجورة تقف كئيبةً تحت المطر. كان مات وأرتشي مستغرقان في حديثهما عن الحمل حتى بدا أنهما قد نسيا تماماً احتمال وجود خطر محدق. لم يكن ذلك تصرفاً ذكياً منهما. عادةً ما يكون الهجوم المفاجئ هو الأشدّ فتكاً. عليك أن تكون دائم الاستعداد.

أراد جاك أن يصرخ في وجه الصبيين بأن يصمتا ويعيرا الانتباه للطريق، لكنه خشي أن يحاولا إشراكه في محادثتهما. لم تكن هناك وسيلة للوصول إلى مات، فقد كان مهووساً بكل ما للكلمة من معنى. بدا أنه حقاً يؤمن بأن الحمل، أيّاً كان ذلك، سيحميهم من أي شيء.

كان مات يردّد كلاماً حفظه عن ظهر قلب وهو يسير، من دون الحاجة إلى النظر إلى الورق الذي سبق وخبّأه تحت ملابسه ليحميه من المطر.

(كُنْتُ مَيْتًا، وَهَا أَنَا حَيٌّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ! مَنْ يَغْلِبُ فَلاَ يُؤْذِيهِ الْمَوْتُ الثَّانِي.)

«هل سيكون من الواضح لنا أن نرى الحمل على حقيقته عندما نراه؟»،

سأل أحد الأولاد الأصغر سناً، «كيف سيكون شكله؟»

«ليس حملاً»، قال مات، «إنه هو. الحمل فتى مثلنا، شعره ذهبي، وجهه أبيض ولامع ويمشي مع ظل.»

«أنت لا تكفّ عن قول هذا يا مات، لكن ما معنى هذا الكلام؟»، سأل أرتشي بيشوب، «فنحن جميعاً نمشي مع ظلال لنا.»

«ظلّ الحمل ظلٌّ حي، مثل دوبلغانغر.»

«مثل ماذا؟»

«إنها كلمة وهمية للنسخة المطابقة عنه، مثل جزئه المظلم، أخيه الشرير. إنه شيطان يتحدث بلغة غريبة.»

«أخي الأكبر، روبرت، انضم إلى صف ألفا»، قال أرتشي، «هناك يتحدثون بلغة غريبة. لقد فعل ذلك مرة من أجلي. بدا كلاماً مجنوناً.»

«علينا نحن أيضاً أن نتحدث بلغة غريبة، ألا تظن هذا؟» سأل مات وهو يزداد حماسة.

«يمكننا أن نجرب ذلك.»

«كيف تتكلمها؟»

«حسناً، عليك نوعاً ما أن تترك الروح تقودك ثم تبدأ بلالالا، بابا بابالا لا لا لا أل با با با بلا...»

انضم إليهم مات مردِّداً «بلا ما كا با لا...» لكن سرعان ما تحولت تلك الكلمات الغريبة إلى ضحكات مجلجلة.

«علينا أن نتمرن على هذا أكثر»، قال.

بدأ جميع الأتباع الصغار يحاولون التحدث بتلك الطريقة وسرعان ما تحولت إلى أصوات زقزقات وضحكات وبربرات.

«عظيم»، فكر جاك، «أنا في سباق ماراثون إلى لندن، وقد يهاجمني مجانين موبوؤون يتربصون بي في أي لحظة، وها أنا عالق مع مجموعة من الحمقى الذين يبدون وكأنهم قد هربوا من مشهد من الرسوم المتحركة «في حديقة الليل».»

15

عندما كان في الثامنة من عمره ذهب إد في إجازة عائلية إلى الساحل الغربي في فرنسا. كانت هناك إشارات في كلٍ مكان كُتب عليها «الشاطئ الخطر»، وكانت الأمواج عالية وضخمة جداً. ذات يوم اصطحبه والده لركوب الأمواج. كان الأمر مذهلاً: الصعود إلى أعلى مع الموجة، ثم الغطس عند تكسِّرها، وركوب لوح الركمجة، كل ذلك كان رائعاً حتى فاجأته إحدى الموجات التي أسقطته.

كان ذلك مفزعاً جداً، أن يتشقلب مرات ومرات دون أن يدري أيّ اتجاه هو الأعلى وأيهما الأسفل، حركة متموجة عنيفة بين الماء والرمل. كانت قدماه لا تكادان تجدان القاع حتى تعود المياه مجدداً وتؤرجحهما، تشقلبه كله كما لو كان داخل غسّالة ضخمة.

أخيراً أمسك به والده وجذبه إلى الأعلى.

ما يختبره الآن من شعور في هذا القتال شبيه تماماً بشعوره حينها. ووالده ليس هنا لينقذه اليوم. لن يتمكن والده من مساعدته مجدداً. ملقىً على الأرض الصلبة، لم يكن يملك القوة للوقوف على قدميه. أخذ نفساً عميقاً مؤلماً، انقلب على ظهره، لكنه لم يكد يفعل ذلك حتى وجد أحد المراهقين يجثم فوقه: فتى ذو ملامح حادة، بدا في الثامنة عشر من عمره. كان من الصعب معرفة عمره بدقة لأن عينيه كانتا منتفختين ووجهه يشبه بيتزا المارغريتا، أحمر مع رقع صفراء قشرية، مثل أسوأ حالة حَب شباب رآها إدّ خلال حياته.

بقوة يقودها الغضب والفزع استطاع إد أن يصل بيديه إلى عنق الفتى وإبعاده عن وجهه بمسافة طول ذراعيه.

كان الفتى يزمجر ويشخر، يُخرج فقاقيع خضراء مقزِّزة من أنفه. لعاب مائل إلى اللون الزهري خرج كالرغوة من بينِ أسنانه النتنة، رغوة مشبعة بنقاط من الدماء. امتزج لعابه بفقاقيع أنفه ليشكّلا مادة لُعابية لزجة تدلّت مثل حبل فوق فم إد. سقطت نقطة منه وتناثرت على شفتي إد. هزّ برأسه جانباً وبصق. تناثر المزيد من اللعاب الدافئ في أذنه.

هزّ إدّ رأسه.

بدا المراهق موبوءاً بطريقة لا تُصدق. لم يفهم إد طريقة انتشار المرض في الجسم، لا أحد فهم ذلك، لكن مجرد فكرة التقاط العدوى من صاحب هذا الوجه المقزز السائل لعابه كانت مفزعة تماماً بالنسبة إلى إد.

تمدد هناك على ظهره، ذراعاه ممدودتان، تضغطان على عنق الفتى، تحاولان إبقاءه على مسافة بعيدة قدر الإمكان. كان يرسم في رأسه تلك الصورة المجنونة لرؤوس اللعب المطاطية، بأنه عندما تضغط عليها يخرج الأنف والعينان منها. كانت ذراعا المراهق أقصر. لم يستطع الوصول إلى إد، لكنه استطاع خربشته بعنف على كل جلده بأظافره النتنة السوداء. لم يستطع إد فعل الكثير لصدّ ذلك الهجوم المجنون وأحسّ أن ذراعيه بدأتا ترتعشان من الإجهاد. لم يكن متأكداً كم من الوقت يستطيع الصمود.

لن يطول الأمر حتى ينحني الفتى على إدّ ويُطبق بفمه النتن على وجهه.

دوّت صرخة: «انتبه يا إد!»

من زاوية عينه رأى إد صديقه بام يضرب بقوة.

صرخ بام «تحرك!» فأفلت إدّ المراهق في اللحظة التي أرجح فيها بام رجله بركلة قوية. ارتطم حذاءُه العالي برأس المراهق فترنّح الأخير إلى الخلف وسقط أرضاً. نهض إد سريعاً وألقى نظرة على مهاجمه الذي كان ممدداً لبرهة قبل أن ينهض على ركبتيه ويبدأ بالزحف بشكل دائري ورأسه ملتوٍ بزاوية حادة. بدا أنه يبحث عن شيء ما، ثم أدرك إد بأن قوة الركلة قد أفقدته إحدى عينيه.

أحس إد بالدوار واستدار بعيداً ليُفرغ ما في بطنه. أمسكه بام من ذراعه وساعده.

«لا وقت لهذا يا صديقي. يجب أن نواصل التحرك.»

«لا أستطيع»، انتحب إد، «لا أستطيع. لا أستطيع فعل هذا.»

«بلى، تستطيع ذلك.»

قبل أن يتمكن إد من قول أي شيء انقضّت مجموعة جديدة من المراهقين على بام، فأصبح في وسط قتال عنيف، يركل بذراعيه ورجليه في كل حدب وصوب ليُبقي مهاجميه بعيداً عنه. بدا أنه فقد سلاحه وكان يقاتل أعزلاً.

لم يعد لدى إد شيء. كان وحيداً، مرهقاً، خائفاً. كان مصاباً بالدوار من رؤية هذه الدماء. كان الصراخ يصمّ أذنيه. وقع على ركبتيه. نظر نحو السماء وفتح فمه واسعاً ليصرخ بكل ما أوتي من قوة، لكنّ حنجرته سُدَّت، وضاقت أوتاره الصوتية، وكل ما صدر منها هو صرخة يأس طويلة صامتة.

ثم... غرقت صرخات الفتيان الآخرين في خضمٍّ صوت هادرٍ ومدوٍّ. كان هناك شيء ضخم يقترب على طول الطريق، يلوح في الأفق عبر المطر الضبابي مثل حوت يثب عبر المياه. حينها دوّى نفير بوق سيارة قوي.

أفلت اثنان من المراهقين بام واستدارا نحو مصدر الصوت، محدِّقين بغباء. خلال ثوانٍ كانا قد أصبحا أرضاً وقد طُحنت عظامهما.

توقفت رئتا إدّ عن العمل. أصبح صدره كمن سُجن بين قضبان حديدية. أحسّ أن قلبه قد توقّف عن النبض أيضاً. لم يستطع أن يتحرك أو يُدرك ما يحدث من حوله بينما اتجه ذلك الشيء العملاق نحوه مباشرةً حيث كان يجثو على ركبتيه في وسط الطريق.

16

مع هسيسٍ مدوٍّ وصرير معدنٍ يخربش المعدن، توقف ذلك الشيء على بُعد سنتيمتراتٍ قليلة من إد.

كانت حافلة؛ حافلة لعينة؛ حافلة ضخمة بعرض مترين ونصف وارتفاعها ضعف ذلك، ذات هيكل أبيض ونوافذ غامقة. استطاع إدّ الإحساس بالحرارة تخرج منها.

بدت في غير مكانها المناسب على الإطلاق، شيئاً من الماضي. لم يكن إدّ ليتفاجأ بهذا القدر لو رأى تنيناً يهبط وينفث النار والدخان. تعثر إلى جانب، يزحف تارةً ويركض تارةً أخرى، بينما انفتح باب الركّاب مع أزيزٍ قوي.

تجمّد إدّ.

كان هناك رجل في مقعد السائق؛ رجل ذو وجه مدوّر ممتلئ ورأس كبير وشعر قصير. خمسة وثلاثون، ربما أربعون... لم يكنً إدّ بارعاً في تقديرً السن يوماً. لكن الأهم من كل هذا الآن هو أنه كان رجلاً، راشداً – كان العدو.

«اصعد!»، صرخ بإد.

أكانت تلك عملية إنقاذ أم فخ؟ لم يبدُ الرجل موبوءاً، لكنّ هذا لم يعنِ شيئاً. لا يمكن الوثوق أبداً بأيّ راشد. ورغم كل ذلك كان يقود حافلة. لا أحد من الراشدين الموبوئين الذي أفسد المرض أدمغتهم يمكنه قيادة حافلة، بل معظهم بالكاد يستطيعون السير.

«اصعد وإلا غادرت وتركتك هنا.»

قبل أن يتمكن إد من فعل أو قول أي شيء مرّ ويكي وآرثر بسرعة من

جانبه وتسلقا الدرجات. كريس ماركر وكوانيلي، الذي كان لا يزال يجرّ حقيبته، تبعاهما مباشرةً.

استدار إد إلى حيث كان آخر الناجين لا يزالون يقاتلون.

صرخ به الرجل: «اصعد إلى الحافلة! هيا، بسرعة!»

رأى فريديريك فجذبها مجدداً، يكاد يرميها رمياً على درجات الحافلة. ثم أمسك بجاستن، الذكي الذي وقع عليه سابقاً، أخرجه من بين ثلاث مراهقات متوحشات الشكل. ركض من جانبه أربعة من صبيان الكنيسة، ثم أتى بام مُسرعاً وهو يلفّ ذراعه حول أحد لاعبي الروكبي، كان بيرز، وكان شعره الأحمر مخضّباً بالدماء. ساعدهما إد في الصعود إلى الحافلة، لكن بينما كان يحاول الصعود خلفهما شعر بيدٍ تقبض على كاحله الأيسر وتجذبه إلى الخلف. وقف بألم على الدرجات.

«ابقَ منخفضاً!» صرخ سائق الحافلة، ففعل إدّ ما أُمر به.

لمع شيء ودوّى صوتٌ عالٍ. شعر إد بشيء يمر من فوق رأسه، يلامس شعره، وأياً كان ذلك الذي أمسك بكاحله، فقد أفلته لحظتها. نظر إلى الأعلى ليرى السائق يصوب مسدسه من الباب، الدخان يتصاعد من فوهته المزدوجة. زحف إد صعوداً على الدرجات الباقية، وأقفل الباب خلفه مباشرةً، وبدأت الحافلة بالتحرك.

أجبر نفسه على الوقوف ورمى بنفسه على أول مقعد أمامه، كان متعباً ولا يستطيع التحرك خطوةً أخرى. كلٍ جزءٍ منه كان مصاباً وتعلوه الكدمات.

«ليس الجميع هنا»، صاح قائلاً، «هناك المزيد من الأولاد.»

«لم أستطع الانتظار لوقتٍ أطول أيها الفتى، فذلك خطر جداً»، قال السائق، «من الأفضل أن تلقيَ تحية الوداع على من بقي خلفنا.»

«علينا أن نتأكد، علينا أن نتأكد من أن هناك أحياء.»

«لا، لن نفعل ذلك. علينا أن نبتعد عن هذا المكان.»

أحسّ إد بالحافلة تزيد من سرعتها. سمع صوت ارتطام الحافلة بالأجسام التي تقف في وسط الطريق.

«لستَ في مأمن بعد أيها الفتى»، قال السائق مقطّباً بينما أدار عجلة القيادة دورة كاملة فاهتزت الحافلة بكاملها عندما داست إطاراتها على شيء أو أحد، «لن تكون كذلك حتى نبتعد عن هذه المجموعة هنا.»

تلوّى إدّ في مقعده ونظر إلى داخل الحافلة... كم عدد المفقودين منهم؟ النصف؟ أكثر؟

«انتبهوا!»، صاح السائق واستدار إد في الوقت المناسب ليرى مراهقة موبوءة ترتطم بالزجاج الأمامي مثل حشرة عملاقة. ضغط السائق على زرّ فتحركت ماسحات الزجاج بطريقة سريعة، ملوثةً الزجاج الداكن بالقيح والدمامل.

«أظن أن هذه كانت آخرهم. يبدو أن الطريق سالك أمامنا.»

كان إد يرتعش. رفع ركبتيه إلى أعلى وتكوّر مثل كرة في المقعد، مغمضاً عينيه علّه يذهب في غيبوبة عن هذا العالم. فتح عينيه، نظر إلى سائق الحافلة. كان ممتلئ الجسم، رجلاه نحيلتان على عكس ذراعيه المكتنزتين المفتولتي العضلات. بدا في حالة صحية جيدة. كان إد يشعر بالفضول: من يكون؟ من أين أتى؟ لِمَ لم يكن مريضاً مثل الآخرين؟ حسناً، لَم تراه يبالي بذلك؟ ربما يكون رجلاً مثل أولئك الذين كان يراهم في الأفلام. فيلم مملّ عن سائق حافلة.

كان هناك فتى يجلس هادئاً في مقعده مباشرةً خلف إد، بدا نسخة مصغرة عن السائق، فقد كان بديناً قليلاً، ذا رأس مدور وشعر مقصوص. الفرق الحقيقي الوحيد بينهما، بعيداً عن الحجم، هو أن الفتى كان يضع نظارات.

لا بدّ أن السائق والده.

من يبالي؟ من يبالي بحق الجحيم؟

لاحظ الفتى وجود إد فابتسم له ابتسامةً خجولة.

تجاهله إد.

أغمض عينيه فحلّ محلّ ابتسامة الفتى وجه مالك المبتسم. كان مالك يتحلى بوجه كتلك الوجوه التي تبدو مبتسمةً على الدوام.

بدأت الأفكار السوداوية تغزو تفكيره، و لم يستطع طردها أبداً. لقد ترك مالك، لقد تخلى عن صديقه لأنه كان خائفاً؛ كان جباناً. لم تكن هناك كلمة أفضل لتصفه. كان جباناً مثيراً للاشمئزاز. ضرب جبهته بيده.

جبان.

مسح دمعة سالت على خدّه الرطب. كان في قبضة الظلّ المظلم. بدا وكأنه يلفّه مثل شيء جسدي. غيمة سوداء من البؤس والتعاسة. كان هذا شعوراً جديداً بالنسبة إليه. لطالما كان فتىً مرحاً لا يكدّره شيء. كانت حياته تسير بسلاسة. كان ينجح في كل امتحان، يفوز في كل مباراة كريكيت، تصله رسائل من كل فتاة جميلة، يعيش حياته من دون مشاكل، لا يفكر بأحد غير نفسه. كان سعيداً لأنه لم يكن هناك ما جعله غير سعيد. لم يكن هناك ما يزعجه.

لم يكن يعرف طريقة مناسبة للتعامل مع كونه غير سعيد. شعر أنه عاجز ومحطّم. مع غياب جاك ومالك لم يكن هناك من يستطيع حتى التحدث إليه أو مشاركته مشاكله.

انزلق في مقعده محدِّقاً أمامه، بينما كانت الماسحات تتحرّك من الشمال إلى اليمين ومن الشمال إلى اليمين، ماسحةً قطرات المطر عن الزجاج الأمامي، وفي دربها ماسحةً كل أثر للدماء.

أزيزٌ متواصل يخترق مسامع إد...

شقّت الحافلة طريقها مسرعةً، عائدةً في الاتجاه الذي كان إد وأصدقاؤه قد سلكوه مسبقاً، عبوراً بالمباني المتراصة. تيسكو. عبوراً بعيادة طبيب الأسنان والمنازل المهجورة الصامتة، عيادة الجراحة الخاصة، هوب ساك، صف المتاجر الصغيرة.

ولا يزال أزيز الماسحات يخترق مسامع إد...

ها هي المدرسة الآن، ومجموعة المدرّسين التي تجوب الشارع. بالكاد استطاع إد استيعاب ما حدث بينما الحافلة تدهسهم، لترميهم جانباً بعيداً عن مسارها.

والماسحات تتحرك يمنةً ويسرة، ذهاباً وإياباً...

«إلى أين نذهب؟» سأل، مستغرباً صوته الهادئ. كان ينوي فقط التفكير بالسؤال، وليس طرحه بصوتٍ عالٍ.

«لندن»، قال السائق، «مدينة الدّخان.»

أطلق إد ضحكةً قصيرة تشوبها المرارة. ها هو حلمه بالريف يذهب أدراج الرياح. ذلك المجتمع الذي تخيّله مع فتيات، وتربية الماشية، وحلب الأبقار، وجمع البيض، وإنجاب الأطفال، وبناء مستقبل جديد مع مالك وأصدقائه الآخرين. كل ذلك ذهب الآن؛ كله ذهب.

والماسحات تتحرك يمنةً ويسرة، ذهاباً وإياباً...

سارت الحافلة على طول الطريق الطويل. كان على السائق التخفيف من السرعة ليناور بالحافلة بين مجموعة من السيارات المعطّلة التي توقفت في وسط الطريق. حالما استطاع تخطّي تلك العقبة زاد الرجل من السرعة مجدّداً وسرعان ما كانوا يعبرون محطة سكة الحديد مغادرين البلدة على الطريق المستقيم الطويل الذي يؤدي إلى الطريق السريع M25. كانت هناك أبنية تقريباً على طول الطريق. القرى الصغيرة التي كانت متباعدة ومنفصلة اتصلت ببعضها عبر صفٍّ بشع طويل من البيوت والمرائب والمتاجر والمكاتب.

والماسحات تتحرك يمنةً ويسرة، ذهاباً وإياباً...

كان هناك أناس أمامهم، يسيرون عبر الطريق. أشكال رمادية تحت المطر المنهمر. على الأرجح المزيد من الراشدين. تمسّك إد بمسندي المقعدة، مستعدّاً للاهتزاز عندما تصدمهم الحافلة.

بينما تقترب الحافلة منهم أكثر بدا أنّ المشاة قد سمعوا صوتاً. استداروا إلى الخلف ووجوههم بيضاء فزعة.

«مهلاً!»، صاح إد وهو يميل بسرعة إلى الأمام، يحدّق ليرى جيداً.

«ما المشكلة؟»، صرخ السائق، «اجلس.»

«أوقف الحافلة. عليك أن توقف الحافلة. إنه جاك!»

17

«ماذا يحدث؟»

صعد الفتيان درجات الحافلة بحذر. كانوا مبللين ومرتبكين، لكن لم يبدُ أنهم قد تعرضوا لأيّ أذى. صعد أرتشي بيشوب ومات أولاً، مع الأولاد الأصغر سناً، ثم أخيراً جاك. نظر إلى إدّ مقطباً.

«ما هذا؟»

«تعرضنا لهجوم»، قال إد وشيء من الأسف في صوته، كما لو أن الأمر كان خطأه.

«هجوم؟ ممن؟»

«من أولاد أكبر سناً، مراهقين، في السابعة عشر، الثامنة عشر، التاسعة عشر من العمر. هجموا علينا بأعداد كبيرة. أتت الحافلة...»

هذه المرة، وللمرة الأولى، نظر جاك نحو السائق بإمعان ثم إلى إد.

«من يكون؟»، سأل وفي نبرته شيء من الاتّهام.

«اسمي غريغ»، قال السائق، «غريغ ثرون. وإذا كنت تريد الذهاب إلى لندن فاصعد إلى الحافلة واجلس في مكان ما.»

كان جاك لا يزال ينظر إلى إد: «إنه راشد.»

«حسناً!»، صرخ غريغ، «يمكنك أن تنظر إليّ عندما تتحدث عني أيها الفتى، وإلا يمكنك أن تنزل من حافلتي.»

«لا أقصد أن أكون فظاً»، قال جاك.

«إذاً لا تتصرف بفظاظة»، زعق غريغ، «لقد أنقذتُ أصدقاءك الحمقى

هنا، لذا أظن أن كلمة شكر قد تفي بالغرض، أليس كذلك؟»

«الأمر فقط...»، بدا جاك غير مرتاح وهو يصعد الدرجات بتردد، «بعد كل ما حدث... عليك أن تعترف أنّ من الصعب علينا أن نثق بشخص أكبر منا سناً.»

«ما زال الباب مفتوحاً»، قال غريغ وهو يومئ نحو الباب الرئيسي، حيث كان المطر لا يزال ينهمر بغزارة، «إن كنتَ تريد أن تأخذ فرصتك هناك فلا بأس بذلك معي، لكن عليك اتخاذ القرار... بدأ الدفء ينفذ من داخل الحافلة.»

صعد جاك درجةً واحدة ونظر إلى داخل الحافلة. كان مات والفتية الآخرون قد أخذوا أماكنهم إلى جانب الناجين من مجموعة الكنيسة، يتناقشون سريعاً بشأن ما حدث.

«هل أبدو لك موبوءاً؟»، قال غريغ وهو يفغر فاه في حركة تحدٍّ، «هل أتصرف وكأني موبوء؟ هل يستطيع أحد أولئك الحمقى هناك أن يقود حافلة ضخمة مثل هذه الحافلة؟ لم يعد بإمكانهم حتى الكلام، فما بالك بالقيادة والمناورة عبر كل تلك العقبات. لذا أنا أفضل أمل لك يا صديقي؛ أملك الوحيد على الإطلاق. راشد يتمتع بصحة جيدة وحافلة كبيرة.»

صعد جاك الدرجات الباقية الأخيرة.

«شكراً سيد ثرون»، قال بتصنّع.

«لا تزعج نفسك بهذه الترهات ومناداتي بالسيد ثرون. يمكنك أن تناديني غريغ فحسب، فالجميع يفعلون ذلك.»

«حسناً.»

جلس جاك بالقرب من إدّ.

«هل من آخرين؟»، سأل إد، «هل واجهت أي متاعب؟»

«لا. الشيء الوحيد المتعب كان البقاء مع مات وأرتشي والاضطرار إلى سماع ترّهاتهما. أخبرني، ماذا حدث معكم؟»، قالها جاك وكأنّ لإدّ ذنب في ما حدث. كيف لجاك أن يعرف أصلاً كيف كانت الأمور؟ بالنسبة إليه،

نصف الساعة الأخيرة كانت عبارة عن مسير مملّ تحت المطر.

«هل تأذى أحد؟»

حدّق إد عبر النافذة، غير قادر على النظر في عيني جاك. «نعم»، قال بهدوء.

«إصابة بالغة؟»

لم يعد بإمكان إد الاحتمال أكثر. لم يعد يستطيع كبت كل ذلك الخوف والغضب والإحباط.

«انظر من حولك يا جاك، انظر من موجود هنا»، صرخ، «ألا يمكنك أن ترى؟»

«هل فقدتَ رفاقاً؟»

أومأ إد إيجاباً.

«كم عددهم؟»

«لا أعرف، لم أتأكد. لا أستطيع مواجهة الأمر جاك.»

«كم عددهم؟»، قفز جاك وبدأ يشقّ طريقه عبر الحافلة.

تبعه إد: «ما المهم في ذلك الآن؟»

«من المفقود؟»

«ليسوا مفقودين يا جاك. إنهم موتى»، أمسك إدّ بجاك من كتفه وشدّه إلى الخلف، «لم يكن بإمكاننا فعل شيء، أتسمعني؟ لو لم يأتي غريغ لإنقاذنا لكنّا جميعاً في عداد الأموات الآن».

«إذاً، الفضل كله يعود لغريغ؟»، قال جاك.

«نعم.»

«ليس لك؟ أنت لم تفعل شيئاً؟»

«ماذا تقصد؟»

«لم تضرب أيّاً منهم؟»

حدّق جاك في إدّ مباشرةً. حاول إدّ التفوه بشيء ما لكن لم تخرج سوى همهمات غير مفهومة.

«لقد رأيتكَ خلال القتال يا إد»، قال جاك، «أم يفترض بي أن أقول إنني لم أرك خلال القتال.»

«أرجوك يا جاك.»

«لا يمكنك أن تضربهم. أيمكنك ذلك؟ أنت لا تريد أن توسِّخ يديك. أنت فتى عاجز ولا فائدة منك على الإطلاق.»

قبل أن يتمكن إد من الاعتراض كان جاك قد استدار مبتعداً عنه بين مقاعد الحافلة.

شعر إد أنه يريد البكاء لكنه كان يعرف أن عليه التحكّم بنفسه وأن يتحلّى برباطة الجأش. لكن الأهم من كل ذلك هو أن جاك كان على حق: ما زال لا يستطيع دفع نفسه إلى ضرب ولو راشد واحد. كان يأمل أنّ جاك لم يلاحظ ذلك، لكنّ جاك لا يفوته شيء على الإطلاق.

«مالك؟»، نادى جاك، «لا أرى مالك!»

لحق إدّ به.

«لا»، قال، والكلمة تكاد تعلق في حنجرته، «لم ينجُ. كل من بقي منا موجود هنا.»

«يا إلهي.»

كان جاك يحاول استيعاب الوضع. من لقي حتفه أيضاً؟ وقع نظره على بام. على الأقل بام كان على ما يرام، كان يجلس مع بيرز الذي كان قد أُصيب بجرحٍ بليغ ينزف بغزارة من رأسه، كان يحاول تضميد الجرح بقطعة من قميصٍ ممزقة.

«أين جونو والآخرين؟»، سأله جاك.

هزّ بام رأسه فحسب.

«ثلاثتهم؟»، لم يستطع جاك أن يصدّق ذلك.

«نعم.»

«لكنهم كانوا فتيانَ أقوياء. كانوا مقاتلين أشداء.»

«لم تكن هناك يا جاك»، قال بام وهو يحدّق في جاك من الأعلى إلى

الأسفل، «أنت لا تعرف كيف كان الوضع. كانوا يتربّصون بنا. لم تكن بيدنا حيلة. كانت مجزرة حقيقية. لم يكن لديك الحق في مخاطبة إد بتلك الطريقة. اهتم إدّ بالأولاد الصغار وبالفتاة. لقد رأيته. لقد أمنّ لنا جميعاً الوصول إلى الحافلة. لذا عليك أن تعتذر منه الآن. اعتذر منه في الحال.»

أحنى جاك رأسه، مدّ يده وضغط على ذراع إد.

«أنا آسف يا صديقي»، قال بهدوء، «لم يجدر بي قول ما قلت. كنتُ مرتبكاً. المسألة فقط... كل ما يحدث... لقد أفزعني كل ما يحدث. لقد ودّعتكم منذ ما لا يقل عن ساعة فقط. من بقي؟»

تابع طريقه في تفقّد المقاعد. مشى إد خلفه.

كان جاستن، الفتى الذكي، يجلس وحده ورأسه بين يديه. كان صديقاه مفقودين. لم يرَ جاك أيّاً من أولاد فيلد هاوس.

«لا يُعقل أن يكونوا جميعاً موتى.»

«لقد لقوا حتفهم بالفعل.»

كان مات يجلس مع الفتيان الأربعة الباقين من مجموعة الكنيسة، الفتيان الذين لم يوافقوا مسبقاً على مرافقته إلى لندن.

«كان يجدر بك مرافقتي»، قال بينما كان إد يمر من جانبه، «كان الحمل سيحميكم.»

«اصمت يا مات!»، صاح إدّ به، «ديانتك المستجدّة هذه لم تكن لتُحدث أي فرق.»

«لكنها أحدثت فرقاً، أليس كذلك؟»، قال مات وابتسامة هازئة تعلو وجهه، «لم يمسسنا ضرّ.»

«ذلك كان مجرد حظ.»

«أكان حظّاً حقاً؟»

«دعه وشأنه يا إد»، قال جاك وهي يواصل سيره، «لا جدوى من النقاش معه. لقد حاولت ذلك.»

كانت فريديريك بخير، وكذلك كوانيلي وكريس ماركر، الذي كان

كعادته يدفن رأسه في كتاب يقرأه، غافلاً عن العالم من حوله. آرثر وويكي كانا جالسين معاً، وقد بدوا شاحبين جداً ومصدومين، لكن على الأقل كانا سالمين لم يمسسهما أذىً.

في مؤخرة الحافلة كان يجلس فتى صغير وفتاة ذات شعر أسود مجعّد طويل، فتاة لم يتعرّف جاك إليها. لا بد أن غريغ أنقذهما مسبقاً أيضاً. نظرا إلى جاك وإد كما لو كانا دخيلين، غريبين انتهكا حرمة مكانهما الخاص والآمن، ثم ابتسمت الفتاة لهما ابتسامةً واسعة ودودة أظهرت صفاً من الأسنان البيضاء الصغيرة.

«مرحباً»، قالت، «اسمي زهرة. عمري تسع سنوات. هذا أخي فروغي، عمره سبع سنوات. أنا أعتني به إلى حين عودة أمي. نحن ذاهبان إلى لندن. كل شيء سيكون على ما يرام هناك، غريغ قال ذلك.»

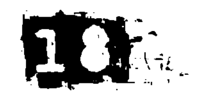
ابتسم فروغي هذه المرة. كانت ابتسامته تشعّ بالأمل والثقة مما كسر قلب جاك. كانت ملامح الفتى غريبة نوعاً ما. كانت له عينان كبيرتان، منتفختان بعض الشيء، وفمٌ واسع. لم يكن جاك سيتفاجأ إن عرف أنّ للصغير قدمين قصيرتين ومعقوفتين.

«صحيح»، ردّ جاك بلطف، «كل شيء سيكون على ما يرام.»

«لم أذهب إلى لندن من قبل»، قال فروغي، «أريد أن أذهب إلى عين لندن.»

كان جاك على وشك أن ينطق بشيء ليؤكّد للفتى الصغير مجدّداً أن كل ما يتمناه سيتحقق عندما أوقفته صرخة من مؤخرة الحافلة، صرخة أتت وكأنها صفعة انهالت على وجهه.

«أنت، يا وجه الكاتشاب، ما اسمك؟»



كانت هناك ثلاث فتيات يختبئن خلف جدار من صناديق الكرتون المقوى، وذلك في أقصى مؤخرة الحافلة. كان هناك المزيد من الصناديق التي رُصَّت حولهن وكذلك صناديق قناني مياه ملفوفة بطبقة بلاستيكية.

مشى جاك نحوهن. «هل تتحدثن إلي!؟»، سأل وهو يقترب منهن.

«لا أرى شخصاً آخر في المكان بوجه مثل هذا الوجه المقزِّز.»

ضحكت الفتاة ضحكة ساخرة فومضت شعلة غضب على مُحيّا جاك، كما لو أن دمه تحول فجأةً إلى أسيد. حدّق في الفتيات. في البداية بدا وكأن ثلاثتهن كنّ مخلوقاً واحداً، تماماً كما تكون العصابات أقوى من أي مجموعات فردية على الإطلاق. بدَونَ في مثل سنه، يرتدين ملابس كانت شعبية ذات يوم، لكنها أصبحت الآن متّسخة وممزقة. كنّ عبارة عن مجموعة ألوان فوضوية، بشعورهن الكبيرة وإفراطهن في وضع مساحيق التبرج والإكسسوارات، وبالبناطيل الضيقة الممزقة، مثل فرقة فتيات جديدة لها صورتها الخاصة.

مغنيات نهاية العالم...

كانت تفوح من حولهنّ رائحة قوية لا تُحتمل لعطر رخيص الثمن. فعلى الأرجح عمدنَ إلى رشّ هذه الكمية منه لإخفاء واقع أن أيّاً منهنّ لم تستحم منذ وقت طويل جداً.

فجأةً أدرك جاك رائحته أيضاً في زحمة الحافلة، وما جعلها أسوأ كانت رائحة الرطوبة التي كانت تفوح من ملابسه المبللة.

من نادت عليه كانت تلك الشقراء الجميلة التي تجلس في المقعد الجانبي، تمضغ علكة. نظرت إليه بتحدٍّ، متحديةً إياه ليقول شيئاً.

وقف جاك هنا، وكان غاضباً جداً بحيث كان عاجزاً عن الكلام.

«كنتَ تخوض قتالاً إذاً؟»، سألت.

«نعم، لقد خضت الكثير منها»، ردّ جاك غاضباً، «لكن ليس لهذا الأمر علاقة بهذه»، مشيراً إلى وحمته.

لم تكفّ الفتاة عن التحديق فيه، مثل متسوقة نيّقة تفكّر في شراء شيء ما.

«إذاً، ما هذا الذي يغطي وجهك؟»

«إنها وحمة.»

«وحمة؟ أتقصد أنك وُلدتَ هكذا؟»

«نعم.»

«هل تؤلم؟»

«لا.»

«لمَ لا تفعل شيئاً بشأنها إذاً؟ تعرف، إزالتها مثلاً؟ مثل وشم؟ ألا يمكنك إزالتها؟»

هزّ جاك كتفيه وقد بدأ غضبه يزول. على الأقل كانت هذه الفتاة صادقة وتتكلم في الوجه. فأكثر الناس عندما كانوا يلتقون به كانوا يشعرون بالإحراج ويدّعون أنهم لم يلاحظوا وجود شيء مختلف لديه، ثم يحدّقون فيه سرّاً ظناً منهم أنه لم يكن ينظر أو يعرف ذلك.

«إذاً، ما اسمك؟»، سألت وهي لا تزال تمضغ علكتها بقوة.

«جاك.»

«جاك»، كررت، «هل أنتم جميعاً من المدرسة ذاتها أو شيء من هذا القبيل؟»

«نعم. روهارست.»

«لم أسمع بها مطلقاً. لا بد أنها مدرسة للأثرياء فقط. فبعضكم يرتدي بذلات رسمية. فقط الأولاد الأثرياء يرتدون بذلات رسمية. هل أنتَ ثري؟»

هزّ جاك كتفيه مجدداً.

أومأت الفتاة الشقراء إلى إدّ الذي كان يقف خلف جاك: «من يكون صديقك؟»

«أنا إد.»

«أنا إد»، قلّدته ساخرةً، «تبدو أكثر ثراءً منه. أراهن أنك مليونير.»

«لم يعد المال موجوداً فعلياً، أليس كذلك؟»

«صحيح، لكن هل كنتَ مليونيراً؟»

ضحك إد: «لا.»

«هل كان الوضع مروِّعاً جداً هناك؟»، سألت الفتاة الجالسة بالقرب من النافذة، والتي كان شعرها أسود وبشرتها داكنة، على النقيض من صديقتها الشقراء، «لم نستطع المشاهدة حينها.»

«كان الوضع سيئاً جداً»، قال إد، «لقد فقدنا الكثير من الأصدقاء.»

«آسفة لذلك»، اعتذرت الفتاة ورسمت على وجهها ابتسامةً حزينة.

«اسمي أليشيا، على فكرة»، أضافت ثم أومأت في اتجاه صديقتها الشقراء، «هذه بروك، وهي معروفة بثرثرتها، لكن لا بأس بها.»

«لِمَ تقولين لا بأس بها»، قالت بروك، «أنا عاهرة، لكن يمكنني النفاذ بأخطائي لأنني جميلة، على عكس أليشيا التي هي قزمة بشعة وعليها أن تكون لطيفة مع الجميع.»

«ها ها»، قالت أليشيا، «الجميع يعرفون أنني أجمل منك.»

«على أي كوكب؟ مؤخرتي أجمل منك، سيدة شريك.»

ضحكت الفتيات الثلاث.

شعر جاك بالخجل والغرابة في آن. لقد كان يشعر دائماً بالتوتر حول الفتيات، ووحمته تلك كانت تزيد الطين بلّةً. أما إد فكان مختلفاً. كان سهل التعامل ومرتاحاً مع الجميع. لا يهم مَن. والآن كان قد بدأ يرتاح في جلسته على طرف المقعد، يميل إلى الأمام، مبتسماً لنكات الفتيات. وقف جاك هناك في ممر الحافلة، يشعر بالغباء، ينتقل بثقله من قدم إلى أخرى. أراد الابتعاد،

لكنه فكر أن ذلك سيوحي للفتيات بأنه يهرب منهن.

وإدّ... كان يجلس مرتاحاً.

«ما اسمك؟»، سأل وعيناه تحدِّقان في الفتاة الثالثة.

«هذه كورتني»، ردّت أليشيا.

«نحن مثل شلة»، قالت كورتني التي كانت أكبر حجماً من صديقتيها. لم تكن بدينة لكنها لم تكن نحيفة أيضاً. كان شعرها مشدوداً إلى الخلف وكانت لديها كدمة بشعة تحت إحدى عينيه، كدمة حاولت أن تغطيها بمساحيق التجميل.

«بروك بمثابة الخبز الأبيض»، تابعت كورتني كلامها، «وأليشيا الأسود، وأنا ما بين بين.»

«أنت صفراء نوعاً ما»، قالت أليشيا.

«لستُ صفراء»، قالت كورتني بسخط، «هل أبدو صفراء لكِ؟»

«نعم، وأنا لا أبدو سوداء أيضاً»، قالت أليشيا، «الأسود هو الأسود، مثل الحبر الأسود. بشرتي ليست سوداء. أنا بنية. أنا كاريبية – أفريقية. ليس مثلك، لا أعرف من تكونين.»

«هل تضحكين على نفسك يا عزيزتي؟»، قالت كورتني، «أنت سوداء كل السواد.»

«إذاً، كيف انتهى بكم الأمر هنا على متن هذه الحافلة؟»، قاطعهن إدّ قبل أن يدخلن في جدال جديد، «هل كنتن صديقات من قبل؟»

«هذه حافلتنا!»، قالت بروك.

«حافلتكن؟»

«حافلتنا!»، قالت كورتني وأليشيا معاً.

«كنا في رحلة مدرسية، بالقرب من بيلباو، في إسبانيا.»

«إسبانيا مجرد مزبلة»، قالت كورتني، «لا تذهبوا يوماً إلى هناك.»

«كنا هناك عندما بدأ الناس... تعرفان... يمرضون»، قالت أليشيا، «كان ذلك مخيفاً جداً، مثل فيلم عن كارثة أو شيء من هذا القبيل. في البداية بدا

لنا أننا سنبقى عالقات هناك، لكن في النهاية قال مدرّسونا أن علينا محاولة العودة إلى الوطن. قدنا الحافلة طوال الطريق عبر إسبانيا وفرنسا للوصول إلى العبّارة، وطوال الوقت كان الأمر يزداد سوءاً أكثر فأكثر. سمعنا ذلك عبر الراديو. هواتفنا النقالة لم تكن تعمل، لذا لم نستطع التحدث إلى أيٍّ من أفراد عائلاتنا أو إلى أي شخص آخر.»

«عند وصولنا إلى العبّارة كان المرفأ مغلقاً»، قالت كورتني، «يبدو أن عمال العبّارة الفرنسيين كانوا في إضراب أو شيء من ذلك. قالوا إنهم لا يريدون نشر الوباء.»

«بقينا في ذلك الفندق، في كاليه، لوقتٍ طويل جداً»، قالت أليشيا، «من دون طعام.»

«كاليه مزبلة»، قالت كورتني، «لن أعود إلى كاليه أبداً يا رجل.»

تسلّمت بروك زمام سرد القصة وقالت: «غادر بعض الأولاد مع مدرّس، كانوا يحاولون العودة بطريقة ما من تلقاء أنفسهم، لكن في النهاية رتبت الحكومة البريطانية عملية نقلنا، أي تجهيز عبّارة خاصة لنقل كل من كان عالقاً هنا. كنا على متن آخر عبّارة تخرج من فرنسا.»

«كان ذلك مروعاً»، قالت أليشيا، «كان الناس يتصرفون بجنون وهم يحاولون الصعود إلى العبّارة، لكن فقط لأننا كنا صغاراً سمحوا لنا بالصعود، أليس كذلك؟»

«لكن كان الوضع أسوأ في إنكلترا»، قالت بروك، «كانت الطرقات مزدحمة، وكان الناس يُصابون بالمرض ويتصرفون بجنون في جميع الأنحاء. لم نستطع أن نصدق ما كان يحصل من حولنا. نصف مدرسينا أُصيبوا بالمرض وفقدوا صوابهم. اضطررنا في نهاية الأمر إلى مغادرة الطريق السريع. أُصيب سائق الحافلة بالمرض. ذهبنا إلى مكان يُسمى أشفورد.»

«أشفورد مزبلة»، قالت كورتني.

«انفصل المزيد من الأولاد عند وصولنا إلى هناك»، قالت أليشيا، «لكننا لم نعرف ما علينا فعله. كان كل شيء يحدث بسرعة رهيبة. كان ذلك

أكثر ما أفزعنا. كانت وكأنها نهاية العالم أو شيء من هذا القبيل. كان كل شيء معطّلاً والناس في كل مكان، يمشون على غير هدىً، والمزيد المزيد منهم يصابون بالمرض. كان ذلك فظيعاً. اشتبك بعض الأولاد في قتال مع الراشدين. ثم حاول أحد المدرسين قيادة الحافلة. أخذنا إلى... ماذا نسمي ذلك المكان... نعم، الريف.»

«الريف مزبلة»، قالت كورتني.

«كان ذلك المدرّس الأخير»، قالت أليشيا، «السيد بيتس. كان طيباً. اعتنى بنا، لكن لاحقاً حتى هو أُصيب بالمرض.»

«كنا عالقين في الحافلة في وسط الريف»، قالت كورتني، «وكل أولئك الراشدين من حولنا.»

«كان الأمر أشبه... ما تلك الكلمة؟ نعم، حصار أو ما شابه»، قالت أليشيا، «كانوا جميعهم يحاولون الصعود إلى الحافلة. لحسن حظنا أتى غريغ لنجدتنا وقضى عليهم، لكن نحن الثلاثة كنا فقط من استطاع النجاة من بين ما يقارب المئة.»

«لم يكن عددنا مئة أبداً»، قالت بروك.

«حسناً، كان العدد كبيراً.»

«أنقذنا غريغ ليلة البارحة»، قالت كورتني، «نحن بأمان منذ ذلك الحين. الوضع ليس سيّئاً هنا. لدينا طعام وماء ومرحاض. لكنّ المسير بطيء لأن معظم الطرقات مغلقة. إنه كابوس. نضطر إلى الالتفاف من طرقات مختلفة، التوقف والتفحص، تجنّب راشدين، والعودة من حيث أتينا. لا أعرف كم ساعة نحتاج للوصول إلى لندن، لكن أعرف أن غريغ يقود منذ ساعات.»

«أظن أننا سنكون على ما يرام الآن»، قالت أليشيا، «أصبح عددنا أكبر. لا يكفّ غريغ عن إنقاذ الأولاد من هنا وهناك. الحال أفضل بوجود عدد أكبر. وأنتم أيها الفتيان تبدون أشداء كفاية.»

«يمكنكم البقاء»، قالت كورتني مع ابتسامة ساخرة.

«ما دمتم تُنفِّذون ما تُأمَرون به»، قالت بروك، «حافلتنا، قوانيننا.»

«إلى أين يأخذ غريغ الجميع؟»، سأل جاك.
«سيأخذنا إلى لندن حتى نتمكن من العودة إلى بيوتنا»، قالت كورتني.
«أين كانت مدرستكن؟ من أين أنتن؟»
«ويليسدن.»
«أين تقع؟»، سأل إد.
«لم تسمعا بيليسدن قطّ؟»، بدت أليشيا مذهولة.
«لا.»
«إنها في شمال غرب لندن.»
«إنها مزبلة»، قالت كورتني.
«عرفتُ أنك ستقولين ذلك»، قال إد.

للحظات خيّم صمتٌ تام، فقد كان الجميع يفكرون ويستعيدون في مخيلتهم الأحداث الأخيرة. أخيراً تكلمت أليشيا:
«في النهاية جميعنا فقدنا أصدقاء لنا»، قالت مع ابتسامة حزينة.
«صحيح.»
«لكن سنكون على ما يرام. فلتحيا الفتيات القويات.»
ضحكت بروك وكورتني وأليشيا معاً وضربن الأكفّ عالياً.

راود إد شعورٌ غريب. كان الأمر وكأنهم يناقشون مسألة فقدان كلب أو خسارة مباراة كرة قدم، وليس أصدقاءَ. كانت تلك الدقائق الدامية التي مرّت عند «فيز» مخيفة جداً، ومن الواضح أن الفتيات مررن بأوقات عصيبة أيضاً، لكن ها هنّ الآن يجلس هنا في هذه الفقاعة المستقبلية الصغيرة، يتحدثن عن الأمر بلامبالاة ويسخرن منه.

لقد اختبر هذا الوضع سابقاً، أي محاولة الناس الادّعاء بأن الظروف ليست سيئة بقدر حقيقتها. ربما تكون هذه طريقة لإبقاء الخوف بعيداً. فعندما يتعلق الأمر بالخوف لم تكن حال أيٍّ منهم أفضل، أو أذكى تصرفاً، أو حتى عكس الصغير فروغي الذي يحلم بالذهاب إلى عين لندن.

كان قد بدأ يشعر بما يشبه الخَدَر، يُبعد عنه كل تلك الذكريات التي لم

يعد يشعر بها. لا يمكن أن يبقى المرء خائفاً وحزيناً طول الوقت، وإلا أُصيب بالجنون.

التحدث إلى هذه الفتيات الثرثارات كان يساعده على إبعاد الأفكار السيئة. كان يأخذه إلى مكان آمن. فتيان وفتيات. يتغازلون. يتبادلون الرسائل. صديقي معجب بك...

كانوا جميعهم يعرفون أنها مجرد لعبة.

دعونا ندّعي جميعاً أننا مجرد مجموعة من الفتيات والفتيان العاديين يلتقون على متن حافلة؛ أن لا شيء يحدث خارج الحافلة. هناك الحافلة فحسب.

«لونكَ غريب نوعاً ما»، قالت بروك وهي تحدق في إد، «لا بأس بصديقك لو لم يكن يملك ذلك الشيء على وجهه. لو كنتُ سأختار فتىً لكان حينها المثالي لي.»

أصبح الآن دور جاك في الضحك: «إدّ لا يمتّ للمثالية بأيّ صلة.»

«إنه أفضل منك يا عزيزي.»

«حسناً، ربما لا أريد أن أكون حبيبك.»

«هذا جيد لأنك لن تصبح حبيبي أبداً»، قالت بروك، «يمكنك أن تحصل على كورتني، فهي ستقبل بأي شخص، لأنها بدينة. كما أنها تصبح نحيفة أكثر فأكثر. إذا واجهنا المزيد من حمية التضور جوعاً هذه فستصبح مثل عارضة أزياء!»

«يا لك من فتاة مغرورة»، قالت كورتني.

«لست مغرورة بقدرك. فأنتِ تبدين كمن أكل فراش سرير كامل أو شيئاً من هذا.»

انحرفت الحافلة فتمايل جاك واضطر إلى التشبث بظهر مقعد.

«اجلسوا!»، صرخ غريغ من خلف المقود، «هناك عوائق أمامنا!»

شتم إدّ. لقد انفجرت الفقاعة.



19

أسرع جاك إلى مقدمة الحافلة ومال إلى ظهر مقعد غريغ.

«ألم تسمعني؟»، قال غريغ، «اجلس. قد نواجه عوائق كثيرة.»

«أردت أن أرى ما يحدث.»

«يمكنني التعامل مع الأمر لوحدي، شكراً جزيلاً لك.»

«نعم، وكذلك أنا»، قال جاك، «لقد وصلت إلى هذا الحد من دونك، وقد فعلتُ ذلك عن طريق عدم الوثوق بأحد. أنا أول حام للآخرين.»

«حقاً؟ حسناً، أصبحتُ أنا الأول الآن يا صديقي»، قال غريغ، «وإياك أن تنسى ذلك. والآن، هل ستجلس أم تريدني أن أنهض وأُقعدك بالقوة؟»

«ها أنا أجلس»، قال جاك وهو يرمي بنفسه على مقعد، محكماً تثبيت حزام الأمان بينما يحاول رؤية ما يحدث أمامه.

كانت هناك شاحنة وبضع سيارات في وسط الطريق، على مسافة حوالى أربعمئة متر. بدا أن إحدى السيارات كانت تشتعل. دخان أسود كثيف كان يتصاعد ويهوج عبر الطريق. في وسط الدخان استطاع جاك أن يرى وكأنّ قتالاً ما يحدث. كان التأكد من ذلك صعباً نظراً لبعد المسافة، لم يكن متأكداً ما إن كانوا أولاداً أم راشدين، وعلى الأرجح من الاثنين.

شتم غريغ: «سنضطر إلى إيجاد طريق آخر». داس على المكابح فزمجرت الحافلة واهتزت متوقفة.

«قد يكون هناك أولاد يحتاجون إلى المساعدة»، قال جاك.

«هذا لا يُحدث أي فرق»، قال غريغ وهو يتفحص مرآيا الرؤية الخلفية،

«في الأمر خطورة ومجازفة. ليست لدينا أي فكرة عمَّ يحدث هناك أو مدى خطورة الوضع. قد تكون حرباً ضارية إذا دخلناها لا نستطيع الخروج منها. لا يمكننا المخاطرة بتحطّم أو حتى تعطّل الحافلة. فحالياً هي كل ما يبقينا في آمان. إنها حصن على دواليب وأنا أهدف إلى إبقاء الوضع على ما هو عليه. إذا أردت أن تذهب لترى إن كان هناك أولاد يحتاجون إلى إنقاذ يا رجل الوطواط، فبإمكانك النزول والسير على قدميك.»

كانت الحافلة طويلة جداً كي تستدير في مكانها، لذا استعدّ غريغ للرجوع إلى الخلف، وبدأ يناور بمشقة كبيرة عبر الطريق الطويل. كان نظام الإنذار يُصدر صوتاً لجوجاً ومزعجاً: بيب – بيب – بيب – بيب – بيب – بيب.

بقي جاك صامتاً، محدِّقاً إلى الأمام. بعد لحظات رأى أشكالاً تخرج من الدخان، تعرج، تترنح، تتعثر، تتمايل من جانب إلى آخر، لكنها تتحرك بسرعة.

«عليك أن تزيد من السرعة»، قال.

«أوه، استمعوا إلى جيرمي كلارسون يتكلم»، هزأ غريغ.

«يبدو أنهم مصابون بالمرض، لكنهم يستطيعون الركض...»

«اخرس»، زعق غريغ، «أنا أحاول التركيز هنا. لستُ سائق حافلة محترف، أم تراني كذلك؟ فجعل هذه الآليات تسير إلى الخلف بخط مستقيم أمر صعب جداً.»

كانت الأشكال التي تركض تقترب منهم أكثر فأكثر.

أصبحت على مقربة كافية الآن ليرى جاك أنهم راشدون مصابون بالوباء. كانوا في حالة فظيعة، جلودهم متقرحة، ملابسهم ممزقة ومترهلة، وقد اسودّت وجوههم من الدخان وتناثر الدم عليهم.

تمكن غريغ من الرجوع عند نقطة التفاف قبل وصول أول المهاجمين إليهم. شاب طويل وهزيل في عمر العشرين. رمى بنفسه على الزجاج الأمامي للحافلة وحاول التشبّث به. اقتلع واحدة من الماسحات فانهال غريغ بالشتائم. بعد ذلك وصل الراشدون الباقون، بعضهم يحفر بأصابعه

على الباب، وآخرون يقفزون ويضربون بقبضاتهم على الزجاج. دوّت صرخة حادة من مكانٍ ما في مؤخرة الحافلة. راقب جاك بعجز بينما كانت ماسحة أُخرى تُقتلع.

«حسناً»، قال غريغ وهو يُبدِّل من مقبض تغيير السرعة إلى الغيار الأول، «أنتم من طلب هذا.»

ضغط بقوة على دواسة الوقود فزمجر محرك الحافلة وانطلقت تنهب الأرض نهباً، تصرع أرضاً أول مجموعة من المهاجمين الذين كانوا يحاولون الابتعاد عن الطريق والهروب جانباً، وهم يصقون بغضب. سحق اثنين منهم أرضاً عندما داستهما الحافلة، ثم أدار غريغ المقود، منحرفاً إلى الطريق الجانبي.

«نحن نواجه نفس المشكلة منذ انطلاقنا»، قال، «في كل مرة أختار فيها مساراً أضطر إلى تغييره لاحقاً. وها نحن الآن فقدنا الماسحات وسيُقضى علينا إذا اشتد انهمار المطر أكثر من هذا.»

أتى إدّ للانضمام إلى جاك.

«هل كل شيء على ما يرام؟»

«ألا يمكنكما أنتما الاثنان أن تبقيا جالسين في مكانيكما؟»، صرخ غريغ.

«هل الطريق مغلق؟»

«سنعثر على طريق آخر.»

«يبدو أن بإمكاننا الاستدارة يساراً بعد مسافة ميل واحد من هنا»، قال الفتى الذي كان يجلس في المقعد خلف غريغ. كان يتفحص خريطة طريق، يدقق النظر من خلال نظاراته ذات الإطار السلكي.

«شكراً بني»، قال غريغ ثم التفت بوجهه للابتسام لجاك وإد، «هذا ما أحتاج إليه، مساعدة عملية، وليس مجموعة من المتأنقين المتبجحين لإلقاء الأوامر.»

«أخبرنا بما تريدنا أن نفعل وسنفعل»، قال إد.

«أريدكما أن تجلسا وتصمتا»، ألقى غريغ نظرة سريعة من فوق كتفه في

اتجاه ابنه، «نحن نتعامل مع الوضع بطريقة جيدة، أليس كذلك يا ليام؟»

«نعم»، قال ليام بصوت هادئ. كان نسخة مصغرة من غريغ بكل ما للكلمة من معنى باستثناء أنَّ والده كان جهورياً وعدوانياً، وهو بدا خجلاً قليلاً ويكاد يكون محرَجاً من تصرفات والده.

«فتى طيب»، قال غريغ، «لا يتكلم كثيراً، لكنه فتى ذكي. ألستَ كذلك يا ليام؟ جميع مدرسيه يقولون ذلك.»

«يسرّني التعرف إليك يا ليام»، قال إد، «أنا إد وهذا جاك.»

نظر ليام إلى الأسفل نحو الأرض وتمتم شيئاً.

«بالتأكيد كنا سنستفيد منك في الأوقات السابقة»، قال إد بلطف، «كنا بحاجة إلى قارئ خرائط ويبدو أنك مستكشفٌ بارع جداً.»

«كما أنه لم يتعلم أيّاً من ذلك في المدرسة»، قال غريغ، «فأنا من علّمه كل شيء يعرفه.»

«إلى أين كنتم تذهبون جميعاً عندما عثرنا عليكم؟»، سأل ليام بهدوء.

«كنا نحاول التوجّه إلى الريف»، قال إد، «ظننا أن الحياة قد تكون أسهل هناك.»

«أنت تمزح، ألستَ كذلك؟»، سخر غريغ، «من أين تظنون أنكم أتيتم أصلاً؟ أنتم لا تريدون الذهاب إلى الريف يا صديقي، ليس إلا اذا أردتَ وأصدقاؤك أن ينتهي أمركم كوجبة عشاء لمجموعة من الحمقى الموبوئين.»

«لا يمكن أن تكون الحال هناك أسوأ مما هي عليه في المدن»، قال إد.

«أتظن ذلك؟ كان لدى الجميع نفس فكرتك هذه – الابتعاد قدر الإمكان عن الآخرين، مغادرة البلدة، العودة إلى الطبيعة، العيش من الاعتناء بالأرض. لا بد أنهم كانوا يشاهدون الكثير من برامج Bear Grylls على التلفاز. وماذا حدث؟ خرجوا وتعرضوا للخطر والأذى في الفلاء مع غيرهم من الحمقى. و لم تكن لديهم أي فكرة عمَّ كان سيحدث لهم أو أيّ تصوّر عمَّ كان عليهم فعله عند الوصول إلى هناك. الطرقات مكتظة بالسيارات المهجورة، لهذا السبب احتجنا إلى وقت طويل للعودة إلى هنا. إشارات طرقات المدينة

عديمة الفائدة. معظمهم لم يكونوا يعرفون رأس البقرة من مؤخرتها. بعد وقت قصير بدأوا القتال على ما بقي، والذي لم يكن كثيراً، أؤكد لكم ذلك. صحيح أنه كان هناك في كل زاوية رجل وكلبه، يعتني بأرضه ويعيش من إنتاجها - رجال وزوجاتهم وحبيباتهم، وأحبة وأطفال وحيوانات. كان هناك الكثير منهم. لكن هل تعرفون ما كنتم ستعثرون عليه لو استطعتم الوصول إلى الريف؟»

«ماذا؟»، سأل جاك.

«حقول وحقول وحقول مليئة بالجثث الميتة. جثث نتنة وعفنة يتغذى عليها الذباب. كان ذلك ما ستعثرون عليه. الموت والوباء مثلما لم تتخيلوهما من قبل. فوضى مميتة. لا أملك الكلمات المناسبة لوصفها. ربما لو كنتُ ارتدت يوماً مدرسة للأثرياء، مثلكم، لكنت استطعت ضرب الأمثال أو وصفها بالشعر أو استعارة كلمات لشكسبير مثلاً. لكن الحقيقة هي أنني لست بشاعر. أنا جزار.»

«جزار؟»/ لم يعرف إد السبب لكنه وجد أن الأمر غريب نوعاً ما.

«نعم»، أومأ غريغ باتجاه حقيبة سوداء عند رفّ الأغراض فوق الصف الأول من المقاعد، «إن كنت لا تصدّقني اذهب وتفقد سكاكيني، فأنا لا أذهب إلى أي مكان من دونها.»

«أنا أصدِّقك»، قال جاك.

«حسناً، هذا جيد. ربما لا أعرف استخدام الكلمات المنمّقة أو الوصف جيداً، لكني أعرف عن الماشية بكل تأكيد؛ عن الحيوانات؛ الحيوانات الميتة أو الحية، كلها سواء... كلها لحم. هذا ما أفهمه. اللحم. هل تعرفان ما كُتب على يافطة متجري؟ أي ما الشعار الذي أتغنّى به؟ اللحم هو الحياة. أدير محلاً لبيع اللحم في أيسلينغتون. لا بد أنكما سمعتما بمتجري من قبل... ملحمة غريغ. حسناً، ربما أهلكم كانوا يعرفونه. لقد ظهرتُ في مقابلات على التلفاز عدة مرات. في The One Show وبرامج أخرى. لقد فازت نقانقي بجوائز أكثر مما قد تتخيلا. لقد سُمّيت جزار العام لعامين

على التوالي... كان ذلك أنا، حقاً. لذا لا تقولا إنني لا أعرف عن اللحم. وعندما أعرف عن اللحم فلا بدّ أن أعرف عن الحيوانات. لدي مورّديني، كما تعرفان، من مزارعين وما إلى ذلك، وعليّ أن أزورهم بانتظام كي أتأكد من مصدر اللحم. حسناً، عندما وقعت الكارثة وحدث كل ما حدث كنتُ في الريف، في إحدى المزارع بالقرب من ميدستون، برفقة ليام، فهو يحب زيارة المزارع، أليس كذلك بني؟»

أومأ ليام إيجاباً.

«المزرعة الجيدة تعني لحماً جيداً. كان أحد أفضل المورّدين لدي العجوز بول ماكلارين. قال إننا نستطيع المكوث معه حتى تنتهي الكارثة. ظننا أننا سنكون أفضل حالاً في المزرعة برفقته وبرفقة أولاده. حسناً، كان كل شيء على ما يرام، أليس كذلك؟ لقد حصّنّا المكان. لم يكن ذلك صعباً. كان لدى بول العجوز بنادق وكل شيء لإبعاد الموبوئين. كانت تلك البنادق مفيدة للتخلّص من المعتدين. كان لديه ما يشبه مدخنة في الحظيرة. دخّنّا ما يكفي من اللحم ليكفينا قوتاً، وصمدنا لبعض الوقت، لكن بعدها بفترة أصبحت الأحوال تسوء. بدأ بول العجوز وعائلته يمرضون، صحيح يا ليام؟ لم يكن ذلك جيداً. اضطررت إلى إطلاق النار عليهم وقتلهم جميعاً. الجميع باستثناء ابنه الأصغر، بول الصغير. ثم بدأت الحيوانات تصاب بالمرض. أنا جزار ولست طبيباً بيطرياً، ومن دون بول العجوز لم نكن نعرف ما كان علينا فعله. لم يعد بإمكاني المخاطرة بأكل لحمها. صدّقاني، كان الوضع جنونياً. المزيد من الموبوئين ينتشرون في القرى. جثث متعفنة في كل مكان. أدركنا أن علينا مغادرة المكان. ظننا أنه ربما من الأفضل محاولة الوصول إلى المنزل... أقصد الفتى وأنا.»

«ماذا حدث لبول الصغير؟»، سأل جاك.

«لم ينجُ»، قال غريغ ببساطة، و لم يشرح المزيد.

«عثرنا على الحافلة بعد يومين»، قال ليام.

«في الوقت المناسب»، قال غريغ، «كنتُ معتاداً على قيادة حافلة صغيرة

خاصة بمحل الجزراة، إنها عربة نقل أكثر مما هي حافلة صغيرة، لذا أعرف القليل عن هذه الآليات. أصبحت الآن بمثابة سفينة نوح هنا، أليس كذلك؟ لكانت الأحوال مثالية لولا تلك الطمّاعات الثلاثة في الخلف... أقصد تلك الفتيات.»

«ماذا ستفعل عندما تصل إلى لندن؟»، سأل إدّ آملاً أن تكون لدى غريغ خطة.

«لا أعرف، لكن لا بدّ من وجود طعام في بعض الأماكن»، رد غريغ، «لا بدّ من وجود الكثير في المتاجر والمستودعات وخزّانات المطابخ. الجميع بدأوا يخزِّنون المؤونة عندما بدأت الأحداث، ثم ماتوا جميعهم قبل أن يتمكنوا من تناول معظمه. لا بد من وجود المزيد من المؤونة في لندن أكثر من الريف، هذا ما أظنه. لكن السبب الرئيسي لعودتنا إلى هنا هو... حسناً، أخبرهما أنت يا ليام.»

«نريد أن نعود لرؤية أرسنال.»

ضحك إد: «لا أظن أنهم ما زالوا يلعبون.»

«يعرف ذلك، أيها الأحمق المتذاكي»، قال غريغ، «يعني الاستاد. ذلك المكان هو بمثابة كنيسة لي ولليام، كاتدرائية الأحلام. أمضينا أفضل أوقاتنا هناك، أليس كذلك يا بني؟ نريد فقط أن نعود إلى مدينتنا، حيث نستطيع رؤيته.»

استدار غريغ في مقعده ليتفحّص جاك وإد.

«أنتما على الأرجح تعتبران الأمر غبياً، أليس كذلك؟»

«لا»، قال جاك، «يبدو سبباً وجيهاً بالنسبة إلي بقدر سبب إرادة الذهاب إلى لندن.»

«حسناً، لستُ أحمقاً أيها الفتى.»

«لم أقل ذلك أبداً.»

«لا بدّ أن يكون لديك ما تؤمن به»، تابع غريغ كلامه، «فذلك يحثّك على التقدم؛ يمنعك من الانجراف والغرق في أفكارك السوداء.»

«أيمكنني طرح سؤال عليك؟»، سأل جاك.

«سل ما تريد.»

«لن تغضب؟»

«لا أضمن لك ذلك. فذلك يعتمد على إن كان سؤالك أحمقاً أم لا.»

«لِمَ لم تصب بالمرض مثل أي شخص آخر؟»

«لا أعرف، لا أهتم.»

«لكن هذا مهم»، قال جاك، «ظننا أن كل من يزيد عمره عن...»

«اسمع»، قال غريغ مقاطعاً جاك، «لا بد أنكم رأيتم كل شيء بأم أعينكم. بالنسبة إلى بعضهم لم يكن للعمر أو الجنس أو العرق أي فارق ما دام جميعهم فوق الرابعة عشر، معظمهم أصيبوا بالمرض مباشرةً، وخلال ساعات كان أكثرهم أمواتاً. آخرون احتاجوا وقتاً أطول ليموتوا، بضعة أيام. آخرون لم يموتوا على الإطلاق، ما زالوا يتجولون في الشوارع، يمشون على غير هدى. الوباء يصيب كل شخص بطريقة مختلفة. أنا، لا بد أنّ لدي جينات مميزة أو ربما أجسام مضادة أو مهما يكن ذلك الذي يحميني. أتفهمون؟ أو ربما أنا أقوى فحسب، أي يمكنني مقاومة المرض. أقصد، لنواجه الأمر، لا أحد يعرف لَمِ أنتم، أقصد الأولاد والأطفال، لا تصابون بالوباء. انظرا من حولكما، الجميع يتمتعون بعيون لامعة وخدود وردية. هذا ليس عدلاً على الإطلاق. فأولاد هذه الأيام مدللون، يريدون كل شيء على طبق من ذهب. حسناً، بما أن الجميع رأوا بأم أعينهم ما يحصل، فها أنتم أيها الأولاد تحظون بالعالم بأجمعه لأنفسكم. هل يعجبكم ذلك؟ ها؟ لقد تحققت أحلاكم. لقد أصبحت أمنياتكم حقيقة. لا مزيد من الراشدين المزعجين لإفساد حياتكم الجميلة عليكم، باستثناء أولئك الذين في الخارج؛ الراشدين المجانين؛ أكياس القيح المتجولة. ما الاسم الذي أطلقه الفتى الخائف عليهم؟ آباء وأمهات! ها ها ها! أهلاً بكم في الجنة. استمتعوا بوقتكم. أشعلوا الأضواء قبل أن تغادروا. والآن، هذا يكفي. أنا أتضور جوعاً. لا يمكنني الصمود أكثر على معدة خاوية. لا بد أن آكل شيئاً.»

ضغط على المكابح ونظر إلى الخلف نحو جاك وإد، مكشّراً عن ابتسامة حذرة أظهرت صفّين من الأسنان الصغيرة النظيفة.

«ماذا لو بدأتُ بكما أنتما الاثنين؟ ها؟»، دمدم، ثم انفجر ضاحكاً عندما انكمش كلّ من جاك وإد في مقعديهما.

«وجهاكما!»، قال، «يا له من مشهد.»، ضحك ونظر إلى ليام الذي كان يضحك بخجل، «هل رأيتهما يرتعشان خوفاً يا ليام؟ يا له من مشهد! يا له من مشهد عظيم!»

ثبّت المكبح اليدوي وأطفأ محرّك الحافلة.

«لا تقلقا أيها الصبيان»، قال وهو يقف ويتمدد، «أنا لا آكل الأولاد كوجبة غداء أبداً... أفضّل طبقَ سلطة لذيذ.»

20

توقفوا عند مسافة طويلة مستقيمة لطريق مفتوح حيث يمكن رؤية جميع الاتجاهات بوضوح. ففي حال اقترب أحد منهم فسيرونه بكل وضوح.

وزّع غريغ الطعام من صناديق الكرتون المكدّسة في مؤخرة الحافلة، متذمّراً خلال ذلك بأنه بوجود الركاب الجدد ستكون الحصص الموزعة أقل. تساءل جاك لَمَ التقطهم عن الطريق من البداية إن لم يكن يريدهم على متن الحافلة، لكنه لاحظ أن كل ما يريده غريغ هو أن يعرف الجميع أنه هو المسؤول.

لم يكن غداؤهم غداء خمس نجوم، فقد كان عبارة عن أكياس من رقائق البطاطا، ومعظمها من حلقات الجبن، إلى جانب القليل من الحبوب المحفوظة القديمة. ولاحظ جاك أن غريغ كان لديه طعام مختلف يحتفظ به في صندوق تبريد وُضع خلف المقعد. جلس هو وليام في مقدمة الحافلة يأكلان وحدهما.

كان جاك يجلس في وسط الحافلة مع كريس ماركر، الذي كان يأكل كيساً من رقائق البطاطا بينما يقرأ كتابه. كان جاك راضياً عن هذا الوضع، فهو لم يكن في مزاج يسمح له بالتحدث إلى أحد. لم يرد حتى أن يفكر في شيء، لذا كان يقرأ المعلومات المطبوعة على خلفية كيس رقائق البطاطا. لقد تفاجأ بكمّ المعلومات التي يستطيع أن يقرأها.

كان يقرأ عن السعرات الحرارية عندما انتبه إلى أن أحداً يقف إلى جانبه. سمع صوت مواء فنظر إلى أعلى. كانت فريديريك تحمل قفص قطتها

على مستوى نظر جاك، فاستطاع أن يرى القطة المخططة الصغيرة منكمشةً بخوف في زاوية القفص، عيناها متسعتان محدِّقتان فيه.

«هل أنتِ بخير؟»

أومأت فريديريك، وقد انزاحت للحظة ستارة الشعر المنسدلة على وجهها المدور. لاحظ جاك سريعاً عينيها المتسعتين والخائفتين بقدر عيني قطتها.

«هل حصلتِ على طعام لها؟ له؟ هل هي أنثى أم ذكر؟»، سأل.

خرج صوتٌ من خلف الشعر، صوت هادئ إلى درجة أنّ جاك ظن للحظة أو اثنتين أنه تخيله و لم يسمعه فعلياً.

«أنثى.»

«هل حصلتِ على طعام لها؟»

أومأت فريديريك مجدداً.

«ما اسمها؟»

«ديور.»، همست.

«مثل عطر ديور؟»

هزّت فريديريك كتفيها.

عرف جاك أنها تريد شيئاً لكنه لم يستطع معرفة ما هو. على الأقل كانت تتكلم، ها هي تخرج من قوقعتها الصغيرة قليلاً. كانت بداية لا بأس بها. منحها ما أَمِل أن تكون ابتسامة مطمئنة. لا بد أنها ستخبره بما تريد عندما تشعر أنها تَريد ذلك.

تحدّثت مجدداً أخيراً:

«يجب أن تخرج ديور من قفصها لدقيقة.»

«حقاً؟»

«تحتاج للذهاب إلى المرحاض.»

اتسعت ابتسامة جاك قبل أن يتمكن من منع نفسه.

«تحتاج أن تتغوط؟»

«نعم.»

«حسناً. لا بأس. لنذهب إلى الخارج. لكن ألن تهرب؟»

«لا أظن ذلك. فهي خائفة كثيراً.»

نهض جاك. فكّر: جميعنا خائفون. لكنه لم يقل شيئاً. قاد فريديريك عبر الحافلة في اتجاه المقدمة.

عندما اقترب من غريغ رأى أنه ووليام يتناولان طعاماً أفضل من الآخرين: جبن شهي الشكل، رقائق البسكويت، علبة من الفاصولياء الباردة، حتى بعض التفاح وقطع من اللحم المدخن. راقب بينما كان غريغ يقدّم بعض اللحم لليام. هزّ ليام رأسه، مركِّزاً على حفنة رقائق البسكويت التي كان يأكلها.

توقّف جاك ووضع يده على ذراع فريديريك. لم يرد أن يقاطع ويُغضب غريغ أكثر. انتظر للحظة، متنصتاً على محادثتهما.

«لا بد أن تأكل القليل من البروتين»، كان غريغ يتذمر من ليام.

«الجبن بروتين.»

«اللحم أفضل.»

«أنا بخير. لا أريد لحماً. لا أحبه.»

«هيا تناوله. إنه جيد لك. انظر إلي. أنا آكل جيداً وأنا بصحة جيدة. أنت تريد أن تكون مثلي، أليس كذلك؟»

«أنا بصحة جيدة يا أبي.»

«لن تبقى بصحة جيدة إن لم تأكل وجبة طعام متوازنة.»

لاحظ غريغ وجود جاك فتوقف عن التحدث. تقدم جاك نحوهما.

«نريد أن ننزل من الحافلة.»

تابع غريغ تناول طعامه.

«أتريدان ترك الحافلة؟»، سأل.

«لا. نريد فقط الخروج لدقيقة.»

«في ذلك مخاطرة كبيرة يا صديقي. لا تفكر حتى في الأمر.»

«أوه، بربك، الرؤية واضحة من هنا. في حال أتى أحدهم في اتجاهنا فسنراه مباشرةً ونعود إلى الحافلة.»

«لِمَ تريدان النزول في كل الأحوال؟ لتنشق الهواء العليل؟»

«تحتاج القطة إلى التغوط.»

ضحك غريغ، كما لو أنه سمع لتوّه أسخف كلام على الإطلاق.

«سأخبرك بما نستطيع فعله بهذه القطة»، قال بعدما توقف عن الضحك وسيطر على نفسه، «سنسلخها، ننتزع أحشاءها، نقطّعها ونحوّلها إلى طبق لذيذ من الكباب»، ثم استدار أخيراً لينظر مباشرةً إلى الفتى والفتاة الواقفين جانباً، «ما رأيكما بهذا؟»

شهقت فريديريك وضمّت القفص إلى صدرها بقوة. ذلك التصرف جعل غريغ يضحك أكثر.

«كنت أمزح يا عزيزتي. هل رأيتَ وجهها يا ليام؟ يا له من مشهد. لكن حقاً، هذا الحيوان سيسبّب مشاكل أكثر ممّا يساوي ثمناً. لا يمكنكِ أن تكوني عاطفية تجاه الحيوانات يا عزيزتي، خاصةً منذ وقوع الكارثة.»

«القطة هي كل ما تملك»، قال جاك، «مثلك أنت وأرسنال.»

أمعن غريغ النظر إلى جاك محاولاً أن يكتشف إن كان الأخير يسخر منه أم لا. في النهاية أخذ رأيه في عين الاعتبار.

«أفهم وجهة نظرك»، قال وفتح الباب.

«تريدان الخروج إلى المطر؟ لا بأس بذلك بالنسبة إلي. لكن عند أول إشارة لوقوع مشكلة ما سأسحب الدرج، سيُقفل الباب وسيبقى مقفلاً. مفهوم؟»

21

وقف جاك وفريديريك قرب الحافلة تحت رذاذ الأمطار. كان المطر قد خفّ قليلاً. كانت هناك رطوبة في الهواء أكثر منه انهمار مطر فعلي. كان الطقس قد أصبح أكثر برداً، فارتعش جاك. راقب بينما جلستْ فريديريك القرفصاء ووضعت قفص قطتها على الأرض. فتحت باب القفص بحذر ومدّت يدها لتُمسك بقطتها. ساعدتها على الخروج وأمسكت بها من تحت ذقنها، مربتةً عليها، هامسةً بكلمات مطمئنة في أذنها المرتعشة، ثم عطست. لسوء حظها أنّ لديها حساسية من القطط.

نظر جاك على طول الامتداد الخالي للطريق أمامه. لقد ساروا في طريق ملتوية منذ مغادرتهم روهارست، ولم يكن متأكداً ما إن كانوا على أي مقربة من لندن أكثر مما هم أقرب إلى المكان الذي انطلقوا منه.

نزل إد من الحافلة، محكماً إغلاق سحاب سترته.

«ماذا تفعل؟»

أومأ جاك في اتجاه فريديريك: «تحتاج القطة إلى التغوط.»

ابتسم إدّ وقال: «من المريح الخروج إلى هنا»، وألقى نظرة سريعة إلى الخلف ليتأكد من أن غريغ لا يسمع محادثتهما، «الجو خانق قليلاً، إذا كنت تفهم ما أعني. غريغ من النوع... حسناً، إنه يفرض وجوده.»

«أكره هذا النوه من الأشخاص»، قال جاك، «فهم يحاولون دائماً فرض أنفسهم في المكان. إنه متنمر.»

«نعم، لكن تذكّر لولاه لكنّا جميعاً في عداد الأموات. أولئك المراهقون

الموبوؤن كانوا...»

ألقى جاك إدّ بنظرة تحذيرية وهو يومئ في اتجاه فريديريك التي كانت تضع قطتها بلطف بين الحشائش الطويلة على جانب الطريق. كانت الفتاة مذعورة. لم يكن هناك من جدوى في جعل الأمور أسوأ، أي بتذكيرها كيف كادت تُقتل.

همس إد كلمة «آسف» وسار جاك نحو فريديريك. كانت القطة تنظر من حولها بتوتر، ثم مطّت جسمها وركضت بسرعة في اتجاه إحدى الأجمات حيث بقيت تنظر نحو فريديريك.

«هل أنت متأكدة من أنها لن تهرب؟»

«لدي طعام. ستعود من أجل الطعام»، أخرجت فريديريك علبة صغيرة من طعام القطط من جيب معطفها وفتحت الغطاء.

«لم أرد أن أفتحها في الحافلة. كنتُ قلقة من أن يراها أحدهم ويأخذها مني. إنه طعام مخصص لها.»

«سأتأكد من أن يدعوكِ وشأنك»، قال جاك، «هذا طعامك، يمكنك فعل ما يحلو لك به.»

«شكراً لك. سأضعها في قفصها عندما تنتهي»، قالت شيئاً للقطة بالفرنسية. تفقدت القطة محيطها مرة أخرى ثم مشت بحذر على أرجل متصلبة لتدخل تحت الأجمة، تمشي برفق إلى داخل المساحة الخضراء المرتوية.

كان غريغ يراقب ثلاثتهم عبر النافذة.

«انظر إلى أولئك الأغبياء»، قال لليام وضحك، «إنهم حتى لا يشعرون بأي فزع.»

«هل لا ضير في أن تخاف يا أبي؟»، سأل ليام بهدوء.

«قليلاً يا بني، لا ضير في القليل من الخوف. فذلك يُبقيك حذراً ومتيقظاً لسلامتك.»

«هل تصاب بالخوف؟»

«بالطبع أفعل، وإلا لن أكون بشراً، أليس كذلك؟ لكن لا داعي لتكون خائفاً يا ليام، لأنني سأكون دائماً هنا لأعتني بك.»

«أنا أحاول يا أبي. أحاول ألا أخاف... لكنني لستُ مثلك حقاً. أنت رجل.»

لفّ غريغ ذراعه حول ليام وضمّه إلى صدره.

«اسمع يا ليام، كل ما أفعله هو من أجلك أنت. ربما يكون كلامي مثل أغنية عاطفية سخيفة، لكنه الواقع. أنا لا أبالي بنفسي، عشتُ أم مت، ولأكون صريحاً، قبل أن أتأكد من أنك ستكون دائماً بخير وأنّ مكروهاً لن يمسّك أبداً، فأنا لا أنوي أن أترك هذه الحياة في أي وقت مستقبلي قريب، اتفقنا؟ ليس وأنت بحاجة إلى عنايتي. مهمتي الآن هي كما كانت دائماً، منذ اليوم الذي ولدتَ فيه، حمايتك. إنه عالم خطر في الخارج يا بني، ومن دوني سيُقضى عليك خلال خمس دقائق.»

«أعرف ذلك يا أبي.»

«لذا عليك أن تستمع إليّ وأن تنفذ كل ما أقول، لأنه إذا حصل مكروه لك فسيُجن جنوني. ربما هذا ما يجعلني بصحة جيدة، لا؟ حبي لك.»

«ربما يا أبي.»

ربت غريغ على رأس ليام براحة يده.

«أنت فتى طيب. أنا فخور جداً بك بني، فخور جداً. أنت كل ما أعيش من أجله.»

وقف إد عند الدرجة الأدنى للحافلة ليتمكن من رؤية المحيط بشكل أفضل. كان متوتراً لوقوفه في الخارج لكنه أراد أن يكون قريباً إلى جاك، رغم أنه كان واضحاً أن جاك لم يرده في الأنحاء. كان يحاول التحدث إلى فريديريك وشعر إد أنه دخيل عليهما. ربما إن راقب المكان فسيكون ذا نفع لصديقه.

كان جاك يراقب القطة وهي تجلس بين الأعشاب.

«اسمعي يا فريديريك»، قال، «أعرف أنك مررتِ بأوقات عصيبة جداً،

جميعنا فعلنا. لكن... إذا أردتِ التحدث بشأن أي من هذا، تعرفين، ربما ذلك سيُشعرك بحال أفضل.»

«أنا خائفة»، قالت بطريقة عصبية.

«جميعنا خائفون»، قال جاك.

«لا، أنت لا تفهم قصدي. لا يمكنك أن تفهم. أنا خائفة جداً.»

«بل أفهمك تماماً. منذ مات والدك...»

«نعم.»، أمسكت فريديريك بساعِد جاك، «نعم. أنتِ على حق. أنا خائفة منذ موت والدي.»

«لكننا جميعاً معاً الآن، نحن بأمان على متن الحافلة. سأعتني بك. غريغ سيعتني بك. جميعنا سنعتني بك. انظري، حتى إد يراقب المكان من أجلنا.»

«لمَ غريغ ليس مريضاً؟»

«لا أعرف صدقاً»، هزّ جاك رأسه، «هو لا يعرف أيضاً. ربما ذلك الوباء لا يؤثر على الجميع.»

ابتسمت فريديريك للمرة الأولى، وكان ذلك مثل مجموعة غيوم ابتعدت لتنبلجِ شمساً مشرقة تبعث الدفء والضوء. تغيّر وجهها بأكمله وأصبح جاك فجأةً مع شخص آخر.

بدت جميلة جداً عندما ابتسمت.

«نعم»، قالت وهي تومئ برأسها، «ربما لن يمرض الجميع. ربما كل شيء سيكون على ما يرام.»

«أترين؟»، قال جاك، «لا داعي لفقدان الأمل.»

«نعم»، كانت فريديريك تومئ برأسها بقوة، مبتسمةً وباكية في وقت واحد. ثم هبَّ نسيمٌ بارد، فسعلت سعلة خفيفة حاولت كبتها قدر الامكان حتى لا تُزعج القطة.

«إذاً، كيف أتيتِ إلى روهارست؟»، سأل جاك، «أقصد، أعرف أن والدك كانت هناك وكل ذلك، ولكن...»

«كانت أمي لا تزال تعيش في فرنسا، في باريس، لكن أبي هجرها. كانا

يتشاجران طوال الوقت. كنتُ في المدرسة في باريس لكني كنتُ أشتاق إلى والدي. أمي كانت أول من أصيب بالوباء. أرسلتني إلى إنكلترا لأكون مع أبي، ظنّت أنني سأكون بأمان أكثر هنا. كانت تظن، لأن إنكلترا جزيرة فستكون الحال أفضل ولن تتأثر بالوباء. أتيت على متن قطارات يوروستار. واجهتُ صعوبات كثيرة عند وصولي. استغرقت وقتاً طويلاً للوصول من لندن إلى روهارست، وعندما وصلت كان الوضع سيئاً جداً. أبي كان يحاول حمايتي، لذا اختبأنا في شقته وأبقينا الستائر منسدلة طوال الوقت، لكن... بعدها... البارحة، خرج من الشقة و لم يعد. أعرف أنه كان مريضاً. لقد رأيت العوارض... أليست عوارض هي الكلمة الصحيحة؟»

«نعم، عوارض»، قال جاك، «إنها الكلمة الصحيحة.»

«حسناً. رأيت أبي يمرض مثل أمي. أظن أن ذلك هو سبب تركه لي. لم يرد أن يؤذيني. لكنني لم أره بعد ذلك. ثم أتيت أنت. لقد أنقذتني يا جاك.»

رأى جاك أن فريديريك كانت ستفقد السيطرة على أعصابها مجدّداً لذا لفّ ذراعه حولها وساعدها على الوقوف ثابتة. شعر بالنذالة لأنه هو من اضطر إلى قتل والدها، لكن كان عليه فعل ذلك، خاصةً أنه لم يكن ذلك الرجل البشري الذي كان عليه سابقاً. تساءل في نفسه إن كان سيتمكن يوماً من إخبارها. أما الآن، فلم يكن الوقت المناسب أبداً. أحس بفريديريك دافئة ومبللة ونحيلة جداً. كانت ترتعش من البرد. ربت على ظهرها وهو ينظر من فوق كتفها.

مرّ وقت قصير قبل أن يدرك أن القطة قد اختفت عن الأنظار.

«ديور؟»، قال وهو يبتعد عن فريديريك، «أين هي؟»

«لا تقلق»، قالت فريديريك، «إنها هناك، لكنها تحتاج إلى الخصوصية وإلا لن تتمكن من فعل ما عليها فعله.»

«أعرف كيف تشعر»، قال جاك مع ابتسامة خبيثة.

خبت ابتسامته عندما ناداهما إد.

«صديقاي!»

عند آخر الطريق، في الاتجاه الذي أتوا منه، رأى جاك أشكالاً داكنة تتحرك.

«راشدون؟»، سأل.

«أظن ذلك.»

«هل هم قادمون في اتجاهنا؟»

«هذا ما أستطيع استنتاجه.»

تفحّص جاك الطريق بنظره. استطاع أن يرى أشكالاً بعيدة فقط. استدار إلى فريديريك مجدداً: «علينا الذهاب. أحضري القطة، أيمكنك ذلك؟»

«لم تنته بعد. لن تخرج حتى تنته مما تفعل.»

«حسناً، لدينا دقائق قليلة، لكن إنَ رأى غريغ أولئك الزومبي المتوحشين فقد يغادر من دوننا.»

«لدينا وقت. إنهم لا يزالون على مسافة بعيدة.»

«على مسافة بعيدة، لكنهم يقتربون أكثر فأكثر»، قال إد وهو يغطّي عينيه بيده من رذاذ المطر.

انحنت فريديريك ووضعت علبة الطعام داخل قفص القطة. ثم بدأت تصدر أصواتاً لتغري ديور بالخروج والعودة إلى القفص. كان جاك لا يزال لا يرى أي أثر للقطة. تنقّلت نظراته من المساحة الخضراء إلى الطريق، من الطريق إلى الأجمة، جيئةً وذهاباً.

لا أثر للقطة في أي اتجاه... راشدون يقتربون أكثر فأكثر في الاتجاه الآخر.

«هيا»، حثّهما إد، متنقلاً بثقله بتوتر من قدم إلى أخرى.

«قف عند الباب»، قال جاك بصوت منخفض، «حتى لا يتمكن غريغ من إغلاقه.»

«حسناً»، فعل إد ما طُلب منه.

«هيا أيتها القطة»، قال جاك منضمّاً بنداءاته إلى فريديريك.

«لا»، دفعته فريديريك بعيداً، «لن تخرج إن كنتَ هنا أيضاً.»

«إن لم تخرج قريباً فسنضطر إلى تركها.»

«لن أتركها. كانت قطة والدي، أهديته إياها عندما كانت هرة صغيرة. كان آخر طلب له مني قبل مغادرته هو أن أعتني بها وأطعمها، والآن ها هو قد رحل وهي كل ما بقي لي منه.»

«لكن أين هي؟ لا أراها في أي مكان.»

«إنها هناك.»

«أين؟» أراد جاك أن يقول الكثير من الأشياء، أن ديور مجرد قطة، أن حياتها أهم من حياتها، أن القطة قد تكون بحال أفضل إن بقيت لوحدها في البرية... لكنه لم يتفوّه بكلمة واحدة مما جال في ذهنه. وقف هناك يتبلل برذاذ المطر ويشعر بالخوف يتزايد في داخله.

«هل أنتِ متأكدة من أنها هناك؟»، سأل محاولاً التماسك قدر الإمكان.

كانت تلكَ الأشكال القادمة تقترب أكثر فأكثر حتى أصبح بإمكانه رؤية أشخاصٍ منفردين. لم يكونوا أولاداً، هذا أمر مؤكد. رجال ونساء، أمهات وآباء، حوالى عشرين منهم.

كانت مسألة وقت قبل أن يراهم غريغ.

«فريديريك، عليكِ أن تتركيها. أنا لا أرى أي أثر لها. لقد هربت على الأرجح.»

أصدرت فريديريك المزيد من الأصوات. «إنها هناك، لكنها متوترة وخائفة.»

«هذا ليس شعورها وحدها. تعالي، تعالي أيتها القطة... إن كنتِ ترينها، ألا تستطيعين الذهاب إليها وجلبها؟»

«لا. إذا حاولتُ ذلك وهي خائفة فقد تهرب بعيداً.»

«هيا... سنضطر إلى تركها.»

«أنتم!»، صرخ غريغ من داخل الحافلة، «هيا اصعدوا. من سيصعد منكم؟ أرى حركة قادمة في هذا الاتجاه.»

«نحن قادمون»، قال جاك، «أمهلنا دقيقة.»

«ابتعد عن الباب حتى أتمكن من إغلاقه.»

«لا. كل شيء على ما يرام»، أتى صوت إد مرتعشاً، «أنا أراقب المكان. ما زال أولئك الناس على مسافة بعيدة جداً منا.»

«لقد رأيتهم فعلاً، أليس كذلك؟ لَمَ لم تقل شيئاً بشأنهم؟»

«إنهم على مسافة أميال منا.»

«لا يهم، لن أخاطر في أي شيء. والآن ابتعد عن طريقي حتى أتمكن من إغلاق الباب.»

«تعالي، تعالي أيتها القطة...»

«ابتعد عن الباب!»

«عليهما إحضار القطة فحسب»، قال إد.

انهال غريغ بالشتائم، فلم يترك كلمة بذيئة إلا ونعت القطة بها. لم يكن في وسع جاك إلاّ أن يوافقه الرأي، فهو لم يرد أن يُترك هنا من أجل قطة، لكنه في الوقت نفسه وعد فريديريك بأنه سيبقى معها.

«تعالي، تعالي أيتها القطة...»

نظر عبر الشارع.

يا إلهي.

لم يكن الراشدون يتحركون بسرعة كبيرة لكنهم كانوا يتقدمون بثبات نحو الحافلة، يتنفسون عبر أفواههم، واللحم النتن يتدلى من وجوههم. الوالدة، التي بدت أنها تقود المجموعة، كانت ذات عينين متورمتين مسودّتين مثل بيضتين مسلوقتين. كانت صلعاء كلياً وقد سُلخت رقعة من اللحم عن جمجمتها وقد أحاطت بها حلقة من الدمامل.

«تعالي أيتها القطة، هيا يا ديور، هيا أيتها القطة...»

«إنني أراها.»

«أين؟»

ظهر وجه القطة من بين الأعشاب الطويلة وتسللت نحو فريديريك وكأنها تستشعر الأجواء المتوترة.

كانت فريديريك تبتسم لها وتطقطق أصابعها ببعضها في حركة لتُصدر

حفيفاً تجذبها من خلاله.

حمداً لله.

دوّى صفير وقعقعة عندما شغل غريغ محرك الحافلة فتراجعت القطة عائدةً إلى الأجمة.

«أيها الحقير!»، صرخ جاك.

صرخت فريديريك: «إنها خائفة جداً.»

«كل ما عليك محاولة فعله هو الإمساك بها»، قال جاك، «لا نستطيع الانتظار. الحافلة ستنطلق من دوننا.»

سمعوا غريغ يصرخ من خلف المقود: «ابتعد عن الباب وإلا سأركلك خارجاً.»

«انتظر لحظة»، صرخ إد به، «يكادان يمسكان بها.»

«يمكنني القيادة والباب مفتوح كما تعرف!»

«فريديريك!»، صرخ جاك، «عليك فعل شيء ما!»

22

كانت فريديريك تستطيع فقط رؤية ذيل ديور يظهر من بين الأعشاب. لقد فزعت القطة المسكينة من الأصوات، من الضجة. لو تُركت فريديريك وحدها لتنجز المهمة لكانت انتهت منها الآن.

كم من الوقت لديها؟

نظرت نحو الشارع للمرة الأولى وأنفاسها تكاد تخنقها.

كانت المجموعة الصامتة من الراشدين تكاد تصل إليهم. كان الوباء قد نهش أجسادهم، فتشققت جلودهم ونتأت عظامهم وانتفخت شفاههم وتكسرت أسنانهم، كما لو أنهم خضعوا لعملية جراحية. بعضهم كانوا عراة كلياً، ولحمهم المترهل يتمايل من جانب إلى آخر وهم يترنحون متقدمين.

«أرجوكِ يا فريديريك»، بدا أن جاك على وشك البكاء.

شعرت فريديريك بالسوء. لم ترد أن تكون مسؤولة عن حدوث أي شيء سيئ.

«حسناً»، قالت لنفسها، «إنها مجرد قطة.»

مجرّد قطة. لم يكن والدها ليقبل أن يموت أحد بسببها.

ستحاول أن تلتقط ديور في الحال. إذا هربت فستتركها. كان ذلك الحل الوحيد. من دون تفكير لوقت أطول خطت إلى الأمام بسرعة وسلاسة محاولةً عدم القيام بأي حركات مفاجئة. حدقت ديور فيها بحذر، مستعدةً للقفز جانباً. في اللحظة الأخيرة مالت فريديريك إلى الأمام وأمسكت بها.

قفزت ديور.

فات الأوان.

كانت يدا فريديريك قد قبضتا عليها. قاومت القطة وركلت، أطلقت مواءً متوحشاً لكنها سرعان ما هدأت.

ركضت فريديريك نحو جاك الذي كان يحمل قفص القطة مستعداً لالتقاطها.

أدخلت ديور في القفص وأغلق جاك الباب.

«اصعدا إلى الحافلة!»، صرخ إد، «بسرعة!»

كانت الحافلة تتحرك. مال إد إلى الخارج وأمسك بفريديرك لمساعدتها على الصعود. زادت الحافلة من سرعتها. رمى جاك بقفص القطة إلى إد الذي التقطه بانتباه ووضعه على أرضية الحافلة.

«هيا يا جاك!»

وقفت فريديريك تراقب عبر النافذة.

كان جاك يعدو، قدماه تصفعان الإسفلت الرطب، فاغراً فمه، أسنانه تصطك من الألم واليأس. مدّ يده. كانت الحافلة تبتعد عنه.

«هيا!»، صاح إد.

دفع أحدهم فريديريك جانباً، الفتى الضخم بام، وأمسك بذراع إد.

«تمدّد إلى الخارج!»

أرجح إد جسمه إلى الخارج وأصابعه معلقة في الهواء. صرخ جاك ورمى بنفسه نحو إد الذي استطاعت أصابعه بطريقة ما أن تقبض على معصم صديقه وتشدّه إلى درجات الحافلة.

وقع الفتيان الثلاثة، جاك يلهث، إد وبام يضحكان بهستيرية.

«كان ذلك وشيكاً»، زمجر غريغ، «إذا تلاعب أحدكم بي مجدداً فسأرميه خارج هذه الحافلة ولن أنظر خلفي أبداً. هل كلامي واضح؟»

«كان بإمكانك الانتظار»، أتى صوت جاك جافاً ذا نبرة غاضبة.

«لستم الأشخاص الوحيدين على متن الحافلة»، بصق غريغ وهو ينظر إليه، «إياك أن تنسى ذلك أيها الفتى. وأنا لا أقصد نفسي. هناك أولاد

آخرون. لقد عرضتموهم جميعاً للخطر، ومن أجل ماذا؟ تطة! قطة لعينة.»
«لم يتأذَّ أحد»، قال إد محاولاً تهدئة الوضع، «لم يتعرض أحد لأي خطر حقيقي.»
«اجلس واخرس»، قال غريغ.
شتم جاك غريغ بصوتٍ منخفض جداً. أدرك غريغ أنه سمع شيئاً لكنه لم يستطع أن يعرف ما هو.
«أنت تثير أعصابي منذ صعودك هذه الحافلة»، قال وهو يُحرّك مقبض تغيير السرعة، «وبدأت أكره وجودك هنا أكثر فأكثر أيها الفتى المزعج. أنت مزعج حقاً».
«الشعور متبادل»، دمدم جاك ومشى للجلوس في مكانٍ ما. تبعه كل من فريديريك وبام.
راقبهم إد. لكن على أرض الواقع كان غريغ علي حق. لقد عرضهم جاك جميعهم للخطر. كان إد يتحرك بعدم راحة. لقد أصيب بذعر كامل وكان لا يزال يختبر ارتفاعاً في الأدرينالين. لقد احتاج إلى كل ذرّة من الشجاعة للبقاء على تلك الدرجات بينما كان الراشدون يقتربون أكثر فأكثر.
وعندما بدأت الحافلة تتحرك للمغادرة... أخذ نفساً عميقاً وابتلع شيئاً علق ككتلة في حلقه.
انحرف غريغ ليتفادى شيئاً على الطريق وكاد إد أن يقع. بحث عن مكان يجلس فيه. كان جميع الأولاد الأصغر سناً قد انتقلوا إلى مقدمة الحافلة للجلوس مع ليام، في أقرب مكان لغريغ. رغم كل ما حدث كانوا لا يزالون بحاجة إلى حماية شخص راشد لهم وقد وجدوا ذلك الاطمئنان لدى الراشد الضخم والقوي غريغ.
جلس آرثر وويكي على المقعد الموازي لمقعد ليام وزهرة وأخيها الأصغر فروغي الذي جلس خلفهم، وبالقرب من ليام، الفتى الأطول من بين الأصغر سناً، الذكي جاستن.
امتلأت الصفوف الثلاثة التالية بمات وأرتشي بيشوب والفتيان الآخرين

من الكنيسة. جلس إد خلفهم، إلى جانبه كوانيلي وكريس ماركر.

ابتسم لنفسه.

الأمر الأهم هو أنه لم يبارح درج الحافلة، أليس كذلك؟ لم يدع غريغ يغلق الباب. لقد سحب جاك إلى الحافلة. استطاع هذه المرة أن ينقذ صديقه.

لقد فعل الشيء الصواب هذه المرة.

في مقدمة الحافلة جلس آرثر يتحدث مثل عادته. بدا أنه يملك زاداً لا ينتهي من الكلمات التي تجول في رأسه، كلمات تنتظر لتخرج عبر فمه.

«لا أظن أنهم كانوا سيتمكنون من اللحاق بنا»، كان يقول، «وحوش الزومبي أولئك كانوا بطيئين، ليسوا مثل الذين هاجمونا سابقاً عند «فيز»... كانوا مثل الزومبي الخارق، كانوا سريعين جداً، أتساءل كم كانوا أسرع من غيرهم، ربما الأصغر سناً لا يتأثرون كثيراً بالمرض...»

«لا أظن أن أولئك الزومبي يستطيعون الركض بسرعة»، قال فروغي وقد علت وجهه نظرة من الاهتمام بالنقاش الدائر.

«حسناً، تقنياً هم ليسوا وحوش زومبي»، قال جاستن.

«ماذا تقصد؟» سأل فروغي.

«أقصد أنهم ليسوا وحوش زومبي»، تابع جاستن، «فهم ليسوا موتى أحياء.»

«نعم»، قال ويكي، «لكن الزومبي الحقيقي لا يكون ميتاً أيضاً. الزومبي الحقيقيون هم أشخاص أُعطوا مخدراً ليبدوا أمواتاً، ثم أُنعشوا على يد مشعوذ وذلك ليحققوا كل ما يأمرهم به.»

«حسناً، إذاً هم ليسوا من هذا النوع من وحوش الزومبي أيضاً، أليس كذلك؟» سأل جاستن.

«لا.»

«إذاً، هم ليسوا من أي نوع من وحوش الزومبي.»

«ما الاسم الذي سنطلقه عليهم إذاً؟»، سأل آرثر، «علينا أن نطلق اسماً عليهم. أقصد، معظمهم من الراشدين، يمكننا تسميتهم الراشدين لأنه لم يبقَ

هناك أي راشدين طبيعيين، وهكذا سنعرف دائماً عمّن نتحدث، أو يمكننا أن نسميهم أمهات وآباء، تفهمون قصدي؟ مثلما سماهم الفتى الخائف. هكذا أفكر بهم أيضاً، أمهات وآباء، عدا عن أن أمي وأبي الحقيقيين ليسا من بينهم، فهما لم يكونا وحشيّ زومبي.»

«هؤلاء ليسوا زومبي أيضاً»، أصّر جاستن، «هذا ما كنت أحاول أن أشرح.»

«يمكننا أن نسميهم غيلان»، قال ويكي.

«ماذا عن شياطين؟»، اقترحت زهرة.

«أو متوحشين»، قال فروغي.

«يمكننا أن نسميهم بهائم»، قال ويكي.

«أفضّل اسم زومبي»، قال آرثر.

«وأنا أيضاً»، وافق فروغي.

«لكنهم ليسوا وحوش زومبي!»، بدأ جاستن يغضب.

«أعرف ذلك»، قال آرثر، «لكنهم يتصرفون مثل الزومبي ويمشون مثل الزومبي، باستثناء أولئك الذين يستطيعون الركض، السريعين منهم، وهم أغبياء مثل الزومبي، ويأكلون البشر مثل الزومبي.»

«هل هم من أنواع مصاصي الدماء؟»، سأل فروغي.

«بطريقة ما»، قال ويكي، «هم يسعون خلف لحم البشر، وليس فقط الدماء.»

«لَم برأيكم هم يفعلون ذلك؟»، سأل فروغي بطريقة وكأنه يناقش عادات الأكل لدى حيوان أليف.

«هذا سؤال جيد»، قال جاستن، «علينا أن نُجري دراسة عن سلوكهم. إذا استطعنا فهمهم أكثر فقد نتمكن من العمل بطرق أفضل للدفاع عن أنفسنا أمامهم، وربما حتى التغلب عليهم. نحن أذكى منهم، لذا هذا يمنحنا الأفضلية عليهم.»

«قد نكون أذكى منهم»، قال ويكي، «لكنهم أقوى.»

«الذكاء يغلب القوة في كل مرة»، قال جاستن وهو يُخرج من جيبه دفتر ملاحظات صغير وقلم حبر، «لذا دعونا نعقد اتفاقاً. سنستخدم عقولنا لنجد الطريقة الفضلى للبقاء على قيد الحياة. سنكون عقولاً خبيرة.»

«ما هي العقول الخبيرة؟»، سأل فروغي.

«إنها مجموعة باحثين.»

«ما هي مجموعة الباحثين؟»

«إذا كنا لا نعرف معنى هذا»، قال آرثر، «فلا أرانا أبداً العقول الأذكى في العالم.»

«حسناً، نحن أذكى من تلك الزمرة في الخارج»، قال جاستن.

«أتقصد الزومبي؟»

«ليسوا زومبي!»

«إنهم موبوؤن»، دمدم غريغ من خلف المقود، «هذا ما أسميهم به، موبوؤن.»

«نعم»، قال جاستن مبتسماً. كتب الكلمة في دفتر ملاحظات ووضع خطاً تحتها: «موبوؤن، هذا تعبير ممتاز لحالتهم. من الآن وصاعداً هم رسمياً ليسوا وحوش زومبي، إنهم موبوؤن.»

23

أحسّ جاك بالسخونة والتعرّق. كان قد سقط بقوة عندما سحبه إد وبام إلى الحافلة. كان قد كشط ذقنه على الدرجات، لكن لم يحس بالألم بعد، سيحس به لاحقاً، كان يعرف ذلك. جلس مع فريديريك على صف المقاعد بالقرب من بام وصديقه المصاب بيرز. كان بيرز يستعيد وعيه ثم يفقده من حين لآخر وذلك منذ صعودهم إلى الحافلة. أما قطعة القماش التي كان بام قد ربطها حول رأسه فقد تطلخت بكل ظلال اللون الأحمر، من الزاهي إلى القرمزي إلى ما يشبه السواد. كان قد توقف النزيف لكن بيرز بدا أبيض بياض الطبشور وكان وجهه مطلخاً بالدم الجاف.

لم تبدُ فريديريك بحال أفضل. كانت ترتجف كما لو أن أحدهم قد صعقها بقطب كهربائي وأن تياراً كهربائياً يسري عبر جسدها. أدرك جاك أنه كان يرتجف أيضاً وأن لديه شعوراً بمرض باطني في داخله. وضع رأسه بين ركبتيه وأخذ عدة أنفاس عميقة. أغمض عينيه وانتظر حتى تختفي تلك الطرقات التي يسمعها في رأسه.

حالما بدأ يشعر أنه يستعيد بشريته مجدداً عاد وجلس مستقيماً. للحظة رأى بقعاً ملونة متراقصة أمام عينيه وشعر بأن دماغه قد انحلّ من مكانه وأن الأشياء أصبحت خفيفة، راوده إحساس كما لو أنه يطفو خارجاً من جسده. قبض على ذراع المقعد بقوة، وبدأ كل شيء يعود ببطء إلى طبيعته، حتى عاد إلى الحافلة مجدداً.

«هل أنتَ بخير؟»، كان بام ينظر إلى جاك باهتمام وقلق.

«لا أعرف صدقاً»، فرك جاك وجهه، «كيف حال بيرز؟»

قام بام بحركة بيديه كما لو أنه كان يزن شيئاً: «قد تكون أسوأ. إنه نائم الآن. استطعت أن أجعله يشرب القليل من الماء وتناول بعض الطعام. معظمه كان من رقائق البطاطا لكنه أفضل من لا شيء على ما أظن. جروحه ليست عميقة، وفقاً لما أستطيع رؤيته، لكنه فقد الكثير من الدم. سيكون من الصعب جداً أن يستعيد عافيته.»

«هل وضعتَ شيئاً على الجرح؟ بعض المطهر أو شيئاً من هذا القبيل؟»

«نعم. لدى غريغ صندوق خاص. سكبت على الجرح القليل من معقم سافلون، هذا ما كانت أمي تفعله دائماً عندما أجرح نفسي، معقم سافلون وحساء.»

«مقرف.»

«ليس معاً. المعقّم على الجرح ثم زبدية ساخنة من الحساء، كريما الدجاج. كان ذلك يحدث عندما أهشّم نفسي في مباراة، وذلك أمر كان يحدث تقريباً كل أسبوع. قد أقتل أحدهم من أجل بعض حساء الدجاج في هذه اللحظات.»

«وأنا أيضاً.»

«يحتاج بيرز فعلاً إلى طعام صحي. لا يمكنه العيش على الرقائق. إذا استطعنا الحصول على بعض من ذلك اللحم المدخّن الذي خبّأه غريغ في صندوق التبريد، ذلك الطعام قد يكون جيداً له.»

«يمكنك أن تجرّب جلبه بنفسك»، قال جاك، «فهو لا يطيقني. أشك في أنّ تدخلي سيحرز أي نتيجة. رغم كل ما يقوله غريغ، فهو فعلياً يعتني بنفسه وبليام.»

«تلك النسخة المطابقة له؟»

«نعم.»

ارتجّ مقعد جاك إلى الأمام كما لو أنّ أحدهم اصطدم به من الخلف. علت ضحكة بنّاتية، فأدرك بأن هناك من يتجمهر خلفه.

«هل هي حبيبتك؟»

كانت بروك وصديقتاها. كنّ يملن فوقها، يضحكن ويعاينّ فريديريك من رأسها حتى أخمص قدميها. تساءل جاك لَمِ رآهن دائماً متشابهات. في الواقع بدونَ مختلفات، كورتني ضخمة وغريبة الشكل، بروك نحيلة وشقراء، وأليشيا صغيرة القد وداكنة اللون.

«أهي حبيبتك؟»، كررت بروك سؤالها.

«لا.»

«ما اسمها؟»

«فريديريك. إنها فرنسية.»

«لقد اكتفينا من الفرنسيين عندما كنا في كاليه»، قالت كورتني، «فرنسا مزبلة.»

شعر جاك بالغضب ينفجر من أحشائه. التفت في مقعده وواجه الفتيات اللواتي تراجعن إلى الخلف متفاجئات.

«لم لا تتوقفن عن هذه التفاهات؟ ها؟ لَم لا تأخذن فترة راحة؟ لقد مرّت بمصاعب كثيرة. لقي والدها حتفه هذا الصباح. إنها بشرية مثلكن. أتفهمن؟»

كانت بروك أول من خطا إلى الأمام. أطلقت صيحة استغراب طويلة خافتة أوووووه، وحاجباها مرفوعان استغراباً، وقد تجعّد فمها على شكل دائرة.

«إنها حبيبتك بكل تأكيد.»

وضعت أليشيا يدها على ذراع صديقتها وقد علا وجهها تعبير اهتمام.

«إنه على حق يا بروك»، قالت، «دعي الأمر. لا داعي لتكوني مزعجة طوال الوقت. نحتاج جميعاً إلى أن نكون أصدقاء.»

بدت بروك مذهولة. لم تعد تعرف تماماً كيف تتصرف.

«كنتُ أمزح فحسب.»

«نعم، وأنا أيضاً»، قالت كورتني، تبدو على ما يرام. هل أنت بخير يا عزيزتي؟»

أومأت فريديريك برأسها من دون الالتفات للنظر إليهن.
مررت كورتني لها نصف لوح شوكولاته من نوع مارس.
«أتريدين هذا؟ كنتُ أحتفظ به، لكن يمكنك الحصول عليه إن أردتِ.»
هزّت فريديريك رأسها.
«ستكون بخير»، قالت أليشيا بلطف وابتسمت لفريديريك.
«اسمع»، قالت بروك، «لننسَ هذه اللحظة المؤثرة وكل ذلك، لكننا نحتاج جميعاً أن نعرف موقعنا هنا... هل هي حبيبتك أم لا؟»
«برووووك!»، قالت أليشيا وهي تميل برأسها إلى الأمام.
«ماذا؟»، قالت بروك، «نحتاج أن نعرف.»
«لِمَ تأبهن لذلك؟»، ردّ جاك، «يبدو أنني لا أُحتسب في عالمكنّ بسبب وحمتي، فأنا مجرد شخص غريب الشكل.»
«إذاً، أهي حبيبتك أم لا؟»
«أوه، انسين الأمر»، رمى جاك بظهره على مقعده فاستدارت الفتيات عائدات إلى مقاعدهن في مؤخرة الحافلة وهن يتشاجرن بصوت مرتفع.
كانت فريديريك ترتجف أكثر من أي وقت مضى، وكان جاك يكاد يلفّ ذراعه حولها ليحضنها عندما أدرك أنها كانت تضحك. لم يستطع منع نفسه من الانضمام إليها. هذا الموقف برمّته كان سخيفاً جداً. كان العالم ينهار وما زال الناس لا يستطيعون التفكير خارج تلك الدائرة التي عاشوا فيها طوال حياتهم.
لم ترد صورة والد فريديريك أن تفارق مخيلته وهو يقف ولوح الخشب معلّق بمساميره في رأسه، وذلك جعله يضحك أكثر فأكثر.
لم يعد يرى أيَّ منطق في هذا العالم.
مال جانباً بالقرب من فريديريك ورسم وجهاً باسماً على النافذة.

24

مدّ كريس ماركر ذراعه ليصل إلى رف الأمتعة لإنزال حقيبة كتبه. كان قد انتهى من قراءة كتاب *Fever Crumb* وعليه أن يبدأ قراءة كتاب جديد. شعر دائماً أنه يستعجل في الانتهاء من قراءة كتاب. كان يقرأه بسرعة للوصول إلى الخاتمة ثم يتساءل في نفسه لمَ لم يقرأه ببطء أكثر حتى يجعل المتعة تدوم أطول. بالطبع يستطيع دائماً أن يقلّب الصفحات ويعود إلى الصفحة الأولى وقراءته مجدداً، كما كان يفعل أحياناً. أما الآن فقد أراد شيئاً جديداً. بحث عبر الكتب واختار واحداً كان قد انتقاه عشوائياً من المكتبة فقط لأنه بدا كبيراً. كان كتاباً ذا غلاف ورقي سميك بعنوان ثلاثية غورمنغاست *The Gormenghast Trilogy*. ثلاث كتب في واحد: *Titus Groan*، *Gormenghast* و*Titus Alone*. هذا كتاب سيبقيه منشغلاً لفترة طويلة.

عاد وجلس مجدداً، فألقى كوانيلي نحوه نظرة ليرى ماذا اختار.

«لقد قرأتُ هذا الكتاب»، قال.

أصدر كريس صوتاً مثل النخير. فكل ما يستطيع استنتاجه هو أن كوانيلي لم يقرأ كتاباً يوماً، إلا بالتأكيد في حال كان عن تاريخ الموضة. المجلات كانت قصة مختلفة. لا بد أن كوانيلي قد قرأ كل مجلة موضة نُشرت على مر التاريخ، وشاهد كل برنامج عن الموضة في التلفاز. فهو قد لخّص مسبقاً شخصية كل من على متن هذه الحافلة، وذلك حسب ملابسهم.

الفتيات الثلاث المزعجات في الخلف كنّ عبارة عن «مزيج شيطاني من توب شوب، جوسي كوتور، جي دي سبورتس، أكسيسورايز و ويلسدن ماركت.»

زهرة وفروغي كانا «بودن كلاسيكي»، مهما كان ذلك.

غريغ وليام كانا التاليين، وهما أيضاً «جي دي سبورتس» بكل تأكيد.

أما فريديريك فمن الواضح أن لديها «أسلوب».

«المعطف من أغنيس بي»، قال كوانيلي مستحسناً الأمر.

كان قد التزم الصمت منذ الغداء، ينام تارةً ويستيقظ أخرى، واقتنص كريس الفرصة ليستمع إلى المحادثة التي كانت تدور بين مات وأرتشي بيشوب بشأن ديانتهما الجديدة من حيث كانا يجلسان في المقاعد الأمامية للحافلة. كتابه كان يحجبه معظم الوقت، لذا كان كريس يستطيع التجسس على الناس دون أن يدركوا ذلك.

بدا أن مات وأرتشي منسجمان تماماً في نقاشهما الذي لم يخلُ من الاستنتاجات، لكنهما كانا جادّين تماماً بشأن ديانتهما، يناقشان كل نقطة فيها لوقت طويل.

كان مات يقرأ شيئاً من قصاصات الإنجيل التي حملها بجعبته: «(وَذَهَبَ بِي بِالرُّوحِ إِلَى جَبَل عَظِيم عَال... وَأَرَانِي الْمَدِينَةَ الْعَظِيمَةَ... لَهَا مَجْدُ اللهِ، وَلَمَعَانُهَا شِبْهُ أَكْرَم حَجَرٍ كَحَجَرِ يَشْب بَلُّورِيٍّ). ما هو اليشب؟»

«أظن أنه نوعَ من الجواهر»، قال أرتشي.

«أظن أن له أهمية معينة»، قال مات، «لمَ اختار اليشب، لمَ لم يقل ياقوت أو زمرد أو نوعاً آخر من الأحجار الأكثر شهرةً. إنه رمز من نوع ما على ما أظن. ربما علينا البحث عن فتى اسمه يشب.»

«ربما»، قال أرتشي، لكنه لم يبدُ مقتنعاً.

تابع مات القراءة بصوت مرتفع: «(وَكَانَ لَهَا سُورٌ عَظِيمٌ وَعَال، وَكَانَ لَهَا اثْنَا عَشَرَ بَابًا، وَعَلَى الأَبْوَاب اثْنَا عَشَرَ مَلاَكًا... من الشَّرْق ثَلاَثَةُ أَبْوَاب، وَمِنَ الشِّمَالِ ثَلاَثَةُ أَبْوَاب، وَمِنَ الْجَنُوب ثَلاَثَةُ أَبْوَاب، وَمِنَ الْغَرْب ثَلاَثَةُ أَبْوَاب...) وانظر هنا... (وَأَسَاسَاتُ سُورِ الْمَدِينَة مُزَيَّنَةٌ بِكُلِّ حَجَرٍ كَرِيمٍ. الأَسَاسُ الأَوَّلُ يَشْبٌ!). يشب مجدداً. قلتُ لكَ إنَ له أهمية معينة.»

«ماذا كُتب أيضاً؟»، سأل أرتشي.

«ممم... (الثَّاني يَاقُوتٌ أَزْرَقُ. الثَّالِثُ عَقِيقٌ أَبْيَضُ. الرَّابِعُ زُمُرُّدٌ ذُبَابِيٌّ)»
«ها هو»، قال أرتشي، «لقد ذُكر الزمرد.»
«نعم، لكن استمع إلى الأسماء الأخرى، لم أسمع بها من قبل: «(الْخَامِسُ جَزَعٌ عَقِيقِيٌّ. السَّادِسُ عَقِيقٌ أَحْمَرُ. السَّابِعُ زَبَرْجَدٌ. الثَّامِنُ زُمُرُّدٌ سِلْقِيٌّ. التَّاسِعُ يَاقُوتٌ أَصْفَرُ. الْعَاشِرُ عَقِيقٌ أَخْضَرُ. الْحَادِي عَشَرَ أَسْمَانْجُونِيٌّ. الثَّانِي عَشَرَ جَمَشْتٌ).»
«لقد سمعت بالجمشت.»
«ما لونه؟»
«لا أعرف. أحمر ربما؟»
«البوابات الاثنتا عشر مهمة جداً»، قال مات، «أليس للندن اثنتا عشر بوابة؟ مدينة لندن القديمة.»
«لا أعرف. أهي كذلك؟»
«نعم. كنتُ أعرف أسماءها جميعها. هناك لود غيت... ممم، أولد غيت، نيو غيت، ألد غيت، بيشوب غيت، موور غيت... لا أذكر الباقي، لكن هناك اثنتي عشر بوابة بكل تأكيد.»
هزّ كريس رأسه. كانت هناك سبع بوابات في لندن، وليس اثنتي عشر. كان مات أحمقاً.
«كل شيء مكتوب هنا يا أرتشي»، قال مات، وصوته يعلو أكثر مع ازدياد حماسته، «لندن، الحمل، الوباء، رؤياي.»
«أتمنى لو أنني رأيت رؤيا»، قال أحد أتباع الكنيسة، «أودّ كثيراً أن أرى كيف يبدو الحمل.»
«إنه جميل ومخيف في الوقت نفسه»، قال مات، ثم نهض واقفاً وصرخ: «سينقذنا جميعاً!»
«اجلس يا مات»، قال إد الذي كان يجلس على الجهة الأخرى لكريس.
«لن أجلس. عليكم جميعاً أن تتقبّلوا وجود الحمل إن كنتم تريدون النجاة. الفتى الذهبي، الذي هو أكثر من فتى. لقد رأيته يمشي خارجاً من

الظلام، وكل ما حوله مشعّ، وفي ظله يسير شيطان.»

«اجلس يا مات.»

ترك مات مكانه وسار نحو إد وقال: «سترى، سترى أنني على حق. كل شيء مكتوب في هذه الأوراق، وإن كنتَ لا ترى ذلك فأنت إذاً أعمى. نحن نتعرض للاختبار، هذا كل ما في الأمر. الوباء، الموتى، ألا ترى؟ لقد أرسل الله وباءً ليمحو الآثمين من الوجود، ليمحو أتباع الشر. علينا العثور على قدس جديدة في لندن، والترحيب بالحمل الذي سيأتي لينقذنا جميعاً.»

«وكيف نرحب به؟»، سأل إد.

«علينا أن نقدم أضحية.»

«أضحية؟»، بدا إد مذهولاً.

«نعم»، قال مات، «الحمل مستعد للتضحية، لكننا لا نريد أن نضحي بالحمل، نحن نضحي بالشيطان، الوحش الذي يمشي بجانبه في الظلمة، وعندما يزول سيصبح الحمل حراً، وحينها يمكننا أن نرتقي لنعيش في مملكة الله على الأرض.»

كل ما تفوّه به مات كان كثيراً على إد، فبدأ يضحك. وقف مات هناك للحظة، كتفاه النحيلان ترتفعان وتهبطان بتثاقل، ثم استدار ومشى بغطرسة نحو أصدقائه.

كان كريس يبتسم سراً. لم يظن أن ديانة مات الجديدة ستلاقي ترحيباً. رغم كل شيء، هو مجرد فتى.

ماذا يعرف الأولاد عن أي شيء؟

عاد وركّز انتباهه على كتابه. كان يعرف أن الآخرين يظنونه غريب الأطوار، يقرأ دائماً، لكن الكتب بالنسبة إليه هي المستقبل، فهي تحمل ما بقي من معرفة العالم. جميع الراشدين إما كانوا موتى أو مرض. كل أولئك المدرّسين بالمعرفة التي امتلكوها، كل أولئك الآباء والأمهات، العلماء، المؤرّخين، جميعهم لقوا حتفهم.

لم تعد هناك حواسيب، ولن يكون هناك أيٌّ منها حتى تعود الكهرباء

مجدّداً. وكم سيستغرق ذلك من الوقت؟ ما الذي يعرفه الأولاد عن توليد الكهرباء؟ حسناً، إذا أردوا معرفة شيء عن ذلك فعليهم قراءة الكتب.

أولاً، قراءة الكتب ثم بناء المولّدات وبعدها تشغيل الحواسيب مجدداً. قد لا تعمل تلك الحواسيب بعد كل هذا الوقت، لذا عليهم أن يصنعوا حواسيب جديدة، وذلك قد يعني قراءة المزيد من الكتب...

وخلال كل هذا الوقت، جميع الغيغابايت، والزيغابايت، ميغازيغا - غيغا بايت من المعلومات التي خُزِّنت يوماً على حواسيب العالم، ستكون قد اختفت.

كل تلك المعرفة ستضيع إلى الأبد. سيعودون إلى نقطة الصفر. حسناً، ربما ليس نقطة الصفر، ربما إلى العصور الوسطى. قبل توليد الكهرباء، قبل الثورة الصناعية، قبل اختراع السيارات والآلات، عندما كانت هناك كتب فقط.

كان كريس يعلم أمراً واحداً، ألا وهو أن المعرفة هي سلاح القوة. أين هي معرفة العالم بأجمعه الآن؟ في الكتب. إذاً هذا يعني أن الكتب كانت أقوى الأشياء في العالم.

وهو سيستخدم هذه القوة، سيواصل القراءة. عليه أن يبدأ بجمع الموسوعات، كتب العلوم، التاريخ، الجغرافيا، كتب الحقائق والأرقام. عليه أن يبدأ بالتخطيط للمستقبل.

تغيّرت المناظر الخارجية مع مرور الوقت، وأصبح الجو رماديّ اللون أكثر فأكثر. لم يتوقف رذاذ المطر مما جعل تقدّمهم أبطأ وأصعب. كانت الطرقات مغلقة في كل مكان. وعندما كان يزداد زخم المطر كان غريغ يضطر إلى الإبطاء من سرعة الحافلة إلى ما يشبه الزحف بسبب عدم وجود ماسحات.

اضطروا إلى التوقف عدة مرات، لينزل الصبيان الأضخم بنيةً إلى الطريق وإبعاد السيارات المتوقفة بينما كان غريغ يراقب المكان حاملاً بندقيته تحسّباً لظهور أيّ راشدين. كانت المفاتيح لا تزال في بعض السيارات، في عدد قليل منها. كسر الفتيان النوافذ الجانبية ثم علّمهم غريغ كيف يعطّلون قفل المقود وذلك عبر إدخال مفكّ براغي خلف عامود المقود. لم يزعجوا أنفسهم

حتى بمحاولة تشغيل السيارات، بل كانوا ينقلون مبدّل السرعة إلى التعشيق N ويدفعونها بعيداً عن الطريق.

لم يكن عملاً سهلاً أو سريعاً.

كانت السماء تتلبّد بالغيوم وهم يعبرون الطرقات الكئيبة عند أطراف جنوبي لندن، في محاولة لايجاد طريق لدخول المدينة. رغم الأمطار كانت النيران تشتعل في كل مكان، لتعبق الأجواء برائحة الدخان التي كانت تزيد من صعوبة مسيرهم.

لفّ الصمت أرجاء الحافلة، كان كلّ من ركابها غارقاً في بحر أفكاره. حتى الفتيات الثلاث الجالسات في مؤخرة الحافلة كنّ منكمشات على أنفسهن. الصوت الوحيد المسموع كان لغريغ وهو يدمدم كلمات غير مفهومة حيناً وينهال بالشتائم بصوت منخفض حيناً آخر.

جلس ليام يحدّق في تلك الكتلة الصلبة الكبيرة، ذلك الرأس الكبير الذي يحمله والده فوق جسده. بات ذلك الشكل مألوفاً له بعد كل هذه الأوقات التي قضياها معاً. تلك الشعيرات ذات اللون الباهت على رأسه شبه الأصلع، تجعّداته الجلدية التي تمتد عبر فروة رأسه، الطفح الجلدي الأحمر بسبب ياقة القميص التي حفّت على رقبته البدينة، فقد كانت ياقة ضيقة جداً.

أمضى ليام ساعات في المقعد الخلفي لسيارتهم القديمة يدرس تفاصيل هذا الجلمود المكوّن من اللحم. كان قد ورث هذا الشكل عن والده. فهو من كان صاحب أكبر رأس في صفه. عندما حصل على نظاراته تفاجأت المسؤولة عن بيع النظارات بحجم رأسه. قالت حينها إنّ عليه أن يجرّب إطاراً من قسم نظارات الراشدين.

جالت أفكاره ومضات لذكرى عاشها عندما كان أصغر سناً. كان يجلس في السيارة – ليس سيارة الجيب الجديدة بل القديمة الشوغون – وكان هناك رأسان في المقدمة: أمه وأبوه.

لا بدّ أنّ ذلك حدث منذ وقت طويل جداً.

كانت أمه قد تركتهما وعادت إلى كوفنتري. انتقلت مع الرجل الذي

كان يعمل في شركة الكهرباء «ديريل».

زارها ليام ثلاث مرات في السنة، مرة يوم عيد مولدها ومرة يوم الميلاد ولمدة أسبوعين في شهر أيار أي عندما كان يذهب والده للصيد مع أصدقائه.

كان ذلك الترتيب مناسباً لثلاثتهم. أمه لم تستمتع يوماً بكونها أماً، وكان الوقت مع والده أكثر متعةً. كان يفعل أموراً مسليّة مع ليام. كانا يذهبان إلى مباريات كرة القدم، وأيضاً للصيد، ويشاهدان التلفاز سوياً، وأكثر ما شاهداه كان عن أفلام الحروب القديمة. كانت المفضلة لدى والده:

The Dam Busters, The Great Escape, The longest Day, Sands of Iwo Jima, The Battle of Britain.

كانا يأخذان تشارلي في نزهة في هامستيد هيث. كان تشارلي كلباً من فصيلة «بوكسر». تركاه مع العم راي عندما غادرا إلى كِنت منذ عدة أسابيع. لم يكن مسموحاً اصطحاب تشارلي إلى المزارع.

تساءل ليام إن كان تشارلي على ما يرام. ربما كان العم راي مثل والده؛ ربما لم يمرض. أمِل أن يكون تشارلي بخير، فقد أحبه كثيراً.

كان يحبّ والده أيضاً، رغم أنه يخيفه في بعض الأحيان، فقط كان يغضب كثيراً عندما كانت تنتابه واحدة من نوباته العصبية، كما كان يسميها، لهذا كان يحاول ليام أن يبقى بعيداً عن طريقه. كان في أسوأ حالاته المزاجية خلال القيادة. كان يشتم السائقين الآخرين ويتفوّه بكلمات بذيئة جداً. كان ليام ذات مرة مع والده عندما تشاجر مع سائق آخر.

لاحقاً ضحك غريغ كثيراً على تلك الحادثة، أما ليام فقد أخافته كثيراً ولم ينسها أبداً. كان يكره القتال كثيراً وقد أمضى أوقاتاً طويلة في المدرسة يحاول الابتعاد عن طريق المتنمرين. لم يكن يخبر والده أبداً عندما كان يتعرض للإزعاج، لأنه كان يعرف أن والده سيزيد الأمر سوءاً. بالتأكيد لكان ذهب إلى بيوت الأولاد المزعجين وتشاجر مع أهاليهم أو شيئاً من ذلك.

راقب غريغ وهو يسعل ويمرّر يده عبر شعره. فاحت رائحة لطيفة وتناثر رذاذ خفيف عندما فعل غريغ ذلك. فكر ليام في البداية أنها مياه، لكنه أدرك

أنه الرذاذ الذي يستخدمه غريغ لشعره، كتلك المستحضرات التي يضعونها عند الحلاق.

فرك غريغ الرقعة الصلعاء من رأسه. في وسط الرقعة كانت هناك نقطة، بثرة منتفخة ذات رأس أبيض امتلأ بالقيح.

حبس ليام أنفاسه.

لم يرد أن ينظر، لكن لم يكن أمامه خيارٌ، فقد جذبت تلك البثرة نظره وكأنها هدف مباشر. لم يكفّ غريغ عن حكها... كان يحكّ ويحكّ المزيد من الشعر لتصبح فروة رأسه حول البثرة حمراء اللون.

سعل غريغ مجدداً، كما لو أن هناك شيئاً عالقاً في حلقه. التقط قنينة المياه البلاستيكية وشرب نصفها دفعةً واحدة. كان والده بارعاً في تجرّع نصف ليتر من الشراب دفعةً واحدة. حاول أن يعلّم ليام كيفية فعل ذلك بواسطة كوب من الماء، لكن كانت النتيجة دائماً واحدة – ليام يختنق وغريغ يضحك.

«أنت لست ابني!»، كان يقول ضاحكاً.

كل ما كان على أيّ شخص فعله ليعرف أنّ تعليق غريغ ليس حقيقياً هو النظر إلى صورته وهو فتى. كانا شبيهين متطابقين. كان ليام يفترض أنه سيصبح نسخة طبق الأصل عن غريغ عندما يكبر: قوياً وصلباً ولا يخاف أي شيء أو أحد.

سيكون ذلك لطيفاً.

كان يتطلع بأمل للوصول إلى المنزل. لقد كانت الأحوال مريعة في المزرعة... الجميع يموتون وما إلى ذلك.

ثم كان هناك المسكين الصغير بول، أصغر أبناء المزارع. كان ليام قد أصبح صديقاً له.

ارتجف لتلك الذكرى. لم يستطع منع نفسه من ذلك.

أصيب الصغير بول بحالة هيستيرية عندما مرض والده وجميع إخوانه الأكبر سناً وعندما اضطر غريغ إلى إطلاق النار عليهم جميعاً. كان الصغير

بول يتصرف مثل شخص مجنون، يصرخ ويصيح ويبكي. بعدها هدأ وصمت تماماً. لم يكن يتحرك. لم يكن يتكلم. يحدق في الحائط فحسب.

يتذكر ليام كيف اصطحب غريغ الصغير بول إلى الحظيرة ذات ليلة، وعندما عاد إلى المنزل كانت يداه رطبتين. غسلهما فحسب.

لم يعد الصغير بول أبداً.

سعل غريغ سعلة أقوى هذه المرة، ثم بصق في قدح قهوة من الكرتون. عندما حك رأسه برزت الرقعة الصلعاء أكثر. كانت هناك ثلاث بثرات أخرى تعشش في طيّات الجلد.

أحسّ ليام ببرودة تتسلّل عبر رجليه، وكأنّ قلبه يمتصّ كل الدم مثل إسفنجة لا تترك شيئاً من حولها. كان بصره يتمايل بين السواد والبياض، مثل فيلم قديم.

«أبي...» قال، قبل أن يُغمى عليه.

25

«إنه بخير، إنه بخير، أفسحوا المجال ليتنفس، أُغمي عليه فحسب، أفسحوا المجال ليتنفس. ليام... ليام... استيقظ بني.»

أحسّ ليام بيدٍ رطبة تلسع وجهه. فتح عينيه. ما الذي كان يفعله ممدّداً على الأرض ووجه والده الواسع فوقه مباشرةً، والفتيان والفتيات مجتمعون من حوله؟

«لقد أُغمي عليك يا بني، فقط لا غير، لم يحدث أكثر من ذلك. هل أنت بخير الآن؟ هيا ليُحضر أحدكم القليل من الماء، هيا!»

«أنا بخير يا أبي، أنا بخير.»

«ما الذي أصابك؟ ماذا حدث؟»

لم يستطع ليام قول شيء. نظر إلى الأعلى، إلى والده وكأنه مخلوق فضائي؛ وكأنه شخص ميت.

البثرات.

السعال.

لم يستطع قول شيء. لم يستطع قول «أنت تُصاب بالوباء يا أبي». لم يستطع قول شيء. لأن قول ذلك سيجعله حقيقياً، ومجرّد التفكير بتلك الحقيقة كان مُفزعاً جداً. إذا لم يقل شيئاً فقد لا يحدث أبداً.

كان وجه غريغ مغطى بطبقة خفيفة من العرق وبياض عينيه بدا أصفرَ. كان الأمر شبيهاً بذلك الذي بدأ في المزرعة. أولاً بول الأكبر وزوجته، ثم الفتيان الأكبر سناً.

قد تكون هذه مشكلة أخرى، أليس كذلك؟ ألا يمكن أن تكون كذلك؟ ربما غريغ كان مصاباً بالبرد فحسب.

هذا تماماً ما يحدث. إنه مجرد برد.

ابتسم ليام لوالده الذي ردّ له الابتسامة. سعل غريغ، تنشّق من أنفه ثم مسحه. رأى ليام لطخةً رفيعة من الدم على إصبعه. هل رآها أحد غيره؟

أرجوك لا، ليس والدي.

«لنرفعك من هنا بني.»

رفع غريغ ليان عن الأرض، نفض الغبار عن ملابسه وحمله إلى مقدمة الحافلة حيث أجلسه في مقعد السائق، وراح ينظر عبر الزجاج الأمامي الذي كانت قطرات المطر ترتطم به.

«أنا آسف يا أبي»، قال ليام وهو يشعر بأنه قد خذل والده وأظهر ضعفه أمام الأولاد الآخرين، «لم أقصد ذلك. اضطررتَ إلى إيقاف الحافلة من أجلي. أنا آسف جداً.»

«كنا بحاجة إلى التوقف في جميع الأحوال أيها الجندي الصغير»، قال غريغ، «لقد تأخر الوقت وبدأ الظلام يحلّ. أردت أن أجرّب اتخاذ طريق النهر والعودة إلى أيسلينغتون الليلة، لكن لن يحدث ذلك. أنا متعب، وبرج لندن مغلق، والمطر ينهمر بغزارة. لا أستطيع رؤية شيء من دون الماسحات.»

«ألا يمكننا العودة إلى المنزل يا أبي إذا سرنا ببطء؟»

«ذلك خطر جداً. لا أريد أن أصطدم بشيء وأحطّم الحافلة. إنها حبل نجاتنا. لذا سنبقى حالياً هنا ولنأمل أن يكون المطر قد توقف عند الصباح»، ألصق وجهه بزجاج الحافلة الأمامي، «لا يبدو أن هناك أحد في المحيط هنا.»

«لا يا أبي»، قال ليام، «ليس ليلة أخرى على متن الحافلة. نحن قريبون جداً. إذا قدتَ بحذر...»

تنهّد غريغ: «قلت إن ذلك خطر جداً يا ليام. انظر إلى الأجواء خارجاً... المطر ينهمر بغزارة لا مثيل لها. كما أنني أعاني من صداع لا يُطاق. كان يوماً متعباً جداً.»

«حسناً يا أبي، أنت تعرف ما هو الأفضل.»

استدار غريغ وغمزه وقال: «بالطبع يا بني. إضافةً إلى ذلك علينا أن نعرف ماذا يريد الجميع هنا فعله. رغم أنني أودّ أن أرى الجميع سوياً، إلا أنني لا أرغب أن يبقوا معنا. لا أريد أن أكون مسؤولاً عن أحد باستثنائك أنت.»

خطا غريغ خطوةً عبر الحافلة، متفحصاً الوجوه الجالسة، ثم قال بصوتٍ عالٍ:

«لا أعرف إلى أين تريدون الذهاب يا أولاد، لكن هذه ليست حافلة عادية، لذا لن أرميكم منها ببساطة.»

«أريد أن أذهب إلى عين لندن»، قال فروغي، وضحك غريغ.

«أريد أن أذهب إلى برج لندن»، قال آرثر، «ذهبت إلى هناك مع المدرسة، كان رائعاً بالفعل، مثل قصر حقيقي، أظن أنني سأكون بأمان هناك. في المكان أسلحة وما إلى ذلك، كما أنه في موقع مشرف على النهر، لهذا السبب بناه الفاتح ويليام، إنه في موقع مشرف. ويمكن اصطياد السمك، أنا صياد ماهر، هذا ما كان يقولوه والدي. ذهبنا ذات مرة إلى إيرلندا واصطدت سمكة قاروس، كانت كبيرة جداً لكن الأكبر حجماً كانت...»

«حسناً، حسناً، هذا يكفي... لقد تعبت أذناي»، قال غريغ، «فأنت لم تصمت منذ صعودك متن هذه الحافلة.»

«نعم أيها الفتى»، قال فروغي، «أنت تتكلم أكثر من أمي.»

«قال أبي إنني أستطيع التحدث عن إنكلترا بأكملها»، قال آرثر، «ليته كان هناك حدث أولمبي، مثل ماراثون الكلام، أي الكلام بدلاً من المشي...»

«هذا يكفي أيها الثرثار!»

«آسف.»

كان إدّ قد أتى إلى مقدمة الحافلة ليرى ما يحدث عندما انهار ليام في الممر، أما الآن فكان يجلس مع الفتيان الأذكياء.

«قلتُ دائماً أنّ علينا البقاء معاً»، قال، «الأمان أفضل عندما يكون العدد أكبر. ربما علينا جميعاً الذهاب إلى أيسلينغتون؟ لا أعرف المنطقة لكن ربما

يكون هناك مكان...»

«أنت لا تعرف المنطقة حقاً؟»، قاطعه غريغ.

«لا.»

«أنت لا تعرف شيئاً، أليس كذلك أيها الفاشل؟»

«ماذا؟»، تفاجأ إد بنعت غريغ له لكنه ضحك ضحكةً مصطنعة، «أعرف القليل.»

«لا، أنت لا تعرف»، سخر غريغ، «لا أحد منكم يعرف شيئاً. لا أريدكم معي. أنتم مسؤولية وعائق بالنسبة إلي.»

«هذا ليس عدلاً.»

«هذا ليس عدلاً»، تهكّم غريغ من إد، «انظر إليك بهذا الشعر البشع. ملعقتك الفضية لن تنفعك الآن. ما الفائدة من تعلّمك في مدارس راقية على أي حال؟ سأقول لك. ليس له أي فائدة على الإطلاق. لقد ذهب مال والدك ووالدتك سدى. هل اللغة اللاتينية ستساعدك الآن؟ أجبني. لا تستطيع، أليس كذلك؟ لأنك أحمق. تلك المدرسة لم تعلمك شيئاً تستطيع استخدامه على أرض الواقع. أراهن أنك تستطيع التحدث عشر لغات، ألا تستطيع ذلك؟ ربما تستطيع العزف أيضاً على المزمار؟ حسناً، أنت تتعامل مع عالم جديد الآن، عدو جديد. أولئك الذين في الخارج، الموبوءون، لا يستطيعون تكلّم الفرنسية أو الإسبانية أو حتى الألمانية، أيستطيعون؟ لم يعد بمقدروهم حتى التحدث بالإنكليزية. كل ما يستطيعون فعله هو النخير. نحن نتعامل مع أنذال، وعندما تتعامل مع أنذال العلم لا يفيد أو يعني شيئاً. اصحَ واشتَمّ رائحة الدم. تحتاج إلى مواهب جديدة الآن.»

صرخ غريغ عبر الحافلة للفتيان الآخرين.

«أتريدون المجيء معي؟ لا بأس بهذا، فقط إذا اقتنعتم جميعاً ووضعتم في رؤوسكم الصغيرة تلك أنني الشخص المسؤول هنا. لأنني أنا الشخص الوحيد الذي يستطيع إنقاذكم هنا»، نقر على رأسه واستدار عائداً إلى مقدمة الحافلة.

«لقد تركت المدرسة في سن السادسة عشر، من دون أي مؤهلات»، تابع كلامه، «وذلك لأنني أفهم العالم الحقيقي جيداً. أعرف كيف أعمل بيدي. أعرف كيف أقتل وأسلخ حيواناً. هل يمكنكم أنتم فعل ذلك؟ أيّاً منكم؟ إن اضطررتم إلى فعل ذلك، كم واحد منكم قد يفعل ذلك؟ أيمكن لأيٍّ منكم أن يسلخ جلد قطة؟»، توقف وألقى نظرة ذات معنى إلى فريديريك، تبعتها ضحكة ساخرة، «لم يعد هناك سوق مركزي ليقدّم لكم الآن قطعاً من اللحم المقطَّع بأناقة والذي لا ينقّط دماً. لم تعد هناك وجبات جاهزة من ماركس وسبانسر. إذا أردتم المجيء معي فعليكم التعلم والتعلم سريعاً، تعلّم الأشياء الحقيقية، المهمة في الحياة.»

«لسنا عديمي الفائدة كلياً»، قال أرتشي بيشوب.

«حقاً؟ هل تعرفون كيف تنتفون دجاجة؟ كيف تذبحون أرنباً؟»

«في الواقع، أنا أعرف»، قال بام، «لقد خرجت للصيد عدة مرات. يخنة الأرانب خاصتي هي الأفضل في كِنت. ربما لم أفز مثلك بأي جوائز على نقانقي، لكني أصنع يخنة لذيذة بالفعل. أصنع كباب أرانب مدخّناً وشهيّاً أيضاً.»

«هل تسخر مني أيها السيد المتكبر؟»

«لستُ كذلك»، قال بام، «أنا شخص بارع في فعل الأشياء. لقد نشأت في الريف، وكنتُ دائماً أجول في الحقول. إضافةً إلى ذلك، شاركت الصيف الماضي في صفوف عن كيفية النجاة في البرية. يمكنني بناء ملجأ، نصب شراك الحيوانات، شباك صيد الأسماك... يمكنني العيش في الخلاء إن أردتُ ذلك.»

«كم أودّ أن أراك تجرب ذلك.»

«صدقني، أستطيع ذلك فعلاً.»

مشى غريغ إلى الأمام وفتح الباب.

«هيا إذاً»، صرخ وهو يومئ في اتجاه المخرج، «أظن أنك كنت في طريقك إلى الريف عندما أنقذتك. لم لا تعود وتقطع كل تلك المسافة سيراً

وتنصب شباك الأسماك أيها البارع؟»

«لقد تغيّرت الخطة منذ ذلك الحين»، قال بام، «يبدو أن حياة المدنية هي قدري. لستُ متأكداً من وجود أرانب في لندن، لكنني أعرف أن هناك ثعالب. أنا متأكد من أنني أستطيع صيد واحد منها. أيمكنك تناول لحم الثعالب؟ أفترض أنك قد تأكل أي شيء عندما تتضور جوعاً.»

«هل ستغادر أم تبقى؟»، سأل غريغ.

«سأبقى، شكراً لك»، قال بام بسرور، «الكل للواحد والواحد للكل، وكل تلك الترهات. أخشى أنك أنت من سيكون عالقاً معي يا غريغ.»

«حسناً، لكن، كما قلتُ سابقاً، عليك أن تتذكر من هو المسؤول هنا لذا لا تتصرف بوقاحة وإلا ستتلقى صفعة لن تنساها أبداً. هذه حافلتي. أنا أضع القوانين.»

لم يتفوّه أحد بكلمة.

«حسناً»، سعل غريغ، «اخلدوا إلى النوم. سنواصل سيرنا في الصباح. سأوصلكم جميعاً إلى أيسلينغتون. بعد ذلك كلٌّ مسؤول عن نفسه.»

26

كانت العتمة تلفّ الحافلة، ظلام حالك وهدوء مهيمن، باستثناء أوقات كان ينكسر فيها الصمت بسبب صرخات بعيدة أو صوت شيء يتحطم. كانت هناك أصوات أخرى أيضاً، أصوات يصعب تعريفها، أصوات ربما يكون مصدرها حيوانات أو بشر.

«الجحيم!» فكّر إد، بعض الأصوات كانت غريبة لدرجة أنها قد تكون من صنع مخلوقات فضائية. لم يكن ذلك ليفاجئه على الإطلاق. لم يعد هناك ما يفاجئه. إذا ظهرت أضواء خضراء في الفضاء وبعدها بلحظات هبطت إلى الشارع مخلوقات غريبة الشكل ذات عين واحدة تحمل بنادق شعاعية، لن يكذِّب عينيه أبداً. فهو يصدِّق تماماً أنّ الوباء قد أتى من الفضاء الخارجي. كانت عملية الهجوم الأولى لقوة فضائية غريبة. تقتضي الخطة إضعاف الجميع، والتخلّص من الخطر العسكري واستعباد الأمة الباقية من الشبان.

كان ذلك منطقياً بالنسبة إليه بقدر فكرة الحمل المقدّس في رأس مات.

مشى إدّ عبر الحافلة، متأكداً من أن الجميع بخير. كان أقل ما يمكن فعله. كان لا يزال يشعر بالذنب لهروبه من الهجوم في «فيز» وكل أولئك الأصدقاء الذين لم ينجوا.

كان جاك يجلس في مقعد وسط الحافلة تقريباً.

«كل ذلك هراء»، قال عندما اقترب إد منه.

«ما هو؟»

«ما كان يقوله غريغ، بشأن البقاء على قيد الحياة. هراء بحت.»

«ماذا تقصد؟ من أي منطلق؟»

«حسناً، المسألة مسألة صدفة، أليس كذلك؟ أقصد من يعيش ومن يموت.»

«أهي كذلك؟»، قال إدّ وهو ينظر من حوله ليتأكد من أن غريغ لا يستطيع سماع محادثتهما تلك، ثم جلس بالقرب من جاك.

«بالطبع هي كذلك»، قال جاك، «المسألة مسألة حظ، لا أكثر ولا أقل. لا يهم إطلاقاً أي مهارات لديك، أو أي تدريب تلقيت في الماضي، أو أي مدرسة ارتدت. الحال كما كانت في الحرب العالمية الأولى، عندما أمر الجنود بالزحف نحو الخنادق الألمانية – ما الفرق الذي حققته تدريباتهم؟ هل فرصة جندي محترف ذي خبرة عشر سنوات أقلّ في تلقي رصاصة من جندي في يومه الأول في الجبهة إن وقفا في الصفوف الأمامية؟ لا. أن تُقتل أو تنجو هي مسألة صدفة بحتة. عندما تنفجر قنبلة لا تختار من ستفجّر ومن لا. أتظنّ أنّ أحد الجنود الناجين قد يفكر على النحو التالي: انظروا إلي، أنا رائع، لقد استطعت النجاة لأنني أفضل من الرجل الذي يقف إلى جانبي؟ لا أعرف، ربما فكّر البعض بأن لله دوراً في ذلك، لكن وفقاً لما قرأتُ في كتب التاريخ، كان الجنود يتعاملون مع مشاعر وأمور نفسية فظيعة، كانوا يشعرون بأنهم لا يستحقون العيش بينما قضى الكثير من أصدقائهم.»

«هكذا أشعر تماماً»، قال إد، «بالذنب.»

أدار جاك رأسه: «لم أقصد شيئاً بما كنت أقول يا إد.»

«أعرف أنك كنت تظن أنني جبان، وربما كنتُ كذلك لكن...»

«آسف على ما قلته سابقاً. لم أقصد ذلك.»

«بلى قصدته، وأنا أفهم تماماً سبب تفوّهك بذلك. لكن... لا أستطيع القتال يا جاك. أستطيع فعل كل شيء لكنني لا أستطيع القتال. غريغ على حق من منطلق ما. لا شيء في حياتي جعلني جاهزاً لكل هذا.»

«لكن هذا تماماً ما كنت أقوله»، كان جاك يحاول عدم رفع صوته، «لا شيء فعلته سابقاً كان سيجعلك مستعداً لما يحدث الآن. كان بإمكانك ترك

المدرسة في سن السادسة عشر، مثل غريغ، والتدرّب على... لا أعرف... أن تكون سمكرياً، أو كهربائياً، أي فارق كان سيُحدث ذلك؟ انظر إلى الأخوين سوليفان – كانا شابين ضخمين وقويين. كان كلاهما ملاكمين، كلاهما مارسا الرياضة، والآن هما ميتان. انظر إلى المخنّثين الصغيرين مثل ويكي وجيبر جابر، لقد استطاعا النجاة. أي مهارات يملكان لم يمتلكها الأخوان سوليفان؟ لا شيء. كان حظّ الصغيرين أوفر. لا أكثر ولا أقل.»

في مقدمة الحافلة كان غريغ يرتدي معطفه. رفع السحّاب وأخرج مصباحاً يدوياً من جيبه واتجه نحو ليام الذي كان يجلس مع الذكيين.

«سأخرج لإنجاز بعض الأعمال الضرورية، سأتفحص الحافلة. الإطارات وما إلى ذلك.»

«أبي...»

«لا بأس يا ليام»، ابتسم غريغ، «لن يحدث شيء.»

غمز ليام ونزل من الحافلة نحو المطر المنهمر.

«إنه مخطئ كما تعرف»، قال جاستن الذكي لليام والأولاد الأصغر سناً عندما غادر غريغ. كان من الواضح أن جاستن قد توصّل إلى نفس نتيجة جاك، «المسألة لا تتعلق فعلاً باصطياد الأرانب أو سلخ القطط. لا تحتاج إلى مقاتلين في ظروف كهذه. تحتاج إلى أشخاص مثلنا، أشخاص يعرفون عن الأشياء، أشخاص يعرفون عن الكيمياء وعلوم الحياة وذلك النوع من المعرفة، أشخاص يعرفون كيف يجعلون الآلات تعمل.»

«لكن، رغم ذلك، ما زلنا بحاجة إلى مقاتلين»، قال فروغي.

«نعم، بالطبع نحتاج إلى مقاتلين»، تابع جاستن، «لكن لا يمكننا تأسيس مجتمع من المحاربين. ماذا سيأكلون؟ أين سيعيشون؟ أي ملابس سيرتدون؟ صحيح أننا نحتاج إلى مقاتلين للحماية، لكن ستكون الحال مثل أيّ مجتمع فعال، نحتاج أيضاً إلى مزارعين لزراعة الخضار، علماء ومهندسين وأطباء من أجل الاختراعات والبقاء بصحة سليمة، نحتاج إلى فنانين وموسيقيين وممثلين.»

«وبهلوانيين»، قال جيبر جابر.

«بهلوانيون! لا نحتاج إلى بهلوانيين.»

«لكنهم مسلّون. أحب البهلوانيين.»

«حسناً، تعلّم الحركات البهلوانية إذاً»، قال جاستن، «ويمكنك أن تسلينا جميعاً.»

«ربما سأفعل.»

«ماذا عن المهرجين؟»، قال فروغي، «هل سنحتاج إلى مهرّجين؟»

«سنحتاج بكل تأكيد إلى أشخاص يجعلوننا نضحك»، قال جاستن، «الآن أكثر من أي وقت مضى. لكنّ المسألة هي أننا نحتاج إلى الكثير من الأشخاص المختلفين ذوي مهارات كثيرة مختلفة. هكذا نستطيع النجاة. أما سبب تمكّننا من هزيمة الموبوئين فهو أننا أذكى منهم، وأننا نستطيع بناء مجتمع، وهم لا يستطيعون. سيموتون في نهاية الأمر. لا بد أن يموتوا لأنهم لا يقدرون أن يكونوا أكثر من حيوانات بدون عقل. أعظم سلاح لدى البشر – أدمغتنا. هناك قبائل آكلة للحوم البشر – أو بالأحرى كانت هناك قبائل آكلة للحوم البشر – قبائل كانت تؤمن بأن أكل المرء لدماغ عدوه يكسبه حكمته وقوته.»

«الكثير من قبائل آكلي لحوم البشر في بابوا غينيا الجديدة لاقت حتفها بسبب أكل أدمغة البشر»، قال ويكي، «لقد أصيب جميع أفرادها بمرض جنون البقر. حسناً، الشكل البشري للمرض: كروتزفيلت جاكوب.»

كان ليام يحدّق في ويكي بعينين متسعتين: «هل من الآمن أن يأكل المرء أعضاء بشرية؟» سأل بهدوء.

«حسناً، ليست فكرة جيدة»، قال ويكي، «نحن نعجّ بالأمراض. معظم حيوانات المزارع تُعطى حقن وأدوية ويُعتنى بها لتكون بصحة جيدة. معظم البشر غير أصحّاء. نحن عبارة عن أكياس متجولة من الأمراض والجراثيم. هذا مقارنةً ببقرة عادية على أي حال.»

«لكن هل يموت المرء إن أكل أحدهم؟»

«لا، على الأرجح. لا أعرف حقاً. عليك تفادي أكل الدماغ لتضمن نجاتك.»

«الموبوءون يأكلون البشر»، قال جيبر جابر، «انظر إليهم. إنهم في حالة مروعة.»

«لكنهم كانوا في حالة فظيعة مسبقاً»، قال جاستن، «كانوا موبوئين من قبل، لهذا السبب يأكلون البشر، وليس العكس.»

«لِمَ الاهتمام بهذه المسألة على أي حال؟»، وجّه جيبر جابر سؤاله إلى ليام، «هل تفكّر في أكل أحدهم؟»

«لا، لن أفعل ذلك أبداً. لهذا السبب...»

«لهذا السبب ماذا؟»

«لا شيء. لكن أبي، حسناً.. لستُ متأكداً.. لكنّ أظن أن اللحم المدخَّن...»

«هل تقول إنّ والدك أكل أحدهم؟»، سأل جيبر جابر همساً، «هذا مقرف.»

«لا. لا أعرف. آمل ألا يكون قد فعل. لكن... الراشدون والأولاد الأكبر سناً، في المزرعة، جميعهم أُصيبوا بالمرض... لكنّ الصغير بول، كان...»

توقّف ليام حال عودة غريغ إلى الحافلة وخلع معطفه الرطب. استطاعوا الشعور بحرارته المرتفعة وشمّ رائحة لحمه. لم تكن رائحة أيٍّ منهم طيبة، لكنّ رائحة غريغ كانت الأسوأ. علّق المعطف على ظهر مقعده وانضمّ إلى الفتيان. بدا أنه يهيمن على المساحة من حولهم. شكل أسود لا ملامح له.

قال: «عليكم أيها الأولاد أن تكفوا عن الكلام، تحتاجون إلى النوم، كفاكم ثرثرة، أنتم تزعجون الجميع هنا.»

«آسفون»، قال ويكي.

«ليام!»

«نعم يا أبي؟»

«تعال واجلس معي هنا بني. تحتاج إلى الراحة والنوم خلال الليل.

لطالما تصرّفت بهذه الطريقة خلال ليالي المبيت مع أصدقائك. كان الأولاد الآخرون يقونك ساهراً فتكون عاجزاً عن فعل أي شيء في اليوم التالي.»

لم يحب ليام أن يخبر الباقين بأن والده سمح له بليلة مبيت واحدة مع أصدقائه.

«حسناً» قال، ونهض من كرسيه.

تمنّى الجميع لبعضهم ليلة سعيدة ومشى ليام مع والده نحو الجزء الأكثر هدوءاً من الحافلة حيث جلسا متقاربين من بعضهما بعضاً. رتّب غريغ بطانية حول ليام ولفّ ذراعه حول كتفيه، محتضناً إياه.

«هذا أفضل، أليس كذلك؟» قال وبدأ يسعل، وجسمه يكامله يرتجف، وهو لا يزال يحتضن ليام بقوة.

«هل أنت بخير يا أبي؟»

«بالطبع أنا بخير. إنه الهواء الجاف في الحافلة فحسب. أتمنى لو أننا غير مضطرين لتشغيل جهاز التسخين طول الوقت، فهو يجعل حلقي جافاً، وإن أطفأته فستشعر الفتيات بالبرد. أنا بخير حقاً.»

«جيد. لا أريدك أن تمرض يا أبي.»

«مهلاً، مهلاً، مهلاً، كفاك كلاماً من هذا النوع. من المفترض أن أكون أنا من يعتني بك، أتذكر؟ وليس العكس. والآن يكفي كلاماً. تحتاج إلى القليل من النوم.»

«لا أعرف إن كنت أستطيع النوم يا أبي. أنا خائف.»

«لا تخف. لن يحدث شيء لك ما دمتُ معك»، سعل غريغ مجدّداً وسمعه ليام يبتلع كتلة كبيرة من البلغم.

«لكن ماذا سيحدث لنا يا أبي؟ أقصد عندما نصل إلى أيسلينغتون؟ كنتُ أقول لنفسي دائماً: لنعد إلى المنزل. لكن ماذا بعد ذلك؟ ماذا سنفعل بعد ذلك؟»

كان غريغ على وشك أن يقول شيئاً عندما أُصيب بنوبة أخرى من السعال. بعدئذٍ احتضن ليام أكثر. كان جسده حاراً ورطباً وكان يتصبب عرقاً.

أخبره غريغ دائماً أن لا وجود لله، لكنّ ليام صلّى الآن.

أرجوك ليكن على ما يرام...

في مؤخّرة الحافلة كانت كورتني وأليشيا نائمتين، أما بروك فلم يغمض لها جفن. كانت تفكّر في لندن التي يلفّها السواد والغموض تحت هذه السماء المليئة بالنجوم. شعرت أنها في هذه الحافلة منذ الأزل، ولم تكن تريد أن تغادرها أبداً. يمكنها أن تعيش هنا بكل سعادة حتى آخر يوم في حياتها، تأكل رقائق البطاطا والحلوى. تعيش بأمان.

كان لديهم مرحاض، لديهم ماء، يمكنهم أن يعيشوا مثل الغجر.

لكن إلى جانب أنهم سيصبحون بدناء وستصبح رائحتهم نتنة جداً، سيفرغ مخزون المياه لديهم وسيطوف المرحاض، وسيتقاتلون على آخر كيس من رقائق البطاطا...

توقّفي يا بروك. لا تفكّري بهذه الطريقة.

تمنّت لو تستطيع النوم. لم تكن تحبّ أن تكون وحدها هكذا. كانت تحتاج إلى ضجة دائمة وتسلية صديقتيها لها. لم ترد أن تفكر بشأن أيّ شيء.

كانت تحبّ صديقتيها. ما دمن معاً فهنّ لا يُقهرن. لا يُقهرن كثيراً في بعض الأحيان. كانت في أكثر الأوقات تتمادى في تصرفاتها. كم تمنت لو أنها لم تتفوّه بكل تلك الكلمات القاسية أينما ذهبت. لكنها لم تكن تحبّ أن يتقرّب أحد منها. كانت تبقي الدخلاء بعيدين عنها عبر التهكم والسبّ والغضب. كانت تتمنّى لو أنها لم تفعل كل ذلك، لو لم تحاول تملّك كل من التقته. كانت تفعل ذلك من دون تفكير، دون أن تقصد ذلك، حتى عندما كانت تُعجب بأحدهم. مثلاً، الفتيان الذي انضمّوا أخيراً إلى الحافلة. بدا أن لا بأس ببعضٍ منهم. حسناً، كانوا من الطبقة الراقية نوعاً ما، لكن ليست هناك خيارات متاحة هذه الأيام. كان إدّ لطيفاً، صاحب بنية جميلة، وحتى جاك كان لا بأس به... لولا وجود ذلك الشيء الأحمر على وجهه لوقعت في حبه. كان صاحب مزاجٍ متقلّب، هذا شيء واضح، لكن الفتى أعجبها.

أحياناً يكون الفتيان الذين يسهل التعامل معهم مملّين. ربما كان إدّ مملاً! لم تكن تعرف ذلك، فقد أبقته بعيداً عنها بفضل فمها الثرثار. لقد أبقتهما كليهما بعيدين.

كالعادة.

أحسنتِ عملاً يا بروك.

أقنعت نفسها أنها ستبذل جهداً أكبر يوم غد، خاصةً بعدما تأكد أنهم سيبقون معاً لبعض الوقت. فهي لم تكن تأمل كثيراً البقاء في ويلسدن، وهي لا تبالي إن رأت ذلك المكان الحقير مرةً أخرى. لم يكن هناك ما يعني لها شيئاً على الإطلاق.

نظرت إلى الأولاد النائمين من حولها، متمدّدين قرب بعضهم، غارقين في أحلامهم، بعيداً عن هذا العالم. ما الذي يعرفونه عن أي شيء؟ كان على بروك أن تعتاد رؤية المرض والموت قبلهم بوقت طويل.

ها هي الآن تعود مجدداً إلى المكان نفسه، تتذكّر أمها.

تفتقد أمها.

كانت في سن السادسة عشرة عندما أنجبت بروك. كانت لا تزال في المدرسة، لكنها تركتها بعد ذلك بوقت قصير. لم تلتقِ بروك والدها قط، ولم تتحدث أمها عنه قط، كانت عندما تأتي على ذكره تسمّيه «اللعوب». كانت بروك ووالدتها قريبتين من بعضهما، يتشاركان كل شيء، يفرحان معاً، معاً في وجه العالم كله. كانت أختاً لها أكثر منها أماً. كانت جميلة جداً، تصادق رجلاً جديداً بين الحين والآخر، تركب معهم أجمل السيارات ويغدقون عليها المال الكثير. لم يصدّق أحد أبداً أنّ بروك كانت ابنتها. ذات مرة جرّب أحد أصدقاء والدتها التحرّش بها لكنّ بروك أخبرت والدتها فلم ترَ ذلك الرجل مرة أخرى.

هكذا كانت والدتها. كانت تعتني بها، تقف دائماً إلى جانبها، تصدّقها دائماً. لم تكن مثل أمهات صديقاتها. أولئك كنّ سيئات أنانيات. أمها كانت قوية ومرحة ولطيفة وذكية، كل الصفات الجميلة التي قد تمتلكها

أمّ، لكن ما الفارق الذي حققه كل ذلك عندما أُصيبت بالسرطان في أحد ثدييها؟

قال الناس إنها كانت شجاعة. لكنّ ذلك لم يُساعد. خضعَت لعملية جراحية وكل أنواع العلاجات التي قد تتوفر.

ماتت بعد ثمانية أشهر.

لم يسر شيء على ما يرام منذ ذلك الحين.

ما فائدة كل ذلك الحب عندما لا يعود ذلك الشخص موجوداً؟ أصبح كل شيء سيئاً. تغيّرت بروك لتصبح فظّة وجلفة. لم تعد تهتم بما تتفوه به في وجه الآخرين. لم تعد تهتم بما يفكر به الآخرون عنها، باستثناء صديقتيها أليشيا وكورتني. إنهن بمثابة عائلة الآن، ثلاثتهن. بروك كانت الأب. أليشيا كانت الأم التي تسدي النصائح طوال الوقت. وكورتني كانت المراهقة الغاضبة، والمزاجية والمتذمرة بشأن كل شيء.

رغم ذلك، لم تكن تحبّهما مثلما كانت تحبّ والدتها. لم تظنّ أنها ستتمكن من حب أحدهم مجدداً، ليس بنفس الطريقة التي أحبّت بها والدتها. لن تدع أبداً أحداً يتقرّب منها مثل أمها... الأشخاص يموتون، وليست هناك طريقة لاسترجاعهم.

لقد اشتاقت إلى والدتها كثيراً. كل ما أرادته بروك في هذه الدنيا هو شخص يحتضنها بحبه. بكت عندما رأت غريغ يحتضن ليام.

بعض الناس يكون حظهم أوفر من غيرهم، افترضَتْ ذلك.

كان غريغ لا يزال يحتضن ليام بقوّة، يتمتم في أذنه بصوتٍ منخفض وناعم، الصوت الذي كان يستخدمه ليقصّ على ليام قصَص ما قبل النوم. كان ينسج تلك القصص من خياله دائماً، فهو لم يكن يحب قصص الكتب. كان يحب تأليفها. كان يجعلها مشوقة جداً، مقلّداً كل الأصوات ومصطنعاً التأثيرات الصوتية. معظم القصص كانت تستند على أفلام الحروب التي كانا يشاهدانها سوياً، لكنه قصّ على ليام قصصاً تاريخية

أيضاً: نيلسون وويلينغتون، الإمبراطورية البريطانية، هجوم فرسان النور، عن حروب كُسبت وأخرى خُسرت، عن الجنود الشجعان، عن العراق وأفغانستان، وعن مكان ما اسمه تو ن باسيت. لم يكن ليام يهتم لموضوع القصة، بقدر ما كان رائعاً أن يكون لوحده مع والده في الظلمة الدافئة، وأن يكون له وحده.

أما الليلة فإنّ غريغ لم يكن يقصّ قصة. كان يحاول جعل ليام يشعر بالأمان وعدم الخوف. كان والده يصلح ليكون جندياً بارعاً، قبطاناً شجاعاً أو جنرالاً يهتمّ ويرعى جنوده.

كان شعوراً طيباً أن يسمع صوته في أذنه، ككل تلك الليالي التي يستطيع تذكرها. «أحبك يا ليام»، كان يقول، «لن أدع أحداً يؤذيك أبداً. أنت تعرف ذلك، أليس كذلك؟»

«نعم يا أبي.»

«أنت لي. أنت ابني. وهناك... في ذلك العالم الخارجي، هناك أشخاص يريدون أن يؤذوك. لكنهم لن يتمكنوا من ذلك ما دمتُ معك. لن يؤذيك شيء أبداً. أنا والدك يا ليام. وذلك يعني الكثير... فتى ووالده. ألم أفعل الصواب دائماً من أجلك؟ ألم أعتنِ بك دائماً؟ ألم نضحك دائماً معاً؟ نذهب لمشاهدة فريق أرسنال. نجلس جنباً إلى جنب. ليتني أستطيع أن أعيدك إلى هناك، إلى تلك المباراة. كان جمهوراً لا مثيل له!»

«كم كنتُ أودّ أن أرى ذلك يا أبي.»

«نعم. أذكر ذهابي مرةً مع أبي، نحن الاثنان فحسب. كنتُ أعرف دائماً أنني سأكون معه على ما يرام، لأنه كان دائماً معي، يعتني بي. هذا هو مكان الابن يا ليام، أن يكون إلى جانب والده. لهذا السبب كان عليك البقاء معي عندما هجرتنا أمك. لم تكن لتعرف أبداً كيف تهتم بك، أن تربّيك جيداً، أن تربّيك لتكون رجلاً سوياً مثل والدك.»

«لا.»

«فقط الأب يعرف كيف يربي ولده.»

سعل غريغ، وبينما كان يفعل ذلك كانت ذراعه الملفوفة تضغط على رقبة ليام.

«مهمتي، بصفتي أباً»، قال بعدما انقطع السعال، «أن أتأكد من أنّ أحداً لن يؤذيك.»

«نعم... في الواقع يا أبي أنت تؤذيني قليلاً»، قالها ليام وهو يضحك قليلاً، لكنه كان جاداً. كانت ذراع والده تخنقه.

«لا، أنا لا أؤذيك يا ليام، أيها الأبله السخيف»، قال غريغ وضحك أيضاً، «أنا أضمّك، هذا كل ما في الأمر.»

«نعم...»

«كل شيء على ما يرام، ألا ترى ذلك؟ أنا أُبقيك إلى جانبي فحسب، حيث تنتمي. ستكون دائماً إلى جانبي. فتى ووالده. أنت وأنا، صحيح يا ليام؟»

تأوّه غريغ ووضع رأسه بين ركبتيه. كان يرتجف وكانت درجة حرارة جسمه مرتفعة جداً. كان ليام يتعرّق في الجزء الذي التصق فيه جسده بجسد والده.

«هل أنت متأكد من أنك بخير يا أبي؟» سأل ليام بهدوء، والكلمات تخرج بطيئة.

«أنا مُصاب بصداع رهيب يا بني. أحسّ وكأنّ رأسي ينفلق إلى نصفين، مما يجعل من الصعب التفكير بالشيء الصواب، لكنني بخير. أنا أفعل دائماً الصواب، أليس كذلك؟ أنا أفعل دائماً الصواب. أعتني دائماً بك يا صغيري... ما هو الاسم... ما هو الاسم... يا إلهي. نسيت اسمك للحظة يا بني. يا لي من عجوز سخيف... ها أنا أفقد ذاكرتي في هذه السن. أفقد أفكاري. بنيّ، أشعر أنّ الكلمات في رأسي تنزلق مثل الثعابين. ما زلت أحاول التقاطها. جزيرة الثعابين... نعم.»

صمت غريغ ولم يعرف ليام ما عليه قوله. كان والده يتصرف بغرابة، تصرفات غير منطقية. أحسّ أن ذراعه الملتفة حول كتفيه ثقيلة جداً. لم يتفوّه

غريغ بكلمة لوقت طويل و لم يتحرك، كان جالساً في مكانه فحسب، يتنفس بصعوبة. تساءل ليام إن كان قد غفا.

حاول أن يزيح ذراع والده.

«اتركها»، تمتم والده، «أنا أحميك يا ليام... أترى! أنا أعرف اسمك. لي- يام. يجب أن أبقي ذراعي ملفوفة حولك، حتى تبقى في أمان. لن يؤذيك أحد ما دام هناك روح في جسدي. لطالما كان العالم مكاناً سيئاً، ولن يصبح أفضل أبداً، لكنه على الأقل يصبح أبسط. ليس هناك الكثير لنفهمه ونحلله، فقط اقتُل أو تُقتل، الحياة للأقوى، تأكل أو تموت. اللحم هو الحياة. أنت تعرف ذلك، صحيح؟ ذلك مكتوب على باب... ما اسمه... مخزني.»

«تقصد متجرك؟»

«نعم. لا داعي بعد الآن للقلق بشأن الضرائب والقوانين والازدحام وأيضاً برنامج Newsnigh و Question Time. لم تعد مضطراً لتعلم الفرنسية في المدرسة أو الرياضيات - لطالما كنتُ بارعاً في الرياضيات. عليك أن تكون هكذا عند امتلاكك متجراً - والتضخم المالي أيضاً لم يعد موجوداً، وكذلك أزمات الائتمان وقروض الرهن العقاري الثانوي والحرب النووية. لم تعد مضطراً للقلق من الكتب والتعليمات، وكيف تحسّن هاتفك وكلّ تلك الترهات. لم يعد كل ذلك يعني شيئاً... فقط كن قوياً وكُلْ حتى تبقى على قيد الحياة. سأكون قوياً من أجلك يا ليام. أعرف أنك تواجه صعوبة في أن تكون قوياً، أن تكون رجلاً صغيراً، لكن ربما إن تابعنا التدريبات قد تصبح أفضل... لكن حتى هذا لم يعد مهمّاً. ما... آه... نعم، ما يهم هو أنّ أحداً لن يؤذيك، لا داعي للخوف بعد الآن. كل ما عليك فعله هو الاستلقاء بين ذراعي والنوم يا ليام، حيث ستكون دائماً بأمان.

«أرجوك يا أبي، لا أستطيع التنفس، أنت تؤذيني، أنت تعصر رقبتي.»

«اشش، اششش، لا تتكلم أكثر. فقط اخلد للنوم يا ليام. ما دمتَ نائماً لن يؤذيك شيء...»

«أبي...»

وضع غريغ يده على فم ليام، مسكتاً إياه.

«حسناً، هذا أفضل. اهدأ الآن»، قال، ثم أنّ بلطف، مثل حيوان، «أستطيع أن أشعر بأصابع داخل رأسي يا ليام، أصابع تمزّقه. وإن لم أكن هنا لأحميك...»

أصدر ليام صوتاً مكبوتاً: «أبـ...ي...»

«اخلد للنوم يا ولدي العزيز.»

27

كانت لا تزال تمطر عندما استيقظوا، متيبسين ويشعرون بالبرد، ملتحفين بعدد من المعاطف وأكياس النوم والبطانيات وكل ما استطاعوا العثور عليه ليحافظوا على دفئهم. أنّ جاك وهزّ رأسه فوق رقبته، محاولاً تليين عضلة مشدودة. كعادته، سحب هاتفه الخلوي من جيبه، ثم تنهّد. أراه لإدّ الذي كان يسعل إلى جانبه.

«انظر إلى هذا»، قال وهو يحمل شاشة معطّلة مطفأة، «أنا معتاد على معرفة الوقت بواسطة هاتفي. اعتدت فعل كل شيء بواسطته. حياتي بأكملها كانت عليه: صوري، موسيقاي، أرقام هواتف كلّ من أعرف. لا أعرف حتى لَمَ أنا متمّسك به، فهو لن يعود إلى العمل مجدّداً، أليس كذلك؟ أفكر أحياناً بكلّ تلك الأقمار الصناعية في الأعلى، تطفو من دون فائدة، منقطعة عن الأرض. ماذا برأيك سيحدث لها؟ هل ستقع؟ لم أفهم يوماً طريقة عمل الأقمار الصناعية، أو كيف تبقى في مدارها.»

«ستبقى في الأعلى»، سعل إدّ مجدّداً، مصفّياً حلقه من البلغم، «عندما تصبح في المدار تبقى في المدار، لكنها ستكون معطلة، تماماً مثل هاتفك. لقد رميتُ هاتفي منذ وقتٍ طويل.»

«نعم، إنه مجرّد شيءٍ يريحنا على ما أظن»، قال جاك وهو يقلّب هاتفه القديم بين يديه، «تماماً مثل الكلب فلوبي.»

«لا أفهمك. ما الذي تتحدث عنه؟»

«الكلب فلوبي.»

«هل تقول إنّ من المفترض بي أن أعرف ما تتحدث عنه؟»

«بربك!»، ضحك جاك، «لا بد أنني أخبرتك عن الكلب فلوبي.»

«لا. ليس إلى حد علمي.»

«الكلب فلوبي هو دمية الكلب المحشوة السخيفة التي كنتُ أقتنيها في صغري. كانت له أذنان سوداوان عريضتان وطويلتان، وكانتا ناعمتي الملمس. اعتدتُ أن أمسِّد إحدى أذنيه ليلاً عندما أكون في الفراش. كان ذلك مطمئناً، مجرد الإحساس به، بنعومته»، أغمض جاك عينيه وابتسم، «ما زلت أستطيع الاحساس بذلك الآن. كنت أمسّد أذنه اليمنى، أمسِّدها من الطرف حتى الطرف. لم أكن أستطيع العيش من دونه. كنت أعلن حالة الاستنفار في حال أضعتُ الكلب فلوبي. حالة طارئة وطنية.»

«ماذا جرى له؟»

«في النهاية حدث ما كان غير متوقع. ذات يوم... لا أعرف كيف حدث ذلك... خلدتُ إلى النوم من دونه، من دون حتى التفكير بوجوده. وهكذا انتهى الأمر. زالت التعويذة. لن أخبرك كم كان عمري حينها، لكن بعد ذلك... لم يعد هناك وجود للكلب فلوبي.»

«لا بأس»، قال إد، «سرّك في أمان معي.»

«من الأفضل أن يكون كذلك»، رمى جاك هاتفه عالياً ثم التقطه، وسأل: «كم الساعة الآن برأيك؟»

نظر إد إلى ساعته وقال: «حوالى السادسة». كانوا جميعاً قد اعتادوا النوم والاستيقاظ في أوقات مختلفة هذه الأيام، فقد ضبطوا أنفسهم على إيقاع الليل والنهار، لذا لم يعد الاستيقاظ الساعة السادسة مسألة كارثية كما كان سابقاً.

نظر جاك عبر النافذة. كانوا في وسط طريق خلفي لم يعرفه. يا له من يوم بائس. كان المطر يقطر من كل شيء مرتطماً ببرك تتدفق على جوانب الأرصفة. لم يعد هناك من يفتح المجاري لذا كانت المياه تتجمع في الشوارع فحسب.

«ماذا ستفعل يا إد؟»، سأل.

«ماذا تقصد؟»

«هل ستذهب إلى أيسلينغتون مثل الباقين؟»

«أفترض ذلك. من الأفضل أن نبقى معاً. لماذا تسأل؟ ألن ترافقنا؟»

نقر جاك بأصابعه على زجاج النافذة: «نحن في جنوب لندن يا إد. لم نعبر النهر بعد. الآن هي فرصتي. تقع كالبهام على مسافة أميال قليلة غربي هذا المكان. لن أحتاج وقتاً طويلاً للوصول إليها سيراً.»

«لكنك لا تستطيع الذهاب بمفردك»، قال إد، «ظننتُ أنه بعد كل ما حدث...»

«لم أغيّر رأيي»، قال جاك وقد بدا واثقاً من نفسه، «لكني لستُ مضطراً للذهاب وحدي. يمكنك أن ترافقني، أنت وبام. ما الذي سيختلف عن شمال لندن؟ لقد أقنعتَ نفسك أنك بأمان داخل الحافلة و لم تعد تريد الخروج منها.»

«أعرف...»، مرّر إدّ أصابعه عبر شعره مدلّكاً فروة رأسه، «أظن أنني لم أفكّر بأمر غير أن نبقى مجموعة كبيرة. أما أنت، فيا لك من فتى عنيد.»

«لأكون صادقاً»، قال جاك وهو يخفض صوته ويميل نحو إد، «كلما ابتعدت عن اللورد غريغ أسرع كان أفضل.»

«أفهم قصدك تماماً.»

«إذاً، هل ستأتي معي؟»

«ظننتُ أنك لا تريدني إلى جانبك يا جاك. تعرف أنني لا أستطيع القتال. كما أنك تظن أنني جبان، فلمَ تريدني أن أرافقك؟»

«اسمع، لقد تفوّهتُ بأشياء حمقاء البارحة يا إد. كنتُ متعباً. تعرف كيف يكون الأمر. المسألة هي أنني فعلاً أريدك إلى جانبي. أنت صديقي المقرَّب.»

«لكنني لستُ بارعاً في القتال»، قال إد، «لستُ بارعاً فحسب.»

نهض جاك واقفاً وقال: «ستتعلم.»

«ينبغي أن أتحدث إلى بام»، قال إد.

«سنكون بخير يا إد»، شدّ جاك على ذراع إد، «ثلاثتنا فقط. لن يكون الصغار أو الأذكياء بصحبتنا لنعتني بهم.»

«ماذا عن بيرز؟ لن يتمكن من السير طويلاً بوجود تلك الإصابة في رأسه، ولا أظن أنّ بام سيتركه ويغادر.»

توقّف جاك عن الكلام. شتم. «لقد نسيتُ أمره كلياً. ربما تستطيع الفتيات الاعتناء به؟»

ضحك إد: «لا أظن ذلك.»

«حسناً، عالج الأمر مع بام. اتّخذا قراراً ما. سأذهب للتحدث إلى سيّد الحافلة هناك.»

تثاءب جاك وشقّ طريقه إلى مقدمة الحافلة. كان عليه أن يخطو من فوق ليام الذي كان ممدَّداً في وسط الممر، ملفوفاً ببطانية وسترة غريغ تحت رأسه كمخدة.

كان غريغ يجلس في مقعد السائق وبندقيته في حضنه، يحدّق أمامه مباشرةً عبر الزجاج الأمامي الذي كانت قطرات المطر تطرقه. كان يجلس هادئاً مثل تمثال، لكن حين اقترب جاك منه انفجر في نوبة سعال قوية انتهت ببصقه شيئاً على درجات الحافلة.

توقّف جاك وأخذ نفساً عميقاً. أن يسعل راشد بهذه الطريقة أمرٌ لا يبشّر بالخير، وعادةً يعني ذلك أمراً واحداً. تنفّس ببطء وخطا بضع خطوات أخرى نحو غريغ.

«هل تعرف أين نحن بالضبط؟» سأل آملاً جواباً مفيداً.

تجاهله غريغ. كان يجلس هناك فحسب.

«هل نحن في منطقة مثل بوروف أو ما إلى ذلك؟» تابع جاك سيره. لم يتلقَّ إجابة.

«غريغ؟»

لم يسمع ردّاً، سوى صوت طرقات المطر على سقف الحافلة.

«هل أنت بخير؟»

سمع صوتاً، كان زعيقاً مكبوتاً وتنهّداً في الوقت نفسه. استدار جاك. كانت زهرة مع ليام، تحاول أن توقظه.

قالت: «هناك خطبٌ ما به، فهو لا يستيقظ.»

«ماذا؟» شعر جاك فجأةً بالبرودة.

«ماذا حدث له؟ لمَ لا يستيقظ؟»

«أحضري بعض الماء ورشّيه على وجهه.»

«إنه لا يتحرك.»

«حرّكيه إلى وضعية الإنعاش.»

«دعوه وشأنه!»

أتى صوت غريغ قوياً مخيفاً عبر الحافلة المكتظة. صمت الجميع تماماً. رغم ذلك بقي غريغ بلا حراك.

مشى جاك إلى ليام وركع إلى جانبه. هزّه. كان بارداً جداً. رفع جاك وجهه بين يديه. كانت شفتاه زرقاوين وعيناه مفتوحتين على وسعهما، متورّمتين قليلاً. كانت هناك علامات حمراء وكدمات على رقبته.

«إنه ميت»، قال دون أن يوجّه كلامه إلى شخص معيّن.

«قلتُ دعوه وشأنه!»، صرخ غريغ، «لا تلمسوه. لا تقتربوا منه. أنا أعتني به. لا يجدر بأحدكم أن يكون إلى جانبه، فهو أفضل منكم.»

«إنه ميت»، كرّر جاك، «ماذا حدث؟»

«لم يحدث شيء.»

«كنتَ معه ليلة البارحة»، قال جاك مديناً إياه، «ماذا حدث له؟»

«إنه بخير!»

استدار غريغ أخيراً ونهض واقفاً. كان وجهه مغطّى بالعرق وعيناه محمرّتان. كانت هناك بقع بيضاء حول فمه. لكن أكثر ما أقلق جاك هو أن غريغ كان يضع نظارة ليام ذات الإطار الرفيع.

«لمَ تضع النظارة؟» سأل.

وضع غريغ يده على وجهه.

«كانت الشمس ساطعة جداً»، قال وهو يرمش، «احتجت إلى وضع نظارة داكنة.»

شعر جاك بقشعريرة تسري في جسده وبغضب شديد، وقال بنبرة اتّهام: «أنت مريض، لقد أُصبتَ بالوباء. أنت مثل الباقين الآن.»

«لستُ مريضاً. أنا بخير.»

«انظر إلى نفسك يا غريغ. انظر في المرآة. لقد أُصبتَ بالوباء»، ثم أشار نحو جثة ليام الهامدة. كان جاك يرتجف من الغضب وهو يلوّح بإصبعه. كان يعرف أن غريغ خطر، كان يعرف أنّ عليه الحذر، أن يكون ذكياً مثل إد، لكنه لم يستطع السيطرة على نفسه.

سأل: «هل فعلتَ هذا؟ أنت من قتل ليام، أليس كذلك؟»

قال غريغ بصوت أجشّ: «كنتُ أحميه حتى لا يتمكن أحد من أذيته. ماذا كان بمقدروه أن يفعل إن لم أكن معه؟ كان رقيقاً دائماً. لم يتعلم صغيري ليام أن يكون قوياً مثلي أبداً. كان الفتى الأرقّ والأطيب. أما الآن فسيبقى كذلك دائماً.»

«غريغ...»

«اخرس! اجلس واخرس. قلتُ إنني سأوصلكم جميعاً إلى أيسلينغتون، وسأفعل ذلك. سآخذ ليام إلى المنزل.»

صوّب بندقيته نحو جاك، الذي تراجع إلى الخلف، يرتجف أكثر من أي وقت مضى.

«هذا أفضل»، قال غريغ وهو يلوّح بالبندقية في وجه جميع الذين على متن الحافلة، «حسناً، ابقوا جميعاً في مقاعدكم، اجلسوا. لا تتحدثوا إلى السائق عندما تنطلق الحافلة، وإلا سيطلق السائق النار عليكم. أتفهمون كلامي؟»

عاد غريغ إلى مقعده وشغّل المحرك. كان المطر يضرب جانب الحافلة بقوة، وكأنّ ريحاً عاتية تحرّكه في اتجاههم. أدرك جاك برعب أن غريغ

سيقود الحافلة وهو شبه أعمى.

بينما بدأت الحافلة تنتطلق نهض إد وجلس بالقرب من جاك، وقال بهدوء:

«لقد فقد عقله.»

«كليّاً.»

«ماذا سنفعل؟» سأل إد.

«لنجلس بهدوء وننتظر اللحظة المناسبة. لن يذهب بعيداً وهو بهذه الحالة.»

«هل قتل ليام؟»

«على الأرجح. وقد يقتلنا جميعاً إن لم نوقفه بطريقة ما.»

انطلق غريغ بالحافلة، وسرعان ما كانت تنهب طرقات جنوب لندن. انطلق بسرعة كبيرة. كان غريغ خارجاً عن السيطرة كلياً.

أحسّوا بارتطام قوي عندما ضربت الحافلة شيئاً على جانب الطريق، لكن غريغ زاد من سرعته. صرخ أحدهم، وبدأت زهرة تنوح. كانوا جميعاً قد سقطوا عن مقاعدهم. ضغط جاك بوجهه على زجاج النافذة وحاول أن يستعيد توازنه.

سأل إد: «إلى أين يأخذنا؟ أيمكنك أن تعرف أين نحن؟»

«لستُ متأكداً. نحن في مكان ما بالقرب من جسر لندن على ما أظن. لكن أظن أننا نتجه جنوباً، بعيداً عن النهر. من الصعب جداً معرفة الاتجاهات، فالطرقات كلها متعرجة هنا.»

دوّت ضربة قوية أخرى فتمايلت الحافلة على جانبيها عبر الطريق. كان غريغ يتعارك مع المقود، وكان يجد صعوبة في السيطرة عليه.

«هذا جنون»، قال جاك وهو يقف ويتسلق نحو إد.

«جاك، لا...»

شقّ جاك طريقه بصعوبة نحو مقدمة الحافلة، متمايلاً من جانب إلى آخر، متعثراً بالمقاعد.

«أوقف الحافلة!» صرخ. ردّاً عليه لوَّح غريغ ببندقيته وأطلق النار في اتجاهه. دبّ الذعر في الحافلة عندما اخترقت الرصاصة السقف، لكنّ جاك استطاع في اللحظة الأخيرة أن يرمي بنفسه على الأرض والالتصاق بالأرضية المغطاة بالسجاد.

«اجلس!» صرخ غريغ وهو لا يزال يلوِّح بالبندقية.

بقي جاك مكانه آملاً أن يخفّف غريغ من سرعته. كان من الواضح أنه لن يتوقف إلا عند حدوث اصطدام كبير.

اتّخذ جاك قراره.

إذا ارتطمت الحافلة بشيء أمامها فسيطير عبر الممر إلى الأمام مثل قذيفة.

بدأ يزحف، إنشاً تلو إنش، على الأرض. أمل ألاّ يلاحظ غريغ وجوده من خلال المرآة المحدَّبة الكبيرة التي تُمكن السائق من رؤية داخل الحافلة بأكملها. عبر من جانب جثة ليام، حاول ألاّ يفكر بما فعله غريغ به، تابع زحفه.

انطلقت الحافلة من فوق عقبة ما فارتفعت ثم هبطت. أحسّ جاك بالضربة عندما ارتفع في الهواء قليلاً ثم هبط بقوة. سمع شيئاً يتحرك بقوة على طول جانب الممر. رغم ذلك واصل زحفه إلى الأمام وعيناه مركّزتان على البندقية التي كان غريغ يلوِّح بها على غير هدى.

لم يكن غريغ يستطيع القيادة جيداً، ولا حتى التصويب جيداً. عاجلاً أو آجلاً إما سيصطدمون بشيء أو سيُطلق غريغ طلقة تُصيب أحد الأولاد.

كان على جاك متابعة خطته.

وصل إلى مقدمة الحافلة أخيراً. كان على مقربة من غريغ لدرجة لمسه. اختار جاك اللحظة المناسبة ثم رفع نفسه عن الأرض. ضرب ذراع غريغ التي تحمل البندقية وقبض على معصمه. دوّت ضربة وضغط غريغ على الزناد. كشطت الرصاصة الزجاج الأمامي ثم صنعت حفرة عندما اخترقت الباب.

كانت البندقية تتّسع لطلقتين فقط. إذا أراد غريغ إطلاق النار مجدداً فعليه أن يلقِّم بندقيته أولاً، و لم يكن جاك ينوي أن يمنحه تلك الفرصة. شدّ البندقية

من يد غريغ، لفّها ليضرب مقبضها جانب رأس غريغ. خرجت مادة خضراء من أنف غريغ ووقع بعيداً عن جاك بينما انحرفت الحافلة عن مسارها فوقع جاك على الدرجات. لبضع ثوان حرثت الحافلة الأرض حرثاً، متمايلةً، منحرفةً عن رصيف مشاة إلى آخر، إطاراتها تصفّر، ثم حدث الارتطام القوي الأخير عندما اصطدمت الحافلة بمجموعة سيارات معطّلة، فتوقفت أخيراً عن السير.

من مكانه، حيث كان منبطحاً على الدرجات، استطاع جاك أن يرى دخاناً يتصاعد من الخارج.

فكّ إدّ حزام الأمام، ركض عبر الممر وسحب جاك من المدخل، وساعده على الوقوف.

«أحسنت!» ابتسم لصديقه الذي بدا مرعوباً وطائشاً قليلاً.

لكنّ أمر غريغ لم يكن قد انتهى بعد. بزئيرٍ قوي شنّ غريغ هجوماً من مقعده ولكم إدّ بيده البدينة ليبعده عن الطريق، محاولاً الوصول إلى جاك.

صوّب جاك ركلة قوية نحو غريغ. أصابه في ركبته. صرخ غريغ، فرمى جاك بلكمة قوية لو أصابته لطرحته أرضاً، لكنّ جاك تمكن من تفاديها والهرب إلى وسط الحافلة، جارّاً إدّ معه.

كان غريغ منحنياً، ذراعاه ممدودتان، عيناه الحمراوان تشعّان غضباً وحقداً. كان الدم يسيل من فمه – لم يعرف جاك إن كان من لكمته على الرأس أم نزيفاً داخلياً من أحشائه، كان معرفة ذلك أمراً مستحيلاً. سعل فتناثر الدم والمخاط على الأولاد الذين كانوا في مقدمة الحافلة، يحاولون التراجع إلى الخلف، بعيداً عن طريقه، مثل بطات صغيرة مذعورة.

تجشّأ غريغ فتكوّنت فقاعة بنية كبيرة بين شفتيه، انفجرت ففاحت رائحة كريهة في الحافلة. مسح فمه وبصق كتلة من المخاط المطاطي في اتجاه النافذة، حيث سقطت ببطء مثل رخوية صفراء سمينة.

«ما دام ليام لم يعد على قيد الحياة»، سال لعاب غريغ، «فلا يستحق أحدكم العيش؛ **لا أحد منكم**. سأمزقكم جميعاً.»



كانت بروك ممددة في فوضى الصناديق المفتوحة والمبعثرة في مؤخرة الحافلة، نصف مدفونة تحت أكياس الرقائق المقرمشة والبسكويت. كانت قد أصابتها علبة فاصولياء في رأسها، وللحظة لم تكن متأكدة أين هي. سحبتها كورتني وساعدتها على الوقوف لتُدرك أخيراً ما يجري من حولها. كان غريغ يتقدّم عبر الممر، دافعاً الأطفال الصغار المذعورين أمامه. شتمت بروك وبحثت من حولها عن طريق للهرب من هذه الفوضى.

فوق النافذة رأت شيئاً يشبه مطرقة معدنية صغيرة كانت موضوعة في صندوق بلاستيكي.

«انظري»، قالت لصديقتها وهي تدير وجهها، «لنكسر الزجاج ونهرب من هنا.»

«افعلي ذلك!» قالت كورتني.

قفزت بروك إلى المقعد، استخدمت كوعها لكسر الزجاج الرقيق الذي يغطّي المطرقة، رفعت نفسها قدر ما تستطيع لتزيل المشابك التي تثبّت المطرقة في مكانها.

«هيا أيتها الأشياء الغبية.»

أخيراً تمكّنت أصابعها من الوصول إليها وانتزعتها.

«بسرعة!» كانت أليشيا تراقب غريغ يشقّ طريقه ببطء عبر الحافلة. الأولاد يتكوّمون في مقاعدهم، يضمّون بعضهم بعضاً خوفاً منه.

أرجحت بروك المطرقة.

لا نتيجة. لقد ارتدّت فحسب.

أخفقت مجدداً.

«أقوى!»، صرخت كورتني، «اضربي أقوى!»

«أعرف!»، صرخت بروك بغضب، «امنحيني فرصة». أرجعت ذراعها إلى الخلف، كشّرت عن أسنانها وأصدرت صرخة مثل لاعبة تنس بينما هي تؤرجح المطرقة مجدداً. هذه المرّة كانت النتيجة مُرْضية حينما سُمعت طقطقة في النافذة التي تشقَّق زجاجها على شكل آلاف الماسات المتلألئة. ضربة أخرى وتناثر الزجاج إلى آلاف النثرات، مصلصلةً ومخشخشة.

اندفعت بروك نحو النافذة ثم قفزت إلى الوراء وهي تصرخ.

كان هناك موبوءون في الخارج.

كان هناك حوالى عشرة منهم، متجمهرين حول الحافلة، آباء وأمهات، بضعة مراهقين، في حالة أسوأ بكثير من حالة غريغ. رمى أحدهم بنفسه على النافذة المكسورة وتشبّث بحافتها. كان في حالة يُرثي لها. خدّاه إما مُزِّقا أو تعفَّنا حتى تدلّى فكه السفلي، ولم يعد ملتصقاً بفكه العلوي. كان رأسه مائلاً إلى الخلف ولسانه يتدلّى زهرياً طويلاً وكأنه «بيز ديسبنسر».

«نحن عالقون»، صرخت بروك وهي تضرب أصابع الأب بالمطرقة. تجمّعت صديقتاها حولها لتلقيا نظرة إلى الخارج. كان الموبوءون يزدادون حماسةً، بدأوا يئنّون ويضربون بقبضاتهم جوانب الحافلة... بانغ... بانغ... بانغ...

مشى غريغ عبر الحافلة بذراعين مفتوحتين، يسيل لعابه، يسعل، ويتجشأ.

كان مات يقف في الوسط عندما اندفع الأولاد الأصغر سناً نحوه. كان يُمسك ببعض الأوراق الممزَّقة من صفحات إنجيله.

«غريغ! توقف!»، قال وهو يرفع يده، «لا داعي لتتّخذ الأمور هذا النحو. أستطيع أن أساعدك. الحمل يستطيع أن يشفيك. يستطيع أن يجعلك بحال أفضل. يستطيع الحمل أن...»

هاجمه غريغ بيدٍ مثل ضربة المنجل. تلقّى مات الضربة في وجهه، فمزَّق

خاتم غريغ جرحاً من فوق حاجبه حتى حدّ شعره. طار مات من هول الضربة ووقع بقوة بين المقاعد.

اقتنص كلٌ من زهرة وفروغي وجيبر جابر الفرصة للهرب إلى المرحاض. فتحوا الباب واختبأوا في الداخل وهم يحاولون بتوتّر إغلاقه خلفهم.

زمجر غريغ ولكم بقبضته أعلى الباب. علقت يده هناك للحظة. شدّها بقوة وخارَ واهتز مثل كلب يحاول الحصول على عظمة. بينما كان يحاول تحرير يده مزّقت نثرات الخشب والبلاستيك ذراعه. كان صوت بكاء الأولاد الصغار يصل بعيداً من داخل الحمام.

بدأ غريغ يشتم ويلعن وبدا أنه على وشك خلع الباب كله من مفاصله.

«أفسحوا الطريق! أنا أمرّ!» كان بام يهاجم عبر الممر برأس مائل إلى الأسفل وكتفين ثابتتين كما لو أنه كان في ملعب روكبي يستعد للتسديد.

نظر غريغ خلفه في الوقت الذي هاجمه بام فسقط الاثنان معاً.

«أحضر البندقية!» صرخ بام محاولاً إبقاء غريغ أرضاً. كان بام ضخماً وقوياً وثقيل الوزن، لكن كان غريغ أثقل وزناً وكان يشتعل غضباً وجنوناً. لكمَ بام الذي تشبّث به.

بانغ... بانغ... بانغ... بانغ... بانغ... بانغ... واصل الموبوءون في الخارج ضرباتهم على جانب الحافلة.

وثب جاك فوق الأجسام المتلوية في الممر وسارع نحو مقدمة الحافلة. التقط البندقية من حيث كانت ملقاة على الأرض وأخذ يبحث عن الذخيرة.

كان إلى جانب مقعد السائق رفّ وُضعت عليه مناديل ورقية وحلوى وعلب أقراص مدمجة وخرائط. بدأ جاك يبحث بين الأغراض، رامياً بها جانباً، يداه تبحثان بتوتر عن الذخيرة. كان من الصعب جداً أن يركّز في خضمّ تلك الأجواء وصيحات الأولاد وطَرقات الموبوئين من الخارج والمطر الذي كان يقرع سطح الحافلة.

«هيا، هيا...»

ها هي. التقطها ورمى بباقي الأغراض جانباً دون أن يعرف ما هي.

صندوق من الذخيرة الخاصة بالبنادق. لم يلقِّم بندقية من قبل لكنه رأى الطريقة مرات عدّة في الأفلام وفي التلفاز، لذا كانت لديه فكرة لا بأس بها عمّا عليه أن يفعل. كان يعرف أنّ عليه لَيّ البندقية من الوسط ووضع الخرطوش في الطرف الخلفي للماسورتين. لكنه لم يعرف كيف يفتح البندقية من الوسط.

بدأ يشتم ويلعن.

لا بدّ أنّ هناك قفل أو مشبك من نوع ما.

دوّت صرخة فنظر خلفه ليرى غريغ يحاول الوقوف على قدميه، دافعاً بام عنه. كان يتحرّك بطريقة خرقاء. بدا أنّ تلك اليد التي علقت مسبقاً في باب المرحاض قد خُلعت. استدار بجسمه كاملاً إلى اليمين فبدا وكأنّ رأسه لم يعد متّصلاً برقبته.

كان كريس ماركر يجلس هنا، متجمِّداً في وضعية القراءة، عيناه متجمّدتان على المشهد أمامه.

وقف كريس ببطء وتراجع خطوات إلى الخلف حتى التصق بالنافذة، وكتابه بين يديه.

كان غريغ يتنفس بصعوبة، يرمش وكأنه لا يستطيع أن يرى، مرتبكاً لكن يشتعل غضباً.

أغلق كريس ببطء غلاف الكتاب، ثم بحركة سريعة رماه بضربة مباشرة أصابت أنف غريغ وكسرت زجاجتي نظارة ليام. أطلق غريغ نخيراً مثل حيوان وترنّح قبل أن يسقط على المقاعد على الجانب الآخر من الممر.

«هيا»، صرخ إد وهو يساعد الأولاد الصغار على الخروج من المرحاض، «ليغادر الجميع الحافلة.»

«لا!»، صرخت بروك، «هناك المزيد منهم في الخارج.»

بانغ... بانغ... بانغ... بانغ... بانغ...

عرج بام حتى وصل إلى جاك وأخذ منه البندقية. عثر سريعاً على القفل. ابتسم لجاك ووضع البندقية بين ركبتيه ثم لقّم الماسورتين سريعاً بالخرطوش

الذي عثر عليه جاك.

نظر إلى الخلف نحو إد الذي كان في وسط الحافلة.

«سأفتح لكم الطريق في الخارج. أحضر أنتَ بيرز!» صرخ وهو يدفع بباقي الرصاصات إلى جيبه. ركل الباب المحطّم.

«ابقوا معي!» أمر، ثم نزل من الحافلة.

سمعوا طلقتين.

«بسرعة!» قفز جاك خلف بام ثم تبعه الباقون وهم يدفعون بعضهم بعضاً للنزول من الحافلة قبل أن يتمكّن غريغ من النهوض.

وضع إدّ يده على كتف كوانيلي وهو يمرّ من جانبه، جارّاً حقيبة ملابسه، وقال له: «ساعدني»

«أنا؟»

«نعم أنت! لا يمكنني حمل بيرز لوحدي.»

«إنه ينزف. سيوسخ بذلتي.»

«اخرس وساعدني فحسب.»

حملا بيرز من ذراعيه وجرّاه عبر المقاعد. كان وزنه كوزن الموتى. شتم كوانيلي عندما علقت حقيبته بقائمة أحد المقاعد. لهث بيرز وجفل من الألم، ففتح عينيه.

«لا بأس، نحن نغادر الحافلة يا صديقي»، قال إد.

جرّاه على طول الممر فسدّوا الطريق على بروك وصديقتيها اللواتي كنّ يحاولن جاهدات العبور من بين الصناديق.

«بسرعة»، ناحت كورتني.

كانت بروك ترتجف بطريقة خارجة عن السيطرة. لقد رأت ما في الخارج. الفتيان لم يروا ما رأته. إذا تفرقوا عن بعضهم فستحصل كارثة، وهي بكل تأكيد لم ترد أن تبقى وحدها على متن الحافلة.

كان غريغ ينظر إليهم وهم يعبرون من جانبه.

«ابقوا حيث أنتم» قال، وكان صوته يخرخر من المخاط. اندفع نحو

بروك التي صرخت وضربته بالمطرقة في أمعائه. خرج الهواء منه مثل فقاعة تنفجر فتلوّى من الألم.

اندفعت الفتيات من جهة إدّ نحو الباب، حتى كدن يقعن على الدرجات من الخوف. خارجاً، تحت المطر، كان بام يعيد تلقيم البندقية. كان هناك موبوءان ملقيان على الرصيف، أم ومراهق، أما الباقون فكانوا منكمشين خلف الحافلة. كان بيز من بينهم... رأسه متأرجح إلى الخلف ولسانه الزهري البشع متدلٍّ خارج فمه.

«تحركن»، صرخ بام بالفتيات، «اهربن بينما تستطعن ذلك.»

29

كان إد وكوانيلي على وشك الوصول إلى الباب، لكن كانت حركتهما صعبة. كان بيرز قد فقد وعيه مجدداً وكوانيلي يواجه مشكلة في حمله بيد واحدة وهو يجرّ حقيبة متاعه باليد الأخرى. نادى طالباً المساعدة، لكن كان الجميع قد هربوا من الحافلة.

«لقد نسوا أمرنا»، ناح كوانيلي.

«اخرس وتابع السير»، زمجر إد، «لا يمكننا تركه هنا.»

كانت هناك ضجة خلفهما. كان غريغ قد نهض مجدداً، محاولاً بارتباك معرفة أين ذهب الجميع.

وقع نظره على الصبيَّين.

«انسَ الأمر»، قال كوانيلي، «سأغادر.»

ألقى بيرز. صرخ إدّ به لكنه غادر الحافلة وهرع خلف الآخرين.

بقي إدّ وحده متشبثاً بذراع بيرز. صاح باكياً: «بيرز، هيا، بيرز، ساعدني... ساعدني...» لكن بيرز كان في عالم غير هذا العالم.

كان غريغ يتحرك ببطء نحوهما. بدا مرتبكاً أكثر من أيّ وقت مضى، وجهه قناع من الدم والقيح. كان السائل يقرقر في حلقه، وكأنّ يُخرج أنفاسَ جشّاء مبحوحة.

بجهود جبّارة من فتى في سنّه استطاع إدّ الوصول ببيرز إلى الباب، لكن حينها لم يعد يستطيع جرّه أكثر. أخذ إدّ يشدّ ويشدّ لكنه لم يستطع تحريك بيرز من مكانه. في حالة الذعر التي كانت تجتاحه، لم يعرف ما عليه أن يفعل؛

لم ينتبه إلى أنّ سترة بيرز كانت قد علقت في المقبض.

صرخ: «بيرز، بيرز، هيا. استيقظ!»

كان غريغ يقترب أكثر فأكثر، شفتاه متدليتان لتبرز أسنانه الدامية. مدّ يده السليمة نحو إدّ وبدا أنه يتسم.

نظر إدّ إلى الخارج. كان هناك ثلاثة موبوئين يقتربون من الباب. خلال لحظات سيصبح طريق هربه مسدوداً من الجهتين. لم يكن هناك أي أثر لأصدقائه.

«بيرز»، صرخ وهو يحاول، دون جدوى، تحريك جسد الفتى. كان إد يبكي بيأس. كان غريغ قد اقترب كثيراً، استطاع شمّ رائحته.

اتركه يا إد.

«آسف»، قال وقد أراحه أنّ بيرز فاقد للوعي ولن تكون لديه أي فكرة عمّ يحدث.

قفز من الحافلة، انطلق متخطّياً الموبوئين في الشارع مبتعداً عنهم. خلفه، استطاع سماع صوت غريغ يزمجر ويزأر، مقاتلاً الراشدين الآخرين على جثة بيرز.

واصل إد الركض، ونظره يجول ويصول بخوف ويأس علّه يرى أصدقائه. دوّى صوتٌ قويّ فالتفت نحو مصدره. كانَ الأولادُ عند نهاية الطريق. كان معظمهم يحاولون متعثرين تسلّق سياج بالقرب من بوابة بيضاء طويلة، بينما كان بام وجاك يقاتلان مجموعة من الموبوئين الأصغر سنّاً. كان ذلك الصوت طلقة أطلقها بام نحوهم.

صرخ إدّ: «مهلاً! انتظروني.»

إما أنهم لم يسمعوه أو أنهم تجاهلوه.

ركض إد ليلحق بهم وهو يشعر بالغثيان لتركه بيرز. كان بام وجاك يبذلان ما بوسعهما لصدّ هجوم الموبوئين. كان هناك ستة منهم يحاولون خربشة الصبيان وهم يكشّرون عن أسنانهم الصفراء. كانوا قريبين جداً من بام، فكان يطلق عليهم النار حيناً ويستخدم بندقيته كمضرب حيناً آخر.

مُطلِقاً صرخة مدوية اندفع إدّ نحوهم، مشتتاً إياهم وموقعاً اثنين منهم

أرضاً. اغتنم بام الفرصة فأطلق النار على أحدهم.
«لنقفز من فوق السياج»، صرخ جاك، «لا يستطيعون اللحاق بنا.»
وثب إد من فوق السياج نحو موقف السيارات الصغير عند الجانب الآخر. أمامه رأى مدفعين بحريين رماديين ضخمين يصل طول كلٍّ منهما حوالى ستة أمتار. كانا منتصبين أمام المبنى ليجعلاه يبدو مثل سفينة حربية جنحت عن مسارها. كان المبنى ضخماً وكلاسيكياً في تصميمه، تنتصب أمامه ستة نصب تذكارية وتعلوه قبة طويلة خضراء.
للحظات من الدهشة أدرك إد أنه يعرف هذا المكان، فقد أتى إليه في الماضي عندما كان في المدرسة الإعدادية. كان متحف «إمبريال وور».
تبعاه جاك وبام فوق السياج. لقّم بام بندقيته مجدّداً والتفت ليطلق رصاصة أخيرة نحو الموبوئين عند الجانب الآخر، لكن دونما جدوى، فهم في مطلق الأحوال لا يعرفون كيفية عبور السياج.
ركض الفتيان الثلاثة عبر الطريق حيث كان أصدقاؤهم في انتظارهم بالقرب من مدفعَي البحرية، يلهثون من التعب، والمطر يلسع وجوههم، وأقدامهم تصفع أحجار الرصيف المبلّل. ركض جاك وإد جنباً إلى جنب، بام خلفهما مباشرةً.
«ماذا حدث لبيرز؟» سأل جاك لاهثاً.
«لم تنتظرونا»، ردّ إد.
«هل تركته؟»
«كوانيلي هرب. لم أستطع إنقاذه لوحدي. كان يجدر بك البقاء.»
«كنتُ أساعد الآخرين.»
«كان يجدر بك البقاء». وصل إد إلى درجات المتحف وتوقف، كان يلهث بقوة وهو يضع راحتَي يديه على ركبتيه. كان الأولاد الباقون يطرقون الأبواب بقوة. كان كوانيلي معهم، يقف محرجاً وحقيبته إلى جانبه.
ألقى إد إليه نظرة وقحة تنمّ عن الاشمئزاز: «شكراً على المساعدة يا كوانيلي.»
«أي فرق كانت ستُحدث مساعدتي؟»، احتجّ كوانيلي، «حتى لو تمكنّا

من إنزاله من الحافلة لم يكن بإمكاننا الركض به كلّ هذه المسافة.»

«هذا ليس مبرراً.»

«المهم هو أننا لا نزال على قيد الحياة.»

«وهذا لا ينطبق على بيرز.»

حينها انتبه بام أنّ بيرز كان مفقوداً فسأل متّهماً: «أين هو؟»

«اضطررنا إلى تركه في الحافلة»، شرح إد، «لم نستطع نقله.»

قبل أن يتمكن بام من قول أي شيء علت هتافات. أحدهم فتح الباب من داخل المبنى. تسابق الأولاد في الدخول.

بقي إد خارجاً للحظات، ملتقطاً أنفاسه، يجمع شتات نفسه، لا يريد رؤية وجهَي بام وجاك، ثم مشى ببطء نحو المتحف، مارّاً بالقرب من صبيَّين يرتديان زيَّين عسكريين، كانا يمسكان بالباب مفتوحاً.

في المتحف مرّ من مساحة استقبال صغيرة، خطوات عدة أخرى ووصل إلى القاعة الرئيسية. كانت هناك طائرات تتدلّى من السقف. لاحظ جاك وجود طائرة نفاثة من بينها. كانت الأرض البيضاء مزروعة بالدبابات والآليات وقطع المدفعيات من جميع الأشكال والأحجام.

كان باقي أولاد الحافلة يتجولون في المكان بأفواهٍ فاغرة من شدة الذهول. وقفت مجموعة صغيرة من الفتيان يحدّقون بوجوه متجهمة في الوافدين الجدد. على غرار الصبيّين اللذين أدخلاهم، كانوا يرتدون بذلات عسكرية من الواضح أنهم استعاروها من المعرض، كما كانوا مدججين بالسلاح.

«من هذا؟» أتى صوت من خلف إحدى الدبابات.

«لا أعرف، بعض الأولاد»، قال أحد الفتيان الذين يرتدون البذلات العسكرية.

مشت بروك حول الدبابة، تبعها باقي أفراد الحافلة.

كان هناك ثلاثة فتيان في قرابة الثالثة عشر من العمر، يجلسون متربّعين على الأرض، يلفّون أنفسهم بالشراشف والبطانيات. بدوا مثل شيوخ القرى الذين يجلسون حول موقد نار. ثلاثتهم كانوا يحملون مساطر ومكعبات

نرد ودفاتر ملاحظات، وكانوا يفترشون من حولهم على البلاط اللامع مئات الجنود من الألعاب المعدنية المصغّرة وقطعاً غريبة الشكل استُخدمت لتمثّل الأراضي... من أشجار ومبانٍ وطرقات. من الواضح أنهم كانوا في وسط لعبة حرب.

من بينهم، كان يجلس ولد بدين يرتدي خوذة ألمانية من الحرب العالمية الأولى يرتفع منها رمح. بالقرب منه كان يجلس ولد أسود يضع نظارة ذات إطار رفيع يتصل عند الأنف بشريط بلاستيكي رفيع. كان حدّق في الدخلاء دون أن يرمش. جعلت النظارة عينيه تبدوان كبيرتين، كما لو أنهما تستطيعان سبر أغوارك. كان يعلو وجهه تعبيرٌ جاد يكاد يكون غير مقروء، وكان هادئاً جداً. لم يكن الفتى الثالث مختلفاً كثيراً، فقد كان شاحب اللون، نحيلاً، يبدو متوتراً ومفعماً بالحيوية في آن، وكأنه قدر تغلي على النار. حكّ إبطه، نقر أنفه، وابتسم للوافدين ابتسامة عريضة مثل قردٍ يُظهر أسنانه.

«لحم طازج»، قال، «لذيـــذ! لذيذ جـــــداً.»

«ها ها»، قالت بروك بلهجتها الساخرة المعتادة، «مضحك جداً.»

«أحب أن أفكّر أنني مضحك»، قال الفتى النحيل، «يعجبني أنني لم أفقد لمستي الخاصة.»

«أشك في أنك كنت كذلك يوماً»، قالت بروك.

وقف الفتى النحيل بسرعة وقدّم يده لبروك لتضرب كفها. رفضت ذلك.

«أنا دوغ نت»، قال، «لكن يمكنكِ مناداتي حبيبي.»

هزّت بروك رأسها مشمئزّةً وابتعدت عنه.

«انتبهي أين تسيرين»، قال الفتى الأسود الذي يضع نظارة.

«أووه، لا نريد أن نخرّب ألعابكم، أليس كذلك؟» قالت بروك.

«هذا مؤكد»، قال الفتى وكأن ذلك واقعٌ بحت، لكن بلهجة صاحبتها نظرة باردة قاسية يشوبها خطرٌ ما. تعثّرت بروك. لم تكن تعرف ما إن كان عليها التمادي أكثر أم لا. كان هناك شيء في ذلك الفتى أمرها بتوخي الحذر، جوّ من النفوذ والسلطة الهادئة.

«استمعي إلى ما يقوله الرجل السيئ»، قال دوغ نت، «صدّقيني، أنت لا تريدين أن تري الجانب السيئ لجوردن هوردرن.»

«أهذا اسمك؟»، قالت بروك، «جوردن هوردرن؟»

«نعم»، قال الفتى الأسود، «ما المشكلة؟»

«لا شيء. إنه اسم جميل، له إيقاع.»

«نعم»، قال جوردن هوردرن، «أعرف.»

«هل ستبقون لاحتساء الشاي؟» سأل دوغ نت بلهجة أنيقة لكن ساخرة.

«لن يبقوا»، قال جوردن هوردرن وهو يستدير عنهم ويركّز مجدّداً على لعبته.

«ومن قرّر ذلك؟» سألت بروك.

«إذا قال الرجل إنكم لن تبقوا»، قال دوغ نت، «فذلك يعني أنكم لن تبقوا. فلا أحد يعارض كلام جوردن هوردرن أو يناقشه، مفهوم؟»

«لحظة واحدة»، قال جاك وهو يمرّ بجانب إد، «أنتم لا تملكون هذا المكان. لا يمكنكم طردنا فحسب.»

«حقاً؟ ألا أستطيع ذلك؟»

«بالطبع لا»، قالت بروك، «لقد هربنا للتو من مجموعة من الموبوئين هناك يا رجل. أولاً، كنا عالقين على حافلة مع راشد جنّ جنونه علينا وحاول قتلنا جميعاً، ثم واجهنا أولئك المجانين في الشارع و...»

«ماذا كنتم تفعلون مع راشد على متن حافلة؟» سأل جوردن هوردرن مقاطعاً.

«حسناً، كان... يقود الحافلة، أليس كذلك يا أصدقاء؟»

«ألا تعرفون أنهم مجانين؟»

«نعرف ذلك الآن، لكن بدا بخير. أنقذني وصديقتيّ وأقسم أنه لن يمرض ويؤذينا.»

«وأنتم وثقتم به؟ أنتم أغبى مما تبدون.»

«حقاً؟ وأنت نذل»، قالت بروك.

نظر جوردن هوردرن إليها بفضول ثم هزّ كتفيه متجاهلاً: «لن تبقوا في مطلق الأحوال.»

«لمَ أدخلتمونا من البداية إذاً؟» سأل إد.

«سؤال جيد»، استدار جوردن هوردرن ينظر إلى الحارسين اللذين فتحا الباب وسأل: «لمَ أدخلتماهم؟ أنتما تعرفان القوانين.»

أخفض الولدان نظرهما، غير واثقين مما عليهما قوله.

«أدخلانا لأنهما أرادا مساعدتنا!»، قال جاك بغضب، «لأننا أولاد مثلكم. بشر. هذا إذا افترضنا أنك بشر ولست نوعاً من الرجال الآليين الأنذال.»

لم يتغير تعبير وجه جوردن هوردرن.

«بربك»، قالت بروك، «لا تستطيع أن تطردنا. لن نصمد خمس دقائق في الخارج. سيُقضى علينا.»

«ليست مشكلتنا.»

«حسناً، ما هي مشكلتك؟» قال جاك.

«إنها بسيطة جداً، ولا شيء شخصي»، قال جوردن هوردرن، «لدينا طعام وماء يكفي لعشرة أشخاص... بذلك الزاد نستطيع العيش حياة جيدة. لدينا حراسة ولدينا مستلزمات التدفئة، ولقد حصنّا المكان جيداً. ستكون هناك مشكلة في حال زاد عددنا على عشرة. هل كلامي واضح كفاية لكم؟»

«وإلى متى يكفيكم زادكم من الطعام؟» سأل جاك.

«سيكفينا خلال فصل الشتاء إذا استخدمناه بحذر. وإذا كان الحظ حليفنا سيكون الراشدون قد ماتوا جميعاً عندما يصبح الجو أكثر دفئاً، وحينها نستطيع الخروج لإيجاد المزيد.»

«نحن نتصرف بعقلانية فحسب»، قال دوغ نت، «نحن نهتم بأنفسنا فحسب. هذا ما يهم الآن، أنفسنا.»

«هل طردتم أولادَ آخرين؟» سأل بام. كان مصاباً جرّاء القتال على الحافلة، وأُصيب بجرح في خده، إضافةً إلى إصابة بليغة في يده اليسرى

حيث عضّه غريغ.

«عدداً قليلاً»، قال جوردن هوردرن.

«حسناً، لن ترمينا خارجاً.» جلس بام في وسط اللعبة مطيحاً بكتيبة من الجنود الألمان.

«أوه، لا تفعل ذلك»، قال دوغ نت، «كنتُ أفوز للمرة الأولى.»

«لن نغادر»، قال بام، «جربوا ذلك بالقوة، نحن سنبقى هنا.»

حدّق جوردن هوردرن في بام بقوة للحظات ثم صفّق بيديه معاً. أتى خمسة من الفتية كانوا يحملون سيوفاً وهراوات.

«كفّ عن هذا»، هزأ جاك، «أن تبقى مختبئاً هنا ولا تفتح الأبواب أمام بضعة أولاد شاردين شيء وأن تقتلهم فعلياً شيء آخر. أهذا ما تظن أنك ستفعله؟ تقتلنا نحن الخمسة والعشرين ولداً؟ أو ربما كنت تفكر بأن تبرحنا ضرباً وترمي أجسادنا الدامية الفاقدة الوعي من النافذة.»

«مهلاً»، قاطعته بروك وهي تتوجه بكلامها إلى جوردن هوردرن، «قلتَ إن هناك عشرة منكم، أليس كذلك؟»

«نعم.»

«هل جميعكم فتيان إذاً؟»

«وإن يكن؟»

ضحكت بروك وقالت وهي تتفحص جوردن بتحدٍّ: «إذاً لدينا شيء تحتاجون إليه.»

«ماذا؟»

استعرضت بروك نفسها، فتحت ذراعيها على وسعهما وقالت: «تادااا!»

«برووووك!» اعترضت أليشيا بغيظ.

«لا أعني ما فهمت»، قالت بروك، «كم نيتك سيئة يا أليشيا. قصدتُ أنّ لدينا مهارات قد تَكون مفيدة.»

«نعم، يمكنني التفكير ببعضٍ منها»، ابتسم دوغ نت ابتسامةً عريضة.

«في أحلامك»، سخرت بروك.

«أنتِ في الأحلام مسبقاً»، قال دوغ نت.
«لا نحتاج إلى فتيات»، قال جوردن هوردرن.
«واااو... مهلاً، مهلاً، لحظة واحدة»، قال دوغ نت وهو يتمايل في مكانه ويزيح بطانيته عنه، وكان يرتدي تحتها سترة من الجلد بنية اللون وقد طُبع على ظهرها نسرٌ يزعق، «دعونا لا نتصرّف بتهور. لديها وجهة نظر يا جوردن.»
«لا، على الإطلاق. لن نستقبل المزيد من الأولاد. والآن أخرجوهم من هنا حتى نُنه لعبتنا.»
انفجر جَاك غضباً. اندفع مهاجماً جوردن وانقضّ عليه، ملوّحاً بإصبعه في وجهه:
«أنت أسوأ من أولئك الراشدين الموبوئين، أتعرف ذلك؟ فهم لا يعرفون ما الذي يفعلونه. أنت بارد القلب. معنا أطفال – في سن الثامنة والتاسعة – هل ستهشّم جماجمهم أيضاً؟ هل ستقطّعنا؟ حسناً، يمكنك أن تجرّب ذلك. لقد واجهنا صعوبات لا مثيل لها خلال اليومين الماضيين ولن نستسلم الآن من دون قتال. نحن لا نطلب العيش معكم في متحفكم اللعين الغالي هذا إلى الأبد. نحتاج إلى ملجأ حتى نرى ما يمكننا فعله.»
«لا تلوّح بإصبعك في وجهي»، قال جوردن، «لا أحب أن يلوّح أحد بإصبعه في وجهي.»
«أوه، حقاً؟ لمَ لا تستدعي إذاً أحد جنودك الصغار ليقطع إصبعي هذا؟ فأنا لا أظن أن لديك الجرأة الكافية لتفعل ذلك بنفسك، أليس كذلك؟»
حينها رمى جوردن ببطانيته ووقف. كان يرتدي زيّ شرطيٍّ أسود تزيّنه شرائط ذهبية وميداليات. كان أطول من جاك، وكان يتحرّك مثل رياضي. قبل أن يتمكن جاك من التفاعل، أمسكه جوردن من معصمه ولواه.
جفل جاك، كان من الواضح أنه يتألم كثيراً. واصل جوردن لَيّ معصمه، مُجبراً جاك على الانحناء أرضاً. حاول جاك أن يحرّر نفسه لكنّ جوردن كان يمسك به بقبضة من حديد. حالما أصبح جاك على ركبتيه، نطق جوردن

بصوت منخفض وهادئ:

«لاّ يهمّني ما تقوله لي، لا يهمّني ما تفكر به بشأني، لكن إياك أن تلوّح بإصبعك في وجهي مجدداً. مفهوم؟»

«حسناً، حسناً، يمكنك أن تفلت يدي الآن. لقد فهمت الفكرة العامة.»

شدّ جوردن أقوى. صرخ جاك.

تكلّم إدّ: «أظن أن الأمور قد خرجت عن السيطرة قليلاً. علينا أن نهدأ جميعاً ونتحدث في الأمر.»

نظر جوردن نحو إد دون أن يفلت جاك.

تابع إد كلامه: «جاك على حق. كل ما نحتاج إليه هو مكان نبقى فيه حتى نخطّط لما علينا فعله لاحقاً وإلى أين سنذهب. ربما نستطيع البقاء لليلة واحدة فقط. ربما أقل. اتفقنا؟ لا داعي لتعطونا أيّ طعام إن لم تريدوا ذلك. نحن لا نحاول أن نسيطر على المكان أو شيئاً من هذا. لقد التجأنا إلى هنا بعد معارك ضارية. هناك موبوءون في الخارج.»

كان جاك يلهث. كان راكعاً على البلاط، شفتاه مزمومتان وقد التوت قسمات وجهه من الألم.

«أيمكننا أن نتحدث عن هذا بعقلانية؟» احتجّ إد.

أطلق جوردن سراح جاك، ثم استدار وجلس بالقرب من دبابة وهو يفرك ذراعه.

«سأفكّر بالأمر»، قال جوردن، «سنُنهي لعبتنا ثم نتحدث بالأمر. يمكنكم الحصول على بعض الماء، لكن من دون طعام. تناقشوا فيما بينكم ثم سأستمع إلى ما لديكم لاحقاً. لكن سأتحدث إلى واحدٍ منكم فحسب. من المسؤول؟»

«لا أحد»، قال إد.

«إذاً، أنا أعيّنكَ مسؤولاً.» واستدار جوردن ليكمل لعبته وبدأ ينظّم القوات التي كانت قد وقعت.

30

«دعونا نناقش الأمر علناً»، ضرب إدّ بيديه على الطاولة، «ومن بعدها لا أريد أن أسمع كلمة واحدة تتعلق بهذه المسألة، أكان منك يا بام أو منك يا جاك أو من أي شخص آخر.» نظر إدّ من حوله متحدّياً أن ينظر الآخرون في عينيه.

كانوا جميعاً في مقهى المتحف، الواقع إلى جانب قاعة المتحف الرئيسية، وقد انتشروا بين الطاولات.

جلس الأولاد الأذكياء والأصغر سنّاً - جاستن الذكي وجيبر جابر وويكي وزهرة وفروغي - إلى طاولة واحدة، وكانوا يرتجفون خوفاً. جلس مات المجنون مع أرتشي بيشوب والأولاد الآخرين من الكنيسة. كان يعلو جبهة مات جرح أحمر وأسود بشع سببه خاتم غريغ الذي كشط جلده خلال قتال الحافلة. بروك وكورتني وأليشيا جلسن في زاوية واحدة، تخيّم حولهن غيمة من العطر. جلس كريس ماركر وحيداً، كان كعادته يقرأ في كتابه، لكن الآن بات الآخرون يرونه من منظار آخر بعد ما فعله بغريغ في الحافلة. لم يكن من دون فائدة تماماً. جاك وإدّ وفريديريك جلسوا إلى طاولة أخرى برفقة بام. كان بام لاعب الروكبي الوحيد الذي بقي على قيد الحياة، وهو بكل تأكيد تأثّر كثيراً بموت بيرز. كانت هذه المرة الأولى التي يراه فيها الجميع حزيناً ولا يتصرّف بابتهاج وتفاؤل. جلس كوانيلي بمفرده، بطريقة مهيبة.

بينما كانوا يجلسون هنا في الانتظار كان بام لا يكفّ عن معاتبة إد وكوانيلي لتركهما بيرز، وكان إدّ قد اكتفى من الأمر.

«هل حاول أحدكم ذات مرة أن يحمل شخصاً فاقداً للوعي؟»، سأل، «يكونون عادةً ثقيلي الوزن. بيرز كان ثقيلاً. كان غريغ يلحق بنا وعلق جسم بيرز بشيء ما. لو بقيت أكثر لقبض غريغ عليّ، ثم ظهر أولئك الموبوءون في الخارج، وكانوا على وشك الوصول إلى الحافلة، وحينها كانت لتكون نهايتي. ولِمَ كل ذلك؟ لأنكم يا أصدقائي هربتم جميعاً وتركتموني وحيداً معه. شكراً لكم.»

من الواضح أنّ كوانيلي ظنّ أنّ إدّ كان يشير إليه.

«كان بيرز مصاباً إصابة بليغة»، احتج، «ما كان ليبقى على قيد الحياة في مطلق الأحوال، ليس من دون علاج مناسب وأطباء وما إلى ذلك.»

«هكذا ينتهي الأمر إذاً؟»، قال بام، «تماماً كما قال دوغ نت أو مهما كان اسمه... أن نهتم بأنفسنا فحسب. إذا أُصبنا يُنسى أمرنا!»

«لم يكن ذنب كوانيلي وحده»، صرخ إد، «لقد تركتموني جميعاً وحدي.»

«كنا نقاتل الموبوئين»، قال بام، «كنتُ أحاول إيصال الجميع إلى مكان آمن.»

«تماماً»، قال إد، «لكلٍّ منا أعذاره.»

خيّم صمتٌ طويل قبل أن يتكلم بام فقال:

«حسناً، ربما يقع اللوم علينا جميعاً. حدث كل شيء بسرعة.»

«بات البقاء على قيد الحياة شيئاً أساسياً»، قال إد، «البقاء أحياء يوماً بيوم. هذا المكان محصّن جيداً، ما من أبنية من حوله، مبنى واحد في مساحة أرض واسعة، وهو مليء بالأسلحة. سيكون مكاناً مناسباً لنصب مخيّم. لكنّ بعضهم وصل إلى هنا أولاً ولا يمكننا أن نتوقّع منهم الاعتناء بنا.»

«لا أريد البقاء هنا على أي حال»، قال جاك، «أريد الذهاب إلى المنزل.»

«إذاً لِمَ بحق السماء كنت تتشاجر كثيراً مع جوردن هوردرن؟»

«لقد استفزّني»، قال جاك، «لا أحب أن يتحدث إليّ أحد بذلك الأسلوب.»

«لا أريد البقاء هنا أيضاً»، قال مات، «يجب أن أواصل رحلتي إلى سان بول. لقد قُدِّر أن...»

«كفَّ عن ذلك يا مات»، قال إد، «لقد سئمنا السماع عن ديانتك الوهمية تلك.»

«ليست وهمية.»

«بلى، هي كذلك. ليس هناك شيء مقدَّر. كلها أفكار واهية في رأسك فحسب.»

«وماذا عن هذا إذاً؟» قال مات وهو يشير بغضب إلى جبهته.

«ماذا عنه؟»

«علامة الحمل.»

«إنه جرح يا مات.»

«إنها علامة الحمل.»

ضحك إدّ بخشونة مستخدماً سخريته تلك سلاحاً.

«لا يهم إن كنتَ لا تصدِّقنا»، قال أرتشي بيشوب، «على أيّ حال نريد أن نكمل رحلتنا إلى سان بول. معكم أو بدونكم، لن يُحدث ذلك فرقاً.»

«لن يُحدث ذلك فرقاً؟»، سخر إد، «ستُقتلون هناك في الخارج، وحدكم.»

«الحمل سيحمينا.»

علت صحيات الاستياء من الطاولات الأخرى وبدأ الأولاد برمي الأشياء على مات: أكواب قهوة قديمة، أوراق ممزقة، علب سجائر فارغة.

حاول مات ألاّ ينفعل، وكأنه أكبر من كل ما يحدث، لكنهم استطاعوا أن يشعروا بأنه بدأ بالغضب.

«ماذا تريدون أن تفعلوا أيضاً؟» سأل إد عندما هدأت الأجواء.

«نريد أن نبقى معك»، قال ويكي، «سنذهب أينما تريد أن تذهب. إذا بقينا معاً فسنكون آمنين أكثر، تماماً كحال الأسماك عندما تسبح أفواجاً. صحيح أنها تكون هدفاً أكبر، لكن في أمان أكثر من السباحة منفردةً مما

يصعّب تركيز المفترس عليها. تكون فرصة القبض عليها في مجموعة كبيرة أقل بكثير من سباحتها منفردة.»

«شكراً لك دايفيد أتينبورو»، قال جاك محاولاً إسكاته.

«يمكننا العثور على مبنى آخر للالتجاء إليه»، قال جيبر جابر، «هناك مبانٍ كثيرة بالقرب من المتحف. أتيت إلى هذه المنطقة مرة برفقة والدي، اضطُررنا إلى أن نركن سيارتنا على بعد بضعة أميال والسير على أقدامنا. هناك أنواع مختلفة من المنازل. برأيي، إذا حاولنا استكشافها فقد نعثر على شيء جيد. لسنا مضطرين للبقاء هنا. لا يعجبني جوردن هوردرن أو أيٌّ منهم، إلا أنني في الواقع أحببت شكل تلك اللعبة التي كانوا يلعبونها، فأنا أحب ألعاب الجنود. كان لدي في المنزل المئات منها، وها نحن الآن نملك بندقيتنا الخاصة، وربما يسمحون لنا بأخذ بعض الأسلحة من المتحف. يمكننا أن نشكّل فرقة مغاوير. أنتم مقاتلون بارعون و...»

«ليس جميعنا»، قال بام بصوت جافّ وهو ينظر إلى كوانيلي.

«لم أقل أبداً إنني مقاتل»، احتجَّ كوانيلي.

«ظننت أننا لن نخوض جدالات أخرى كهذه»، بدا إدّ متعباً وقد اكتفى من كل ذلك.

«آسف»، أحنى بام رأسه.

أطلقت فريديريك فجأةً تنهيدة وانهارت بوجهها فجأةً على الطاولة تبكي. وضع كلٌّ من جاك وإدّ يده عليها في محاولة للتخفيف عنها. كانت تهتز تحت ستارة شعرها بهستيرية.

«ما مشكلتها؟» سألت بروك بتهكم، فلكزتها أليشيا بكوعها.

«ماذا؟»، قالت بروك، «سألت ما المشكلة فحسب.»

«ما مشكلتها برأيك؟»، قال إد، «لولا أننا جميعاً نحاول أن نبدو أقوياء لكنّا جميعاً ملقَين على وجوهنا على الطاولات، نبكي مثل الأطفال، لأننا جميعاً هكذا، مجرّد أطفال. وما يحدث كثير علينا جميعاً وأكثر مما نستطيع أن نحتمل.»

«لن أبكي»، قالت بروك، «لن أستسلم أبداً.»

صفّق جاك بتهكم: «أحسنتِ فعلاً.»

«هذا غباء»، قالت فريديريكَ، «جميعنا سنموت. ما الجدوى من كلّ هذه الأحاديث؟ لَمَ ترانا نتشاجر؟» رفعت رأسها، كان وجهها ملطّخاً بالدموع، «لَمَ نحتاج العثور على مكان آمن؟ لَمَ نحتاج فعل أيّ شيء؟ جميعنا سنموت. ظننتُ أنّ هناك أملاً. لم يكن غريغ مريضاً. ظننتُ أنّ وجود راشد واحد غير مريض يعني الأمل لنا جميعاً، لكنه مريض، وليس هناك أمل...»

كانت فريديريك تبكي بقوة حتى بدأت تختنق، وانهارت بوجهها مجدّداً، تنوح وتختنق وتسعل وتغمغم.

«روح مبتهجة، أليست كذلك؟» قالت بروك، فلكزتها أليشيا مجدداً.

انفتح باب زجاجي كبير وظهر منه دوغ نت.

«حسناً، اسمعوا»، قال وهو يصفّق بيديه، «لقد اتّخذ جوردن هوردرن قراراً – أشار نحو إد – أنت، ما اسمك؟...»

«إد.»

«حسناً إد، اذهب وتحدّث إلى الجنرال. إنه في انتظارك. بسرعة. أما الباقون، فحافظوا على هدوئكم.»

31

كان إد وجوردن هوردرن يجلسان جنباً إلى جنب في المقعدين الأماميين لسيارة عسكرية من الحرب العالمية الثانية، في وسط القاعة الرئيسية للمتحف. كان الجو بارداً و لم تفلح الخيوط الخفيفة من ضوء الشتاء المتسللة من السقف الزجاجي المقوَّس في تخفيف حدّة الجو الكئيب. كان جوردن قد أعطى إدّ بطانية من الفرو لفّها جيداً حول جسمه.

«يجب ألاّ تأخذ أيّاً من كلامي هذا على نحو شخصي»، قال جوردن وهو يحدّق أمامه مباشرةً من دون النظر إلى إد.

«لا أفعل»، ردّ إد، «أعرف أسبابك ومبرراتك.»

«جيد. أنا لا أكره أحداً منكم، لكن يجب أن أهتم بأتباعي.»

«هذا جيد. إذاً، هل تنوي أن تطردنا؟»

«ليس بالضرورة. مثلما قلت، ليس لدينا طعام كاف هنا لسدّ جوع أتباعك. لكن هناك حل بسيط. سأدعكم تأخذون السلاَح الذي تريدون. لدينا أكثر مما نحتاج. وسأسمح لكم بالبقاء هنا...»

«شكراً.»

« لم أُنهِ كلامي بعد.»

«أوه، حسناً.»

«كنتُ أقول، يمكنكم المبيت هنا الليلة دون أيّ شروط. سأسمح لكم بالبقاء في قسم 1940s هاوس.»

«ماذا يكون؟»

«معرض خاص، جناح كامل لزمن الحرب. أسرّة وكل شيء. أظن أن الصغار بصحبتكم سيكونون أفضل حالاً هناك وسيشعرون أنهم في منازلهم. سيخفف ذلك من خوفهم.»

«شكراً.»

«ثم، بعد ذلك، يمكنكم البقاء هنا الوقت الذي تريدون، ما دمتم تحضرون الطعام لأنفسكم.»

«ماذا تقصد؟»

«كما قلت لك، لا داعي للقلق بشأن الماء. لدينا الكثير من الخزّانات هنا، لكن إن أردتم الأكلٍ فعليكم الخروج والعثور عليه.»

«هذا يبدو عادلاً بما يكفي على ما أظن»، قال إد، «سأرى رأي الآخرين بهذا. هل ستسمح بإعطائنا القليل من الطعام حتى نتمكن من الصمود في الوقت الحالي؟»

«لا. لقد قدمتُ لك عرضي. لن أغيّره. الفتيان هنا طيبون وصالحون. ابقوا معنا وستصبحون أقوياء. لكن عليكم أن تعتنوا بأنفسكم وبطعامكم.»

كان إد يفكّر كيف يمكن لهذا التدبير أن يكون لصالحهم، فسأل: «أتظن أن هناك أي طعام في الخارج؟»

«لا أرى سبباً يمنع ذلك»، قال جوردن، «خذها كلمة مني، لن تجد شيئاً طازجاً: لا خبز، لا بيض، لا حليب، لا خضروات وفواكه طازجة، لا شيء من ذلك القبيل.»

«هل لديك أيٌّ من تلك الأنواع؟»

«لا. لدينا علب وأكياس من مأكولات جافة. ليست صحية تماماً لكنها تُبقينا على قيد الحياة.»

«من أين أتيتم بكل هذا الطعام؟»

«لم يكن الاختباء هنا فكرتنا وحدنا. كان هنا بعض الأفراد من قبلنا. رجال. قذرون بالفعل. كانوا مجهّزين جيداً ولا بد أنهم أحضروا معهم الكثير من الصناديق والعلب وما إلى ذلك. ربما نهبوا متجراً للمواد الغذائية أو ما

شابه. قتلوا الحراس الذين كانوا يمكثون هنا واتخذوا من المكان ملجأً لهم، لكنهم، على غرار الآخرين، أدركوا سريعاً أن العدو في الداخل وليس في الخارج؛ الوباء الذي كان ينهش أجسادهم.» توقّف جوردن. مرّر أصابعه حول إطار المقود.

«ماذا حدث لهم؟» سأل إد.

«مزّقوا بعضهم إرباً. أولئك الذين استشرى فيهم الوباء بشكل أبطأ مزّقوا الذين مرضوا أولاً. عندما وصلنا إلى هنا كان هناك خمسة منهم فقط. تخلّصنا منهم، لكنهم استطاعوا القضاء على مجموعة منا. خضنا قتالاً ضارياً معهم، لهذا السبب نعتبر أننا استحققنا البقاء في هذا المكان.»

«إذاً كان عددكم أكبر عندما أتيتم إلى هنا؟»

«اثنان وعشرون. خمسة لاقوا حتفهم في هجوم. واحد مات لاحقاً بسبب انتقال العدوى إليه عبر إصابته بجرح بليغ. اثنان آخران مرضا لاحقاً – تبيّن أنهما كانا أكبر سنّاً مما ظننا – عندما بدأت عوارض المرض تظهر عليهما طردناهما بسرعة، ثم غادر أربعة منّا ليجرّبوا حظهم في مكان آخر.»

«هل كنتم عبارة عن مجموعة من نفس المدرسة؟»

«كنا مختلطين: عائلة، أصدقاء، زملاء دراسة. اجتمعنا كلنا في الشارع. تنقلنا من مكان إلى آخر حتى وصلنا إلى هنا منذ حوالى خمسة أسابيع.»

«حسناً»، تنهّد إد وخرج من السيارة. أحسّ بتيبّس في عضلاته وألم من التوتر المتواصل. قال: «أستطيع أن أفهم سبب دفاعكم عما لديكم. سأتحدث إلى الآخرين. لكن هل أنت متأكد من أنك لا تستطيع إعطاءنا أي طعام؟ جميعهم يتضورون جوعاً.»

«إذا أردتم تناول الطعام فعليكم الذهاب والتبضع.»

كان التعب قد سيطر تماماً على إد. بدا أن كل شيء في حالة صراع. فرك وجهه بيديه وقال: «أنا فقط لا أعرف من أين أبدأ.»

«أيمكنني اقتراح شيء ما؟»

«بالطبع.»

«ماذا كنتم تأكلون قبل وصولكم إلى هنا؟»

«كانت هناك أشياء في الحافلة.»

«هذا ما ظننته تماماً.»

نظر إد إلى جوردن هوردرن. كانت نظارته تلمّع تحت الضوء الخافت.

«ما هو اقتراحك إذاً؟» سأل إد.

«عودوا إلى الحافلة»، قال جوردن، «تأكّدوا إن كان قد بقي أي طعام هناك.»

أومأ إد: «تبدو خطة جيدة.»

«لكن أولاً»، قال جوردن، «تحتاجون إلى التسلّح بأسلحة فعالة.»

32

كان المعرض الرئيسي للمتحف في الطبقة الأولى، تحت الأرض. تذكر إد أنه أتى إلى هنا مع المدرسة. كان واسعاً، مضاءً إضاءة خافتة، وكانت تنتشر فيه صناديق العرض الزجاجية، وقد قُسِّمت إلى أقسام مختلفة. كانت هناك أقسام تعرض مقتنيات الحربين العالميتين الأولى والثانية، وأخرى تعرض مقتنيات لحروب من عام ألف وتسعمئة وخمسة وأربعين وما بعدها. كانت هناك أيضاً أقسام خاصة مثل قسم «بليتز إكسبيريانس». كانت صفوف الصناديق الزجاجية تحوي دمىً في بذلات ومئات البنادق والمسدسات، قنابل، سكاكين، قطع مدفعية صغيرة، خرائط، رايات، أشياء شخصية ومعدات.

نزل ستة فتيان على السلالم، مشاعلهم تضيء الطريق. جاك وإدّ وبام وجوردن كانوا في المقدمة، تبعهم مات وأرتشي بيشوب. لم يكن مشعل إد يعمل جيداً، إذ لم تكفّ الشعلة عن الاشتعال والانطفاء. هزّه ثم ضربه براحة يده وشتم.

«لستَ خائفاً من الظلام، هل أنت كذلك؟» سأل جوردن.

«لستُ خائفاً من الظلام»، قال إد، «بل ممّا يختبئ فيه.»

بينما يقول ذلك، أضاء مشعل إدّ مجدداً. أضاء وجهه فقفز. ضحك الآخرون.

«إنها مجرد دمية»، قال بام.

لم يحب إد المكان هنا. كيفما كان يلتفت كان يجد دمية. كان محاطاً

برجال ذوي وجوه نظيفة، متجمّدين في أماكنهم، أو يحملون بنادقهم المجهَّزة للإطلاق. كانوا مختلفين عن الرجال الذي يجوبون لندن بوجوههم المنتفخة وجلدهم المتقيح، لكنّه، رغم ذلك، كان يشعر بالخوف.

كان قلبه يدقّ بسرعة. شعر كأنه طفل صغير سخيف، خائف من الأشباح، لكنه لم يستطع التخلص من ذلك الشعور. لقد عاش حالة من التوتر لوقت طويل. ظلّ خائفاً لوقتٍ طويل، لا ينام، لا يأكل جيداً. لا عجب من أنه كان متوتراً لهذه الدرجة.

ماذا إن كان يوجد هنا راشدون موبوءون؟ ماذا إن دخل أحدهم مسبقاً واختبأ في الظلام، في انتظار الانقضاض عليه؟ ماذا إن...؟

أخبر نفسه ألاّ يكون أحمقَ، لكنه بقي قريباً من الآخرين، الذين بقوا إلى جانب بعضهم أيضاً.

«معظم هذه الأشياء لا تفيدكم»، قال جوردن، «فمعظمها مسدّسات وبنادق من دون ذخيرة، كما تحتاجون إلى كُتيب عن كيفية استخدامها. هناك، في ذلك الاتجاه، بعض العتاد الذي قد يناسبكم.»

قادهم نحو قسم الحرب العالمية الأولى وسلّط ضوءه نحو ما يشبه خندق كُسر زجاجه، وقال:

«أقترح أن تاخذوا بندقية أو اثنتين. لا يوجد رصاص لها، لكن لها أحزمة للتعليق في الكتف، وإذا أوصلتم في طرفها حراباً فيمكنكم استخدامها كرماح. أوصي باستخدام بندقية لي إينفيلد البريطانية. إنها بندقية متينة.»

تقدّم إد والتقط بندقية من صندوق العرض، ثم عثر على حربة تناسبها.

«هناك الكثير من الأسلحة في الترسانة في الطبقة السفلية»، شرح جوردن، «وذخيرة أيضاً، لكنني أحتفظ بالأفضل لصبياني، أهذا مفهوم؟»

«نحن نفهمك»، قال جاك بتململ، «أنت تحتفظ بالأفضل.»

لم يكن جاك قد غفر لجوردن فعلياً، لكن كان عليه أن يعترف أنّ هذه الأسلحة ستكون مفيدة جداً لهم.

«هذه مفيدة أيضاً»، قال جوردن وهو يؤرجح مشعله فوق مجموعة

أخرى تضمّ أسلحة مختلفة من أسلحة التلقيم إلى الأسلحة اليدوية، مضارب، سكاكين، قبضات حديدية وقبضات ذات رؤوس حادّة....

جرّب إدّ وبام بعضاً منها. اختار بام مضرباً خشبياً متيناً مرصّعاً بقطع معدنية ومسامير. بدت خطرة جداً فابتسم ابتسامةً عريضة، متمرّناً ببضع لكمات. أخيراً استدار نحو إحدى الدمى ولكم وجهها بقبضة من حديد، ثم قال:

«هذه ستفي بالغرض. جميل جداً.»

كان مات وأرتشي واقفين بالقرب من صندوق عرضٍ آخر، غارقين في محادثة خاصة.

«ماذا تنويان أن تصنعا؟»، سأل بام، «قنبلة يدوية مقدسة؟»

«ماذا؟» بدا أرتشي ومات مرتبكين.

«اقتباس من مونتي بايثون في فيلم الكأس المقدسة HOLY GRAIL.»

«مونتي بايثون؟»

«لا بد أنكما سمعتما بمونتي بايثون»، قال بام كما لو أنه كان يتحدث إلى أحمقين، «إنهم فريق كوميدي قديم! مثّلوا أفلاماً وما إلى ذلك.»

«لا.»

«حسناً... لا أفترض أنكما ستشاهدان يوماً أيّاً من أعمالهم. لكنهم كانوا مضحكين جداً.»

«حسناً.»

«إذاً، ما الذي تبحثان عنه؟»

«نحتاج إلى راية»، قال أرتشي بيشوب بلهجة جادة، «هناك كتابات كثيرة فيما يخص الرايات في هذه النصوص.»

«سنكون جيش الحمل»، قال مات، «جيش حديث من الصليبيين السائرين تحت راية. تقول النصوص إننا نخوض حرباً جديدة – نحن جنود الحمل.»

«نعم.» لم يكن بام يستمع فعلياً. كان انتباهه مشتتاً بسبب الجرح على

جبهة مات. كان لونه يميل إلى الاصفرار وقد التهب عند الأطراف وبدا في حالة مزرية.

«هل نظّفتَ جرحك هذا كما يجب؟» سأل وهو يومئ في اتجاه جبهته.

«لا. إنها علامة الحمل. الحمل سيشفيني.»

«يبدو ملتهباً. يجب أن تتوخى الحذر.»

هزّ مات رأسه: «لا داعي للقلق بشأن أي شيء، فالحمل يحملني، ذراعاه حولي.»

مشى مات يبحث عن راية مناسبة، فأوقف بام أرتشي للحظة.

«اسمع يا صديقي»، قال بهدوء، «إذا كنتما جادّين حقاً بشأن التوجه إلى سان بول، فتوخيا الحذر، هلا تفعلان؟ إذا جلتما الشوارع على غير هدى، تنشدان التراتيل وتلوّحان بالأعلام، فستجذبان كل موبوء في لندن.»

«الرايات ليست أعلاماً.»

«لا فرق بينها»، قال بام.

«سنكون على ما يرام»، قال أرتشي.

«أتظن ذلك حقاً؟»، سأل بام مقطباً جبينه، «أتؤمن حقاً أن الحمل سيحميكما وما إلى ذلك؟»

هزّ أرتشي كتفيه متجاهلاً: «ربما أؤمن بالحمل بقدر إيماني بأي شيء آخر يا بام. لم يساعد أيٌّ من الآلهة القديمة أحداً، هل فعلت؟ كان أبي قسّاً، لكنه مرض مع الباقين. لا شيء وثقنا به سابقاً حمانا. أما مسألة الحمل هذه فهي مُطمئنة، بما أن مات متأكد جداً مما يقول. إذا وقفتُ إلى جانبه فلن أضطر إلى القَلق بشأن أي شيء آخر.»

«هذا عادل بما فيه الكفاية»، ابتسم بام.

«فكر بالأمر يا بام»، تابع أرتشي، «ستضطر إلى فعل شيء عاجلاً أو آجلاً. سنضطر جميعاً إلى محاولة إيجاد طريقة للبقاء على قيد الحياة»، نظر أرتشي حوله عبر المتحف، «لا بأس بالمكان هنا على ما أفترض، لكنها ليست الحياة الحقيقية. يجب أن تكون لديك خطة، وإلا ستُصاب بالجنون.»

«وجهة نظر جيدة.»
«أقصد، إلى متى تخطط للبقاء هنا؟»
«أحاول ألاّ أفكر بما بعد عشرين ثانية من الآن يا أرتشي. لم أفعل قط، وهذا يناسبني حتى الآن.»

كان جاك قد مشى مبتعداً عن الآخرين، غير راض. لم يكن يعرف عمَّ يبحث لكنه لم يجد ما يريد بعد. لم يكن ذلك السكينُ الذي اختاره كافياً. أراد شيئاً، عندما يحمله بين يديه، أن يُشعره بأنه لا يُقهر. أن يشعر بقوته وصلابته تسري فيه.

تمنّى لو أنّ هناك ذخيرة لكل تلك الأنواع المختلفة من البنادق والمسدسات. مسدس كان سيفي بالغرض. تساءل إن كان بإمكانه إقناع جوردن بالسماح له برؤية ما في الترسانة. لكنه لن يفلح في ذلك. لقد كانت البداية مع جوردن سيئة. لقد أخطأ في الحكم عليه. كان الفتى قاسياً وبارداً، لكنه كان منطقياً. لم يفعل شيئاً بناءً على عاطفته. لذا، من ناحية ما، احترمه جاك. لكنه لم يرد أن يجازف ويجرّب.

جال بالقرب من صناديق العرض، مُعجباً بقدرة البشر وبراعتهم في إيجاد طُرق لا نهاية لها لقتل بعضهم بعضاً. توقف ومدّ يده نحو صندوق عرض مكسور ليلتقط خوذة روسية من الحرب العالمية الثانية. ناسبت رأسه تماماً، فلم يخلعها.

«هيا يا جاك. سنغادر»، أتى صوت إد، «هل وجدتَ ما تحتاج إليه؟»
«نعم، تقريباً»، ردّ جاك، «أنا قادم.»

اتجه جاك نحو المدخل وهو يؤرجح مشعله من جانب إلى آخر، غاضباً من نفسه لعدم اختياره شيئاً، لكن للحظة التقط نظره شيئاً أزرقَ لامعاً بزرقة السماء. اتجه نحوه ليُلقي نظرة. كان صندوق عرض لمجموعة أزياء من عصر آخر، عصر لا يمتّ لعصور اللون الكاكي أو الزيتي الباهت بصلة. بدت ذات أسلوب قديم جداً، ربما ارتُديت في معركة واترلو، لكنها كانت أزياء سابقة على الحرب العالمية الأولى، حيث كان الجنود لا يزالون يرتدون ألوان

فاقعة ليبرزوا في أرض المعركة ويثيروا إعجاب العدو. كانت بذلات ضبّاط، عُلِّقت عليها جديلات وأزرار ذهبية وتفاصيل منمَّقة أخرى.

هناك عُرض بأناقة سيف ضابط بحري مميز. حطّم جاك الزجاج بقبضة السكين. دوّى الصوت مثل انفجار عبر الظلام الصامت للمعرض.

«ما كان ذاك؟» أتى صوت إد مجدّداً. أراد أن يتأكد من أن جاك على ما يرام.

«لا بأس، هذا أنا. لقد عثرتُ على شيء.»

رفع جاك السيف. كان نظيفاً ولامعاً ولا يزال نصله حادّاً. كان من الواضح أن القيّمين على المتحف قد اهتموا جيداً بجميع المقتنيات. ابتسم. كان السيف متوازناً في يده، ووزنه مناسب. لوّح به في الهواء مقطّعاً شكلاً منحنياً.

رائع.

«جاك؟»

أخذ قراب السيف والحزام من على جذع الدمية التي كانا مثبتين عليها، ثم ربطهما حول خاصرته. كان الحزام مناسباً جداً. عُلِّق القراب بطريقة جيدة.

«هل أنت قادم جاك؟»

«نعم، أنا مستعد.»

33

ربما كانت هذه هي فكرة ابن الخمسة أعوام للمأدبة. كان طعاماً يسدّ الجوع في مطلق الأحوال: رقائق مقرمشة وبسكويت وكولا. ربما كان ابن الخمسة أعوام سيرفض تناول النقانق والفاصولياء المعلبة، لكن بالنسبة إلى الأولاد المتضوّرين جوعاً كانت هذه أفضل وجبة تذوقوها على الإطلاق.

كان جاك وإد وبام قد خرجوا عائدين إلى الحافلة وجلبوا ما استطاعوا حمله من طعام من الحافلة حتى المتحف قبل أن يقع نظر إد على مجموعة من الموبوئين كانوا يقتربون منهم. استطاعوا العودة سالمين دون الاضطرار إلى استخدام أيٍّ من أسلحتهم الجديدة، ولقوا ترحيباً مثل الأبطال العائدين من الحرب. كان الجزء السيئ من تلك المهمة عند رؤيتهم ما ظنّوه في البداية بنطالاً عتيقاً ممزقاً مرمياً على الطريق. كان إد قاد سار إليه ليتأكد ما هو عندما أدرك أن هناك رجلين في داخله وحذاءً أسود عند القدمين. وعند الخصر تدلّت بعض الأحشاء الممزقة وبقايا عمود فقري أبيض. - كان كل ما بقي من بيرز.

فكروا في توزيع الطعام بحصص ومحاولة جعله يدوم لعدة أيام، لكنهم في النهاية قرروا أن عليهم تناوله كله ثم البحث عن طعام آخر في الصباح.

كانت مجموعة الصبيان الأصغر سناً والفتيات قد بذلوا جهداً في ترتيب المقهى لجعله أكثر راحةً؛ حيث مسحوا الطاولات وجمعوا النفايات ووضعوا شموعاً في الأرجاء مما منح طابعاً أكثر دفئاً للمكان. حتى فريديريك تخلّت عن كآبتها وساعدتهم. كانت بحاجة إلى شيء يبعدها عن الحالة

التي تعيشها. أبعدها العمل مع الآخرين عن الجلوس بمفردها وهي تحدّق في المكان. تجوّلت في المكان وتحدثت مع الفتيات وكانت الآن تجلس على الطاولة بصحبة جاك وإد وبام وبروك، وكانت تضحك بينما كانت بروك تخبرهم قصة مضحكة عن تناولها كميات كبيرة من الشوكولاته خلال حفل عيد مولد كورتني العاشر.

«لقد تقيّأت كل ما في أحشائي!»، قالت متباهيةً، «وكأنّ طفّاية حريق تنفجر. كان القيء في كل مكان: على الكعكة، على كورتني، على والدة كورتني، وعلى جميع هداياها... آسفة أنني أتكلم عن القيء وأنت تتناولين عشاءك يا فريد.»

لم تتمكن فريديريك من منع نفسها عن الضحك. كانت ضحكة هستيرية نوعاً ما، خارجة عن السيطرة، ولا تحمل أي توتر. كانت ترتشف جرعةً من الماء، وعند الوصول إلى جزء التقيّؤ في كل مكان، تفاجأت... وأصبحت الآن تضحك من واقع أنها كانت تضحك وتختنق وتبصق الماء في كل مكان. استطاعت بطريقة ما أن تبتلعه، لكن ذلك جعلها تسعل وتبصق قليلاً، فانفجر الآخرون في الضحك مما جعلها تضحك مجدداً...

لم يكن غائباً عن إد أن بروك لم تكن جالسة مع صديقتيها اللتين كانتا تجلسان مع الأولاد الأصغر سناً، يستمتعان بلعب دور الوالدتين.

كانت بروك قد عبّرت عن موقف معين عند جلوسها إلى جانبه، ولم تكفّ عن توجيه حديثها إليه ولكزه في ذراعه والنظر إليه مباشرةً. وجد ذلك مُطرياً، لكن، ليكون صادقاً، أخافته بروك. كانت عالية الصوت وواثقة وجلفة لا تسامح. كانت واحدة من أولئك الفتيات اللواتي يستخدمن صداقتهن كسلاح، أولئك اللواتي يمنحنها أو يأخذنها كجائزة أو كعقاب للآخرين.

كان مسروراً لكونها إلى جانبه في الوقت الحالي. ربما منذ عيّنه جوردن هوردرن مسؤولاً، أرادت أن تتأكد من وجودها على طاولة الرئيس.

كان جاك يبذل جهداً مع فريديريك، يحاول أن يُبقي معنوياتها مرتفعة

حتى لا تعود إلى حالة الاكتئاب والخوف التي كانت عليها سابقاً. لكنه لاحظ أنه كان يقاتل في معركة خاسرة. بدت مرهقة بعد نوبة الضحك تلك، وكلما تحدثت بروك أكثر عن الماضي غرقت فريديريك في الصمت. ببطء، عادت تلك النظرة الخائفة إلى عينيها وتقوقعت على نفسها مجدَّداً.

«اسمعي»، قال عندما لاحظ أنها كانت تبكي مجدداً، «كل شيء سيكون على ما يرام.»

«لا»، قالت، «لن يكون هناك المزيد من الطعام يوم غد وأنت ستذهب وأنا لا أعرف ماذا سأفعل.»

«لن أترك أحداً وأغادر»، قال جاك، ولاحظ أن إدّ ينظر إليه، «اتفقنا؟ لن أتركك أبداً. غداً صباحاً سنخرج ونعثر على بعض الطعام، وعندما أتأكد من أن الجميع بخير حينها سأعود إلى منزلي. ليس قبل ذلك على الإطلاق.»

«حسناً»، أومأت فريديريك.

«لم يعد هناك ما يدعو للخوف. غريغ رحل. لدينا أسلحة جيدة. ليس لدى الموبوئين أي فرصة في المواجهة، اتفقنا؟»

تمنّى جاك مباشرةً لو أنه لم يزعج نفسه بكل ذلك الكلام. حالما نطق كلمة الموبوئين انفجرت فريديريك في نواح صاخب وبدأت الدموع تسيل على وجهها مجدّداً. البكاء جعلها تسعل مجَدّداً. طبطب جاك على ظهرها.

«لا تتحدث عنهم»، قالت.

«أنا آسف يا فريد. لم أقصد إخافتك.»

«غريغ واحد منهم الآن.»

«نعم على ما أظن، وقد يكون ميتاً. تخلصنا منه برأيي، فقد كان وغداً حقيقياً.»

«لكنه قال إنه لن يمرض.»

«حسناً، كان بإمكانه أن يقول إنه يستطيع الطيران. لم نكن مضطرين إلى تصديقه، أليس كذلك؟ ظن أنه يستطيع أن يغشّ الطبيعة. لم يستطع ذلك. عملياً، عندما تكون فوق سن الرابعة عشر، انسَ الأمر.»

قبل أن تتمكن فريديريك من قول شيء أتى إلى الطاولة الفتى جاستن، وبدا مُحرجاً ومتحفظاً. وقف خلف كرسي جاك ومال نحوه ليتحدث همساً في أذنه.

«أيمكنني التحدث إليك؟» قال.

«نعم، بالطبع جاستن. ما الأمر؟»

«هل أحضرت صندوق التبريد الخاص بغريغ من الحافلة؟»

«صندوق التبريد؟ نعم، لماذا؟ أتريد شيئاً منه؟»

«لا. هل.. هل أكلتَ شيئاً منه؟»

«لا»، هزّ جاك رأسه نفياً، «فكرنا أنّ علينا الاحتفاظ بمحتوياته للفطور. في ذلك الصندوق طعامٌ دسم.»

«أريد أن أقول فقط... لا تتناولوا اللحم المدخَّن.»

«لم لا؟»

وقف جاستن مرتبكاً ومتوتراً: «كنا نتحدث...»، ألقى نظرة سريعة نحو الطاولة حيث يجلس باقي أصدقائه يراقبونه، «عن شيء قاله ليام قبل... تعرف... موته... بشأن اللحم.»

«هل هناك مشكلة في اللحم؟»

نظر جاستن إلى الأولاد الآخرين الذين يجلسون إلى طاولة جاك غير متأكد مما يقول تالياً، وغير متأكد إن كان عليه قوله.

«أيمكننا التحدث جانباً، أقصد على انفراد؟»

«نعم، بالطبع.»

ذهب جاك وجاستن إلى منضدة الطعام حيث لا يستطيع أحد سماعهما. كان الأولاد الأصغر سنّاً يحدقون فيهما.

«لمَ كل هذا الغموض يا جاستن؟»

«أنا لا أريد أن... تعرف... أزعج أحداً»، قال جاستن.

«تبدو الفتاة الفرنسية مذعورة بما فيه الكفاية من كل ما يحدث. لم أكن متأكداً...»

ضحك جاك: «لستَ فتى حذقاً يا جاستن، أليس كذلك؟»
بدا جاستن متفاجئاً: «ماذا تقصد؟»
«أقصد أنّ الحاذق اللعوب لا يبالي بمشاعر الآخرين كثيراً.»
«أوه، حسناً...»، احمرّت وجنتا جاستن وضحك جاك مجدداً.
«حسناً، هيا أخبرني الآن يا سيّد حسّاس... ما مشكلة اللحم؟»
«نظن أنه لحم بشر.»
«ماذا تظنون؟»
«نظن أن غريغ قد ذبح صبياً في تلك المزرعة في كِنت التي كان يتحدث عنها طوال الوقت. نظن أن لحم الفتى هو ما كان يأكله من البداية.»
«يا إلهي»، بدا جاك مرعوباً، «إذاً، كان مريضاً من البداية؟»
«ربما، بطريقة ما، أو ربما كان يحاول البقاء على قيد الحياة فحسب. قال إن الماشية في المزرعة أصيبت بالمرض، لذا... تعرف...»
تنهّد جاك وفرك عينيه. نصفه أراد أن يضحك ونصفه الآخر أراد أن يتقيأ.
«شكراً لأنك أعلمتنا بذلك»، قال أخيراً، «سأرميه بعيداً. حمداً لله أننا لم نأكل منه. كنتَ على حق يا صديقي، دعنا لا نخبر أحداً بالأمر. سنكتفي بالمعلّبات من النقانق والفاصولياء.»
«تذكر»، قال جاستن، «أنت لا تعرف فعلاً ماذا تأكل في تلك النقانق المعلبة. كل ما نعرفه هو أنهم يضعون لحم بشر فيها منذ سنوات.»
«أنت حاذق قليلاً، ألستَ كذلك يا جاستن؟»



كان بيت 1940s مطابقاً في الحجم لبيوت تيودور في الضواحي في كل تفاصيله، من الباب الأمامي الأخضر إلى سقف القرميد المنحني، والعلم البريطاني وزجاجات الحليب الفارغة على العتبة. كان مُعدّاً في إحدى زوايا المعرض كي يرى الأولاد شكل الحياة التي كان الناس يعيشونها خلال الحرب عندما كانت القنابل الألمانية تنهمر على لندن. كان هناك مطبخ صغير وغرفة طعام وغرفة جلوس وعدد من غرف النوم، جميعها مهيّأة ومفروشة، تماماً كما كانت خلال الحرب العالمية الثانية. كان هناك بعض الأسرّة، لكنّ أتباع جوردن هوردرن جرّوا عدداً من المفارش وأكياس النوم، كما أقرضوا الأولاد سخّاناً يعمل على الشمع لإضفاء جو دافئ ومريح. أضاؤوا الشموع الصغيرة في جرار زجاجية مما أضفى وميضاً جميلاً على المكان حيث نسوا كل مشاكل العالم الخارجي. شعر الأولاد بالأمان والحماسة للمرة الأولى، كما لو أنهم يقيمون حفلة نوم كبيرة.

كان هناك في الغرفة أيضاً ما يُعرف بملجأ موريسون في إحدى الغرف، وهو قفص كبير من المعدن. خلال الحرب كانت العائلات تنام في أقفاص مماثلة. والآن كان المكان المثالي لقطة فريديريك، ديور، كي تخرج من قفصها وتمضي الليل.

متمدداً بالقرب من القفص، في فراشه على الأرض، استطاع إد سماع خربشة القطة. لم يستطع أن يخلد إلى النوم. لم تكن ضجة القطة وحدها أو زمجرات الأولاد أو شخيرهم أو قرقرة بطونهم هي التي تُبقيه مستيقظاً. لم يستطع منع نفسه عن التفكير مراراً وتكراراً بأحداث اليومين الفائتين.

كان يشعر بأنه قد فشل. كان بإمكانه فعل المزيد. صحيح أنهم بأمان هنا في الوقت الحالي، لكن كم صديقاً خسر خلال الأيام الفائتة؟

«لا تستطيع النوم؟» أتى صوت جاك. كان ممدداً على فراش فوق ملجأ موريسون.

«لا»، همس إد، «أنت أيضاً؟»

«لا. كنتُ أمعن النظر إلى ذلك الملصق على الحائط. نصيحة من الدولة تتعلق بأوقات الحرب: وفِّروا الطاقة للحرب. وفِّروا بقايا المطبخ لإطعام الخنازير. لا تهدروا الماء. اعملوا لتحقيق النصر. اقضوا إجازتكم في منازلكم. تناولوا الخضروات للحفاظ على صحتكم. ابقوا هادئين وتابعوا حياتكم!»

«نصيحة جيدة جداً»، قال إد، «خاصةً في الوقت الحالي.»

«أمن هذه الأجواء تأتي نصيحة «ابقوا هادئين وتابعوا حياتكم» إذاً؟» سأل جاك بهدوء.

«أفترض ذلك. كانت فترة حرب. الغارات الجوية. القنابل تنهمر في كل مكان.»

«جُنّ جنون الناس من هذا الشعار في الفترة الأخيرة، أليس كذلك؟»، قال جاك، «علّقه الناس على الملصقات وأكواب الشراب وما إلى ذلك.»

«أعطتني أمي قميصاً في الميلاد الماضي طُبع عليه هذا الشعار»، ابتسم إد للذكرى، «أتمنى لو أني ما زلت أمتلكه. كل ما كان عليّ التوتر بشأنه هو الحصول على الشهادة العامة في التعليم الثانوي.»

«لم تعطك قميصاً كُتب عليه «وفروا بقايا المطبخ لإطعام الخنازير» إذاً؟»

«لا»، ابتسم إد.

«هل تفترض أنه خلال حرب الغارات الجوية ظنّ الناس أنها لن تنتهي أبداً؟»، سأل جاك، «وأنها نهاية العالم؟»

«أتقصد مثل الآن؟»، هز إدّ كتفيه، «ربما فعل البعض، لكن أظن أن معظمهم أرادوا أن يواصلوا حياتهم كما لو أنّ كل شيء كان طبيعياً.»

«ابقوا هادئين وتابعوا حياتكم»، قال جاك.

«تماماً...»

«والإجازة في المنزل.»

ضحك إدّ وقال: «أفضِّلكَ عندما تكون بهذه الحالة.»

«ماذا تقصد؟» رفع جاك نفسه واتّكأ على كوع واحد.

«حسناً، تعرف. تماماً كما الأيام الماضية، كما كانَت الأحوال. كلانا نلقي النكات ونضحك. لاحظتُ أنك عندما تكون في مكان آمن، مثل الآن، تكون مسلياً، نتواصل جيداً، لكن حالما نخرج إلى ذلكَ العالم المجنون، إلى أي خطر، تُصبح عدوانياً وتبدأ بانتقاد الجميع وليس أنا فقط، وكأنك تتحول، وكأنك شخصين في جسدٍ واحد.»

«أوه حسناً»، قال جاك وقد أصبح صوته صارماً وحذراً أكثر، «ليس لي وجهان، هل أنا كذلك؟»

«ليس تماماً.»

«هل تقصد ذلك بسبب وحمتي؟ أصبح وغداً حيناً وبطلاً حيناً آخر أو شيئاً من ذلك، ذا وجهين؟»

«لم أقل إنك ذو وجهين يا جاك؟ هل سمعتني قلتُ ذلك؟ قصدتُ فقط... حسناً، أنت تفعل ذلك الآن. في دقيقة تكون أفضل أصدقائي وفي التالية تبدأ بانتقادي. أنا لست معتاداً على ذلك.»

تمدّد جاك مجدداً على فراشه، أطلق تنهيدة وراح يحدّق في السقف.

«لا أستطيع السيطرة على ذلك يا إد»، قال، «أنت على حق... عندما أتوتر أنتقد. أعرف أنني أفعل ذلك. لا أريد أن أفعل ذلك لكنني لا أستطيع أن أمنع نفسي. أشعر بالتعب والضعف معظم الوقت. أستطيع أن أنام لسنة كاملة... لكن ها أنا لا أستطيع أن أنام.»

«دعنا نحاول ذلك، إيه؟»

«نعم، تصبح على خير يا إد.»

«تصبح على خير يا جاك.»

35

طلع الصباح. كان المطر قد توقف والغيوم تفرقت من الرياح القوية القادمة من الجنوب. كانت الشمس مشرقة والشوارع اللامعة الفضية بدأت تجفّ.

كان هناك سريرا زهور تحت المدفعين البحريين أمام المتحف. كانت فريديريك تجثو على العشب بالقرب من أحدهما وقفص قطتها إلى جانبها.

كانت هناك سكين جيش كبيرة عريضة النصل تخرج من سرير الزهور مثل أداة ما. بدت فريديريك وكأنها تقوم ببعض أعمال البستنة، تحاول أن تصنّف كل حزمة متشابكة من النباتات التي زاد علوها. باستثناء ذلك، كانت هادئة جداً. تجثو هناك ويداها تحت ذقنها، تقريباً كما لو كانت تصلي.

«فريديريك؟»

كان جاك قد خرج من المبنى وينزل على الدرجات. كان يرتدي خوذته الروسية وسيفه يتدلى على جانبه. مشى بين المدفعيتين الصفراوتين المثبتتين على البلاط، مثل عمودين هائلي الحجم يمسحان المكان بحثاً عن أي أثر للموبوئين. لم يكن شيء يتحرك من مكانه. بدا المتنزّه جميلاً تحت أشعة الشمس. ربما تلك الانجرافات من القمامة التي كانت مكدّسة في كل مكان كانت أزهار ربيع مبكرة.

عندما وصل إلى فريديريك نظرت إلى أعلى.

«ماذا تفعلين؟»

«لا أستطيع أن أُبقي ديور سجينة. هذا ليس عدلاً. ستحظى بحياة أفضل لوحدها. يجب أن أطلق سراحها. أبي كان سيفعل الأمر نفسه.»

«هل أنت متأكدة؟»

«يمكنها العثور على طعامها على ما أظن. طعام أفضل مما أُعطيها. لم يعد لدي طعام لها. المشكلة الوحيدة هي أنها لا تريد الذهاب.»

جلس جاك القرفصاء وألقى نظرة داخل القفص. كانت ديور ملتصقة بزاوية القفص، تنظر بخوف إلى الخارج وعيناها متّسعتان.

«علينا أن نُسرع»، قال وهو يقف مستقيماً، «لا يستطيع الموبوءون دخول المتنزّه بسهولة لكن إن رأونا وحدنا فقد يحاولون.»

«ادخل أنت يا جاك، أنا بخير.»

«لن أتركك هنا لوحدك يا فريد.»

«أرجوك...»، شهقت فريديريك وسعلت ثم نظفت أنفها بمنديل ورقي. كانت تبكي مجدّداً. تنهّد جاك. لم يكن يعرف ماذا عليه أن يفعل أو يقول ليجعل الظروف أفضل.

«عودي إلى الداخل»، قال، «سنجد طعاماً للقطة.»

«دعني وشأني.» قالتها بحدّة، وأيضاً بغضب، فتراجع جاك خطوات على العشب، تاركاً إياها وحيدة مع القطة.

راقبها وهي تُصدر أصواتاً مشجّعة، تحدّثها بالفرنسية حتى زحفت خارجةً أخيراً، لكن بحذر، على أطراف أصابعها، متوترة. نظرت من حولها وهي تحرّك رأسها بطريقة متوترة. أقفلت فريديريك القفص. مشت القطة نحو سرير الزهور. سعلت فريديريك مجدّداً ففرّت القطة مبتعدة. خلال لحظات، كانت قد اختفت. وقفت فريديريك، رأسها منحنٍ، كتفاها يرتجفان. نظفت أنفها مجدّداً بمنديل ورقي. ذهب جاك إليها ولفّ ذراعه حولها.

«هيا، الطقس بارد هنا. صحيح أنّ الجو ليس أكثر دفئاً في الداخل، لكن لا تريدين أن تمرضي هنا.»

أحاطت فريديريك جاك بذراعيها وحضنته بقوة. كانت أقوى مما بدا عليها. حضنها أيضاً لكن كان لا يزال لا يعرف ما عليه قوله.

كان بام وإد قد خرجا من المتحف ووقفا يراقبان جاك يعانق فريديريك.

«آه، حُب الشباب!» قال بام.

«مؤثر، أليس كذلك؟» قال إد، وضحكا.

ترك جاك فريديريك واتجه للانضمام إليهما.

«هذا ما نحتاج إليه للتغلب على الموبوئين»، قال وهو يمرّ بالقرب من مدفعَي البحرية، «مدفع كبير.»

«نحن لا نُبلي سيّئاً بهذه الأسلحة»، لوّح ببندقيته، والحربة مثبتة جيداً في طرفها.

«ليس هناك ما نخافه»، قال بام وهو يلقّم بندقيته برصاصتين.

«ربما»، قال جاك، «لكن، لكنّا بحال أفضل لو أن عددنا أكثر.»

لم يكد ينهِ جملته تلك حتى سمعوا الباب يُفتح وظهرت بروك. كانت تبدو مرتبكةً، وتحمل مضرباً طويلاً ذا مسامير محددة، وتتشاجر مع شخص يمشي خلفها.

«دعني وشأني أيها الفاشل، لم أقل أبداً أنني أحببت جاستن تيمبرلك...»

توقّفت عندما رأت الآخرين. تبعها دوغ نت النحيل من المتحف، رأسه يتمايل إلى الأسفل والأعلى كما لو أنه يستمع إلى موسيقى صاخبة.

قطب جاك في وجهها: «ماذا تفعلين؟»

«ماذا ترى؟ أنا أقدّم المساعدة. لم أرد أن تحظى بكل المتعة لوحدك.»

«هذه ليست لعبة يا بروك»، قال جاك بغضب.

«ماذا؟ وأنت تظن أنني لا أعرف ذلك؟ استطعتُ والفتاتين البقاء على قيد الحياة في تلك الشوارع لوقتٍ طويل. أظن أننا نستطيع الاعتناء بأنفسنا.»

«نعم، ولكن...»

«نعم ولكن ماذا؟ نحن في القرن الحادي والعشرين يا جاكو، أم أنك لم تلاحظ ذلك؟ لدى الفتيات الكثير ليقدمنه غير الخياطة والطبخ وإنجاب الأطفال.»

«إنجاب الأطفال!»، قال دوغ نت مع ابتسامة، «الآن أنتِ تقولين كلاماً مفيداً.»

استدارت بروك وصفعت دوغ نت بقوة على وجهه. بدا أنّ رأسه قد تمايل من جهة إلى أخرى وكأنه معلّق على زنبرك، وبدا مصدوماً كلياً.

ضحك جاك.

«لقد اكتفيتُ منك أيها الفاشل»، صرخت بروك، «أبقِ فمك الثرثار مطبقاً وإلا سألكمه بقوة ليُطبق على حلقك، وحينها ستبتسم من مؤخرتك.»

«آه، حسناً...»، تمتم دوغ نت وعادت بروك بانتباهها إلى جاك.

«أعترف أنني أُصبت بالهلع في الحافلة، لكنني أستطيع السيطرة على زمام الأمور. كان يجدر بك رؤيتي وأنا أضرب غريغ بتلك المطرقة. والآن لدي شيء أفضل من المطرقة.» لوّحت بمضربها فاضطر جاك للقفز إلى الخلف لتفادي مساميره.

«اتضح لي أنني إذا أردتُ ألاّ أشعر بالخوف فعليّ أن أواجه»، تابعت بروك، «هذا هو الوضع الآن، وكلما اعتدت ذلك بسرعة أكبر كان أفضل.»

«ماذا عنه؟» أومأ جاك نحو دوغ نت الذي كان لا يزال مصدوماً جراء تلك الصفعة.

« لم تأتِ لمراقبتنا، هل فعلت يا دونات؟» سأل جاك.

«اسمي ليس دونات، بل دوغ نت.»

«أي نوع من الأسماء يكون دوغ نت؟» سألت بروك ونظرة استغراب تعلو وجهها.

«إنه لقب يناسب الشخص اللعوب.»

« لم لا يسمّونك دوغناتس؟»

«نعم، أو دوغزناتس؟» قال بام.

«دوغ نت أفضل»، قال دوغ نت.

«أتظن ذلك حقاً؟» سألت بروك.

« لم تخبرني حتى الآن ما الذي تفعله هنا»، قال جاك.

«أتيت للمساعدة»، قال دوغ نت، «أنا بارع في القتال، كما أنني أكاد أُصاب بالجنون من الجلوس في الداخل. أحتاج إلى الخروج والإحساس

بالريح تتغلغل في شعري. لذا دعونا نتخلص من بعض الموبوئين، اتفقنا؟ هاياااا!» أطلق صرخة ترافقها ركلة كونغ فو فاضطر جاك إلى الابتسام.

«هيا»، قال، «لنذهب.»

«أنا قادمة معكم.» كانت فريديريك تقف بالقرب من أحد المدفعين الصفراوين، والسكين الكبيرة في يدها.

«لا»، قال جاك، «لا بأس فريديريك...»

«أريد ذلك.»

«هناك خطر.»

«لا أبالي. سأرافقكم. أنا مثل بروك. لا أريد أن أكون خائفة بعد الآن. أريد المساعدة في العثور عل طعام. أريد أن أكون مفيدة.»

«حسناً»، قال جاك، «صحيح أنني قلت إننا نحتاج إلى المزيد من الأشخاص، لكن لم يكن هذا النوع من الأشخاص الذي جال في خاطري.»

«أوه، جيد أنكم لم تغادروا بعد!»

كان المزيد من الأولاد يخرجون من المبنى. ظهرت كورتني وأليشيا تحملان أسلحة لا تتماشى إطلاقاً مع مكياجهما وشعرهما والألوان الفاقعة التي ترتديانها.

«كنا قلقتين من أنكم قد غادرتم من دوننا»، قالت أليشيا، «استغرقت كورتني وقتاً طويلاً في الاستعداد لدرجة أنّ الشخص قد يظن أنها ذاهبة إلى حفلة أو شيءٍ من ذلك وليس الخروج لقتال الموبوئين.»

«مهلاً، هذا ليس عدلاً!»، احتجّت كورتني، «لم أستطع النظر في مرآة الحمام هذا الصباح، ليس بوجود بروك تتبرج: أوه، ما رأيك؟ أتظنين أن إدّ سيحب لون أحمر الشفاه هذا؟ أوه، أتظنين أن مسامير هذا المضرب تتماشى مع هذا البنطال؟»

«اخرسي يا كورتني!»، صرخت بروك، «لم يحدث هذا مطلقاً.»

«بلى، هذا ما حدث يا عزيزتي.»

«إذاً، إلى أين نذهب على أي حال؟»، وجّهت بروك سؤالها إلى إد في

محاولة لتغيير الموضوع، «نعود إلى الحافلة؟»

«ربما، في حال لم نعثر على شيء آخر»، قال إد، «لم نحضر كل شيء البارحة، لكننا أخذنا الأفضل. نحتاج إلى العثور على طعام مغذ.»

«تُعدُّ الرقائق المقرمشة طعاماً مغذياً من حيث أتيت!» قالت كورتني، وضحكوا جميعاً.

«يجدر بنا الذهاب إلى كينينغتون»، قال دوغ نت، «هناك متجر أغذية كبير، مركز تيسكو، بالقرب من خزان الغاز»، أشار إلى الطريق الممتد نزولاً عند الجانب الغربي للمتحف، «يستحق إلقاء نظرة.»

«هل أنت متأكد من أننا لن نجد شيئاً إن تفقّدنا المنازل بالقرب؟» سأل إد.

«لقد نشأت في كينينغتون يا صديقي»، قال دوغ نت، «أعرفها عن ظهر قلب. هناك الكثير من المتاجر وأماكن لتناول الطعام، تعرف قصدي، مطاعم وما إلى ذلك. سنجد هناك أكثر مما قد نجده هنا.»

«ماذا إن رأينا بعض الموبوئين؟» سألت كورتني التي تسلحت بسيف طويل وثقيل الوزن يصعب عليها التعامل معه.

«حسب الظروف»، قال إد، «الهرب أفضل من القتال.»

«يجب أن نفترض أننا سنلتقي بعضاً منهم»، قال جاك، «وسنضطر إلى القتال. إذا كان لدى أحد منكم مشكلة في ذلك فليبقَ هنا الآن.»

لم يتفوه أحد بكلمة.

«لننطلق إذاً.»

«لا بد أنني مجنونة حتى قررت مرافقتكم»، قالت كورتني بصوت خافت موجهةً كلامها إلى بروك وهما تنزلان الدرجات التي تمتد عبر المتنزه بجانب المتحف.

«الأخوات يفعلن ذلك من أجل بعضهن»، قالت بروك وهي تضرب كفها بكفّ كورتني. انضمت أليشيا إليهما ثم أجبروا ثلاثتهن فريديريك على الانضمام إليهن. ضحكن على الجهد الضئيل الذي بذلته.

«خففي عن نفسك يا فتاة»، قالت بروك، «لا تتصرفي بتكبّر طوال

الوقت مثل الراشدين. جميعنا أطفال وفي هذه المحنة معاً، اتفقنا؟»

«نعم.» جرّبت فريديريك مجدّداً، وهذه المرة ضربت كفاً قوية بكفّ بروك.

«هذا ما أفضّله أكثر يا أختاه!»

في منتصف الطريق عند طرف المتنزه سمعوا صرخة من الخلف، استداروا ليروا الفتى جاستن يركض خلفهم، يحمل بندقية وحربة بطريقة غريبة.

«والآن ماذا؟»، قال جاك، «هل هو قادم أيضاً؟»

«بالتأكيد لا»، قال إد.

كانت أنفاس جاستن قد انقطعت عندما وصل إليهم، وكان وجهه أحمر اللون من الركض.

«سأقدّم المساعدة أيضاً»، قال.

«هل أنت متأكد من هذا؟» سأل إد.

«نعم، أنا متأكد.»

«لسنا ذاهبين في رحلة يا جاستن»، قال جاك بلهجة فظة أكثر مما أرادها أن تكون.

بدا جاستن متوتراً وغاضباً في الوقت نفسه. أخذ نفساً عميقاً وتلعثمت الكلمات في حلقه: «قلتَ شيئاً لي البارحة يا جاك. قلتَ إنني لم أكن حاذقاً كلياً.»

«كنتُ أسخر منك يا جاستن.»

احمرّ وجه جاستن تماماً وقال: «أعرف ما يفكر به الجميع. فقط لأنني ذكي، ولأنني أدرس باجتهاد ولا أمارس الرياضة، فقط لأنني أحب استخدام الحواسيب وأعرف كيف تعمل، لأنني أحب مشاهدة Star trek وRobot wars وأملك جميع الأقراص المدمجة لبرنامج Doctor who، لأنني أشاهد ويليام هارتنل وبول مكغان، فقط لأنني لم أحظَ يوماً بحبيبة ولا أعرف أيّ نوع من الجينز أرتدي... لا يعني أن ترفضوني. جميعكم تظنون أنني ذكي لا فائدة منه.»

«نحن لا نظن ذلك يا جاستن»، قال إد.

«بلى. أعرف أنكم كذلك. أنت تسمونني جاستن الذكي؛ جاستن الحاذق؛ الذكي الأحمق. هذا كل ما أنا عليه. لا شيء أكثر من ذكي، بالكاد بشري. لكنني بشر، ونعم، أفترض أنني ذكي لكنني سأثبت لكم أنني لست من دون فائدة. سأساعدكم في العثور على المزيد من الطعام. سأقاتل إن اضطررتُ إلى ذلك. لقد عشتُ حياتي أتعرض للسخرية والتنمّر، لذا عليّ أن أتعلّم كيف أدافع عن نفسي. أنا في الواقع قوي، إذا كان يهمكم معرفة ذلك.» سكت جاستن وحدّق في دوغ نت الذي كان يبتسم. بدا دوغ نت محرجاً، فكفّ عن الابتسام وتابع سيره.

«هل سيأتي المزيد منكم للانضمام إلينا؟» سأل جاك مستمتعاً، محدِّقاً في اتجاه المتحف.

«لا أظن ذلك.»

«ماذا عن كريس ماركر؟»

«ذلك المهووس! مستحيل أن يأتي!»

36

في تلك اللحظات كان كريس ماركر يستكشف المتحف، حاملاً مصباحَ زيت قديماً. كان قد اكتشف وجود سلسلة من الغرف المترابطة السرية في أحدِ جوانب المبنى، كانت تحتوي أكواماً من كتب وكتيبات وأوراق ورسائل ووثائق من جميع الأنواع، تتعلّق بتاريخ الحرب في القرن الأخير. سيحتاج إلى أكثر من عمر واحد ليقرأ كل تلك الكلمات التي تحتويها.

لم يكن خائفاً لكونه وحده في الظلام، بل كان يشعر بسلام داخلي عميق. ذكّره المكان بإعلان تلفزيوني عن معطّرات الجو حيث تقوم امرأة خلال الإعلان بوضع ذلك الشيء البلاستيكي الصغير في المقبس فتخرج رائحة فوّاحة فيرفع الجميع وجوههم، يغمضون عيونهم، يتنشقون بعمق ويقولون «آآآآآآه»، وكأنهم يتنشقون مخدّراً من نوع ما وليس موادَّ كيمائية. حسناً، رائحة كل هذه الكتب والأوراق القديمة فعلت ذلك بكريس. شعر بالهدوء التام.

كان هذا المكان كنيسة بالنسبة إلى كريس، كان كاتدرائية. في هذا الظلام بدت رفوف الكتب الضخمة مثل جدران عظيمة؛ جدران من المعلومات؛ قصر من الكلمات.

كان آمناً هنا. في هذا الهدوء، داخل جدران الكلمات، استطاع أن يفكر بوضوح.

كان من الغريب أن يشعر بهذا السلام في مكتبة كل ما تحتويه من كتب يتعلق بالحرب، لكنه الآن بحاجة إلى معرفة المزيد عن الحرب. اختار عشوائياً

صندوقاً من الكرتون من على رفٍّ كبير، وفتحه. داخله تكدّست مجموعة من كتيبات الجيش القديمة... كتيبات تحتوي على توجيهات عن كيفية استخدام أنواع مختلفة من البنادق. كتيب صغير لكلّ سلاح. لم تكن لديه أدنى فكرة بأن البنادق معقدة جداً. افترض أن ذلك هو السبب الذي جعل الجنود يخضعون للتدريب. كل تلك البنادق في الطبقة السفلى في المعارض والترسانة كانت دون فائدة من دون هذه الكتيبات، لم تكن أكثر فائدةً من المضارب أو الرماح. يمكن أن تكون مفيدة وتعود إلى الحياة فقط بقوة هذه الكتب.

كان يحتاج إلى الوقت؛ وقت لاختيار ما هو مفيد. عليه أن يبدأ بتصنيف الكتب والكتيبات. ربما سيأتي بسرير إلى هنا ويعيش مع هذه الكتب. سيحتاج إلى الخروج فقط من أجل تناول الطعام أو لاستخدام المرحاض.

ابتسم لتلك الفكرة. كانت المرة الأولى التي يجلس فيها وحيداً منذ بدء تلك الكارثة؛ وحيداً كلياً. كان شعوراً لذيذاً.

لا، ليس وحيداً تماماً، إذا ما فكّر في الأمر جيداً فهناك الكتب في صحبته، وبالنسبة إليه إنها بمثابة مخلوقات حيّة تتنفس. كان الكُتّاب هناك بين أكوام الكتب معه مثل أرواح لطيفة. كلما فتح كتاباً وقرأ الكلمات المخبّأة في داخله أيقظ شبحاً، والشبح يتحدث مباشرةً معه. يعود الكاتب الميت منذ زمن طويل إلى الحياة.

أخبره أحد أتباع جوردن أنه يفترض بهذا الجزء من المتحف أن يكون مسكوناً بشبح حقيقي: السيدة الرمادية. لم تُخفه الفكرة قط. كان بإمكانه تخيّلها تراقبه، تراقب هذه الكتب القيّمة، وصيةً على الأشباح الأخرى التي تحتويها.

شعر بوجود شخص ما. أحدهم كان هنا. لمح بطرف عينه حركة سريعة. نظر على امتداد أكوام الكتب. كانت تجلس هناك امرأة متشحة باللون الرمادي، جاثمة على مقربة، تراقبه. لسبب ما كان لا يزال لا يشعر بالخوف.

«مرحباً» قال، لكنّ المرأة لم تجب.

رفع مصباحه ليتمكّن من الرؤية أوضح. كانت بشرة المرأة رمادية مثل ملابسها القديمة الطراز، لكنها لم تبدُ مصابة بالوباء، بل بدت جميلة وكأن نوراً داخلياً يشعّ منها. كانت ترتسم على وجهها نصف ابتسامة.

مشى نحوها، وعندما وقع ضوءُه مباشرةً عليها اختفت. في لحظة كانت هناك وفي أخرى بدت كأنها ذابت بين الكتب.

لطالما رأى كريس أشباحاً. كانت والدته قد اصطحبته لرؤية طبيب حاول أن يشرح له بأن ما يراه ليس حقيقياً.

أي خبرة كان يمتلكها أولئك الأطباء؟

جلس كريس على الأرض.

أدرك أنه كان يبكي.



37

لم يكف دوغ نت عن الثرثرة. كان جاك يدرك أن السبب هو التوتر. مغادرته المتنزه كان بمثابة الخروج من الأمان إلى الخطر. كان الشارع الذي يسيرون فيه، شارع كينينغتون، واسعاً جداً، وكان في مقدورهم رؤية الاتجاهين بوضوح ما داموا يسسيرون في الوسط، وحتى تلك اللحظات كانت الأجواء هادئة أكثر مما يجب. لم يروا أحداً منذ انطلاقهم، لكن كانت تخالجهم جميعاً مشاعر توتر وكأنّ عيوناً خفية تراقبهم. كانوا جميعاً متوترين وملتزمين الصمت باستثناء دوغ نت الذي لم يتوقف عن الكلام.

كان يقول: «لِمَ ليس هناك زومبي موبوءون في المكان؟ إلى أين يذهبون في النهار؟ أين جثث الموتى؟»

«ربما التُهمت جميعها»، قال جاك. كانت يحس بثقل الخوذة على رأسه والسيف يضرب على رجله خلال سيره، «لا بد أن يأكلوا شيئاً.»

«هذا صحيح»، قال دوغ نت، «إلا أنهم يفضّلون اللحم الطازج. الأحياء. نحن. لكن، أقصد، فكروا في الأمر، كان هناك أناس كثر في لندن. أين ذهبوا جميعاً؟ أصبحت مثل مدينة أشباح.»

«أتريد أن تعود؟» سأل جاك.

«مستحيل أيها الجندي. لا أطيق الملل الذي نعيشه في ذلك المتحف طوال اليوم. ولا بأس بمواجهة سريعة كقليل من التدريب.» لوّح بذراعيه، ثم أرجح سيف الساموري الذي حمله عدة مرات.

«انتبه لما تفعله بذلك الشيء»، قال جاك.

«لا خطر يا رجل. جوردن يُلزمنا جميعاً بالتدرّب، على استخدام السلاح. مناورة. وصدّقني يا رجل، هناك الكثير من ألعاب الحرب التي نستطيع أن نلعبها كل يوم. إياك أن تتحدث وجوردن عن الحرب. إنه مجنون بكل ما يتعلق بها وبالأشياء العسكرية. أظن أنه يظن نفسه جنرالاً حقيقياً.»

«يبدو بارداً جداً»، قال جاك.

«ليس كذلك على الإطلاق يا أخي. إنه مجنون برأيي. لا يتحدث أبداً عن حياته السابقة. لا يتحدث عن أي شيء طبيعي أبداً. يحدّق فيك فحسب ويثرثر عن الحرب والقتال. أظنّ أنه من «إك».»

«ماذا؟»

«أقصد أنه متوحّد عقلياً، يعاني من الديسليكسيا، منفصم، مدمن، شيء من هذا القبيل. قبل حصول كل هذا كان معتوهاً مهووساً بالحروب، وعقله البارد الغريب الأطوار هو الذي أبقانا على قيد الحياة، ولهذا السبب نفعل كل ما يطلبه منا. عاش الجنرال!»

كان بام يسير مع إد. لم يكفّ عن النظر بين الحين والآخر نحو السماء. كانت السماء فوقهم لا تزال زرقاء صافية، لكن على مسافة ليست ببعيدة، نحو الجنوب، بدت قاتمة بطريقة غير طبيعية.

أشار إلى إدّ عن الأمر.

«أتظن أنها غيوم عاصفة؟»

«لا أعرف»، تفحّص إدّ الغيوم السوداء، «هل تستطيع أن ترى شيئاً مثل وهج أحمر في الأسفل؟»، سأل بعد فترة، «أم أنني أتخيل ذلك؟»

دقق بام النظر: «لأكون صادقاً معك يا صديقي، نظري ليس ثاقباً. كان يجدر بي الخضوع لفحص نظر منذ زمنٍ طويل، لكني كنتُ خائفاً جداً أن أفعل ذلك.»

«خائف؟»، هزّ إدّ رأسه مبتسماً، «أنت بام، وبام لا يخاف شيئاً.»

«لا أريد أن أكذب عليك»، قال بام، «كنتُ في حال يُرثى لها. فكرتُ، إن كنتُ أحتاج إلى نظارة فقد لا أتمكن من ممارسة الروكبي مجدداً. لن أتمكن من رؤية الكرة.» قلّد طريقة أحدهم وهو يخطئ في الإمساك بالكرة بعينين

حولاوتين ويدين تتحركان في جميع الاتجاهات.

ضحك إد وقال: «يصنعون عدسات لاصقة خاصة بالرياضة، أليس كذلك؟»، ثم استطرد، «أو على الأقل كانوا يفعلون ذلك.»

«أعرف، أعرف، لكن الأمر ليس بهذه البساطة. الروكبي رياضة قاسية. كنتُ أعاني القلق طوال الوقت.»

«حسناً، فات الأوان على فحص عينيك الآن»، ضحك إد، «دعنا فقط نأمل ألاّ تُصاب بالعمى.»

«أيمكنك تخيّل ذلك؟ أن تكون أعمى وتحاول التأقلم مع كل هذا»، قال بام.

«لا أعرف»، قال إد، «قد يكون ذلك أسهل بطريقة ما. أقصد، لن تضطر إلى رؤية تلك الوجوه البشعة.»

«لا»، قال بام، «لا أريد أن أفكر حتى بالأمر، فذلك مخيف جداً. أوه، يا وَيلي!»

ضحك إد بينما بقيت عيناه مثبتتان على السماء السوداء أمامهما. قال: «بكل تأكيد أرى ما يشبه الوهج في الأسفل. ألا تراه على الإطلاق؟»

استدار بام ونادى الفتيات: «اسمعن! ما تلك الغيوم برأيكنّ يا آنسات؟ هل ترين وهجاً أحمر أدناها؟»

أومأت أليشيا وقالت: «أحمر أو... برتقالي. حريق.»

تنهّد بام: «إنها نيران على الأرجح.»

«أتظن ذلك؟»

«نعم.»

«يا لهذا الغطاء الكثيف من الدخان»، قال دوغ نت من المقدمة.

«حسناً، ليس هناك أحد ليطفئها، صحيح؟»، قال بام، «انظروا إلى كل هذه المنازل المتراصفة بالقرب من بعضها بعضاً. تحوي على أشياء لا عدد لها وقد تشتعل بسهولة حالما تصلها النيران. قد يشتعل المكان بأكمله.»

«تبدو على مسافة بعيدة»، قال إد، «لا أظن أن علينا أن نبدأ بالهلع من الآن.»

«حسناً، ستعلمنا متى نفعل ذلك، صحيح يا إد»، قال جاك بلهجة ساخرة، «ستعلمنا متى علينا أن نبدأ بالهلع.»

«يا رفاق؟»، بدت بروك متوترة، «أظن أن الآن هو الوقت المناسب للبدء بالهلع.»

كانت تشير بإصبعها نحو أسفل الطريق. كانت هناك مجموعة من الموبوئين تجثم فوق شيء ملقى على الأرض.

«ماذا نفعل برأيكم؟»، قال دوغ نت، «نقاتلهم أم نلتفّ من حولهم.»

«لا داعي لمناقشة المسألة»، قال إد، «يجب أن نلتف من حولهم. لا جدوى من قتالهم إن لم نكن مضطرين لذلك. أقصد، لسنا في موقف فيه السبل قد سُدَّت في وجوهنا، صحيح؟»

«أنا أقول إنّ علينا قتالهم»، قال دوغ نت، «عددهم ليس كبيراً.»

«ما الجدوى من ذلك؟»

«لنُرهم من الأقوى هنا. لنُرهم من يملك هذه الشوارع.»

«لا»، قال بام، «إد على حق، لنلتفّ من حولهم. يجدر بنا ألا نقاتل إن لم مضطرين إلى ذلك.»

«نعم، دعونا نهرب كالجبناء»، قال جاك.

«ماذا تقصد؟» سأل إدّ محاولاً عدم الغضب.

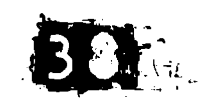
«الطريق الأصفر المرصوف؛ الطريق التي يسلكها الأسد الجبان.»

«أنا لا أقول إنّ علينا الالتفاف من حولهم لأني خائف»، قال إد، «من الغباء أن نخوض قتالاً من دون سبب.»

«لم أقل قط إنك خائف. لم أتفوه بشيء عنك قط. لَم تفترض أنني أتحدث عنك طوال الوقت؟ لا تكن حساساً إلى هذه الدرجة»، نظر جاك من حوله إلى الآخرين، «هل قلتُ إن إد خائف؟»

هزّوا رؤوسهم نفياً.

«لستُ أتشاجر معك، هل أفعل؟»، وجّه جاك كلامه إلى إد، «أوافقك الرأي. دعونا نلتفّ من حولهم. اتفقنا؟»



كان مات وأرتشي قد عثرا على رايتهما؛ علم نمساوي عسكري قديم طُبع على خلفيته الذهبية نسرٌ أسود ذو رأسين. كانا يجلسان حول طاولة في المقهى. أرشدهما أحد أتباع جوردن إلى خزانة مليئة بأدوات الطلاء والفراشي وأدوات متنوعة. عثرا على بعض الأقمشة أيضاً، فقصّا بعضها إلى قطع وألصقاها لتغطية المساحات التي لم تعجبهما. كانا يفضّلان خياطة تلك الرقع لكنهما لم يكونا يعرفان كيفية عمل ذلك. قد تبدو الراية غير مترابطة التفاصيل، لكن ذلك سيفي بالغرض حالياً. عندما يكون لديهما وقت أكبر وموارد أفضل سيصنعان راية جديدة.

كان مات قد خطّ بعض الرسومات للتصميم الذي كانوا يلوّنونه على قطع القماش. وقد استغرق وقتاً لرسم الصورة بطريقة صحيحة، لكنه أخيراً حصل على نتيجة مُرضية. استند الرسم إلى رؤيته. عندما تنظر إليه من جهة ترى صورة لصبيين، أحدهما خلف الآخر. عندما تنظر من الجهة الأخرى ترى الفتى وظله. الشخصية الرئيسية، أي الفتى في المقدمة، كان مرتّب الشعر ومتّشحاً بالبياض. الفتى الثاني، أي ظله، كان داكن الشعر ومتّشحاً بالسواد. كانت تفاصيله أقل وبدا غير مكتمل. لم يكن مات أفضل رسّام في العالم، لكن كان هناك شيء غريب في رسمه الأخير، خاصية غريبة، مؤرّقة.

نقل الصورة إلى الراية كان بمثابة العمل على مشروع فني للمدرسة. تجمهر مات وأرتشي وأتباعهما العشرة حول الراية التي افترشت الطاولة وتدلّت أطرافها عن الجوانب. كان مات قد رسم الخطوط العريضة بقلم عثر

عليه في صندوق في متجر المتحف، فعمل الآخرون على تعبئة الأشكال. تجاذبوا أطراف الحديث بسرور وهم يمزجون الألوان ويلوّنون بها، منهمكين تماماً في عملهم.

«الأحمر للعينين!»، قال فيل، الأصغر من بين الأتباع، «يجب أن يحصل الفتى الظل على عينين حمراوين.»

«هذا ليس ملصقاً لفيلم رعب»، قال مات.

«أي لون إذاً؟»

«اتركهما داكنتي اللون فحسب. كما أنّ اسمه ليس الفتى الظل. إنه معزاة.»

«هل نضع له قروناً؟»

«لا. ليسا حملاً حقيقياً وماعزاً حقيقياً. لوّنه مثلما رسمتُه فحسب.»

«إذا وضعنا أشعة صفراء فسيبدو كأنّ الحمل يشعّ نوراً»، قال هاري، تابع آخر.

«حسناً. لكن افعل ذلك بحذر.»

«ماذا عن الكتابة»، سأل فيل.

«ماذا تقصد "بالكتابة"؟»

«يجب أن نخطّ كتابة على الراية.»

«لا أعرف.»

«شيء باللاتينية»، اقترح هاري، «مثل الموت للعدو. ما رأيك بهذا الشعار باللغة اللاتينية؟ هل يعرف أحدكم هنا اللاتينية؟»

«أنا»، قال أرتشي، «أظن أنّ الموت للعدو تُكتب بطريقة مثل Nex Ut Hostes Hostium، أو Mors Ut Hostes Hostium، شيء من هذا القبيل. لستُ متأكداً.»

«لا يمكننا أن نكتب شيئاً نحن غير متأكدين منه»، قال هاري.

«يجب أن نضع اسم سيدنا عليها»، قال مات، «اسم الحمل.»

«هذه سهل»، قال أرتشي، «الحمل يعني Agnus، وAgnus Dei هي حمل الله أو حمل الرب.»

«يبدو هذا رائعاً»، قال فيل، «Agnus Dei.»

كان خط هاري هو الأفضل. كان قد أخذ صفاً في الخطوط في المدرسة، لذا طلب مات منه أن يدوّن تعاليمه في دفتر ملاحظات كبير وجدوه في المتجر أيضاً.

كانوا يكتبون العهد الأول. تشاجروا لوقت طويل على التسمية. **كتاب الحمل** بدا وكأنه كتاب طبخ، و**كتاب مات** لم يكن مناسباً أيضاً. اسم **كتاب ماثيو** كان يشبه كثيراً **إنجيل ماثيو**، وقد احتاج مات وقتاً طويلاً ليشرح أنّ ديانتهم الجديدة لا علاقة لها بالمسيحية أو أي ديانة أخرى، رغم أنه كان يقتبس الكثير من الكتاب المقدّس. في النهاية قرروا أن يسمّوه **الكتاب**، فخطّ هاري بحذر الكلمات على الغلاف الأمامي بالخط القوطي. بعد ذلك كتب كل شيء لقّنه إياه مات عن ديانته الجديدة. تبيّن أن التهجئة لدى هاري لم تكن الأفضل في العالم، لكن خطّه بدا جميلاً جداً لذا سمح له مات بالاحتفاظ بعمله.

حاول هاري أن يقترح بأنّ ديانتهم الجديد يمكن أن يكون لها نوع خاص من التهجئة، لكنّ الآخرين لم يقتنعوا بذلك.

حالما انتهوا من العمل على الشخصيتين الرئيستين في الرسم، بدأ هاري بخطّ الكلمات. لكن بعد عشرين دقيقة كان لا يزال يعمل على حرفٍ واحد، لذا تركوه يعمل بمفرده، يجلس هناك، منحنياً فوق الراية التي افترشت الطاولة، لسانه بين أسنانه، ونظرة من التركيز الكامل تعلو وجهه.

39

كانوا قد غادروا الطريق الرئيسي غرباً نحو النهر وبدأوا يشقّون السير عبر شبكة من الشوارع الجانبية، أحياناً يلمحون خزان الغاز الذي كانوا يستخدمونه نقطة استدلال. تلك البراميل المعدنية العملاقة، المطلية بالأخضر الباهت، كانت تعلو المباني المحيطة، لكن عندما وصل الأولاد إلى المنازل المتراصّة لم يعد بإمكانهم رؤية الخزان.

لم يكن هناك نظام تخطيط واضح للشوارع فاضطر الأولاد أن يسلكوا طرقاً التفافية حول المنازل، مما أبطأ من سيرهم. كانوا يشعرون بتوتر أكبر الآن. كان هناك المزيد من الدلائل على هول الكارثة في هذه الشوارع الجانبية، تذكِّر بكل ما حدث؛ نيران مشتعلة، حطام، جثث. كما أنهم رأوا مجموعتين من الموبوئين المتحوّلين، وفي كل مرة كانوا يضطرون إلى أن يسلكوا تحويلة أخرى لتجنّبهم، لينتهوا في شوارع أكثر غرابةً ويضلّوا طريقهم مرة أخرى.

أخيراً، عن طريق الصدفة البحتة، خرجوا إلى طريق رئيسي وأمامهم كان شعار «تيسكو» بلونه الأزرق والأبيض معلّقاً على مقدمة مبنى طويل وبشع بالقرب من موقف سيارات عليهم عبوره في مطلق الأحوال. أما خزانات الغاز فكانت تظلّل السماء خلفهم.

«ماذا قلتُ لكم!» صرخ دوغ نت بانتصار، فهلّل الأولاد وهم يعبرون الشارع.

لكنّ حماستهم لم تدم طويلاً.

كان المتجر قد نُهب بالكامل.

كانت النوافذ الأمامية للمبنى قد حُطِّمت، والرفوف في الداخل خالية كلياً. بقي هناك عدد قليل من عرباتٍ التبضّع التي وقفت منسيّة ووحيدة بين حطام الصناديق والخزائن المحطّمة.

تجوّل الأولاد في المكان بكآبة، الزجاج ينسحق تحت أرجلهم، آملين أن يعثروا على شيء لم يُنهب.

لم يكنٍ هناك شيء.

«حسناً، كانت تلك مضيعة كبيرة للوقت»، قال جاك.

«كان الأمر يستحق المحاولة»، قال بام.

«أكان كذلك حقاً؟»

«بربك جاك، دعنا ننظر إلى الأمر من الجانب الإيجابي، هلاّ فعلنا؟»

«الجانب الإيجابي لمَ؟»

«حسناً، على الأقل ليس هناك أيٌّ من الموبوئين في انتظارنا.»

«مكانك، لن أكون متأكداً إلى هذه الدرجة»، قالت بروك، فاستداروا ليروها تحدّق نحو أحد الممرات.

ركضوا إليها.

أم نحيلة، ذراعاها العاريتان معلّقتان مثل غصنين من سترة من دون أكمام، كانت تسير ببطء في اتجاه بروك. ربما كانت في الخامسة والعشرين من العمر، ذات شعر قصير ومشعّث، وكانت تمشي محدودبة على رجلين ملويتين، غير قادرة على الوقوف جيداً. نظرت إلى الأولاد، عيناها الزقاوان الواسعتان كانتا حزينتين ومرتبكتين، ثم فتحت فمها الملطّخ بالدم وحاولت أن تقول شيئاً، لكن خرجت غرغرات مخنوقة فحسب. سعلت وبدت محرجة عندما سال لعابها على شفتها السفلى وتدلّى على ذقنها.

بدأت تتحرك في اتجاههم، شبه زاحفة، شبه محنيّة، متحسسةً طريقها بذراعيها الطويلتين الضعيفتين على جانبيها.

«اقتلها يا بام»، قال جاك.

«أطلق النار عليها»، أضاف دوغ نت.

هزّ بام رأسه. بدت امرأة مثيرة للشفقة. «لا أعرف إن كنتُ أستطيع ذلك.»

تقدّم إد، رافعاً بندقيته، وطرف الحربة موجّه إلى وجه الراشدة الأم. نظرت إليه، عيناها واسعتان بطريقة غير طبيعية، لامعتان، كما لو أنها كانت على وشك أن تبكي. ذكّرته بشيء، للحظة لم يعرف ما هو، لكن فجأةً... نعم، تشبه شخصية من تلك الشخصيات ذات العينين الواسعتين الغبيتين في رسوم هزلية يابانية.

شدّ قبضته على بندقيته. أخبر نفسه أنها لم تعد بشراً. كانت مجرد شيء من دون عقل يفكر، شيء نهشه الوباء، وعلى الأرجح يُحتضر.

«افعل ذلك يا إد»، أتى صوت جاك قاسياً. كان إد يعرف أنه لا يؤمن بقدرته على فعل ذلك.

أيقدر أن يقتلها؟

فكرة غرز الحربة فيها، الإحساس بها تغرز في لحمها حتى تقتلها، في دماغها...

أيقدر على فعل ذلك؟

مرّت بروك من جانبه وأطلقت صرخة تشبه صرخات المحاربين وهي تؤرجح مضربها نحو مؤخرة رأس الراشدة الأم. سقطت أرضاً على وجهها وهي تُطلق أنيناً خافتاً، لكنها سرعان ما سقطت جثة هامدة.

«أترون؟»، قالت بروك، «أخبرتكم أنني لستُ عديمة الفائدة تماماً. لستُ مثلكم يا مجموعة المخنثين. ما مشكلتكم جميعاً؟ كانت مجرد موبوءة حمقاء. لِمَ لا يستطيع أحدكم أن...»

صمتت بروك، وضعت يدها على وجهها وركضت نحو صف من الخزائن لتتقيأ بصوت قويّ خلفها.

«لنغادر هذا المكان»، قال جاك.

كان المتجر مظلماً، أما خيوط الضوء التي كانت تصل إلى السقف

المنخفض فكانت باهتة ودون فائدة. عندما اجتمع الأولاد مجدداً في الخارج جعلتهم الشمس المشعة يرمشون ويغمضون عيونهم نصف إغماضة ويظللون عيونهم بأيديهم. مرّت ثوانٍ قليلة قبل أن يروا مجموعة من الموبوئين كانوا يزحفون في اتجاههم عبر موقف السيارات.

كان هناك حوالى عشرين منهم، في مراحل مختلفة من المرض. كانت أسوأ الحالات في الخلف، الأبطأ، الأكثر مرضاً. كانوا يعرجون، وظهورهم محنيّة، بشرتهم تكاد تكون مغطاة كلياً بالدمامل والقروح أو تتدلّى منهم مثل أورام متمايلة. لم تكن وجوههم تشبه وجوه البشر، لا شكل محدد لها، ملطخة بالدم ومتورمة. أنوف مفقودة، آذان مفقودة، عيون مفقودة، خدودهم إما متنفخة ومتورمة أو تعفّنت واختفت، لتظهر أسنانهم. أولئك الذين كانوا يمشون في المقدمة كانوا أفضل حالاً، أصغر سناً، أسرع وأفضل حالة بدنياً، لكن بدا المرض ظاهراً عليهم أيضاً، فقد تغيّر لون جلودهم وتورّمت، كانت أجسادهم تالفة من السمّ الذي يغلي في داخلهم.

في المقدمة كان يمشي أب طويل القامة، كما لو أنه القائد، وكان أسود الشعر ذا عينين صفراوين مخيفتين. كان يرتدي معطفاً غامقاً طويلاً يرفرف مع الهواء.

«يا إلهي، إنه بيز!» شهقت بروك.

«ماذا؟» لم تكن لدى جاك فكرة عمّ كانت تتكلم.

«الرجل الذي في المقدمة يبدو مثل بيز ديسبنسر. كان هناك من قبل، عند الحافلة. لا بد أنه تبعنا.»

رغم كل شيء، ضحك جاك. كانت على حق. كان رأس الأب يتأرجح إلى الخلف، فتدلى فكه إلى الأسفل وخرج لسانه ملولحاً من فوق شفته السفلى. أراد جاك أن يبقى ويقاتل، أن يكفّ عن الهرب والاختباء، أن يُسقط ذلك الرجل بضربة واحدة من سيفه. لكنه لم يرد أن يعرّض الآخرين للخطر.

«لنبتعد عن هذا المكان!» صرخ، وركضوا جميعاً.

التفّوا من حول المتجر، نحو مساحة خاصة بالتحميل والتفريغ. استطاعوا شمّ رائحة الغاز من الأبراج هنا، رائحته اللاذعة كانت تصل إلى كل مكان. بعد دقائق قليلة من الركض المحموم، القاطع للأنفاس والمضني، وصل الأولاد إلى ما يشبه ساحة فيها عدد من المرآبات وحواجز عند الجوانب وزقاق في الخلف.

«توقفوا!»، قال بام وهو يتفحّص المكان، «سنكون بأمان هنا. سأتأكد من أنهم لم يتبعونا. إذا بقينا هادئين تماماً فسيستسلمون بكل تأكيد ويكفّون عن البحث عنا.»

تقدّم دوغ نت وبام نحو مدخل الساحة ونظرا إلى الخارج.

«لا أثر لهم»، قال دوغ نت بعد لحظات، «أظن أننا ضلّلناهم.»

«هذا جنون»، شهقت كورتني. كانت الفتاة الضخمة تجد صعوبة في التقاط أنفاسها، وبدت شاحبة وخائفة. لم تكفّ عيناها عن الالتفات من حولها بقلق، لا تستقران على شي معين، «نحن لا نعرف ماذا نفعل. المكان خطر جداً هنا. أظن أن علينا العودة.»

«أنا أوافقها الرأي»، قالت أليشيا، «لن نعثر على شيء.»

أتى صوت جاك الذي جعلهم جميعاً يستديرون إليه: «هنالك شاحنة في ذلك الزقاق.»

«ماذا؟» قطّب إدّ في وجهه.

«قلتُ إنّ هناك شاحنة في ذلك الزقاق.»

«وإن يكن؟»

«أظن أنها إحدى شاحنات النقل في تيسكو. علينا أن نتفقدها.»

«لحظة واحدة»، رفع إد يده معترضاً نحو جاك، «انعتني بالجبان إذا أردت لكنني لا أظن أن هذه فكرة جيدة.»

«لماذا؟»، سأل جاك، «ما الذي سيحصل؟»

«ما حدث في فيز، عندما وقعنا في كمين، يشبه الوضع هنا تماماً.»

«ما من أحد في المكان يا إد.»

«هكذا كان الوضع هناك أيضاً، ثم أتوا من كل مكان. كانوا ينتظروننا. قد تكون الشاحنة كميناً.»

ضحك جاك: «أي موبوئين سيتمكنون من قيادة شاحنة إلى زقاق وإخفائها؟»

« لَم هي متوقفة هناك إذاً؟»

«من أين لي أن أعرف ذلك؟»، قال جاك، «كنتُ أقول إنه يجدر بنا إلقاء نظرة فحسب.»

« لم تكن هناك في روهارست»، احتج إد، «أنت لا تعرف كيف كان الوضع...»

لكنّ جاك كان قد اتجه نحو الزقاق.

ناداه إد: «جاك!»

لم يكن بمقدور الآخرين فعل شيء سوى اللحاق به. كان الزقاق واسعاً بما يكفي ليناسب حجم الشاحنة التي كان طولها حوالى عشرة أمتار. كانت تقف هناك في الظلام بهيكلها الضخم، تسدّ الطريق مثل وحش عملاق يربض في عرينه مستعدّاً للانقضاض والقبض على ضحيته. قبل وصول جاك إلى منتصف الطريق تمنّى لو أنه لم يتصرّف بتسرع. كان إد على حق... قد يكون من السهل أن يعلق في هذا المكان الضيق. ثم سمع أصوات أصدقائه خلفه فمنحه ذلك الثقة ليواصل سيره.

كان للشاحنة غطاءٌ يفترش أعلاها وقد طُبع عليه بوضوح «تيسكو»، كما كان هناك شعار الشركة المصنّعة في الوسط. ابتسم جاك لنفسه. قد تكون هذه الشاحنة هي الكنز الذي انتظروه. اقترب، لم يستطع أن يرى شيئاً، فقد كانت مظلمة من الداخل.

كان عرض الشاحنة بعرض الزقاق تقريباً، لذا كان فتح الأبواب صعباً جداً. كانت مدرأة الشبكة الأمامية لمقدمة الحافلة مؤلفة من ثلاثة قضبان، مثل سلّم. حسناً، كانت تلك دعوة بالنسبة إلى جاك. صعد عليها، ووصل إلى الماسحات، وتعلّق بها.

كان هناك رجل يجلس داخلها، في مقعد السائق، فلم يعرف جاك إن كان عليه أن يضحك أم يصرخ.

كان ميتاً، بشرته منتفخة ومتورّمة، مغطاة بطبقة من مادة بيضاء منحته شكلاً زغبياً. كانت عيناه غارقتين في وجهه المتورم مثل حفرتين سوداوتين صغيرتين. ذكّر جاك بشيء ما.

رجل الثلج.

كان غريباً بالفعل. أصبح الشبه أكبر لأن أنف السائق كان أحمر، متكتلاً ومغطى بالبثور مثل جزرة تُركت مدة طويلة في قعر ثلاجة.

اللعنة، إنه يرتدي قبعةً صغيرة ووشاحاً.

بدأ جاك يضحك واضطر إلى ترك الماسحات والقفز إلى أسفل.

«ما الأمر؟» قال بام، أول من انضمّ إليه عند الشاحنة.

«انظر في الداخل»، قال جاك وهو يشخر من الضحك، «هناك رجل ثلج لعين.»

تسلّق بام الشاحنة وبعد لحظات كان يقف بالقرب من جاك ويضحك بطريقة هستيرية.

«أنتَ مريض»، استطاع أن يقول لاهثاً وهو يضحك.

«أتلك جثة في الشاحنة؟» قالت كورتني التي كانت خائفة من النظر.

«بكل تأكيد»، قال بام، «جثة هامدة بكل ما للكلمة من معنى.»

«حسناً، لنبتعد عن هذا المكان، إنه مخيف.»

«نحتاج إلى الشاحنة يا كورتني»، قال جاك.

«لِمَ؟»

«لَم برأيك؟ ألا تستطيعين القراءة؟»

«نعم، أستطيع القراءة.»

«وماذا كُتب هناك؟»

«تيسكو.»

«بالضبط. إنها شاحنة نقل بضائع تيسكو. قد تكون مليئة بالطعام.»

حدّقت كورتني في الشاحنة وجعّدت أنفها وقالت: «نعم، حسناً. لا أراه يقودها هارباً.»

«سأتفقد الجزء الخلفي»، قال جاك وتسلق متشبثاً بالمرآة الجانبية الكبيرة وصولاً إلى السقف. كان الغطاء مصنوعاً من المعدن الرقيق الذي بدأ يقرقع تحت قدميه.

كان قلبه ينبض بقوة، من الأمل بقدر ما هو من الخوف. في حال كان الصندوق الخلفي مليئاً و لم تمسسه يد، فقد يكون مليئاً بالطعام. حمولة قيّمة للغاية. ما السبب الآخر الذي يدفع رجل الثلج إلى قيادتها إلى هنا غير هربه من السارقين أو الخاطفين؟ ربما كان في طريقه إلى تيسكو ودخل إلى هنا ليختبئ، ثم حاول الخروج. ربما تضوّر جوعاً حتى الموت أو ربما فاجأه الوباء. كان من المستحيل أن يعرف السبب.

حسناً. ربما هرب من الموبوئين المتجولين في المكان، لكنه في النهاية لم يتمكن من الهرب من الموت.

وصل جاك إلى الطرف الخلفي للشاحنة وتمدّد على بطنه. ألقى نظرةً من عند الطرف، لكن الخوف كان يدبّ في قلبه. بدا ظهر الشاحنة غير ملموس، غير مفتوح.

ابتسم ابتسامةً عريضة جداً.

سمع قرقعة خلفه فتلوّى ليرى من القادم، كان إد وبام يتسلقان الشاحنة.

«إذاً؟»، ناداه بام، «لا تتركنا متشوقين.»

جلس جاك، وهو لا يقدر على الكلام من فرط حماسته. رفع أصابعه بحركة الانتصار.

«أتظن أن هناك طعاماً في الداخل؟» سأل بام مبتسماً أيضاً.

أومأ جاك برأسه بينما أتى إد ليلقي نظرة.

«يجب أن نتفقد الداخل»، قال، «قد تكون فارغة، أو كل موادها فاسدة.»

«من المتشائم الآن؟» سأل جاك.

«لا أريد أن أرفع من آمال الجميع ثم نكتشف أن الشاحنة محمّلة بالشامبو أو بشيءٍ من هذا القبيل.»

«يجب أن ندخلها»، قال بام.

«لماذا؟» قطب إد في وجهه.

«فكروا بالأمر. رجل الثلج... لقد قاد إلى هنا وأنتم لا تستطيعون فتح الأبواب، أليس كذلك؟»

«نعم.»

«ذلك يعني أن المفاتيح لا تزال بحوزته. يمكننا استخدامها لفتح الصندوق، وإذا كان هناك طعام في الداخل فيمكننا التخلص من رجل الثلج وقيادة الشاحنة بكاملها إلى المتحف ثم تفريغ الحمولة هناك.»

«هل تعرف كيفية قيادة شاحنة؟»

«لا. لكن منذ وقوع الكارثة تعلّمتُ مهارات كثيرة جديدة. سأكون سعيداً أن أضيف مهارة سائق شاحنة إلى قائمتي.»

عادوا إلى مقدمة الحافلة وتسلّقوا نزولاً. كان الأولاد الآخرون بانتظارهم في الزقاق.

«حسناً، نحتاج إلى إحضار المفاتيح من هناك»، قال بام، «هل من متطوعين؟»

لم يتطوع أحد كما كان متوقعاً.

« لم أظن ذلك.»

«أنا سأساعد»، قال إد.

«تساعد مَن؟» قال بام.

«أساعدك»، قال إد، «كانت فكرتك.»

«أوه، مرحى لي.»

«هناك في سقف الشاحنة فوق مقعد السائق فتحة للضوء»، قال جاك، «تفهمان قصدي، مثل فتحة سقف! إذا استطعتما فتحها يمكنكما الدخول منها.»

تسلّق إد وبام ظهر الشاحنة، وباستخدام حربة إد ومضرب دوغ نت تمكّنا من طعج ورفع غطاء الفتحة حتى انخلع تماماً، فبقيت فتحة مستطيلة. على الفور فاحت رائحة كريهة لشيء عفن وفاسد، يصحبها سربٌ من الذباب. تراجع الصبيّان إلى الخلف في الحال، وهما يطلقان أصوات اشمئزاز وعيناهما تدمعان.

«لن أعتاد هذه الرائحة أبداً»، قال بام، «يا لهذه الرائحة! لا أظن أنني أستطيع النزول إلى هناك يا إد.»

أخذ إد نفساً عميقاً: «أنا سأنزل.»

أنزل نفسه عبر الفتحة الضيقة، متحسّساً برجليه مقعد السائق، ثم هبط إلى الداخل. كان الوضع أسوأ داخل المساحة الأمامية الضيقة. كان الذباب في كل مكان وكان الهواء نتناً. أبقى إد يده على فمه وأنفه وحاول ألاّ ينظر إلى رجل الثلج الذي كان متشبثاً بالمقود بيدين عفنتين. ألقى نظرة سريعة على وجهه. كانت هناك ديدان حول أنفه وفمه. مال إد من فوقه وحاول، متحسّساً، البحث حول المقود أمام شاشة عدّاد السرعة عن المفاتيح. اضطر إلى الضغط بجسده على الجثة المتهالكة. كانت باردة.

حاول أن يعطّل دماغه عن التفكير، والتركيز على المفاتيح فقط، لكن كان ذلك صعباً. استطاع أن يرى الأولاد الآخرين يحدّقون فيه من الخارج، وبطريقة ما جعل ذلك الأمر عليه أكثر صعوبةً، فقد كان يرى نظرات الخوف والاشمئزاز على وجوههم. شعر كأنه متبارٍ في برنامج ...I Am a Celebrity Get Me Out of Here! كأنه داخل صندوق من الزجاج مع مجموعة من المخلوقات المقززة.

تحدّيكَ يا إدّ هو الدخول مع رجل ميت وأكوام من الديدان للعثور على المفاتيح. ستكون جائزتك وجبات لكامل المخيم لمدة ستة أشهر قادمة.

«لا أستطيع العثور على شيء»، هتف قائلاً لبام.

«جرِّب البحث في جيوبه.»

«يا إلهي!»

لملم إدّ شتات نفسه وبدأ يتحسّس جيوب رجل الثلج، وكان لا يزال يحاول عدم النظر إليه. أولاً السترة ثم البنطال.

«يوجد شيء في الداخل»، قال.

«مفاتيح؟» بدا بام متحمساً.

«ربما.»

«هيا اجلبها.»

«لن أضع يدي في جيوبه. إنها... رطبة.»

«ستضطر إلى ذلك يا إد.»

حبس إد أنفاسه مجدداً، وببطء دسّ أصابعه داخل الجيب.

«يا إلهي... هذا مقزز. أوه، يا إلهي!»

«هل وجدت أي مفاتيح؟»

«يوجد شيء ما... نعم! حصلتُ عليها!»

أخرج يده ولوّح بفخر بسلسلة من المفاتيح في وجه بام، ثم نظر إلى أصابعه. كانت مغطاة بمادة خضراء لزجة ومعجون أصفر.

«يععععع!» أفلت المفاتيح كما لو أنها كانت ساخنة وبدأ ينفض أصابعه بطريقة محمومة، ثم مسحها بالمقعد المجاور للسائق.

كان بام يضحك.

«أحسنت العمل يا إد! أنت نجم!»

وجد إد خرقة بين الأغراض إلى جانبه، نظّف بها المفاتيح التي رماها لبام. قفز إلى المقعد مجدداً، أمسك بحافة فتحة السقف وتسلّق خارجها.

هلّل الأولاد في الأسفل، فساعد بام إد على النزول، ثم تسابقا على امتداد ظهر الشاحنة. جرّب إد المفتاح الذي بدا مناسباً في قفل الباب. من المرة الأولى سمع طقطقة مرضية وانفتح القفل.

«رائع!» صرخ إد، وتعاون مع بام على فتح الباب.

كانت الشاحنة مليئة حتى الباب بصفوف من الأقفاص السلكية على دواليب، مثبّتة في مكانها بواسطة مجموعة من الأشرطة الحمراء. كان عددها

يقارب الخمسين قفصاً، وكانت جميعها مليئة بالمواد الغذائية وغير الغذائية.

فواكه معلّبة وخضار، فاصوليا، رقائق القمح، مناديل ورقية للمراحيض، عصير فواكه وحليب صويا، شوكولاته، زبدة الفستق، مربى، لبن، مقرمشات وبندق. كان الأمر أشبه بقيام أحدهم بجمع كل شيء في متجر صغير ووضعه في مؤخرة هذه الشاحنة.

أمسك إد وبام بعضهما من الذراعين وبدآ يصرخان عالياً وراحا يرقصان بطريقة دائرية.

«سيكفينا هذا لعدة أسابيع»، قال بام عندما هدآ قليلاً، «وانظر! كم أنتَ محظوظ. هناك شامبو! سنُري جوردن هوردرن اللعين ذاك. سيركع أمامنا ذليلاً ويتوسّلنا أن نعطيه القليل منه لجماعته.»

«ما زالت أمامنا مهمة إيصالها إلى المتحف»، قال إد.

«لدينا المفاتيح. لدينا العضلات. نحن في أفضل حال، لذا هيا ننطلق! الأوقات الطيبة أتت وستبقى. أشعر بالتفاؤل اليوم يا إد. لا، أنا لا أشعر بالتفاؤل فقط... أشعر بحال رائعة!»



عندما عاد إد وبام ليطلعا الآخرين على الأخبار الجيدة وجدا دوغ نت وجاك يرفعان السائق عبر فتحة السقف، يشدّانه من سترته. كانا، كلاهما، يربطان وشاحاً على وجهيهما، لكنّ الرائحة لوحدها كانت كافية لجعلك تتقيأ.

«استطعنا الاستنتاج من كل ذلك الصراخ في الخلف أنّ هناك طعاماً في الشاحنة»، قال جاك من تحت وشاحه.

«أطنان منه»، قال بام، «إذا استطعنا إيصال هذه الشاحنة إلى المتحف فسنكون على ما يرام.»

نظر جاك في اتجاه إد وقال: «أما زلت تظن أنْ لم يجدر بي المجيء إلى هنا وإلقاء نظرة أيها الجبان؟»

«كان قراراً صائباً يا جاك.»

«نعم. والآن تعال وساعدنا.»

أخد إد نفساً عميقاً وأمسك بالجثة. حالما أبعدها الأولاد عن الفتحة رموها من أعلى مقدمة الشاحنة. تدحرجت من فوق الزجاج الأمامي ثم ارتطمت بالأرض، لتتشكل تحتها بركة صغيرة من سائل بنيّ رقيق.

قفز الأولاد المنتظرون إلى الخلف في حركة خوف وشتموا في وجه الفتيان الذين كانوا واقفين على سقف الشاحنة وهم يلقون بكلمات ساخرة.

«كونوا مفيدين»، قال جاك، «اسحبوه بعيداً إلى حيث لا نستطيع شمّ رائحته. علينا العمل على إخراج هذه الشاحنة من هنا.»

«قد أتمكن من قيادتها»، قال جاستن.

«أنت؟»، سخر جاك، «ما الذي يجعلك تظن ذلك؟»

«اعتدت لعب لعبة على الحاسبو اسمها مُحاكي الشاحنة الأوروبي.»

«بالتأكيد فعلت»، ضحك جاك، «أن تكون قد تمكّنت من لعب لعبة قائد المركبة الفضائية أيضاً لكنّ هذا لا يعني أنك تستطيع أن تحلق بصاروخ حقيقي.»

«قيادة الشاحنة أسهل من الصاروخ»، قال جاستن وهو يحاول ألا يبدو ساخراً، «المبدأ يشبه مبدأ قيادة السيارة.»

«حقاً؟ وهل تستطيع أن تقود سيارة، من حيث المبدأ؟»

«نعم، في الواقع أستطيع ذلك. اعتاد أبي أن يعطيني دروساً على سيارته القديمة بالقرب من منزلنا. كان مهووساً بالسيارات. أنا أيضاً كذلك، إلا أنني أكثر اهتماماً بالشاحنات وعربات النقل. لكن أبي لم يكن يمتلك شاحنة ليعلمني عليها.»

«أتظن حقاً أنك تستطيع قيادة هذه الشاحنة؟» سأل إد وهو ينزلق إلى الأسفل.

«كنت أراقب غريغ وهو يقود الحافلة»، قال جاستن، «المبدأ هو نفسه. أظن أنني أستطيع فعل ذلك. صدقوني، أستطيع فعل ذلك.»

«أنا أستطيع القيادة»، قال دوغ نت، «اعتدتُ سرقة السيارات مع أصدقائي. سأجلس معه. سنتدبر الأمر فيما بيننا على ما أظن.»

«حسناً، اتفقنا إذاً!» صفّق إد بيديه.

«حسناً يا رفاق!»، نادى جاك من أعلى الشاحنة، «من سينقل الجثة اللعينة من هنا؟ رائحتها تفسد هواء المكان.»

نظر إلى بروك وصديقتيها. كنّ قد وضعن على وجوههن تعبير اشمئزاز وتراجعن إلى الخلف وهن يهززن رؤوسهن.

«سأفعل ذلك»، قالت فريديريك وهي تتقدم وتلتقط إحدى رجلي رجل الثلج. حاولت سحبه لكنها فشلت في ذلك. كانت مصممة، وتعبير غاضب يظهر على وجهها، لكن كان من الواضح أنها لن تتمكن من تحريكه من مكانه.

«هيا»، لكزت بروك كورتني، «لن ندعها تفعل ذلك وحدها. سنبدو شريرات. لننقله من هنا.»

«برووووك»، احتجت كورتني.

«لم نقطع كل تلك المسافة فقط للتفوّه بتعليقات ساخرة، صحيح؟»، قالت بروك وهي تلتقط الرجل الأخرى، «أو حتى نؤخّر الفتيان عندما عثروا على ما جئنا نبحث عنه. علينا أن نجمع شتات أنفسنا أو على الأقل شتاته هو»، ضحكت ساخرةً، «هيا، تحركا.»

استسلمت كورتني وأليشيا لبروك وانضمّتا إلى فريديريك، وبدأن أربعتهن بسحب الجثة على طول الزقاق في اتجاه الساحة، وهن يشحن بوجوههن عن رجل الثلج، محاولات عدم التفكير بما يفعلنه.

أوصلنه إلى نهاية الزقاق وسحبنه إلى جانب صفّ من المرآب. كانت الظلمة تلفّ الزقاق الذي يقبع في الظل، فأحسسن فجأةً بدفء الشمس عندما خرجن إلى الضوء.

أفلتت بروك قدم رجل الثلج، وبعينين مغمضتين رفعت وجهها إلى أعلى، نحو الشمس، مستشعرةً الدفء على وجهها.

«أوه، يا لهذا الشعور الرائع»، قالت، «كنتُ أشعر بالبرد الشديد.»

«بروك»، قالت كورتني، «انظرن إلى هذا...»

«ماذا؟» فتحت بروك عينيها. كانت كورتني تحدّق في السائق الميت وعلى وجهها تعبير ما بين الاشمئزاز والذهول.

«لا أريد أن أنظر»، قالت بروك، «سيكون شيئاً فظيعاً، صحيح؟»

«انظري فحسب.»

«لا أستطيع...»

«عليكِ أن تري ذلك.»

صرّت بروك على أسنانها وأجبرت نفسها على النظر إلى السائق الميت، مستعدةً للأسوأ.

للحظة ظنت بروك أن رجل الثلج يعود إلى الحياة. بدا أن جلده يغلي،

وكأنّ سائلاً يقبق من تحته، يتدفق من بين البثور المتموجة. كانت جثته تتورم وتتشقق وتتنفخ أمام أعينهن. برز لسانه من بين شفتيه، بطرفه المرصّع بالبثور التي بدأت تنفقئ حال تعرضها للهواء. كانت يداه تتحركان، أصابعه تتلوى. تورّمت رقبته أكثر فأكثر حتى أصبحت أسمك من رأسه. سُمع صوت هسهسة ثم انفجرت حنجرته مفتوحةً، وخرجت منها مادة هلامية فاقعة.

كانت الطريقة الوحيدة لتتمكن بروك من رؤية ما يحدث أمامها هو أن تتخيل أنها تشاهد فيلماً؛ فيلم بمؤثرات خاصة. لم يعد السائق يبدو بشرياً. كانت تقف مكانها وكأنها منوَّمة مغناطيسياً.

لكزها أحدهم في ذراعها.

«ماذا تريد؟» قالت وهي تستدير غاضبةً، مفترضةً أن أحد الفتيان قد لكزها.

بدلاً من ذلك وجدت نفسها تنظر إلى حفرة سوداء حيث يجدر أن يكون وجهاً. كانت أم شابة، ذات شعر مموَّج كان يوماً أشقرَ ويُبرِز الآن جذوراً سوداء. كان لها عينان وفكٌّ سفلي وصفٌّ من الأسنان مع حشوة فضية، لكن لا شيء بينهما.

شعر بروك وكأنها تلقّت لكمة في أمعائها. أطبقت قصبتها الهوائية. تجمّدت رئتاها. فتحت فمها وحاولت أن تصرخ لكن لم يخرج شيء.

بينما كانت الفتيات الثلاث يراقبن جثة السائق، دخلت الساحة مجموعة يقارب عددها حوالى خمسة عشر موبوءاً، جذبتهم الضجة. كانوا جميعاً راشدين شبّاناً، أمهات وآباء، لكن كانوا في حالة مزرية، ملطّخين بالدماء، بعض أعضائهم مفقودة، وقد تشقّقت جلودهم وتقرّحت.

أليشيا وبروك وكورتني كنّ قد تركن أسلحتهن في الزقاق حتى يتمكنَّ من جرّ الجثة من دون أوزان إضافية، أما فريديريك فكانت لا تزال تحمل سكينها تحت حزامها. استلّته وبدأت تلوّح به في وجه الموبوئين، تصرخ وتصيح باللغة الفرنسية بينما كانت الفتيات الثلاث الأخريات يصرخن طلباً للمساعدة.

كانت فريديريك مثل قطة برية، تستشيط غضباً، وعلى وجهها تعبير غضب مجنون. شطبت بسكينها بعشوائية أجسام الموبوئين، مسببةً ضرراً بسيطاً، لكنها استطاعت إرباكهم بما يكفي لتمنح الفتيات الأخريات الوقت للابتعاد بعدما كنّ قد تراجعن حتى أبواب المرآب. تمكّنت فريديريك أخيراً من الاقتراب من أحد الآباء. شطبته في رقبته فأطلق صرخةً وبدأ يتلوى على رجلين متصلبتين. طعنته مجدداً ومجدداً، والسكين ترتفع تارةً وتسقط تارةً أخرى.

«دعيه وشأنه!»، صرخت بروك، «اهربي يا فريديريك.»

فريديريك لم تسمع. كانت تُفرغ كل خوفها وغضبها وحزنها. استدارت عن الأب واندفعت نحو الأم الصلعاء التي ابتعدت جانباً. زمجرت، والسكين تسقط كالمنجل في الهواء، مستهدفةً مجموعة الموبوئين. لمعت السكين تحت أشعة الشمس ثم انغرزت في أحد الآباء، تحت إبطه مباشرةً. حاولت فريديريك سحب السكين لكن هاجمتها موبوءتان، أمسكتا بها من ذراعها وأجبرتاها على ترك مقبض السكين. أفلتت يدها ولفّت ذراعيها حول رأسها لتحمي نفسها ومالت إلى الأمام، محنية الظهر، مهزومة.

جثم أحد الآباء فوقها، يشمّ شعرها. سرعان ما انضمّ إليه الخمسة الباقون الذين تجمهروا من حولها، فلم تعد ترى من حولها سواهم. نسور على ذبيحة.

لم تستطع بروك وأليشيا وكورتني العزلاوات عمل شيء للمساعدة. كان باقي الموبوئين يقفون بينهن وبين فريديريك وهم يتقدمون في اتجاه الفتيات، يئنّون ويشمّون الهواء.

كان إد في طريقه إليهن، وعندما وصل إلى الزاوية رأى ما يحدث، فلم يكن بوسعه سوى أن يمسك بأليشيا وكورتني ويشدّهما نحو الزقاق، وهو يصرخ إلى بروك لتتبعه.

حالما أصبحوا في الزقاق انسحبوا نحو الشاحنة، والموبوءون في أعقابهم.

«أين فريديريك»، سأل إد.

«أمسكوا بها»، قالت بروك، «لقد أمسكوا بها.»

«لا يمكننا تركها.»

«لن أعود إلى هناك، هل ستفعل أنت؟»

لم يقل إد شيئاً.

كان بام وجاك يجلسان على سقف الشاحنة. كانا يستطيعان رؤية الموبوئين يتقدمون عبر الزقاق.

«بسرعة!»، صرخا وهما يلوّحان بذراعيهما، «حبّاً بالله، اهربوا!»



كان جاستن ودوغ نت يجلسان داخل الشاحنة، وكانا يواجهان صعوبة في تشغيل المحرك. رغم أنهما فتحا النوافذ على وسعها، إلا أن الرائحة كانت كريهة جداً في الداخل. كان دوغ نت قد عثر على صندوق كامل من معطّر الهواء برائحة الصنوبر وفتحها جميعها ورماها في أرجاء المكان. لكن برأيه، جميع معطرات العالم لن تُبعد رائحة جثة سائق الشاحنة التي تغلغلت في المقعد.

بصرخات مشجّعة مدّ بام وجاك نفسيهما من الأعلى إلى الأسفل، مستعدَّين لرفع الفتيات إليهما. أمسكا أليشيا أولاً، وبدأت كورتني تتسلق من الأمام لوحدها. كانت أليشيا صغيرة الحجم لذا كان وزنها ضئيلاً. انتظر إد وبروك دوريهما.

من داخل الشاحنة كل ما استطاع جاستن رؤيته هو أذرع وأرجل متدلية بينما الفتيات يتسلقن أمامه. لم يرد المحرك أن يعمل. ربما السبب كان برودة الديزل. لم تعد لديه أي أفكار. في كل مرة يدير فيها المفتاح كان المحرك يرعد ويُطلق أصواتاً متقطعة ثم يصمت.

«اشتمه»، قال دوغ نت.

«أفعلُ ماذا؟»

«اشتمه. هذا ما اعتاد والدي أن يفعل عندما كانت السيارة تتوقف عن العمل. كان هذا الأمر يفلح أحياناً.»

«حسناً»، قال جاستن، «أخرق.»

«هذه الكلمة لن تجدي نفعاً»، سخر دوغ نت، «جرّب كلمة أقوى.»
«وغد!»
«لا، ليس هكذا...»
بينما أدار جاستن المفتاح أطلق دوغ نت جملة من الشتائم البذيئة وخلال ثوانٍ كان المحرك يعمل. صاحا كلاهما. حالما تسلّق إد وبروك من أمامهما استطاعا رؤية الموبوئين يزحفون نحوهم، يسدّون الزقاق الضيق، يمدّون نحوهم أياديَ ذات أصابع جرباء.
«اللعنة. علينا أن ننطلق»، قال دوغ نت، «هيا، بدّل قضيب التعشيق ولننطلق من هنا.»
أخذ جاستن نفساً عميقاً، داس بكل ما أوتي من قوة على دوّاسة القابض، وبدّل بجهد قضيب التعشيق ثم داس بالقدم الأخرى على دوّاسة الوقود. كان الأمر أصعب بكثير من المحاكاة على حاسوبه، لكن كانت الفكرة هي ذاتها من حيث المبدأ.
داس على دوّاسة الوقود أقوى... وأقوى... وأقوى. لم يكن الأمر شبيهاً بقيادة سيارة إطلاقاً. كان المحرك وحشاً وكذلك كان الحِمل الذي يجرّه. لم يحتج الأمر إلى هشاشة أو إمعان في التفكير، بل إلى جهد أكبر والضغط على الدوّاسات بقدم قوية.
استطاع أن يشعر بالشاحنة بأكملها تهتز من قوة المحرك، لكنها لم ترد أن تتحرك. بدأ يشكك في أنه يستطيع قيادتها بعد كل شيء. حجم وقوة هذا الشيء أخافاه. أمسك قضيب التعشيق بإحكام وداس أقوى مانحاً المحرك المزيد من الطاقة. سمع صوت ضربات فرفع نظره.
كانت مجموعة الموبوئين قد وصلت إلى الشاحنة وبدأت تضرب على الزجاج الأمامي بأيدٍ نتنة، مخلِّفةً لطخات من القيح والدماء والقذارة.
«هيا لنتحرك أيها الحاذق»، قال دوغ نت بتوتر، وسرعان ما تحولت نظرته إلى رعب عندما رأى أحد الموبوئين يُمسك بقطعة من الإسمنت ويستعد لرميها على الزجاج. كان موبوءاً أصغر سناً، مراهقاً، لم يتأثر كثيراً

بالمرض. كانت حاله تشبه حال الفتيان الأكبر سناً في بلدة دوغ نت، مثل مدمن مخدرات متجول في منتصف الليل.

ومض شيء أمامهما ثم سمعا صوت ضربة ورأيا موبوءاً يرتطم بالحائط.

«لا بد أنه بام»، قال جاستن، «نحن مجرد مجموعة من الحثالة من دونه.»

«هلاّ نخرج من هذا المكان رجاءً»، صرخ دوغ نت.

كانت راشدتان قد تسلقتا الجهة الأمامية من الشاحنة، إحداهما شقراء من دون وجه.

«يا إلهي، هذا مقزز»، قال دوغ نت، «أستطيع أن أرى حتى حنجرتها.»

أحدهم، على سطح الشاحنة، ركل الأم الموبوءة ثم تلقّت الأخرى ضربة على رأسها لكن لم يفلح في إسقاطها. ارتجّت الشاحنة إلى الأمام ثم توقفت، لترمي بالموبوءة بعيداً.

توقّف المحرك.

«أتريدني أن أقود؟» قال دوغ نت.

«لا»، سأل جاستن، «أنا أسيطر على الوضع. لا تتشاجر معي. أنا بخير.»

«قُد أيها الأحمق، قُد!»

احمرّ وجه جاستن. شعر بأنّ موجة من الأدرينالين تجتاحه مع مدّ من الغضب. كان يشتم دوغ نت في باله، مستخدماً الكلمات نفسها التي استخدمها دوغ نت ليشتم الشاحنة، ثم أخبر نفسه أنّ كل شيء على ما يرام.

لا تهلع.

المحرك يعمل. تبديل قضيب التعشيق. الغيار في مكانه. دوّاسة الوقود. كن شجاعاً. افعل ذلك.

احتاجت الشاحنة إلى المعاملة الخشنة أكثر من السيارة. كانت السيطرة عليها أصعب.

تبديل قضيب التعشيق. هيا.

كانت تعاند، لا تريد التحرك.

اضغط على تلك الدواسات بكل ما أوتيت من قوة.

ها هي تتحرك الآن. تتقدم، مُسقطةً باقي الموبوئين الذين كانوا في الطريق. استطاع جاستن ودوغ نت سماع صيحات الفرح في الأعلى.

«لقد نجحت يا رجل»، قال دوغ نت، «يا للروعة، لقد فعلتها أيها الوغد، فعلتها حقاً!»

ببطء وثبات سارت الشاحنة. لم يجرؤ جاستن على تبديل قضيب التعشيق، فزحفت الشاحنة زحفاً، والدخان يعبق في الزقاق.

كان الموبوءون يعرجون ويتعثرون ويحاولون الابتعاد عن طريقهم. سقط بعضهم أرضاً، لكن خروج الشاحنة من الزقاق كان يعني أنها قد دهستهم.

حال خروجهم إلى ضوء شمس الشتاء عند طرف الزقاق رأوا شخصاً يقف أمامهم مباشرةً. كان جاستن على وشك أن يدهسه عندما أدرك أن ذلك الشخص كان فريديريك. خفّف من سرعته فابتعدت عن طريقهم وهي في حالة من الذهول.

رآها جاك من أعلى الشاحنة. نادى اسمها وتدلّى نزولاً من الجانب، مستخدماً النافذة المفتوحة مسنداً لقدميه. تعلّق هناك للحظة ثم قفز وهرع إلى فريديريك.

«ماذا حدث؟ هل أنت بخير؟ لم أدرك أنك لم تعودي مع الأخريات. لا بد أنك مقاتلة أبرع مما كنتُ أتصور.»

«أنا بخير»، تمتمت فريديريك التي بدت بخير فعلاً. أمسكها جاك من معصمها.

«واصلوا السير!»، صرخ لدوغ نت عبر النافذة، «لا تتوقفوا. سنلاقيكم عند الطريق الرئيسي.»

ركض أمام الشاحنة وهو يجرّ فريديريك خلفه.

كان جاستن يتصبّب عرقاً وهو يجاهد كي لا يُصاب بالهلع. كان السير بخط مستقيم سهلاً، لكن الالتفاف كان مسألة مختلفة كلياً. كان المقود ضخماً جداً وقد اضطر لبذل جهد كبير جداً للدوران به ولجعل الدواليب تلتفّ لمسافة قصيرة. كما كانت هناك مشكلة طول الشاحنة، إضافةً إلى واقع

اتّصالها بعربة نقل أخرى في الخلف.

بينما كان يحاول تثبيت اتجاهها على طول صف المرآب، اصطدموا بزاوية الحائط فتحطمت. كشطت الشاحنة الجانب بكامله، فلم يراود ذهن جاستن سوى مشهد سفينة التايتانيك عندما اصطدمت بكتلة الجليد.

كان دوغ نت يضحك بطريقة هستيرية ويشتم.

«سأتمكن من التعامل مع هذا الشيء إن خرست»، تذمر جاستن.

«لن تتمكن من ذلك أبداً يا رجل»، قال دوغ نت، «أنت خارج عن السيطرة تماماً.»

«لا أستطيع التركيز وأنت تصرخ في وجهي.»

«لا... أنت تحتاج إلى من يشجعك، حتى تُخرج الفتى الثائر في داخلك»، ضحك دوغ نت، «والآن، هيا تحرك أيها الأحمق!»

«اخرس!»

اندفعت الشاحنة نحو الطريق واصطدمت بسيارة قبل أن يتمكن جاستن من الالتفاف ليتفاداها، ثم اضطر لتصويب مقوده في الاتجاه الاخر ليصبح في خط مستقيم. لم يفلح في فعل ذلك في الوقت المناسب، فقبل أن يتمكن من التوقف اصطدموا بسيارة أخرى.

«هذا جنون!» صرخ دوغ نت، لكنّ المحرك توقف أخيراً وكذلك الشاحنة.

ركض جاك إلى جاستن، وطلب منه الانتظار حتى ينزلٍ الجميع من على السقف بأمان، ثم استدار ليفتح الباب الخلفي. تبعه كلٌ من إد وبام والفتيات، بعيون متّسعة من الحماسة، وكأنهم كانوا للتوّ يركبون في أكثر ملاهي العالم إثارةً. أما العثور على فريديريك بخير فكان أروع ما حدث. لا بد أن الموبوئين تركوها وشأنها بعدما سعوا خلف الغنيمة الأكبر الموجودة في الزقاق.

صفّر جاك وهو ينظر إلى كمية الطعام داخل الشاحنة، وسرعان ما علت صرخات البهجة عندما انضمّ الباقون إليه. كانوا جميعاً يتكلمون في الوقت

نفسه، لا يستمعون إلى بعضهم، يضحكون، يكادون يبكون من الفرح.

كانت هناك مساحة صغيرة تتّسع لهم في الشاحنة، وحالما أصبحوا جميعاً بأمان صرخ جاك لجاستن كي ينطلق ثم تسلّق عبر الباب الخلفي لينضم إلى أصدقائه في الداخل. اهتزّت الشاحنة بأكملها عندما دار المحرك مجدداً.

بدأت الشاحنة تُسرع شيئاً فشيئاً حتى باتت تسير بوتيرة ثابتة. نظر جاك نحو الطريق الذي باتوا في نهايته، ثم أخذ قراراً سريعاً وشدّ إدّ جانباً.

«أنا ذاهب»، قال.

كان إدّ لا يزال يتكلم بحماسة. لم يفهم تماماً ما قاله جاك.

«حسناً، رائع»، قال ثم عانق صديقه.

«هل سمعتَ ما قلتُ للتو؟»

هزّ إدّ رأسه وقال وهو يضحك: «ليس حقاً، لا. أكان شيئاً مهماً؟»

«أنا ذاهب إلى المنزل.»

«إلى المتحف؟»

«لا، إلى كلافام، إلى منزلي القديم. تماماً كما خططتُ سابقاً.»

«ماذا؟»، توقّف إد عن الضحك في الحال كما لو أنّ أحدهم سكب عليه دلواً من المياه الباردة، «ماذا تقصد؟»

«نحن في منتصف المسافة إلى هناك»، قال جاك، «أستطيع أن أكون في المنزل خلال أقل من ساعة.»

«نعم، لكن ظننتُ أن العثور على كل هذا الطعام... قد غيّر كل شيء، أليس كذلك؟»

«لماذا؟»

«أقصد، لا يمكنك ترك كل هذا.»

«سأعود. المكان ليس بعيداً. سأجلب أغراضي و...»

«لا، جاك. ذلك خطر جداً.»

«لا يهمني»، قال جاك بصراحة، «أردت دائماً العودة إلى المنزل والآن أنا لا أترككم في حالة سيئة، بعد كل ما عثرنا عليه.»

«جاك...»

«أنت على حق يا إد»، قاطعه جاك وهو يهزّ إد من كتفيه، «لديك الطعام، لديك المأوى، لديك أصدقاء، أسلحة، فتيات. لم تعد بحاجة إلي.»

«بلى، جاك... أنت صديقي المقرب.»

«لكن أنت قلتها بنفسك ليلة البارحة يا إد. كنتُ أسبّب لك وقتاً عصيباً أخيراً. فكرتُ أنك ستفرح للتخلص مني. كنتُ مزعجاً جداً، وأنا أعرف ذلك، ولهذا السبب عليّ أن أبتعد؛ لأصفّي ذهني. أريد العودة إلى المنزل، إلى الشعور بالأشياء التي كانت عليها سابقاً.»

«ثم ستعود؟»

«بالطبع سأعود. سأعود الليلة على الأرجح»، ابتسم جاك في وجه إد.

«ماذا إن لم تعد؟ ماذا إن حدث شيء ما؟»

«سأكون على ما يرام»، ربت جاك على سيفه، «لدي هذا.»

«جاك...»

«أنت تعرفني يا إد. وغد عنيد.»

كان بام ينصت إليهما. اقترب وقدّم البندقية لجاك وقال:

«خذ هذه يا صديقي. لم أعد بحاجة إليها على ما أظن.»

«لا، احتفظ بها يا بام. أنت ملك البنادق. أنا بخير مع سيفي.»

«حسناً، إذاً دعني أرافقك.»

«مستحيل يا بام»، احتجّ جاك، «لا أريد أن أكون مسؤولاً عن أيّ شخص آخر. لهذا السبب سأغادر. أما هؤلاء الأولاد فهم بحاجة إلى والد ليعتني بهم، وأنا لستُ مستعداً لأكون والداً بعد. إنه عملٌ مضنٍ. القلق بشأن كل شيء، والاعتناء بالجميع. كنتُ أسخر من أمي لقلقها عندما أتأخر في العودة، لكنني أعرف ذلك الشعور الآن، أن تكون مسؤولاً، خائفاً، ولا يعجبني ذلك الشعور أبداً. سأغادر. اتفقنا؟ هذا قراري ولن يؤثر على أي شخص آخر.»

«كما أنّ قرار الانضمام إليك هو قراري أنا يا صديقي»، قال بام،

«قراري. خياري. مخاطرتي. لن أحمّلك أيّ مسؤولية. لن تضطر إلى القلق بشأني.»

«لا أحتاج إلى أحد!» استدار جاك عن صديقيه.

كانت الشاحنة تنطلق مزمجرةً. بدا أن جاستن قد سيطر على الوضع وبدأ يخاطر في تبديل قضيب التعشيق. قفز جاك من مؤخرة الشاحنة قبل فوات الأوان.

حدّق إد فيه عاجزاً، وهو يفكّر أنه لن يراه مجدداً أبداً. لكن سرعان ما أصبح بام في طريقه أيضاً. تقدم إلى طرف الشاحنة وقفز إلى الطريق، هرع إلى جاك وصفقه على ظهره. لوّح جاك بيده، ثم قال بام له شيئاً وضحك.

بينما كان إدّ يراقب الصبيين وهما يبتعدان أكثر فأكثر، تقدمت فريديريك إليه.

«ماذا يفعلان؟» سألت بتوتر.

«يريد جاك أن يتفقّد منزله القديم»، شرح لها وهو يحاول أن يخفف من حدة الخبر كي لا يزعجها، أو بالأحرى حتى لا يزعج نفسه، ثم أضاف وهو يريد أن يصدق ما يقول: «المكان ليس بعيداً عن هنا. سيعود لاحقاً.»

لكنّ جهوده لم تؤتِ ثمارها، فقد بدت فريديريك هلعةً.

«لا يمكنه الذهاب. لا يجدر به تركي.»

«أنت بخير الآن يا فريديريك. سنكون جميعاً بخير. نحن كُثر في المتحف وجميعنا نستطيع الاعتناء بك إلى حين عودته.»

«لا يجدر به تركي...»

كانت الشاحنة تُسرع أكثر فأكثر. أما جاك وبام فكانا يسلكان الاتجاه المعاكس، وقد بدآ يبتعدان. مرّر إد يده عبر شعره. كيف يمكنهما أن يكونا بهذا التهور؟ غير خائفين؟ يتجولان هكذا فحسب. من يعرف ماذا هناك؟ كان عالماً مجنوناً.

شعر بالوحدة فجأةً. أحس بشيء ما في دخله. دفع فريديريك نحو بروك.

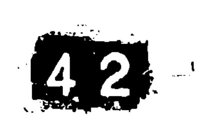
«تأكدي من أن فريديريك على ما يرام»، قال للشقراء المذهولة.

«لماذا؟ ما الذي يحدث؟»

كان إد يشعر بالدوار، يكاد يكون ثملاً. وفجأةً بدا كل شيء واضحاً وبسيطاً، كما لو أنه استفاق فجأةً وأبعد عنه غطاءً كان يخنقه. لن يكون خائفاً بعد الآن. لن يكون وحيداً. سيكون حراً، حيّاً. ليس هناك ما يهم حقاً، وبالنتيجة يمكنه أن يفعل كل ما يريد.

قبّل بروك وقفز من مؤخرة الشاحنة. وقف هناك للحظة.

«سنعود في المساء!»، صرخ، «وأتوقع استقبالاً لائقاً.»



هناك، من ظلال منزل محترق عند جانب أحد الطرقات، وقف يراقب الأولاد الثلاثة بعينين حمراوين متقرحتين. كان يتبعهم طوال النهار، ينتظر لحظته المناسبة. فقد أثرهم لبعض الوقت، لكن الضجة عند الشاحنة قادته إليهم، وها هم مجدداً.

على مقربة كافية لتذوقهم.

ليس بعد. ليس بعد. انتظر قليلاً بعد. راقبهم لوقت أطول. سيأتي الوقت المناسب.

اخرس! توقف عن الثرثرة! تلك الأصوات في رأسه. لَمَ لا تخرس فحسب؟ هناك الكثير منها، جميعها تتكلم في الوقت نفسه، أكثر مما يستطيع الاحتمال، مزدحمة في الداخل، تُفجّر رأسه. كان سينشقّ مفتوحاً.

كان رأسه سينشقّ مفتوحاً. ينشقّ مفتوحاً. رأسه. مثل دراقة.

ليس بعد! ليس بعد!

اخرس!

هزّ رأسه بعنف، ينثر العرق في كل مكان.

كان يرتجف. يرتجف ويتعرق في الوقت نفسه. كان أنفه يسيل مادةً تدخل فمه. بالكاد لاحظ ذلك. بالكاد لاحظ الحكاك، مثل قرّاص لاذع تحت جلده. يمكنه أن يحكّ جلده حتى يسلخه إن أراد. يسلخ. يسلخ أرنباً. يُلبسه.

لَمَ عساه يلبس أرنباً؟ ما هو الأرنب؟ لم يستطع أن يتذكر. لَمَ كان من

الصعب تذكّر أي شيء؟ حيوان؟ نعم.

فرك رقبته. كانت مطوّقة بالدمامل، مثل وشاحٍ أصفر لامع بشع.

ذلك غير مهم.

كان الفتيان هناك. الفتيان الذين أراد. الفتيان الذين قاموا بـ...

ما الذي قاموا به؟ لم يكن يتذكر. كان يعرف فقط أنه يكرههم. كان يريد أن يسحقهم، يسحقهم مثل حشرات، أن يسلخ جلدهم عن عظمهم. سيأكلهم. سيأكلهم، لكن أولاً عليه أن...

حساء...

حساء؟

سيصنع منهم حساءً.

حساء؟ ما هو الحساء؟

شيء ما.

حساء أرانب.

لم يكف عقله عن خذلانه. لكن كان هناك شيء مهم ثابت. بغراء خارق. نعم... الشيء المهم جداً. الشيء الكبير. الشيء الخطأ الذي ارتكبوه في حقه. في حق ولده.

ولده. نعم، تذكّر. ولده. ولده الذي كان... صغيراً...؟ ولد صغير؟ كان له اسم، لكن الفتيان الأكبر سنّاً أخذوا اسمه، أخذوا ولده، أخذوا ولده منه. ولده. ليـ ـام.

ولده ليام.

نعم. ابتسم ابتسامة عريضة. شدّ جلده على القروح حول فمه فنزفت. حاولوا أخذ ليام منه. لكنهم لم يستطيعوا... كان أذكى منهم بكثير. كان ذلك هو. أذكى منهم.

نعم. لقد احتفظ بليام. لم يعرفوا ذلك، هل فعلوا؟ لقد احتفظ به معه. احتفظ به بأمان. دائماً. لكنه سيقبض على الفتيان. سينال منهم. سيسلخ جلدهم. سيُلبسهم. سيفعل ذلك. عرف كيف يفعل ذلك. كان...

ما هي تلك الكلمة؟

جزاز؟

نجار؟

مدرّس؟

ليس مدرّساً... إنه يكره المدرّسين.

لا.

هيا أيها الذكي، فكّر!

جزّار.

بالطبع.

السيد الذكي جزار. وكان لدي الشيء الذي يثبت ذلك. ذلك الشيء المتدلي من حزامه. كان معه طوال الوقت. صابون.

صابون. نعم، إنه كذلك. لا، ليس صابوناً. صابورة. قطّاعة أوراق. قطّاعة. ذلك الشيء الذي استخدمه الجزار. ساطور. ساطور ذكي.

أيها الفتيان... تعرفوا على الساطور.

ساطور للحم. كان جزاراً. كان يحمل ساطوره وسيذبحهم بكل تأكيد.

اتّسعت ابتسامته أكثر، فتبقّع الدم حول فمه مثل ابتسامة مهرّج مرسومة. كان الأولاد يمشون مبتعدين، لكنه يستطيع اللحاق بهم، لأن رائحة اللحم الشهية كانت معلقة في الهواء مثل شيء يستطيع رؤيته ولمسه.

التقط صرّته، ضمّها إلى صدره وتبعهم.



«فريديريك ليست مسرورة لرحيلك على الإطلاق.»

«هذا ما قصدته بالضبط، لا يمكنني أن أكون مسؤولاً عن الجميع»، قال جاك. كان كتفاه محنيين، وكذلك رأسه، «لا أستطيع الاعتناء بها. لا أعرف كيف أفعل ذلك.»

لم يكن إد ينوي الاستسلام، فقال وهو يرمي بندقيته على ظهره: «أنت تعجبها فعلاً. ألا تعجبك؟»

«نعم، أظن ذلك. بل تعجبني. تعجبني كثيراً»، قال جاك.

مال إد نحو صديقه والتقط شعرة طويلة من على معطف جاك.

«ما هذا الذي أجده؟»، قال وهو يحمل الشعيرة بين إصبعه وإبهامه فتمايلت مع الهواء، «دليل!»

«ستبدأ بالغناء بعد لحظات، أليس كذلك؟»، قال جاك.

«أغنّي ماذا؟»

«جاك وفريد يجلسان على شجرة، ياء ـ قاف ـ باء ـ لام ـ ألف ـ نون.»

«حسناً؟»، رفع إد حاجبيه.

« لم يكن الأمر كذلك»، قال جاك، وقد احمرّ الجزء الأبيض من وجهه، «لقد ضمّتني فحسب.»

«وأنت لستَ معجباً بها؟»

«كنتُ سأعجب بها أكثر لو أنها تتوقف عن البكاء لخمس دقائق فقط. هناك شيء يجعلها بائسة ولا أستطيع فهمها. لا أستطيع إقناعها بإخباري بما بها.»

«إنها مذعورة مما يحدث فحسب»، قال بام، «جميعنا كذلك، وكلٌّ منّا يتعامل مع الأمر بطريقة مختلفة.»

«كيف تتعامل مع الأمر؟» سأل إد.

«أنت تعرفني»، قال بام، «أفعل أشياء. أتعامل معها جسدياً، كما كنتُ أفعل دائماً. العلاج الشافي الدائم للاعب روكبي»، توقف للحظة ثم التفت إلى جاك ورمقه بنظرة خبيثة، «إذاً، هل تتخيلها؟»

«لم أفكر بالأمر فعلياً.»

«حقاً؟»، كان من الواضح أن بام لم يصدّقه، «لم تفعل، إيه؟ وتفوّت جميلة فرنسية؟»

«حسناً»، قال جاك، «ربما قليلاً.»

«أوللّلا! قليلاً؟»

«اسمع. لا بأس بها. تعجبني، اتفقنا؟ إنها جميلة الشكل. ربما نحيفة قليلاً...»

«نحيفة؟»، شخر بام، «إنها نحيفة أكثر من النحافة بحد ذاتها.»

«لكن لا بأس بها»، قال جاك، «تعرف ماذا أقصد؟ ربما لو أن الظروف كانت مختلفة لفعلت شيئاً حيال ذلك، لا أعرف. فأنا لم أستطع يوماً أن أعرف إن كانت الفتيات يعجبن بي، أقصد بشخصي أنا، أم إن كُنّ يتخيّلنني. أنا أخائف دائماً من سخريتهن.»

«حسناً، أظن أن الواقعة قد وقعت في مطلق الأحوال يا صديقي»، قال بام.

«إذاً، ما قصتك أنت وبروك؟»، التفت جاك إلى إد محاولاً تسليط الضوء على أحد غيره.

«ماذا عني أنا وبروك؟»

«متى ستتحدث إليها وتصارحها؟»

ابتسم إد. يتذكر: «هل تعرف ما فعلته للتو هناك؟»

«ماذا؟»

«قبّلتها.»

«لم تفعل! ماذا؟ أمام الجميع؟»

«لم تكن قبلة ملفتة للنظر أو شيئاً من هذا القبيل»، قال إد، «كانت تشبه قبلات الأفلام. كنتُ أمثّل نوعاً ما. تعرف، مثل جندي ذاهب في مهمة خطرة ويقبّل فتاته قبلة الوداع. ربما ستنتظره، وربما لن تفعل.»

«أوه، ستنتظرك. فهي معجبة بك فعلاً يا صديقي»، قال بام.

«صحيح»، قال جاك، «فهي لا تُعجب إلا بالوسيمين، وأنا لستُ متوفّراً. لذا ليس هناك شخص آخر تنظر إليه.»

«أوه!»، قال بام، «ماذا عني؟»

«ماذا عنك؟»، قال جاك، «أنت دميم يا بام. تشبه شخصيات الأساطير.»

«لستُ كذلك. كانت لي حبيبة في بلدتي إن كنت تريد أن تعرف ذلك.»

«حبيبة حقيقية أم خيالية؟» قال جاك.

«أظن أنها كانت صورة من مجلة»، قال إد وهو يشارك في السخرية.

«إنها فتاة حقيقية، شكراً لكما»، قال بام، «لها ذراعان ورجلان وكل شيء.»

«كل شيء؟»

«على حدّ علمي، لم نتخطّ مرحلة التقبيل قط. والآن...»، تنهّد بام، «الله يعلم إن كنتُ سأراها مجدداً.»

«ما كان اسمها؟»، سأل جاك ببراءة، «جون؟ باري؟ روجر؟»

«كاس، إن أردتَ حقاً أن تعرف.»

«ظننت أنك تحب الروكبي فحسب يا بام؟»

«أنا رجل ككل الرجال يا إد. هناك دائماً أكثر مما تعرف وترى.»

«أنت تخفي بكل تأكيد أكثر مما أريد أن أعرف يوماً»، قال جاك، «ها نحن نعرف معلومات أكثر من اللازم. فكرة أنك والمسكينة كاس كنتما تقبّلان بعضكما على الصوفا في مكان ما...»

«انسَ الأمر يا جاك»، قال بام، «لِمَ تزعجانني على أي حال؟»

«نحن نمزح معك فحسب يا بام»، قال إد، ولفّ ذراعه حول كتفي بام ومشيا معاً.

«إذاً تريد أن تتحدث إلى بروك، أليس كذلك يا بام؟» قال جاك.

«بروك؟ مستحيل! ليست نوعي المفضل على الإطلاق. إنها مخيفة جداً. كلها لك يا إد.»

«لا بأس بها حالما تتعرف إليها عن كثب»، قال إد، «أما في الماضي، فما كانت لتنظر إليّ مرتين. لستُ نوعها المفضل. كنتُ سأظن أنها قد تهتم أكثر بأمثال دوغ نت. وكما تريان، أظن أنه يتخيلها، فهو يحوم حولها طوال الوقت.»

«أوه، بربك يا إد!»، قال جاك، «ظننتُ أنك تفهم الفتيات. يمكنك أن ترى بكل وضوح أنها غير مهتمة به على الإطلاق. إنه مثل كلب مخلص، يلحق بك أينما ذهبت.»

ضحك الثلاثة وتابعوا سيرهم. للحظات قليلة كان بإمكانهم أن ينسوا مسألة البقاء على قيد الحياة والادّعاء بأن كل شيء على ما يرام.

وصلوا إلى أبراج خزانات الغاز، فتوقفوا حتى يتمكن جاك من التأكد من الطريق الذي يجدر بهم سلوكه.

«رائحة الغاز عفنة جداً»، قال إد وهو يجعّد أنفه، «المضحك المبكي في المسألة أنه يوجد في تلك الخزانات ما يكفي العمر كله، فقط لو استطعنا إيجاد طريقة لإخراجه.»

لم يكن بام ينصت. كان ينظر في اتجاه السماء وهو يظلل عينيه من أشعة الشمس. كانت الغيمة السوداء الداكنة التي رأوها سابقاً تكبر أكثر.

«لا أظن أن هذه الرائحة من خزانات الوقود»، قال، «ذلك الدخان يزداد سوءاً. إما نحن نقترب منه أو أنه يقترب منا.»

«القليل من الاثنين على ما أظن»، قال إد، «ما زالت أمامنا مسافة قصيرة.»

شمّ الهواء: «أهذا الذي نشمّه دخان برأيك؟»

«نعم»، قال جاك، «مثل حريق فحم ممزوج مع نوعٍ من الطهي.»

«وشيء عفن، مثل طعام فاسد، إلا إذا كان غازاً»، أضاف بام، «رائحة كريهة جداً. ماذا إن انتشرت النيران حتى المتحف؟»

«لن يحصل ذلك»، قال جاك، «فالجو رطب في الفترة الأخيرة.»

«إذا أصبح حاراً بما يكفي فسيحرق كل شيء»، أضاف إد، «مهما كانت رطوبة الأماكن.»

«ربكما»، قال جاك وهو يتابع سيره، «لنواصل سيرنا. لا نستطيع فعل شيء حيال ذلك.»

«نعم»، قال إد وسعل. لقد تذوق دخاناً في الهواء بكل تأكيد.



44

«من يكون أغنوس داي إذاً؟»

كان مجموع الأولاد الأصغر سناً قد اجتمعوا في مقهى المتحف هرباً من مات وباقي مجموعته التي كانت تخوض نقاشاً دينياً في القاعة الكبيرة، وكان هاري يُريهم بفخر كتاباتها الملونة.

«Agnus Day»، قال ساخراً وهو يستهزئ بحماقتهم، «مكتوب Agnus Day.»

«حسناً، من تكون Agnes Day؟»، قال جيبر جابر، «ولَم صنعت علماً لها؟ أهي صديقتك؟»

«إنها باللاتينية أيها الأحمق»، شرح هاري بلهجة متهكّمة قدر الإمكان، «تعني: حمَل الرب.»

«ما كُتب هو بكل تأكيد Angus Day»، قال ويكي، «لقد كتبتَ Angus وليس Agnus. وDei تُهجّأ: D – e – i وليس: d – a –y.»

«أنت تمزح»، قال هاري، «هل هجّأتها خطأً حقاً؟ سيقتلني مات. لقد أمضينا وقتاً طويلاً ونحن نعمل على هذا.»

« لم تقترب من الكلمة الصحيحة حتى»، قال ويكي.

«تباً، عرفت أنه كان يجدر بي جعل مات يكتبها من أجلي.»

«يكتب ماذا؟»، قال مات، وقد أتى برفقة أرتشي بيشوب وباقي أتباعه.

«اسم سيدك الجديد»، قال ويكي.

«لماذا؟ ماذا فعل؟»، قرأ مات الراية، «يا لك من أحمق. ما هذا؟ لقد

أفسدتها. علينا أن نبدأ العمل على كل شيء من جديد.»

«إنه اسم مملّ لإله جديد يا مات»، قال جيبر جابر، «أنغوس لا يُقارن إطلاقاً باسم ثور أو زيوس أو بوذا.»

«صحيح»، قال ويكي، منضمّاً إليه، «يهوه، هاديس، بعل، أوزيريس، جميعها أسماء مثيرة، أما أنغوس داي فيبدو مثل اسم مذيع أخبار.»

«ربما فعل ذلك عمداً»، قال أرتشي بجدية فالتفتت الأنظار إليه، ومن بينها مات الذي كان أحمر الوجه بسبب الغضب والإحراج.

«لم أفعل ذلك عمداً!»، احتجّ هاري، «كنتُ أبذل ما بوسعي. صدقوني. ظننت أنني كتبت الاسم بشكل صحيح.»

«بالضبط»، قال أرتشي، «ربما كان الحمل يعمل من خلالك. تماماً مثل الصفحات ورؤية مات... نحن لا نختار أيّاً منها. لقد ظهر كل شيء لنا عبر الحمل. أليس كذلك يا مات؟»

«نعم، هذا صحيح»، قال مات مسانداً أرتشي دون أن يعرف إلى أين سيذهب بهم هذا التمادي.

«إذاً لا بد أن الحمل كان يعمل من خلال هاري»، تابع أرتشي، «يُريه شيئاً لم نكن لنراه. لقد جعل هاري يضع الكلمات الخطأ. إلا أنها ليست خطأً، ألا ترون؟ إنها ما يفترض أن يُخطّ من البداية.»

«أنغوس داي؟»، قال جيبر جابر وهو يبدو غير مقتنع، «لَم عساه يريدك أن تكتب أنغوس داي؟»

«لا نعرف السبب، ليس بعد، لكننا سنكتشف ذلك»، قال أرتشي، «سيُرينا بكل تأكيد.»

هنا، وقف مات محاولاً إيجاد شيء إيجابي في هذا. كان يستطيع أن يرى ما يفعله أرتشي. كان يحاول أن يبيّن الناحية الإيجابية من الأمر حتى يمنع الآخرين من الاستهزاء بهم. لكنّ مات كان يتمنى فعلاً لو أن هاري لم يُخطئ في التهجئة. ليس بالكلمتين على أي حال.

أنغوس داي! لو لم يكن مات غاضباً جداً لكان يضحك الآن أيضاً.

أتى أحد أتباع جوردن. ألقى على الراية نظرة سريعة خالية من التعبير ثم نظر حوله إلى الأولاد وقال: «لقد عاد أصدقاؤكم. علم جميل. من يكون أنغوس داي؟»

45

كانت الرائحة تزداد سوءاً، تصبح أعمق، أكثف، أشد. كانت مزيجاً غريباً من روائح مألوفة مثل رائحة النار والشيّ ومواقد الحطب، اختلطت جميعها في روائح كريهة لا تتناسب مع بعضها... كما الطعام العفن ودروس الكيمياء والغبار والمراحيض المسدودة.

«كيف يعقل أننا نشمّ رائحة أطعمة عفنة وأطعمة مطهوّة في الوقت نفسه؟» قال بام وهو يجعّد أنفه ويتابع سيره.

«ربما ليس طعاماً عفناً»، قال إد، «ربما هي كيماويات من نوع ما.»

«رائع»، قال بام، «على الأرجح نحن نتسمّم في هذه الأثناء.»

«إنه الغاز من الخزانات»، قال جاك، «لا بد أنه كذلك.»

توقّف إد في وسط الطريق: «هل يجدر بنا العودة؟»

«يمكنك العودة إن أردت»، قال جاك الذي تابع سيره، «لكنني لن أستسلم الآن.»

«مهلاً، انظرا إلى ذلك.»

كان بام يحدّق في مبنى ضخم من القرميد الأحمر بعلو ست طوابق.

«إنه المبنى الرئيسي التابع لملعب الكريكيت البيضاوي»، قال إد، «كنتُ هناك الصيف الماضي.»

«أعرف ما هو»، قال بام، «لا أقصد البيضاوي، أقصد ذلك...»

أنعم إد وجاك النظر إلى المبنى في محاولة لرؤية ما يشير إليه بام.

ثم رأياه.

انتشرت حول البوابات سيّارات شرطة، آليات عسكرية، حواجز إبعاد الجماهير، سيارة خاصة بالبث مع صحن إرسال تلفزيوني على سطحها.

أشخاص يتحرّكون بالقرب.

«يا إلهي»، قال إد بقلب يكاد يتوقف، «أهذا حقيقي؟»

«حسناً، ليس وهماً، أليس كذلك؟»، قال جاك، «فنحن لسنا في صحراء أو شيء من هذا القبيل، لذا لا بد أن ما نراه حقيقي.»

حاول إد ألاّ يتأمل كثيراً. ربما، فقط ربما، كانوا على خطأ. لم ينهر كل شيء. كانت ضربات قلبه تتسارع، الأفكار تطارد بعضها في ذهنه المتعب.

«حضارة»، قال بام، «إذا كانت الشرطة والجيش هنا، فإذاً... أقصد... نحن بأمان. هناك أشخاص لا يزالون على قيد الحياة، أشخاص طبيعيون، راشدون غير مصابين بالوباء. أنتما تعرفان معنى هذا، صحيح؟ قد يكون هناك علاج بعد كل شيء.»

«لا أعرف»، قال جاك، «لا أعرف ما يعني هذا.»

«حسناً، لنذهب ونستطلع الأمر»، قال بام.

«احذر»، قال جاك، «لقد شاهدتُ أفلاماً حيث يحاول الناجون الحصول على مساعدة لكن الجيش يظن أنهم موبوءون فيطلق النار عليهم.»

«لنجازف»، قال بام.

انتقلوا من وسط الشارع إلى الرصيف حيث سارعوا خطاهم، ملتصقين بالأبنية رغم أن إد حذّر من إمكانية تعرضهم لهجوم من الموبوئين الذين قد يكونون مختبئين في المنطقة.

«كفاك هلعاً»، قال بام، «لن يكون هناك موبوءون على بعد ملايين الأميال من هنا، ليس بوجود كل هذه المجموعات في انتظارهم.»

«يا صديقيّ؟» قال جاك وهو يُبطئ من سيره.

«ماذا؟»

«لماذا ترانا نفترض أن الشرطة والجيش وكل من هناك هم أشخاص على قيد الحياة؟»

«تباً»، قال إد وهو يتوقف فجأةً ويتوارى خلف سيارة مركونة، «وجهة نظر جيدة.»

«لكنني أستطيع رؤية أشخاص يتحركون»، قال بام.

«أي نوع من الأشخاص؟» سأل إد.

«بعض الجنود، شرطي.»

«هل هم جنود موبوءون أم جنود أصحاء؟»

«إنهم بعيدون ولا أستطيع معرفة ذلك بسبب نظري اللعين.»

«إذاً علينا أن نكون حذرين جداً جداً حتى يثبت لنا العكس»، قال جاك.

تنقّلوا من خلف سيارة إلى أخرى، يحاولون البقاء بعيدين عن الأنظار وهم يقتربون أكثر من المكان.

«عندما أعود إلى المتحف سأحصل على عدستين مكبّرتين»، قال بام.

«أريد دبابة»، قال إد، «ستكون الحياة أسهل بكثير في دبابة.»

أخيراً باتوا على مقربة كافية ليروا بوضوح ما كان يحصل. اختبأوا خلف سيارة كبيرة وأنعموا النظر.

«تباً»، تمتم جاك.

كان هناك جنديان وشرطي يتجولون في المكان، لكن باستثناءهم لم يكن يتحرك شيء. بدا وكأنه مشهد في قرص مدمج وقد توقف؛ فيلم عن كارثة ضخمة. قوات حفظ الأمن مصطفّون، مستعدّون للتحرك... لكنهم كانوا لا يتحركون.

كان هناك جنود يجلسون في سيارات جيب، شرطة في شاحنات صغيرة، مجموعة صغيرة من الحشود خلف الحواجز، لكن لم يكن أحد يتحرك منهم.

«جميعهم موتى»، قال بام مذهولاً، «باستثناء أولئك الثلاثة، جميعهم أموات.»

استطاعوا الآن، وبوضوح، رؤية المزيد من الجثث المتناثرة في كل مكان، على الأرض، في الآليات، بالقرب من بوابات المدخل المؤدية إلى الملعب البيضاوي. بدا وكأن معركة ما نشبت في ذلك المكان. معظم الجثث لم تكن

ترتدي بذلات رسمية. كانوا أمهاتاً وآباء، مراهقين، ومعظمهم تعرضوا لطلقات نارية.

«على الأقل بتنا نعرف حقيقة الرائحة»، قال بام وهو يغطي وجهه بوشاحه، «كانت هناك رائحتان مختلفتان: رائحة النار التي تنهش جثث الموتى.»

«ماذا برأيكما حصل هنا؟» قال إد.

«لا فكرة لدي»، قال جاك.

«يبدو أنهم كانوا يحرسون شيئاً»، اقترح إد.

«الملعب؟»، قال جاك، «لم قد يريد جيش أن يحرس ملعب كريكيت؟ ممَّ كانوا خائفين؟ من دخول الجماهير بالقوة وسرقة معداته؟»

«ألديك اقتراح أفضل؟»

«ربما هناك شيء آخر في الداخل»، قال بام، «ربما كانت الحكومة تكدّس إمدادات أو أسلحة أو مجوهرات العائلة المالكة أو شيئاً من هذا القبيل؟»

«يجدر بنا إلقاء نظرة»، قال جاك.

«ماذا؟»، همهم إد، «مستحيل. يجدر بنا الابتعاد عن هذا المكان. لا شأن لنا في كل هذا.»

«الأحياء منهم ثلاثة فقط»، قال جاك، «يمكننا التغلب عليهم بسهولة.»

«لكن لمَ نُتعب أنفسنا بذلك؟»

«أيّاً كان ما في الداخل»، قال جاك، «فمن الواضح أنه قيّم كفاية حتى يحاول الناس الدخول بالقوة.»

«موبوءون على الأرجح»، قال إد، «أغبياء موبوءون لا يفقهون شيئاً.»

جلس جاك على الطريق، متّكئاً بظهره إلى سيارة. «الأمر يستحق إلقاء نظرة»، قال بينما جلس صديقاه بالقرب منه، «ماذا إن كان بام على حق؟ أن يكونوا قد كدّسوا إمدادات من المواد الغذائية؟ سنكون بخير إلى آخر العمر. ستبدو تلك الشاحنة مثل حبة ملحٍ في بحر.»

كان إد يضع يده على فمه وأنفه محاولاً إبعاد الرائحة البشعة.

«جاك»، قال، «ظننتُ أن كل ما تريده هو العودة إلى المنزل.»

«أعرف. أريد ذلك... أريد ذلك حقاً. لكن يجدر بنا أن نلقي نظرة. إذا تمكنا من التخلص من أولئك الحمقى الثلاثة، فيمكننا الحصول على المزيد من الأسلحة. لا بد من وجود أسلحة هنا. أسلحة حديثة تعمل جيداً. وحينها لن نُقهر.»

صرّ إد على أسنانه بغضب وقال: «لمَ لا نذهب إلى منزلك فحسب، لتفعل ما تريد أن تفعله ثم نعود إلى المتحف قبل حلول الظلام؟ يمكننا العودة إلى هنا في الصباح مع بعض الشبان، دوغ نت والآخرين، لنكون وحدة قتال مناسبة.»

«يا لك من جبان يا إد»، قال جاك، «سنكون بخير. فقط فكر بما سيكون في انتظارنا في الداخل. المكان ضخم. أقصد أنه في حجم، حسناً، حجم ملعب كريكيت، بحق السماء. قد يكون هناك طعام. قد تكون هناك أسلحة، وقد تكون أدوية. كل ذلك!»

«بربك يا إد»، قال بام، «نحن هنا في مطلق الأحوال. دعنا نتحرى ما هناك وإلا لن نتمكن من التفكير بأي شيء آخر.»

«حسناً، حسناً»، أدرك إد أنه قد هُزم، «سنتفقد الداخل. لكن لنرَ إن كانت هناك أي أسلحة أولاً، كما قال جاك.»

وقفوا وضربوا الأكفّ، رغم أن ضربة إدّ كانت مترددة. انطلقوا نحو الملعب البيضاوي، منخفضين ومتخذين السيارات غطاءً لهم.

أخيراً تسللوا عبر الشارع إلى خط سيارات الأمن.

تأكدوا إن كان هناك أي موبوئين يتجولون في المكان. لم يروا شيئاً سوى أولئك الجنديين والشرطي.

كان أحد الجنديين يحمل سلاح رشاش صغيراً معلّقاً بحزام على كتفه. عندما اقتربوا أكثر استطاعوا أن يروا سيره البطيء والمتعثر ووجهه المتآكل من المرض. لم تكن حال الجندي الآخر أفضل. ووفقاً لخبرة الأولاد كانوا يدركون أنه كلما اشتد المرض على أحد الراشدين يصبح من الصعب عليه

تذكّر كيفية استخدام أي أداة أو سلاح، وعادةً ما يهاجم بيدين عاريتين. أما الشرطي فكان في حالة يرثى لها، مع أذن واحدة تدلّت حتى ذقنه وتبدّلت ملامحه لتصبح عبارة عن صفحة من البثور.

«سأتولى أمر الجنديين»، همس بام وهو يتفقد بندقيته، «توليا أمر الشرطي.»

«لا أستطيع فعل ذلك»، قال إد، «لا أستطيع قتلهم فحسب.»

«بربك»، قال بام، «انظر إليهم. سنكون كمن يُسدي إليهم خدمة، سنُخلّصهم من حالتهم البائسة تلك.»

«لا»، قرفص إد خلف سيارة شرطة وغطّى وجهه بيديه، «أنتما افعلا ذلك، أما أنا فلا أستطيع.»

وقف جاك وسحب سيفه من غمده.

«انتظر هنا.»

«حسناً.»

لم يستطع إد أن يراقب. جثم هنا، يداه على وجهه. سمع وقع خطوات صديقيه. كانت هناك لحظات صمت ثم صوت طلقين ناريين، تبعهما صوت عراك أقدام ومن ثم صوت جسم يرتطم أرضاً.

«يمكنك الخروج الآن»، نادى جاك إد بطريقة تشبه الترنيم، «المكان آمن.»

وقف إد، ما زال لا يريد النظر. مشى من حول السيارة إلى حيث كان جاك وبام ينتظرانه. كان يرى من زاوية عينيه أشكالاً سوداء ممدَّدة على الأرض.

أقنع نفسه أن ذلك لا يشكل أي فارق؛ أن تلك الجثث الثلاث هي مجرد إضافة إلى أكوام الجثث الملقاة في كل مكان. أجبر نفسه على النظر إلى المكان. كان عليه أن يتقبّل الواقع الموجود من حوله. بطريقة ما عليه أن يتحلى بالقوة والشجاعة مثل جاك وبام.

مسح جاك سيفه بسترة الشرطي الميت. أما بام فقد استولى على السلاح الرشاش من الجندي.

«أتريد هذا؟»، قال وهو يقدمه إلى جاك، «سأحتفظ ببندقيتي.»
«بكل تأكيد.»
«هل تعرف كيف تستخدمه؟» وجّه إد السؤال إلى جاك الذي كان يقلّب السلاح بين يديه.
«لا، لكنني أستطيع اكتشاف ذلك.»
عند الجانب الآخر من الجدار الخارجي الذي يحيط بالملاعب كانت هناك أربع شاحنات من دون سقف... ذلك النوع الذي تُنقل فيه الحصى إلى أماكن البناء. كانت تحوي أكواماً من الجثث. بالقرب منها كان هناك أسطول من سيارات الإسعاف، أبوابها الخلفية مفتوحة، وكان المسعفون مُلقَينَ أرضاً بالقرب من الدواليب.
عندما كان يشاهد الأخبار لم يكن يتخيل يوماً أنه سيكون جزءاً من أي قصة. أما اليوم فقد أتت الأخبار كلها إلى البلدة لكن لم يكن هناك أحد ليسجّل أحداثها. كانت الجثث بالقرب من عدسات التصوير المتوقفة عمياء وصماء. لم يكن يقف هناك مراسلون زومبي لينقلوا الوقائع للمشاهدين.
«لقد فني سكان لندن جميعاً...»
تحرّك إد نحو سيارة جيب عسكرية، حيث كان يجلس في المقعدين الأماميين عسكريان اسودّ وجهاهما وأيديهما، جلوس المستعدّ للانطلاق. كان يغطّي جزءاً من وجهيهما قناعان أبيضان، ربما لتفادي استنشاق أي روائح سامة. فوق القناعين، كانت عيونهما مختفية تحت سربٍ من الذباب الذي نهشها.
كان كلاهما يضعان أيديهما على قرابي مسدسيهما.
فكّ إد بحذر حزام مسدس الجندي الجالس في مقعد السائق ولفّه حول خصره. تدلى المسدس ثقيلاً وصلباً إلى جانبه. كان السائق يعلّق منظاراً حول رقبته، نزعه إدّ ورماه إلى بام الذي شكره بابتسامة عريضة.
تفحص إد سريعاً جثث الجنود وعناصر الشرطة الآخرين. كانوا جميعاً يضعون أقنعة.

مشى عبر البوابات المفتوحة وصولاً إلى صف سيارات الإسعاف. صعد مؤخرة إحداها. كان يتمدد هناك مسعف يرتدي زيّاً أخضر، وجهه حُفِر من البقع الصفراء. لم يقِه قناعه من التقاط الوباء، لكنّ إد فكّر إنه اذا استطاع العثور على قناع جديد فقد يخفّ تنشّقه لتلك الرائحة.

إذا كان الحظ حليفه فسيجد المزيد من الأشياء المفيدة هنا.

نزع حقيبة ظهره وبدأ يتفقد سيارة الإسعاف. كان يلتقط أي شيء يبدو مفيداً ويضعه في الحقيبة: مسكّنات، مطهرات، ضمادات، مضادات حيوية، مشارط، محاقن، قفازات مطاطية، كانت جميعها أدوات مفيدة. وهناك، أخيراً، في صندوق مغلق من الورق المقوى، وجد مجموعة من الأقنعة. وضع مجموعة منها في الحقيبة، وحمل ثلاثة أخرى.

قفز من السيارة. كان جاك وبام يسيران في اتجاهه وهما يتناقشان بشأن كيفية عمل السلاح الرشاش. لم يكن لدى أيٍّ منهما أي فكرة.

«مستعد؟» سأل جاك عند رؤيته إد.

«خذا»، أعطى كلاً منهما قناعاً، «ضعا هذين، سيحميانكما من الرائحة على الأقل.»

كانت جميع أبواب المبنى الرئيسي مغلقة بإحكام فاضطر الأولاد إلى الالتفاف من حوله بحثاً عن طريق آخر للدخول. أخيراً وصلوا إلى قسم أكثر حداثةً حيث كانت الأبواب الزجاجية مفتوحة. كان هناك المزيد من الجنود الموتى، منتشرين على الأرضية المصقولة للمدخل الواسع. أنعم الفتيان النظر بحذر في المكان المظلم.

«أنتَ أولاً»، قال بام ساخراً بأدب.

«من بعدك»، قال جاك، «أنا أصر.»

مرّ إد من قربهما، وهو يهزّ رأسه، عازماً على أن يثبت لهما أنه ليس جباناً. تبعه الآخران وهما يضحكان ويلكزان بعضهما بعضاً. كانت رائحة الهواء عفنة. حاول الفتيان منع أنفسهم من التقيّؤ. ساعدتهم الأقنعة في إبعاد الرائحة قليلاً، لكنهم كانوا لا يزالون يشمّون رائحة اللحم الكريه الممزوجة

برطوبة الهواء العفن. كانت هناك أصوات طنين، كما لو أن آليات ما تعمل في القرب.

مرّوا من فوق جثتي جنديين، بديا وكأنهما يُمسكان بذراعي بعضهما، ثم نحو بعض السلالم.

كان إد قد بدأ يشعر بالدوار. أراد أن يتفقد المدرج ثم الخروج من هذا المكان في أسرع وقت ممكن. كان يعرف أن هذه الجثث تحمل مختلف أنواع الأوبئة، مثل الكوليرا والزحار. عندما كانت تحدث أي كارثة طبيعية – وقد حدث الكثير منها قبل كارثة الوباء الكبرى، من هزات أرضية إلى الأعاصير والفيضانات – كانت نشرات الأخبار لا تكفّ عن التحذير من مخاطر التقاط الأمراض من الجثث غير المدفونة. حسناً، لا بدّ أنه كان هناك ما يقارب ثلاثين أو أربعين جثة في الخارج، ليس من ضمنها تلك التي كُدِّست في الشاحنات. مجرد فكرة وجود كل تلك الجراثيم...

كان هذا مرقداً للموت.

تسلقوا السلالم، وهم يجرّبون فتح الأبواب عند كل طبقة، حتى وصلوا إلى الطبقة العليا فوجدوا أخيراً طريقاً للوصول إلى المدرجات. كان بام أول العابرين. خطا بضع خطوات وتوقف.

سمعه إد يتلفظ كلمتين فحسب.

«يا للهول...»

46

تبع جاك وإد بام إلى ضوء الشمس. كان يقف هناك، متجمداً في مكانه، مذهولاً لا يستطيع الكلام.

كانوا يقفون عالياً، على مدرج حديث ذي تقنيات متطورة، بناء أبيض لامع من الفولاذ والإسمنت والزجاج. تحتهم كان يمتد ملعب الكريكيت الواسع وقد انتشرت الجثث في جميع أنحائه. كانت مكوّمة فوق بعضها بعضاً مثل تلة عملاقة من النفايات. تلك التي في الأسفل كانت أكثرها فساداً. لولا ملابسها الفاتحة اللون والعظام البارزة من هنا وهناك لما عُرف أنها جثث لبشر. تلك التي في الأعلى كانت أجددها، رغم أنها تآكلت أيضاً بالوباء والعفونة.

كانت تقف هناك، دون حراك، عدة جرافات وحفارات وشاحنات قلابة، حتى بعض الرافعات التي تعلقت مجارفها من جسورها. كانت إحدى المجارف لا تزال تحمل بضع جثث.

كان هناك المزيد من الجثث على المدرجات، كانت ملقاة على صفوف المقاعد البلاستيكية الخضراء، مشاهدون موتى في قتال للمجالدين. كم عدد الموتى؟ خمسة آلاف، عشرة آلاف، مئة ألف. بوجود هذا العدد الهائل من تلال الجثث كانت مقاربة العدد مستحيلة.

ذلك الطنين الذي سمعه إد من قبل كان ذباباً، الملايين منها، تحلّق فوق الموتى. لم تكن وحدها. كانت الغربان تحطّ عليها، والجرذان تزحف، وترفرف طيور النورس وهي تصرخ وتتقاتل فيما بينها. كان هناك كلبان

يحفران في إحدى حفر اللحم للوصول إلى العظام.
«كنز الأحلام»، قال إد بمرارة.
لم يتفوه جاك وبام بكلمة.
لاحظ إد وجود عدد من الأبراج التي بُنيت من قطع الخشب والألواح وفضلات الأشجار، مثل موقد نار عملاق.
«هذا المكان محرقة جثث ضخمة»، قال، «يبدو أنهم كانوا يخططون لحرق هذه الجثث أو تفجيرها.»
«كانت تلك فكرة جيدة»، قال جاك.
مال إد إلى الأمام، أزاح قناعه وتقيّأ على أحد المقاعد. كان يشعر بالدوار وبوخز مؤلم جداً.
«يجب أن نخرج من هنا»، قال، «هذا هو الجحيم بعينه.»
لكن حين استداروا ليغادروا سمعوا وقت أقدام ثقيلة تصعد السلالم.
شعر إد بموجة من الخوف والفزع. لم يحتج إلى النظر ليعرف ما الذي يحصل.
كان الموبوءون قادمين.
إنهم عالقون الآن. سيموتون هنا. سينضمون إلى تلك الأكوام العفنة، المنسية، مثل أكياس من النفايات.
كانت أفكار إد تتسارع أكثر من دقات قلبه. لم يستطع التفكير بعقلانية. مجموعة متضاربة من الصور كانت تجول في رأسه مثل طيور النورس المتقاتلة هناك فوق الجثث. صور الموت والعفن. لكن فكرة واحدة كانت تقاتل للمرور من خلالها، متغلبةً على تلك السوداء منها.
لم يرد أن يموت. الأمر بهذه البساطة. سيفعل أي شيء ليبقى على قيد الحياة.
كانت الفكرة قوية جداً وواضحة.
يريد أن يرى الصيف.
«علينا العثور على طريق آخر للهرب»، قال، «هناك موبوءون قادمون على السلالم.»

«أنت لا تعرف ذلك.»

«من هناك إذاً يا جاك؟ الشرطة الحية أتت لمساعدتنا؟»

قبل أن يتمكن جاك من قول أي شيء ظهر أول الموبوئين عند مدخل السلالم: ثلاثة آباء، يشمّون الهواء؛ يبحثون عن ضحية.

رفع جاك رشاشه. رأى إد أنه كان يرتجف بين يديه. «أيمكننا إطلاق النار عليهم؟»

«أنت لا تعرف كيف تستخدم هذا الشيء اللعين»، قالها إد بغضب، «لكن يمكننا تفاديهم.»

نظر من حوله عن سبيل للهرب. كانت هناك سلالم خارجية تقود إلى المقاعد الأدنى مستوى. انطلقوا نحوها، مرتطمين بالجوانب الحديدية وهو يلتفون عند الزوايا، وصولاً إلى الأسفل. لكن سرعان ما أدركوا أن أقرب مخرج كان مسدوداً بأكوام من الصناديق الزرقاء. عرف الفتيان أن أفضل وسيلة للهرب هو النزول إلى الملعب حيث بقيت بقعة خضراء صغيرة بالقرب من الجثث المكومة. بدأوا التسلق فوق المقاعد، يعبرون من فوق الجثث المتكومة هناك.

بينما كان إد يعبر من فوق أم في متوسط العمر تضع قبعة شمسية ذات ورود، مدّت يدها وحاولت الإمساك بسترته. قفز إلى الخلف. رفعت الأم نفسها من على المقعد وجعّدت شفتيها اللتين سال اللعاب من بينهما، وكأنها تريد أن تقبّله. دفعها إد بعيداً عنه فوقعت على المقعد التالي، موقظةً أباً أصلع لوّح بأظافره النتنة الطويلة نحو إد.

«ليسوا أمواتاً»، صرخ إد، «ليسوا جميعهم أمواتاً!»

كان جميع الموبوئين من حولهم يستيقظون وينهضون من مقاعدهم ويتجهون نحوهم. رأى إد أن هناك المزيد من الأحياء منهم في الملعب يتحركون عبر الممرات التي شكّلتها التلال.

قفز الفتيان فوق المقاعد، يركلون الموبوئين، يدوسون على الجثث الميتة وعلى القذارات، يفعلون ما بوسعهم للهرب. عند وصولهم إلى الأسفل

هاجمتهم موبوءتان شابتان من طرف الملعب، فأطلق بام طلقتين من بندقيته، فهم لا يستطيعون المخاطرة أكثر.

سقطت الموبوءتان، وارتبك بام وهو يعيد تلقيم بندقيته.

«طلقة واحدة في كل مرة»، قال لنفسه وهو يلقّم الطلقات في الفتحات، «أطلق طلقة واحدة في كل مرة. حافظ على بعض منها.»

«هناك طريق للخروج»، صرخ إد وهو يشير نحو مكان خالٍ من الملعب بالقرب من المدرج القديم. ركضوا نحوه، مارّين بتلّة من الجثث المتعفنة من جهة وبالموبوئين الأحياء من جهة أخرى. كانوا يتجهون نحوهم، بعضهم يمشي وبعضهم يزحف، أما الأصغر سناً فكانوا يتحركون أسرع. كان بعضٌ منهم يتعثّر، بالكاد كانوا يستطيعون الحركة، يحاولون إزاحة أولئك الذين استسلموا و لم يعد بإمكانهم إكمال السير، فكانوا يسقطون على المقاعد.

كان من المستحيل على الفتيان أن يعرفوا الموتى من الأحياء منهم. فقد كانت الدمامل والقروح والبثور تغطيهم من رؤوسهم حتى أخمص أقدامهم.

فكر الأولاد أنهم سينجون بحياتهم عند اقترابهم من المخرج، لكنهم فجأةً رأوا شيئاً يتحرك أمامهم. لقد سقطت مجموعة من الجثث من أعلى تلة لتسدّ الطريق عليهم.

لم يكن لديهم خيار. عليهم التسلق من فوقها.

حاولوا، لكن كان الأمر يشبه الخوض في الوحل. كانت الجثث طرية جداً تحت أقدامهم، فوجد الفتيان أنفسهم يطأون جلوداً ممزقة وأحشاءَ ناتئة.

«انتبها!» صرخ اد.

كانت مجموعة من الموبوئين قد اقتربت منهم من الخلف.

رفع جاك رشاشه، ضغط على الزناد.

لا شيء.

اقترب الموبوءون أكثر.

حاول فتح صمام الأمان.

جرّب الضغط على الزناد مجدداً.

لا شيء.

شتم وهزّ السلاح. جرّب مرة أخرى.

صرخ عندما ارتج الرشاش بين يديه، بدا أنه يطلق النار لوحده، راشّاً الطلقات في كل مكان باستثناء حيث الموبوئين المهاجمين. رفع جاك إصبعه عن الزناد بخوف، لا بد أن إحدى الطلقات قد أصابت أحد صناديق المتفجرات الزرقاء، وبعد لحظة دوّى انفجار قوي واشتعلت النيران في السماء فتناثرت الأشلاء برذاذ بني مائل إلى الاحمرار.

الفتيان، إلى جانب عدد من الموبوئين، سقطوا إلى الخلف. ارتطموا بزوايا الأعمدة ثم بالخشب والبلاستيك. هبطوا فوق شيء رطب ودبق، فشعر إد في الحال بالامتنان للقناع الذي يضعه على وجهه.

كان هذا الجحيم بحدّ ذاته.

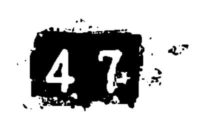
كانت تمطر كتلاً من اللحم العفن. اشتعلت النيران. تحركت من حولهم زمرة من الموبوئين الذين اشتعلوا بالنار. ارتطموا بمجموعة أخرى من صناديق المتفجرات وحصل انفجار آخر.

بدا أن المدرج بأكمله يشتعل.

اقتنص الفتيان الفرصة، ركضوا متعثرين، يشعرون بالدوار، غير متوازنين نحو المخرج. اضطروا إلى الخوض بين الأشلاء والقذارات للوصول إلى البوابة.

«هيا!»، صرخ إد وهو يسبق صديقيه، «يمكننا أن ننجح...»

فجأةً لم يشعر إلا وهو يركض في صمت... في الهواء. بدا أن الأرض تحت قدميه قد ارتفعت فجأةً ثم اختفت. في الوقت نفسه ازدحم الجو من حوله، لم يعد هناك متنفس، شيء ما ضغط على صدره، فقع طبلتي أذنيه. لم يسمع ذلك الصوت المرتفع بقدر ما شعر به. كان هناك ضوء يُعمي الأبصار وظلام لا حدود له في الوقت نفسه. أصبح الأعلى أسفل والداخل خارج. ببطء، ببطء، وببطء انهار سيل من الجثث فوقه وتصاعد الدخان في اتجاهه على شكل غيمة رمادية ازدادت حجماً حتى لفّه نسيان صامت ولطيف.



كانت فريديريك وحيدة في مرحاض السيدات في المتحف. فقط يداها أظهرتا أنها حية، كانتا تتشابكان حيناً وتتلويان حيناً آخر، تقرص جلدها بأظافرها. سقطت نقطة رطبة من أنفها فارتجفت. في داخلها كانت تشعر بالحرارة، وكأنها تغلي. كانت أحشاؤها تتلوى بألم. معدتها تتشنّج. قلبها ينبض بسرعة كبيرة. كانت تسعل كل بضع دقائق سعلة جافة ترسل تشنجاً مؤلماً عبر رئتيها.

كانت في إحدى حجيرات المرحاض، تجلس على أحد الكراسي والغطاء مغلق. لم يعد الأولاد في المتحف يستخدمون المراحيض. كانت لديهم دلاء لذلك، كانوا يفرغونها في الخارج. كانت المياه التي لديهم أثمن من أن تُهدر في المراحيض.

أتت إلى هنا لتجلس وحدها، بعيداً عن ضجة الأولاد الآخرين. كانت أحاديثهم المتواصلة قد بدأت تؤذي أذنيها. كانت تعرف أنها يجدر بها أن تكون سعيدة. لقد كان يوماً جيداً. تدبّر جاستن أمره في إيصال الشاحنة إلى المتحف وتوقّف بها في الخلف أمام أبواب خاصة للتحميل والتفريغ. كان الأولاد في المتحف متحمسون بجنون عندما رأوا ما عاد به كلٌ من جاستن ودوغ نت والفتيات. لقد أخرجت الأصغر سناً من حالة التضور جوعاً والملل والكآبة، فاحتفلوا بتناول غداء لذيذ، أو بالأحرى ألذ ما يمكن أن يكون عليه الطعام المعلب البارد.

بدأت فريديريك تشعر أنها ليست بخير عندما كانوا يتناولون الطعام.

كان مذاق الطعام غريباً، مثل رائحة النباتات العفنة والبقر والحقول والسماد والمراحيض. حتى الآن، وهي تفكر في الأمر، تحس أن فمها مليء بلعاب حامض الطعم، ومرارة صفراء تخرج من حلقها. فكرت أنها قد تكون مريضة. يمكنها تصوّر ما تناولته للتو، يجلس في معدتها، تنبت له جذور، ونباتات متعرشة وجراثيم تعيش في داخلها...

بينما كانت تجلس هناك في المقهى، تحاول تناول الطعام، هاجمها صداع من خلف عينيها، صداع لم تستطع التخلص منه رغم المسكّنات الكثيرة التي كانت تحملها في حقيبتها. تلك الضجة في الكافيتيريا، بوجود جميع الأولاد يتحدثون في الوقت نفسه، كانت تصيبها بالجنون.

كانت بحاجة إلى الهدوء، إلا إنها لم تجده. ليس حتى وهي وحدها هنا في المرحاض. بدا أن تلك الأصوات والثرثرات لا تبارح رأسها، كل تلك الضوضاء والشجار في الوقت نفسه. صراخ في بعض الأحيان. كان الضغط فظيعاً، فظيعاً بكل ما للكلمة من معنى. بين الحين والآخر كانت تضع رأسها بين ركبتيها وتئنّ بهدوء، فتحس بالضغط يشتد على عينيها، فتخشى أنهما قد تقعان على أرضية المرحاض، أو تنفجران من وجهها بكل بساطة.

فركت مؤخرة رأسها، جمجمتها، تحاول التخلص من ذلك التشنّج. لم يجدِ ذلك نفعاً لكنها تابعت ذلك على أي حال، تفرك وتفرك حتى أصبحتَ يدها دامية.

ليت جاك لم يرحل. كانت ستتحدث إليه. كان جاك سيعرف ما يجدر فعله. لقد خافت منه في البداية بسبب تلك الوحمة الغريبة على وجهه، لكن ليس بعد الآن. كان الألطف من بينهم، الأطيب.

لَم رحل إذاً؟ الوغد.

أخمدت شرارة الغضب المفاجئة تلك نفسها بسرعة اشتعالها.

كانت معدتها تقرقر. أسيد ساخن يفقع في حنجرتها، فيلسعها. لقد أكلت شيئاً فاسداً. هذا هو ما حصل. كان الطعام في الشاحنة لوقت طويل، لا بد أن كل تلك المواد الغذائية في العلب قد انتهت مدة صلاحيتها منذ

أشهر، لكن رغم ذلك...

انفجرت تلك الأصوات في رأسها، تصرخ عليها.

لم يكن الطعام... ليس الطعام... أنت تعرفين ذلك... لمَ لا تعترفين... يا لك من جبانة... ليس الطعام... الأولاد... جميعهم أوغاد... لقد تركك جاك... لا أحد يأبه لكِ...

«اصمت!»

ضربت بيديها على جانبي رأسها فلمست أصابعها مجموعة نتوءات صغيرة عشّشت خلف أذنيها، مثل لسعات حشرات.

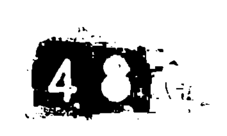
لم تكن هناك من قبل.

نهضت. شعرت أن عضلاتها متشنجة والحركة تؤلمها، لكنها أجبرت نفسها على الوقوف والسير خارج الحجيرة. كان المرحاض تحت الأرض وقد أحضرت معها شمعة صغيرة تركتها بالقرب من الأحواض. بدا المكان فجأةً مشعّاً فأطلقت فريديريك صرخة وظللت عينيها. مشت نحو صفّ من المرايا، وعيناها نصف مفتوحتين، ونظرت إلى انعكاسها.

لم تحب ما رأت.

كانت أنحف من أيّ وقت مضى. كانت شفتاها متشققتين وجافتين ومتقشرتين. هالات من الاحمرار حول عينيها وأنفها. رفعت شعرها الطويل ونظرت إلى جانب رقبتها.

«أوه يا إلهي، لا...»



لم يعرف بام إن كانت عيناه مفتوحتين أم لا. كان في عالم من الظلام. كل ما استطاع استيعابه هو أن الانفجار قد مزق الأرض تمزيقاً وانتهى به الأمر في مكان ما تحت المدرجات. كان متاكداً من أمر واحد وهو أنه كان يجلس على أرضية صلبة وباردة وظهره إلى حائط. كان الهواء مشبعاً بالغبار وفمه مليئاً بالرمل. كان مصاباً وكان جسمه كله يؤلمه، لكنه كان ألماً يمكن احتماله. رجلاه كانتا أكثر ما تؤلمانه، ورغم ذلك استطاع تحريك أصابعه لذا افترضَ أن لا شيء مكسور.

يستطيع أن يتعامل مع بضع كدمات وجروح. ما لا يستطيع التعامل معه هو الظلام الحالك. إما أن الضوء قد حُجب بسبب انهيار الأنقاض او أن الانفجار قد أعماه.

كان قد تحسس المكان حوله بيديه عند استعادة وعيه. كانت هناك جثة بالقرب منه. جثة ميتة منذ وقت طويل. كانت باردة وطرية وعفنة. أراد الابتعاد عنها لكنه كان خائفاً جداً، فهناك شيء آخر يتحرك في المكان، يشخر ويشمّ ويبحث في الظلام. كل بضع ثوان كان يسمع قدميه تحكان الأرض.

كان بام يحاول البقاء هادئاً كلياً، من دون حراك. لم يكن ذلك سهلاً. كان عليه أن يواصل التنفس. الغبار في فمه وأنفه جعلاه يريد العطس. كانت رجله اليسرى ملوية تحت جسمه وأراد أن يحركها، لكنه لم يستطع المخاطرة بذلك. كان خائفاً حتى من ابتلاع ريقه وإحداث ضجة.

كان لا يزال يحمل البندقية في يده، وكان ذلك أمراً جيداً. كل ما استطاع

تذكره هو أنه أعاد تلقيمها قبل أن يحصل ما حصل، لكنه لم يكن متأكداً من الأمر مئة في المئة. كانت هناك فرصة كبيرة في حال ضغط على الزناد أن لا يصدر سوى طقطقة صغيرة بائسة. حينها سيُقضى عليه. شدّ قبضته على البندقية. إذا اقترب ذلك الشيء منه فسيضغط على الزناد وسيأمل الأفضل.

لم يكن لديه خيار.

الشيء، مهماً كان، أماً أو أباً – لم يكن هناك من مجال لمعرفة ذلك – تحرك مجدداً. سمع حفيف قدميه.

يمكنهم شمّ رائحتك، أليس كذلك؟ هذا ما يفعلونه، يشمّون الهواء. لا بد من وجود أكثر من واحد هنا. سيعثرون عليه ولن يتمكن من قتالهم لأنه لا يستطيع رؤيتهم. لم يكن يستطيع رؤية أي شيء. يمكنه تخيّلهم، مجموعة منهم يزحفون ببطء في اتجاهه في الظلام، يغطّيهم الدود، متورّمين. يقتربون، خطوة تلو الخطوة، تاركين خلفهم على الأرض آثار لعابٍ مقزز.

هناك!

حفيف حذاء.

إنه يقترب أكثر.

يمكنه سماعه يتنفس.

بدأ بام يشعر بالدوار. لم يكن يستنشق أي أوكسجين. بدا أن الظلام يُطبق عليه، ينقبض عليه، يسحقه. أراد أن يكون في الخارج، تحت أشعة الشمس وفي الهواء الطلق، يركض في ملاعب الرياضة وهو يحمل كرة بين يديه.

كان يريد أن يرى عدوه. في الضوء، كان أشجع فتى في العالم؛ كان يتغلب على لاعبين ضعف حجمه؛ كان الدبابة بام.

ليس في الأسفل هنا، ليس في الظلام، مغطى بالقذارات، وحيداً.

إنه الحفيف مرة أخرى. أقرب. على بُعد قدم واحدة.

أين صديقاه؟ ماذا حصل لهما؟ هل ماتا في الانفجار؟ أراد أن يصرخ، أن يطلب المساعدة، لكنّ ذلك سيُقرّب ذلك الشيء المتثاقل في الظلام.

لكن أين هما؟ أين كان صديقاه؟



جاك أيضاً كان في الظلام، يتجول تائهاً ووحيداً، يتحرك بأسرع ما يجرؤ، يبحث بيأس عن إد وبام. كانت حنجرته تؤلمه، وكأن أحدهم جرحها بفرشاة من سلك. أحس بأوتاره الصوتية تخزه وتخنقه. حاول أن يصرخ لكن الغبار والألم والاختناق منعوه من إصدار أي صوت يتعدّى الغرغرة والاختناق.

كان هناك طنين في رأسه. فكر أنه ربما أصيب بالصمم جراء الانفجار. كل ما استطاع سماعه، غير الهمس والأنين الذي ملأ أذنيه، أصوات خافتة قد تكون من صنع رأسه.

كان مذعوراً من حدوث شيء مماثل. لم يرد أن يكون مسؤولاً عن الآخرين، لم يرد أن يرافقه بام وإد. حاول الهرب من جميع الأصدقاء، والآن ها هو مسؤول عما حدث. إنها غلطته أنهم وصلوا إلى هنا، أيّاً كان المكان.

الآن عليه العثور على صديقيه، إنقاذهما.

كان الأمر مسؤوليته.

لم يكن ذلك سهلاً. كان يتعثر في سيره، ذراعاه ممدودتان أمامه، تتحسسان الظلام أو جداراً أو عوائق كانت أمامه. أخفض رأسه خوفاً من الارتطام بشيء ما. رمشت عيناه المتألمتان اللتان غطّاهما الغبار في محجريهما، تبحثان عن أي دليل عن المكان الذي هو فيه، أو كيف يمكنه الخروج منه.

انظر!

هل كان يتخيّل ذلك؟ لا. إنه حقيقي. خيط ضوء صغير. إذا استطاع

الوصول إليه فسيتمكن من معرفة الاتجاهات. كان عليه أن يعترف أنه عاجز عن فعل شيء لأحد وهو في حالته هذه، أعمى وأحمق ومرتبك. لكن إن استطاع إيجاد طريق للخروج فيمكنه العودة ومساعدة صديقيه. لا بد أن أحد أولئك الجنديين أو الشرطي يحمل مصباحاً. هذا إن افترض أنه لا يزال هناك مكان في الخارج. من يعرف درجة الدمار الذي سبّبه الانفجار؟ ربما هو مدفون تحت أطنان من الركام والجثث...

لا تفكر في هذا.

الأمر المهم هو الهرب، ثم عليه أن يذهب للبحث عن صديقيه. لا شيء سيحدث لبام وإد الآن، ليس في هذا الظلام.

تجمّد. تحرك شيء أمامه. لقد ومضت، تأرجحت، نقطة الضوء قليلاً. كان هناك شيء أمامه.

وقف دون حراك، جاهداً ليرى شيئاً في الظلام الدامس، ليسمع صوتاً. لكن لم يكن هناك سوى نبض وهسيس دمه الذي يجري في جسده.

لا يستطيع البقاء هكذا دون حراك إلى الأبد. عليه أن يتحرك.

فجأةً صدمته فكرة. هو لا يستطيع الرؤية في الظلام، وكذلك الموبوءون. سيكونون تائهين بقدره تماماً. أجبر نفسه على الابتسام. ما أسوأ ما يمكن أن يفعلوه؟

استعد للركض نحو نقطة الضوء تلك.

50

أربعة وثلاثون، ثلاثة وثلاثون، اثنان وثلاثون ...

كان بامٍ يعدّ من الخمسين وما دون في رأسه. عندما يصل إلى واحد سيفعل شيئاً؛ سيقاتل؛ سينهض ويسيطر على الموقف. ما زال الموبوء هناك، يستطيع معرفة ذلك.

ثمانية عشر، سبعة عشر، ستة عشر، خمسة عشر...

هيا يا كيس القيح الموبوء، دعني أعرف أين أنت.

تحرّك، تباً لك.

حينها تحرّك بالفعل. فجأةً كان يتجه نحوه مباشرةً، وبسرعة.

صرخ بام خائفاً وضغط على الزناد في الوقت نفسه. انطلقت رصاصة. كان هناك صوت! وومضت شعلة ساطعة عندما انفجرت الرصاصة، مُرسلةً نثرات من النار نحو مهاجمه. انتهى الأمر قبل أن يبدأ، تماماً كحال عدسة تصوير تُرسل نوراً خاطفاً، لكنه كان كافياً ليرى بام جسداً يقع إلى الخلف. ذراعان مفتوحتان على وسعهما، وجه أبيض ملطّخ بشيء أحمر على جانبه، عينان واسعتان خائفتان ومتفاجئتان.

وجه جاك.

51

كان الأولاد يلعبون في القاعة الرئيسية، الأصغر سنّاً يطاردون بعضهم بعضاً بين الدبابات والآليات. لا أحد يذكر كونه كان سعيداً بهذا القدر هذا الأسبوع. كان جوردن هوردرن قد أتى لتفقدهم. ذُهل بالشاحنة التي أحضروها ودعى الوافدين الجدد رسمياً للبقاء والمشاركة في كل شيء. نظم مجموعة من فتيانه في فرق لإحضار بعض الأقفاص إلى الداخل. استطاع جاستن تدبر مسألة تحريك الرافعة في مؤخرة الشاحنة وتنزيل الحمولة إلى الأرض. كانت الحمولة كبيرة جداً، فاضطروا إلى ترك نصفها في الشاحنة، موصدة بإحكام بعيداً عن أي موبوئين هائمين.

بروك وأليشيا وكورتني جلسن على مقعد يراقبن أجواء المرح حولهن. ويكي وجيبر جابر وزهرة وفروغي وعدد من أتباع مات الأصغر سناً كانوا يركضون ويصيحون. حتى فريديريك انضمّت إليهم. كانت في حالة مزاجية سيئة منذ وقت الغداء، لكنها بدت الآن سعيدة بطريقة هستيرية، وكأنها عادت طفلة صغيرة مجدداً.

ركض فروغي نحوهن.

«أنقذنني!» صرخ، فقفزت أليشيا. كانت أطول من فروغي، لكنها لفّت ذراعيها حوله لتحميه.

«سأنقذك!»، قالت، «فقط ادَّعِ أنني أمك!»

ضغط فروغي بوجهه على جسَمها وسأل بهدوء: «أيمكنني ذلك؟»

ابتسمت أليشيا وقبّلت جبينه: «بالطبع أيها الرجل الصغير.»

سخرت بروك من صديقتها: «انظري إلى نفسك تمثلين دور الأم ثانيةً. ما مشكلتك يا فتاة؟»

«إنها لطيفة»، قال فروغي.

«إنها لطيفة أكثر من اللازم»، قالت بروك، «وهذا ليس سوياً.»

«ما اللعبة التي تلعبونها على أي حال؟» سألت أليشيا.

«وحوش الزومبي!» قال فروغي.

«أنت تمزح! وحوش الزومبي؟» هزّت أليشيا رأسها، تضحك غير مصدقة.

«إنهم يفعلون الصواب»، قالت بروك، «حسناً، اذهب ونل منهم أيها الصغير. أرِهم أننا لسنا خائفين منهم.»

«ألسنا خائفين حقاً؟» قالت أليشيا.

«لا، لسنا خائفين»، قالت بروك، «لقد نجحنا. لقد خرجنا واستطعنا ركل مؤخراتهم! لقد انتصرنا عليهم. لم نكن نجلس هناك نقضم أظافرنا ونكلّم أنفسنا يا ويلي، سنموت مهما حاولنا أن نفعل. لقد قاتلنا، ألم نفعل؟ هذا ما سنفعله من الآن وصاعداً. سنقاتل.»

«أنت على حق يا فتاة»، ضربت كورتني كفها عالياً بكف بروك ثم استدارت إلى أليشيا، «ليسوا أقوياء. إنهم لا يساوون شيئاً عندما يكونون فرادى، مجرد ضعفاء وأغبياء. لكن عندما يكونون في مجموعات، يتجاوزوننا. لا. ليست هذه هي الكلمة. لا، ليست يتجاوزوننا، بل كلمة أخرى. ما هي تلك الكلمة؟»

«لا أعرف ماذا تقصدين»، قالت بروك، «أي كلمة؟»

«عندما يتفوقون علينا بشيء ما.»

«هذه هي. هذه هي الكلمة.»

«ماذا؟»

«تفوّق يا حمقاء.»

«أوه صحيح، يتفوقون علينا!»

ضحكت الفتيات الثلاث. كان شعوراً جيداً. عندما كنّ يضحكن كنّ

يشعرن أن حملاً ثقيلاً يسقط عن كاهلهن.

أفلتت أليشيا فروغي فركض عائداً إلى رفاقه. راقبته أليشيا لبعض الوقت ثم تغيّرت ملامح وجهها وأصبحت جدية.

«هل نحن وحدنا؟» سألت وهي تجلس.

نظرت بروك إليها: «ماذا تقصدين وحدنا؟»

«أقصد... هل انتهى الأمر؟ نحن... هنا! هل نحن... أقصد... كل من بقي؟»

«لا أعرف. لا أستطيع الإجابة على ذلك.»

«أقصد أننا لم نلتقِ بأولاد آخرين منذ وصولنا إلى هنا، ولم نرَ أحداً في الشوارع اليوم، صحيح؟»

«هذا لا يعني أنْ ليس هناك أولاد غيرنا»، قالت بروك، «أظن أن هناك الكثير من الأولاد في مكان ما، يختبئون، في مجموعات صغيرة. أراهنك أن هناك مجموعة من الأولاد مشابهة لمجموعتنا، يفعلون ما نفعل، يخوضون مغامراتهم مثلنا، يعيشون، يموتون، يعثرون على الطعام... يضحكون.»

«يضرطون»، قالت كورتني.

«أنا جادة يا كورتني. لسنا وحدنا.»

«وأنا جادة أيضاً»، ابتسمت كورتني ابتسامة شريرة. في تلك اللحظة شمّت الفتاتان الرائحة. قفزتا من مقعدهما وتراجعتا إلى الخلف وهما تُمسكان بأنفيهما وتشمّان كورتني.

مرّت فريديريك قربهن، شعرها الطويل يتطاير، وعيناها مستعتان وفمها باسم. كانت تطارد زهرة، التي كانت تصرخ بفرح. صرخت فريديريك أيضاً، مقلدةً الفتاة الصغيرة، مُطلقةً نوتة رفيعة وعالية جداً بدا أنها تملأ أرجاء القاعة. كانت تلك الطريقة الوحيدة لتُسكت الأصوات الأخرى التي يُصدرها الأولاد الآخرون. صوت الأنفاس العالي، نبضات القلوب، جريان الدم في الشرايين، هضم الطعام في المعدة، أفكار تنتحب داخل رأسها. أصوات كثيرة. أزيز، أزيز، أزيز، يتمتم، يهدر عن لا شيء.

لم يكن سمعها وحده هو الذي صار أقوى، بل أيضاً جميع حواسها

الأخرى. كانت تستطيع أن تشمّ أكثر، وتحس وترى بشكل أقوى. كانت الأشياء وامضة لدرجة أنها كانت تؤلم عينيها، تعميها. كان الضوء يتغلغل في رأسها، كانت تستطيع الشعور به وهو يتخلل عينيها مباشرةً نحو دماغها. كما لو أن أحدهم يُشعل مصباحاً في رأسها، يُضيئه.

كان كل شيء واضحاً الآن؛ واضحاً ودقيقاً ويومض ويلمع. لقد فهمت أشياء كثيرة لم تكن تعرفها من قبل. لقد فكّ الضوء ذلك القفل، جعل دماغها يعمل أكثر فأكثر. لم يكن الآخرون يعرفون ذلك. الأولاد، الأولاد الصغار الحمقى.

لأنهم جميعاً ليسوا سوى... أولاد.

حمقى... حمقى... حمقى...

ما الذي كانوا يعرفونه؟ كان دماغها معززاً بالطاقة، مثل سيارة سباق. لن يفهموا ذلك. كانوا يتجولون في الظلام، مثل سكان الكهوف. كانت أدمغتهم صلبة وثقيلة وبطيئة. أما هي فكان دماغها يدور بسرعة في رأسها، كان يصبح حاراً.

عضّت مفصل إصبعها، تذوّقت الدم. شعرت كما لو أنها تلمس شاحن بطارية بلسانها. ومضة من الكهرباء، الفولاذ، الطعام، الماء، الحياة.

كانت تتغير. نعم، كانت تتغير إلى مخلوق أسمى، مثل يرقة تتحول إلى فراشة. كان دماغها يتحول إلى سائل وسيصلح نفسه ليصبح شيئاً استثنائياً.

نعم.

كانت تتحول إلى مخلوق خارق.

ليس مثل أولئك الحمقى... الحمقى... الحمقى... ما هي تلك الكلمة؟

الأطفال.

ضحكت. لَم كانت خائفة من قبل؟ لم يكن هناك ما يخيف. كانت تتحول إلى شيء... عظيم.

هرب فروغي وويكي من فريديريك واختبآ خلف دبابة.

كان فروغي يعاني في التقاط أنفاسه.

«إنها مخيفة. آمل ألاّ تقبض عليّ.»

«أنت سريع»، قال ويكي، «يمكنك أن تسبقها.»

«إنه شعور غريب أن نركض كالمجانين في متحف. فلم يكن يُسمح أبداً بذلك.»

«في الواقع مضحك جداً أنك ذكرت كلمة مجانين»، قال ويكي، «هل تعرف ما كان عليه هذا المكان في الماضي؟ هذا المبنى؟»

«لا»، قال فروغي، «ماذا؟»

«مستشفى مجانين.»

«ماذا يكون؟»

«كان الاسم الصحيح مستشفى بيثليم الملكي. كان للمجانين.»

«مكان للمخبولين؟» قال فروغي وعيناه متسعتان.

«نعم. سُمّيت مستشفى المجانين. من هنا يأتي ذِكر تلك الكلمة.»

«أي كلمة؟» قال فروغي.

«لا يهم.»

«هل هناك شيء لا تعرفه؟» سأل فروغي.

«هناك أشياء كثيرة لا أعرفها»، قال ويكي بجدية.

«ما أغرب شيء تعرفه؟»

«أعرف كيف أقول "أظافر الأخ الأكبر لجدي متيبسة" باللغة الأندونيسية.»

«حقاً؟ قلها إذاً.»

«حسناً، كوكو كوكو كاكي كاكاك كاكيكو كاكو كاكو.»

«لقد ألّفتَ هذه الكلمات.»

«لا، لم أفعل. إنها حقيقية. "كوكو - كوكو كاكي كاكاك كاكيكو كاكو كاكو" تعني "أظافر الأخ الأكبر لجدي متيبسة» باللغة الأندونيسية. والآن انتبه، إنها قادمة!»

كانت فريديريك تستطيع شم رائحتهما. إنهما يختبئان خلف الدبابة.

أوه، إنهما سمينان، طازجان وسمينان. ليسا مثل القذارة التي أُجبرت على أكلها على الغداء. ذلك الطعام كان سامّاً، أصبحت متأكدة من ذلك الآن. جرّب الأولاد الباقون تسميمها... لم يحبوها مطلقاً. كانت مختلفة بطريقة ما، وهم عرفوا ذلك. لم تكن واحدة منهم.

كانت فرنسية.

كانوا يخبّئون الطعام اللذيذ، يحتفظون به لأنفسهم، لكنها كانت تعرف كيف تصل إليه. كان في داخلهم.

كانت رائحتهم تسيل لعابها. كان فمها مليئاً بالسائل، وكان يسيل على شفتها. يا للهول، كما كانت جائعة.

كانا هنا، ذانك الصبيان الصغيران السمينان. تنشّقت رائحتهما، تستطيع من الآن تذوقهما. الأصغر، فروغي، سيكون طرياً جداً. اللحم الطري. صغير وطازج وحي، مكهرب، نابض، صافٍ ومليء بالدم الأحمر، حياة حمراء...

أصابتها نوبة تشنّج جعلت جسمها بأكمله يتصلّب. أحسّت أن كل عظامها ستتكسّر تحت الضغط. كانت الكهرباء تسري في جسمها، الطاقة، النار، الفولاذ، الدم، الطعام...

كانت زهرة تراقب فريديريك وهي تتقدم نحو فروغي وويكي.

«اهربا!» صرخت مسرورةً من أنها لم تكن معهما هناك. كانت فريديريك تتقن تلك اللعبة. جعلتها تبدو حقيقية. كان فروغي وويكي يصطدمان بعضهما بعضاً ويصرخان وهما يحاولان تفادي الأيدي الممتدة.

«اهرب يا فروغي!» كانت زهرة تضحك لدرجة جعلتها تظن أنها قد تتقيأ. بدا الصبيان وكأنهما في فيلم كوميدي بصورة سريعة.

صرخت فريديريك وأمسكت بذراع فروغي.

صاح فروغي: «لقد أمسَكت بي!»

كشرت فريديريك عن أسنانها، قرّبت ذراع فروغي من فمها وعضت بقوة.

52

«جاك، جاك... أنا آسف، جاك.»

«أيها الوغد. كان بإمكانك أن تقتلني.»

«لكنك لم تمت. الحمد لله. هل الإصابة بالغة؟»

«ماذا تظن؟ لقد أطلقتَ النار عليّ أيها الوغد.»

«أنا آسف. لم أعرف أنه أنت. ظننت...»

«حسناً، كان أنا...»

«جاك، ماذا فعلت؟»

«تعرف ماذا فعلت. لقد أطلقتَ النار علي.»

«لكنك لست ميتاً. لم أقتلك.»

«لقد جرحتني في جانبي. أنا أنزف قليلاً. ليس الأمر سيئاً على ما أظن. لا أتألم كثيراً. من حسن حظي أنك رامٍ سيئ.»

«أنا آسف جداً يا جاك.»

«لا بأس، بام، ليست غلطتك. أعرف أنك لم تكن تقصد ذلك، لكنني أتمنى لو أنك لم تفعلها.»

«كنت لا أرى. ظننتك موبوءاً.»

«نعم، أعرف. ظننتكَ موبوءاً أيضاً. كان هناك ضوء، رأيت ضوءاً، أظن أنه كان شيئاً تعكسه فوهة بندقيتك.»

«يا إلهي، جاك، ظننتُ حقاً أنني قتلتك.»

«حسناً، لم تفعل. حظّاً أوفر في المرة المقبلة.»

«جاك...»

«ما زلتُ هنا يا بام. فقط اصمت. علينا أن نخرج من هنا بطريقة ما.»

«النجدة!»، دوّى صوت بام في الظلام، «هيه! النجدة... إد! هل أنت هناك؟ ساعدنا يا إد! أين أنت؟ إد...» كفّ بام عن الصراخ، فأصبح الصمت والظلام أعمق.

«هل ترى أي شيء؟»، سأل جاك، «هل هناك ضوء في أي مكان؟»

«لا يا جاك، لكني أستطيع أن أحس بك... أنت مخضّب بالدماء. إصابتك بالغة يا جاك، إنها بالغة.»

«أشعر أنني بخير يا بام. لا أتألم كثيراً. يمكنني الوقوف على ما أظن.»

«هيا إذاً. سأساعدك.»

«آي... لا تمسك بي من هنا، فذلك يؤلم كثيراً. آي. حسناً، أنا بخير. أنا بخير. ها أنا أنهض.»

«أي طريق نسلك؟ لا أستطيع رؤية شيء.»

«أوه يا إلهي... بام، لا أظن أنني أستطيع الوقوف، ضعني أرضاً، ضعني أرضاً...»

أدرك بام أن جاك كان يكابر ولا يقول الحقيقة سابقاً. كانت إصابته بالغة وكان يتألم أكثر مما كان يقول. اغرورقت عينا بام بالدموع. مسحهما وحدّق في اللاشيء عبر الظلام. ثم حدث شيء غريب: بدأت رقعة من السواد تتكسّر وتسقط، ليأتي مكانها مربع مضيء تعلّق مثل شاشة تلفاز في الظلام. واجه صعوبةً في معرفة ما تراه عيناه.

ضوء. رائحة دخان وغبار. ثم شكل رأس وكتفين. صوت.

«بام؟»

«إد؟ أهذا أنت يا إد؟»

شعّ مصباح فحجب بام عينيه.

«سمعتك تصرخ»، كان صوت إدّ بكل تأكيد، «كنتُ أبحث في كل مكان. تعال بهذا الاتجاه، سأمرر لك مصباحاً. هل تأذى جاك؟»

«قليلاً»، قال جاك ساخراً.

«في الانفجار؟»

«لا»، قال بام وهو يتقدم نحو فتحة صغيرة ويأخذ المصباح من إد، «لقد أطلقتُ النار عليه. ظننتُه موبوءاً.»

شتم إد وقال: «يجب أن نُخرجك من هنا بسرعة. لنرَ إن كنا نستطيع إبعاد المزيد من جدار الركام هذا.»

بدأ بام يعمل من جانب وإد من الآخر، يزيحان قطع الإسمنت حتى صنعا فتحة تكفي لمرور بام من خلالها. رفع إد مصباحه ليضيء طريق عودة بام إلى جاك. تبيّن لبام أنهم عالقون في مكان يشبه قاعة رياضة تحت الأرض. انهار جزء من السقف وكان هناك عدد من الجثث عند الطرف.

عاد إلى جاك، شتم عندما رأى حالة صديقه. كانت يده اليسرى بكاملها مخضّبة بالدماء والغبار. كان قميصه وسترته ممزقين. أنّ بام بينما كان يحاول رفعه على قدميه وجرّه نحو الفتحة. ساعدهما إد في الخروج إلى رواق عند الجانب الآخر. كان الدخان ولهيب النيران في كل مكان. كان هيكل المبنى قد تأذى كثيراً. صدوع كبيرة ارتسمت على الجدران، وتساقطت قطع كبيرة من الإسمنت.

أمسك بام وإد صديقهما من تحت كتفيه، وشق الثلاثة طريقهم نحو السلالم التي تؤدي إلى الطبقة الأرضية. شتم جاك. كان بام يشعر بالذنب، أما إد فكان مسروراً أن ثلاثتهم لا يزالون على قيد الحياة.

« لم أسقط إلى الأسفل»، شرح وهم يخرجون نحو المدرج عبر بعض أبواب الزجاج المحطمة. كان شعوراً مريحاً أن يخرجوا من المبنى، رغم أن الهواء في الخارج لم يكن أنقى، «لقد رماني الانفجار من الملعب إلى المدرجات»، تابع إد، «لا أعرف كم مضى عليّ من الوقت وأنا فاقد للوعي، لكن عندما استطعت النهوض أدركت أن لا بد أنكما مدفونان في مكان ما تحت الأرض. تدبّرت أمري في الخروج والعثور على هذا المصباح في سيارة إسعاف. الوضع جنوني، المكان كله يشتعل، لكن على الأقل تخلصنا من الموبوئين.»

«لحسن حظنا أنك سمعتنا نصرخ»، قال بام.

«نعم، عندما عدتُ إلى هنا ظننت أن ليس هناك أمل»، قال إد، «نزلت إلى الطابق تحت الأرض وكان المكان منهاراً. ثم سمعتُ صوت طلقة. لم أصدّق ما سمعت. عندما بدأت بالصراخ عرفت مكانكما على الفور.»

كانوا يعبرون المدرج نحو البوابات الرئيسية التي دخلوا منها عند مجيئهم. سمعوا صوت صرير ثم هدير من المبنى.

«إنه ينهار»، قال إد، «علينا أن نبتعد عن هذا المكان، حينها سنعالج أمرك يا جاك.»

«أنا بخير»، أصرّ جاك، «حالتي ليست سيئة بقدر ما تبدو عليه.»

«آمل ذلك. لأنك تبدو في حالة رهيبة.»

تصاعدت دوامات من الدخان الأسود الذي اختلط به الرماد والجمر من حول آليات الأمن وفاحت رائحة كريهة من النيران. كان اللحم المحترق والدهن المتّقد يختلطان بالرائحة النتنة الخانقة للشعر والعظام المحترقة، إضافةً إلى رائحة كل البلاستيك ومواد البناء والكيماويات التي سمّمت الجو. كان جاك وبام قد فقدا قناعيهما حين الانفجار، فتوقف إدّ قليلاً ليعطيهما قناعين جديدين من حقيبته. تابعوا سيرهم بصعوبة وجهد، تارةً يحملان جاك وأخرى يجرّانه. كان على إدّ التخلي عن بندقيته، فقد تضررت خلال الانفجار – انقسمت الحربة إلى جزئين – وكان من الصعب حملها وحمل جاك في الوقت نفسه. كان بام يعرج كثيراً. أُصيبت رجله إصابة بالغة. كان جاك يئنّ ويتذمّر وهما يجرانه.

خرجوا إلى الطريق الرئيسي ومنه اتجهوا إلى جنوب – شرق، نحو كلافام. خلفهم، ارتفع عامود من الدخان من الملعب البيضاوي المدمّر. استعرت النيران وتصاعدت في السماء كأنها تحاول الهرب. تغطت المباني المحيطة بطبقة من السخام والرماد. كان دوي الانهيار واشتعال النيران يصم الآذان. لم يكن الفتيان قد ابتعدوا كثيراً عندما انفجرت أولى الآليات المتواجدة أمام الملعب.

«يبدو أننا غادرنا المكان في الوقت المناسب»، قال إد وهو ينظر خلفه نحو الدمار، «علينا مواصلة السير.»

مشوا طريقاً طويلة قبل أن يتأكد إد أن التوقف بات آمناً، فدخلوا أحد المباني المخصص للمكاتب. فكروا أنه سيكون من الأسهل والأفضل أن يعالجوا أمر جاك هنا بدلاً من الشوارع. لم يكن هناك أي أثر للموبوئين. كان المكان نظيفاً وجافاً وهادئاً. في مدخل الاستقبال وجدوا صوفا من الجلد الأسود. أجلسا جاك عليها، ونزع إد حقيبته عن ظهره.

بدا جاك في حالة مروّعة. كان لونه أبيض مما جعل وحمته تبرز أكثر، وكانت ملابسه الممزقة مخضّبة بالدماء.

«يجب أن نلقي نظرة عن كثب على إصابتك»، قال إد.

«أظن أنها إصابة سطحية»، قال جاك، «لا بد أنها كذلك وإلا لَم توقف الألم؟»

«وإن يكن. ما زلت تنزف دماً كثيراً.»

فكّ إد أزرار معطف جاك ثم وضعه يديه على أزرار قميصه لكنّ جاك منعه وأبعد يده، وقال:

«لا تفعل يا إد. دع الأمر. أفضّل ألا أعرف.»

«إذا كنتَ لا تريد أن تنظر فلا تفعل. لكن علينا أن نضمد جرحك على الأقل.»

فكّر جاك في الأمر وهو يعضّ على شفتيه. «حسناً»، قال وهو يشيح بنظره بعيداً.

فكّ إدّ قميص جاك وطواه إلى الخلف.

«أوه، يا للهول جاك. هذا لا يبدو جيداً.»

كان جانب جاك الأيسر مغطّى بالعلامات الحمراء التي بدأت من صدره وصولاً إلى بنطاله. بعضها كان مجرّد خدوش دامية وبعضها ثقوب عميقة.

«هناك رصاصة على الأرجح»، قال بام وهو ينظر إلى الثقوب التي يسيل منها الدم على جلد جاك الشاحب، «إذا لم نُخرج تلك الرصاصة فستصاب بالالتهاب يا صديقي.»

«أيمكننا إخراجها؟» سأل جاك.

«لا أعرف»، هز بام كتفيه، «لا أعرف يا جاك. لا أعرف مدى عمقها. لستُ طبيباً.»

«انتهى أمري إذاً.»

«علينا أن نوصلك إلى المتحف»، قال بام، «قد يعرف أحدهم هناك ما يجدر فعله.»

«لا»، قال جاك بغضب، «كم مرة عليّ أن أخبركما أنني ذاهب إلى المنزل؟ انظرا، ما هذا؟»

كانت يد جاك تقبض على شيء يتدلى من رقبته في علاّقة جلدية قديمة.

«إنه مفتاح»، قال بام.

«بالضبط»، قال جاك، «كي أكون دقيقاً، إنه مفتاح الباب الأمامي لمنزلي. احتفظت به معي من البداية. كنتُ أعرف دائماً أنني سأعود يوماً إلى المنزل وأنني سأدخل من الباب الأمامي. لا أعرف لَم رافقتماني من البداية. كل ما تحاولان فعله هو إقناعي بالعودة. أنتما ستفعلان أي شيء لمنعي من العودة إلى المنزل، أليس كذلك؟ حتى إطلاق النار عليّ!»

«كان حادثاً.»

«أعرف أنه كان حادثاً يا بام. كنتُ أمزح.»

«لكن بام على حق»، قال إد، «لقد أحضرتُ بعض الأشياء من سيارة الإسعاف، لكن ستكون حالك أفضل في المتحف.»

«منزلي أقرب»، قال جاك بعنف، «ولا أظن أنني أستطيع السير مسافة طويلة في هذه الحالة. نظفا الجرح، ضمّداه وخذاني إلى المنزل. سنجد هناك كل ما لا نملكه، من ملاقط، مشارط، وكل ما نحتاج. بعدها سنعالج الإصابة بطريقة صحيحة. اتفقنا؟»

«حسناً، كما تريد. سنفعل ذلك»، قال إد وهو يفرغ مجموعته الطبية، «لكنك وغد عنيد جاك.»

«بالضبط. عنيد جداً حتى الموت! جاك الحديدي، الرجل ذو الدرع الحديدية»، ابتسم لهما ابتسامة متألمة ثم أغمض عينيه قبل أن يجهش بالبكاء.



كانوا يمشون منذ ساعة، على طريق واسع جداً ومستقيم جداً وكئيب جداً. عبروا موكباً لا نهاية له من المحال والمتاجر الصغيرة. احتاجوا لقطع تلك المسافة ضعف الوقت المعتاد. كان سير جاك يزداد بطئاً أكثر فأكثر. كانت جراحه قد ضُمِّدت وعُقِّمت بالمطهرات، لكن الدم لم يتوقف عن النزف من خلال الضمادات الداكنة. وها هو الآن قد أصبحت حركته أبطأ والألم أقوى مع انخفاض مستوى الأدرينالين. تناول بعض المسكِّنات. لم تأتِ بنتيجة فعالة وكان مزاجه قد أصبح أسودَ سوادَ غيمة الدخان المعلَّقة فوقَ جنوب لندن. كان يعرف أن فرصة إخراج الرصاصة وعدم حدوث أي عوارض جانبية ضئيلة جداً. إذا بقيت داخله لن يلتئم الجرح كما يجب. كان البقاء على قيد الحياة وهو بصحة جيدة أمراً صعباً، فكيف وهو بهذه الحال...

لم يرد أن يفكر بالأمر، لكن لم يستطع منع نفسه. مهما حاول التفكير بشيء آخر كانت تعود به الأفكار إلى هذه الفكرة تحديداً: الضوء الوامض، الألم اللاذع، الضربة في بطنه. أدرك حينها أن كل شيء قد تغير.

بذل بام وإد ما بوسعهما للإبقاء على روح معنوية عالية، لكن ذلك أزعجه بقدر ما أفاده. بام كان أكثر ما أزعجه. عرف جاك أنه لا يجدر به لومه على ما حصل. كانت مجرد حادثة. لكن رغم ذلك... لو لم تحدث فحسب. لو يستطيع العودة بالوقت. لو أنه صرخ منادياً بام. كان بإمكان بام مناداته. لو أن بام صوب في اتجاه اليمين. لو، لو، لو...

قلب المشهد في رأسه مراراً وتكرراً وأتى في كل مرة بنتائج مختلفة، لكن ذلك لم يحدث أي فارق. الواقع هو أنه كان مصاب برصاصة وينزف الكثير من الدم. كانت يداه ورجلاه قد بدأت تتجمّد. أحسّ بدبابيس تنخز وجهه. كان يشعر بالضعف والوهن والدوار والعطش. كانوا قد حملوا مياهَ معهم، فكانوا يتوقفون كل بضعة أمتار حتى يشرب القليل منه. لكن مهما كانت الكمية التي يشربها لم يستطع ريّ ذلك الظمأ القوي.

ها هم عند أبواب كلافام. يكاد يصل إلى بيته، لكن إن تعرضوا للهجوم مجدداً فلن يتمكن من فعل الكثير.

«سلاحي!»، قال، «أين سلاحي؟ سلاحي الرشاش؟»

«لا بد أنك فقدته خلال الانفجار»، قال إد.

«لَم لم تقل شيئاً؟ لَم لم تحضر لي واحداً آخر؟»

«لقد فعلت.»

«ماذا؟»

«عندما ذهبت بحثاً عن مصباح أحضرت مسدساً آخر.»

«ليس سلاح رشاش؟»

«واجه الأمر يا جاك، أنت لم تعرف كيفية استخدامه، صحيح؟ كنت خطراً علينا أكثر منه على الموبوئين.»

«كنتُ تعلمت، تمرّنت.»

«حقاً؟ وكم عدد الرصاصات التي كانت ستبقى لديك عندما تنتهي؟ الأسلحة أدوات جيدة لكن لا فائدة منها من دون ذخيرة. المسدسات أسهل استخداماً وأكثر أمناً، كما أن الذخيرة لا تنفد بسرعة. عثرت على بعض الأمشاط أيضاً. جميعها في حقيبتي. عندما تصبح أقوى سأعطيك واحداً.»

«أعطني إياه الآن. أعطني المسدس.»

«إنه ثقيل جداً يا جاك. كيف ستحمله؟ إذا حاولت أن تضعه في حزامك فستقتل نفسك.»

«معك حق...»، لان صوت جاك، «شكراً إد. لقد أبليتَ بلاءً حسناً

هناك. لكن ذلك السلاح الرشاش كان رائعاً. كل تلك الأسلحة خارج الملعب... احترقت كلها. كم هذا مأساوي.»

«يمكنك الحصول على بندقيتي إن أردتَ يا صديقي»، قال بام.

«لا أريد أن أرى تلك البندقية اللعينة مجدداً ما دمتُ حياً.»

«آسف.»

«كفّ عن الاعتذار، فذلك يزيد الأمور سوءاً.»

«آسف.»

«اللعنة عليك يا بام.»

توقفوا ليأخذ جاك رشفة ماء أخرى وليلتقط أنفاسه. كان ظهر إد متشنّجاً من حمل جاك من تحت إبطيه.

«كم المسافة الباقية؟» سأل. لم يروا أحداً منذ مغادرتهم الملعب، وكأن يأمل أن ينقلب هذا الحظ.

جلس جاك على مقدمة سيارة ونظر من حوله. كانوا عند محطة قطار أنفاق كلافام. أمامهم كانت المساحة الواسعة التابعة للمحطة. كانت تركض عبرها مجموعة من الكلاب النابحة، باستثناء ذلك لم تكن هناك أي إشارة للحياة.

«خمس دقائق فقط»، قال جاك، «ربما عشرة إن واصلنا السير ببطء. نكاد نصل.»

التفتوا خلفهم في الاتجاه الذي أتوا منه. كانت أعمدة الدخان من الملعب قد ارتفعت أميالاً في السماء وانتشرت لتختلط مع دخان نيران أكبر.

«لندن تحترق. لندن تحترق»، غنّى جاك بهدوء فضحك صديقاه. لم يكن شيئاً مضحكاً على الإطلاق، لكنّ ذلك أراح إد في أن جاك ما زال يستطيع ابتكار نكتة. منحه ذلك ومضة أمل صغيرة بأن الأمور ليست سيئة بقدر ما تبدو عليه.

كان يبحث عن شيء مضحك ليخبر نفسه به عندما لاحظ حركة على مسافة منهم.

لحسن الحظ كان بام لا يزال يحمل منظاره حول رقبته.

«بام، تفحص المكان بمنظارك»، أشار إد نحو آخر الطريق، «أظن أن أحدهم يتحرك هناك، خلف الإشارات الضوئية.»

رفع بام المنظار إلى عينيه وتفحّص المكان.

«لا... لا أرى شيئاً. أوه، لحظة واحدة. نعم، أظنني أرى رجلاً، واحداً فقط، يحمل شيئاً. لكنه توارى عن الأنظار. لكنه على مسافة بعيدة في مطلق الأحوال. لا أظن أن هناك داعياً للقلق بشأنه إذا واصلنا سيرنا.»

«أمتأكد من أنه كان رجلاً واحداً فقط؟»

«حسناً، رأيتُ واحداً، لكن هذا لا يعني شيئاً. يتجولون عادةً في مجموعات، صحيح؟ أقصد، علينا أن نُسرع من سيرنا قليلاً.»

رفعا جاك على رجليه واستداروا في الاتجاه الذي كانوا يسلكونه.

أطلق جاك شتيمة بذيئة جداً وتمايل بين أيديهما.

كان هناك حوالى خمسة عشر موبوءاً قادمين في اتجاههم. كانوا معظمهم آباء، من بينهم ثلاث أو أربع أمهات بحالة مزرية. كانوا قد اقتربوا بينما كان الأولاد منشغلين في نقاشهم.

إنهم قريبون جداً.

رفع بام وإد صديقهما بسرعة وسلكوا طريقاً فرعياً في محاولة للهرب.

«لا يمكننا التغلب عليهم»، شهق جاك، «ستقتلانني. أعطني مسدسي يا إد.»

«لا يمكننا قتالهم جميعاً»، قال إد، «ليس في حالتك هذه.»

نظر إلى الخلف. كان الموبوءون يتقدمون نحوهم بشكل أسرع وبخطى ثابتة أكثر.

«هيا يا بام!» حاولوا زيادة سرعتهم، لكن لا فائدة. صرخ جاك من الألم.

«توقفا! توقفا! أعطني المسدس فحسب.»

«إنه في حقيبتي.»

«أعطني مسدسك إذاً. أنا ضعيف جداً كي أستخدم سيفي.»

«جاك، أنت أضعف من أن تفعل أي شيء.»

«أعطني المسدس!»

«حسناً.»

توقفا وأسندا جاك إلى سيارة.

نزع إد المسدس من الحزام الذي لفّ خاصرته وأعطاه لجاك. استدار بام، رافعاً بندقيته. لم يفكر في إعادة تلقيمها منذ إطلاق النار على جاك في الملعب – كان مشتت الانتباه كثيراً – لكنه كان متأكداً من أنه لا يزال يملك رصاصة واحدة. صوّب بندقيته، ضغط على الزناد وشعر بالبندقية تدقّ كتفه المتألمة.

سقط الأب الذي يقود المجموعة صريعاً.

كان جاك مستعداً الآن. صوّب المسدس وأطلق النار. أرسل المسدس موجة من الألم عبر ذراعه وتأرجح في يده. لم تصب الرصاصة هدفها.

بحث بام في جيب سترته عن المزيد من الرصاص واكتشف، في رعب، أنه لم يكن يملك سوى رصاصة واحدة فقط.

انزلق جاك على جانب السيارة واتّكأ بظهره إليها. أمسك هذه المرة المسدس بثبات بين قبضتيه وأطلق رصاصتين متعاقبتين. سقط الموبوء الثاني.

فتح بام بندقيته ولقّم الرصاصة الأخيرة وأطلق مجدداً. سقط أب ثالث.

أصبح من دون ذخيرة وواصل الموبوءون تقدمهم.

تراجع إد إلى الخلف والموبوءون يتقدمون، حتى أصبح خلف جاك وبام. راقب أماً تُمسك بجاك الذي حاول بوهن ضربها بمسدسه. اندفع بام نحو الباقين وهو يُطلق صرخة المحارب، بندقيته بين يديه مستخدماً إياها كمضرب. ضرب ثلاثة موبوئين بعنف، مندفعاً نحو الرابع ليسقطه أرضاً أيضاً. تابع هجومه عبر المجموعة حتى تخطاها. عاد وشنّ هجوماً آخر، مخترقاً صف الموبوئين مثل ثور هائج.

لم يكن إد يعرف ماذا عليه فعله. لقد حدث كل شيء بسرعة. ظهر الموبوءون من العدم. للحظات وقف هناك غير قادر على الحراك. انضمّ أب إلى تلك الأم التي هاجمت جاك. كانا يمسكان به ويجرّانه بعيداً. كان أوهن من أن يقاوم.

كان بام قد صار محاصراً، يحاول الوقوف وعلى ظهره ثلاثة موبوئين.

أغمض إد عينيه. فجأةً، كأن شيئاً انكسر في داخله، كأنّ سلكاً اشتد حوله أكثر فأكثر وانفكّ أخيراً. اجتاحه هدوء لا يوصف. فراغ.

فتح عينيه.

«لا»، قال بهدوء، ثم أقوى، «لا.»

صرخ أخيراً: «لا!» وهاجم الموبوئَين اللذين كانا يمسكان بجاك. دفع الأم بعيداً وركل الأب في معدته ثم لكمه في أنفه لينشقّ في وجهه الموبوء والمتقرّح. لم يتوقف. التقط المسدس المرمي أرضاً وسحب جاك سريعاً خلف سيارة صغيرة. مال إلى الأمام، تأكد من أن جاك لا يزال واعياً، ووضع المسدس بين يده وأمسك بمقبض السيف.

«أحتاج إلى هذا»، قال وهو يستله من غمده.

حين استقام واقفاً هاجمه الأب ذو الأنف المكسور بذراعين مفتوحتين. أرجح إد السيف بعنف فتناثر الدم في كل مكان. كانت إحدى الأمهات خلفه مباشرة. مجدداً أرجح إد السيف. أطلقت الأم هسيساً وسقطت أرضاً على ركبتيها، وقد وضعت يديها على وجهها الدامي.

استطاع إد سماع صوت ذعر، حماسيٍّ، عالي النبرة، غاضبٍ، مثل طير جائع يهاجم فريسته.

أدرك أنه هو من كان يصدر تلك الأصوات. كان يشتهي الدماء، يجتاحه جنون القتل. لم يعد يفكر بما يفعل. لم يعد يفكر بأي شيء على الإطلاق. أصبح حيواناً مسعوراً. في الخارج كان هذا الوحش الذي يصرخ مهتاجاً، وفي الداخل كان هناك ذلك الفتى الهادئ الغريب، وكأنه أصبح شخصين، واحد يتصرف وآخر يراقب.

شعر بطريقة ما أنه لن يعود كما كان. كان السيف يرتفع ويهبط، يرتفع ويهبط، يومض بينما يشطر الهواء.

تقدم نحوه أب يمشي بحركة بطيئة، فغرز إد السيف في بطنه. غزر النصل في أعماق اللحم فعلق. حاول إد سحبه لكن الأب وقع جانباً فأفلت من بين يديه.

إد لم يتوقف. هرع نحو بام وأمسك بالأم المهاجمة من شعرها. رماها بقوة إلى الخلف وتابع هجومه. ركل، لكم، زمجر، أمسك بهم واحداً تلو الآخر، دفعهم في كل حدب وصوب. وقف بام أخيراً، مجروحاً ودامياً لكن في حالة لا بأس بها. متشجّعاً بجهود إد، هاجم مجدداً، موقعاً الموبوئين واحداً تلو الآخر.

سمع إد طلقة نارية. كان جاك يصدّ هجوماً آخر. لا بد أن الموبوئين تنبهوا إلى كونه وحيداً وأنه الهدف الأسهل. هاجم إدّ أماً سمينة كانت تحاول القبض على جاك. أمسك بها من وجهها فحفرت أصابعه في جروحها. كانت بشرتها سميكة من الدمامل، وسال القيح والدم حتى رقبتها، تلوّت ثم سقطت أرضاً.

أطلق جاك النار على أب كان يقترب من إد الذي رمى أماً بالقرب من سيارة كبيرة. عاد إلى حيث كان السيف في بطن الموبوء، وتمكّن أخيراً من سحبه.

استدار شاهراً سيفه...

لكن كان كل شيء قد انتهى.

كان قد بقي ثلاثة موبوئين، أبوان وراشد. نظروا إلى تلك المذبحة فما كان أمامهم إلا أن لاذوا بالفرار. وبينما كانوا ينسحبون مهزومين زحف جاك من خلف السيارة وأطلق ثلاث رصاصات مُسقطاً المراهق صريعاً.

وقف بام هناك، يسخر من الأبوين وهما ينسحبان. كان مرهقاً، ملابسه ممزقة وملطخة بالدماء، لكن بدت على وجهه نظرة فرح مجنونة.

«ابتعدوا من هنا أيها الموبوءون العاجزون!»، صرخ، «لا يمكنكم التغلب علينا! نحن ملوك عليكم. نحو ملوك الشوارع!»

هلّل إد وابتسم لبام الذي كان يرقص رقصة الانتصار في الحرب.

«كان ذلك سهلاً»، قال إد، الثمل من الفرح والراحة.

توقف بام عن الرقص وأراح يديه على ركبتيه، وهو يضحك بجنون.

«تعال وساعدني على حمل جاك»، قال إد.

«حسناً»، استقام بام، وحينها رأى أباً يخرج من خلف سياج حديقة أمامية. كل ما رآه إد كان وميضاً حين أرجح الأب ذراعه نحو مؤخرة رأس بام.

صرخ بام ووقع على الرصيف على وجهه.

كان غريغ.

كان يحمل ساطور ذبح في يد وحزمة كبيرة تحت ذارعه الأخرى. كانت البثور تغزو وجهه، وارتسمت حول فمه حلقة من التقرّحات الدامية. كانت تلمع في عينيه نظرة غاضب، وكان فاقداً لعقله.

تقدم خطوة نحو إد.

«ابتعد عن الطريق!» صرخ جاك فاندفع إد غريزياً جانباً.

صوب جاك مسدسه وضغط على الزناد أربع مرات.

خرجت أربع طقطقات واهية، وكأنه مسدس دمية، لا شيء أكثر.

«إد!»، صرخ جاك، «أحتاج إلى المزيد من الرصاص!»

«جميعها في حقيبتي»، رد إد، لكن حتى وهو يقولها كان يعرف أن لا وقت لإحضارها. كان غريغ يسير نحوه بسرعة، خطواته واسعة، يؤرجح الساطور أمامه بحركات عنيفة.

تنبّه إد إلى أنه لا يزال يحمل السيف. هاجم غريغ لكنه أخفق في تقدير المسافة. كشط طرفه صدر إد، فتمزقت سترته وقميصه ولم تُسبب أذىً حقيقياً لصدره.

غريغ لم يتوقف. تابع تقدمه.

ضرب بعنف نحو إد. حين قفز الفتى إلى الخلف أحسّ بالساطور يحفّ جانب خده.

اجتاحه فجأةً شعور غريب بالدوار. أحسّ بالسخونة على خده وبألم حاد مثل لسعة دبور. رفع يده إلى وجهه. كان مخضّباً بالدماء التي سالتْ على ذقنه وعلى سترته.

شعر إد بالغضب يعتريه، يملأ الفراغ في داخله. تحرّك وشنّ هجوماً

آخر. إما أنه الحظ أو نوع من رد الفعل العشوائي، لكنّ غريغ تمكّن من رفع ساطوره في الوقت المناسب. تلاقى السيف والساطور بقعقعة، فاهتزت ذراع إد. انكسر السيف لكنه أوقع الساطور أرضاً.

إد لم ينتظر. رمى السيف المكسور من يده وهاجم غريغ. كانَ الأمر أشبه بالاندفاع نحو جدار صلب. ردّ غريغ هجوم إد. بطريقة ما تمكّن من الوصول إلى معصم اليد التي كانت تمسك بالساطور. لم يبدُ أن غريغ يريد إفلات ذلك الشيء الذي كان يحمله تحت إبط ذراعه الأخرى. لذا عمد إد إلى مهاجمة رقبته.

كانت رائحة غريغ عن قرب مقززة. كان جسده حاراً ورطباً. كانت رائحة أنفاسه مثل رائحة مذبح حيوانات. كان يتنفّس من خلال فمه، ووكان يسيل على شفتيه لعاب وردي اللون.

ربما كان مريضاً لكنه كان لا يزال أقوى من إد الذي خفّف من قبضته على معصم غريغ.

انضم جاك إليه محاولاً نزع الساطور.

«لا يا جاك!»، صرخ إد، «أنت مصاب. يمكنني فعل ذلك.»

«لا بأس»، قال جاك.

أفلت غريغ معصمه من قبضة إد وتأرجح الساطور. لهث جاك وسقط إلى الخلف، أما غريغ ففقد توازنه. أفلت إد رقبته ولكم قصبة غريغ الهوائية. سعل غريغ وتلوّى، موقعاً سلاحه أرضاً. تعثر إلى الخلف بخطوات صغيرة، فسارع إد لالتقاط الساطور.

التفّت أصابعه حول المقبض الزلق واستدار ليواجه غريغ.

كان يقف هناك، يحاول التنفس. كان هدفاً سهلاً.

لم يرد إد أن يفكر مرتين. كانت الرغبة في القتل تجتاحه مجدداً. تحرك نحوه...

ثم رأى ما كان غريغ يحمل تحت إبطه، ذلك الشيء الذي بدا كحزمة من الملابس التي يحملها الرحّل.

لكنها لم تكن كذلك. كانت جثة صغيرة.

«ليام؟» نطق إد.

بدأ أن تغيراً ما طرأ على غريغ فجأةً. زال الجنون وللحظة عاد بشرياً مجدداً. نظر إلى أسفل، نحو وجه ابنه المجعّد والبنفسجي وصرخ في رعب.

ثم نظر إلى إد، هزّ رأسه وركض عبر الطريق نحو المحطة.

ركض إد بضع خطوات خلفه، ثم توقف. أراد أن يتبعه، أن يُنهي الأمر، لكنه لا يستطيع ترك صديقيه. قد يكون هناك موبوءون آخرون في المكان.

عاد إليهما. كان جاك أرضاً، متكوراً مثل كرة، يُمسك بمعدته. لكن حمداً لله، كان لا يزال على قيد الحياة. ركع إد بالقرب منه ووضع يده عليه.

«جاك؟»

«لقد جرحني يا إد. لقد جرحني جرحاً عميقاً.»

«سآخذك إلى المنزل.»

«لا تقلق»، أنّ جاك، «أنا أعند من أن أموت، أتذكر؟ لكن كيف حال ذلك الأحمق الكبير بام؟ هل هو بخير؟ أريد أن أقول له إنني لا ألومه. لم تكن غلطته.»

ذهب إد إلى بام. لم يكن وضعه جيداً. كان في حالة مزرية. لم تكن هناك نهاية سعيدة في قتالهم هذه المرة. لم يكن هناك من يعتني بهم. هناك فقط البؤس والمعاناة. ومن أجل ماذا؟ الطيبون يموتون مثل السيئين.

كان ساطور غريغ قد فتح جمجمة بام من الخلف.

لقد فارق الحياة.

جلس إد في وسط الطريق وبكى.



كان جاك فاقداً الوعي. كان وزنه ثقيلاً بقدر وزن شخصين، وبالكاد استطاع إد السير وهو يترنح على طول الطريق وصديقه على كتفه. رأى أن الحل الأفضل هو معالجة جراح جاك عند وصولهما آمنين إلى منزله. كان البقاء في الشارع خطراً جداً. سيحلّ الظلام قريباً وحينها سيخرج الموبوءون من مخابئهم بحثاً عن الطعام. كان الأمر جيداً في البداية. استطاع إد تشجيع جاك للوقوف على قدميه، واعداً إياه بين الحين والآخر بالوصول الآمن إلى منزله، مطمئناً، مشجعاً، حتى مشى جاك أخيراً.

كان في حالة من الفرح المعقول عند انطلاقهما. كان قادراً على التكلم، رغم تفوهه بكلمات خرقاء وواهنة. استطاع على الأقل رفع نفسه، لكن بعد وقت قصير بدأ يتعب ويرتبك حتى انهار على إد. أصبح إد يجرّه جرّاً على طول الطريق. حاول صفعه والصراخ عليه كما يفعلون في الأفلام، لكن لم يبدُ أن ذلك سيأتي بفائدة. لحسن الحظ أن جاك أعطاه قبل انطلاقهما الاتجاهات الصحيحة وعنوان المنزل، لكن بدا أن الرحلة لا تنتهي أبداً.

كان إد خائفاً جداً.

كانت ملابس جاك مبقّعة بالأسود من النزيف، وبدأت تفوح من جراحه رائحة كريهة. كانت يد إد التي تلفّ صدره تنزلق من الدم. كان قلقاً من أن حمله بهذه الطريقة قد يزيد من فتح جرحه، لكن لم يكن لديه أي خيار.

إذا تعرضا للهجوم الآن، كان يشك في أنه سيتمكن من فعل الكثير للدفاع عن صديقه. أعاد تلقيم مسدسه الذي كان يتدلى في يده الأخرى،

ليصبح أثقل مع كل خطوة جديدة. أراد أن يعيده إلى قرابه في الحزام أو رميه جانباً لكنه كان يعلم أن عليه حمله، فهو الشيء الوحيد الذي يقف بينه وبين الموت.

وصل إلى تقاطع وتفقّد أسماء الشوارع.

حمداً لله.

لقد وصلا أخيراً. شارع إنكليزي نموذجي، تراصّت على جوانبه منازل ذات أسقف مدبّبة، بشرفات طُليت بالأبيض، وحدائق أمامية صغيرة خلف جدران حجرية منخفضة.

«هيا يا جاك»، قال لاهثاً، «ساعدني. تكاد تصل إلى المنزل. حاول أن تمشي، اتفقنا؟»

بعدما أصبح المنزل قريباً بهذا القدر، أحس إد بالتعب أكثر من أي وقت مضى. كانت خطواته الأخيرة ستكون الأصعب. لو أن جاك يستيقظ ويساعده.

«انظر، هذا شارعك»، قال، «منزلك أمامنا... هيا، لستُ متأكداً من أنني أستطيع فعل هذا وحدي... جاك، امشِ، أرجوك أن تمشي، لا تستسلم. سيكونون جميعاً في انتظارك. أخواتك، والدتك ووالدك، جميعهم هناك. يمكنني رؤيتهم عند الباب، يلوّحون، ينادونك، هيا جاك، افعل ذلك من أجلهم.»

لا بدّ أن شيئاً ما داخل دماغ جاك كان يعمل، لأنه تأوّه وأحس إدّ به يتلوّى بين ذراعيه. لم يعد يجرّ قدميه. بحث عن موطئ لهما، خطا خطوة، ثم أخرى. كان ضعيفاً وغير متوازن لكنه بدأ يمشي مجدداً.

ضحك إد وبكى في الوقت نفسه.

«أحسنت. هيا جاك، هيا.» تفحّص أرقام المنازل التي مرّا من جانبها. 61، 63، 65، 67... ثلاثون منزلاً آخر. لا، أقل، لأن المنازل كانت مرقّمة بأعداد فردية عند هذا الجانب من الشارع. خمسة عشر منزلاً، أربعة عشر...

نظر إلى جاك. كانت عيناه مفتوحتين، تتحركان بسرعة في وجهه، لكنه كان يحاول التركيز. لقد ميّز الشارع.

«أترى»، قال إد، «قلتُ لك سأوصلك إلى المنزل. يمكنك التمدّد في سريرك مجدداً.»

43، 45، 47، 49...

كانا يسيران ببطء لا يُطاق، لكنهما كانا يتحركان على الأقل. كان إد قد نسي تماماً أمر إصابته، حيث جرحه غريغ بالساطور في وجهه. لم يكن هناك وقت لفعل أي شيء حياله سوى الضغط عليه بحزمة من المناديل الورقية. تذكره فقط حين رفع يده ليمسح العرق عن عينيه. أحس حينها بحزمة المحارم عالقة على الدم الجاف. حاول إزالتها لكن ألماً حاداً وخز رأسه.

قال لنفسه: «ليست إصابة خطرة مقارنةً بجراح جاك.»

31، 33 ،35...

وصلا أخيراً. تطلع إد نحو المنزل. يشبه المنازل الباقية. كل تلك السيارات التي رُكنت على طول الطريق تؤكد أنه شارع للأثرياء، رغم أن المنازل لم تكن كبيرة الحجم.

جرّ جاك حتى العتبات الأمامية وأجلسه عند الشرفة. تحسّس بلطف رقبة جاك ورفع القلادة. مررها من فوق رأس جاك وأدخل المفتاح في القفل. سمع طقطقةً. بدا كل شيء عادياً ومألوفاً جداً.

أعاد المفتاح إلى صدر جاك ثم انحنى ليرفعه. كان أصعب شيء فعله في حياته. لم يكن جاك يساعده، وإد كان على وشك الانهيار. أحس بأن ظهره سينكسر. بطريقة ما تمكن من رفع صديقه والعبور به من الباب الذي ركله بقدمه ليغلقه. كان المكان غير مضاء في ظل انقطاع الكهرباء وكان السخام يغطّي كل النوافذ. لكن كان هناك ضوء خفيف تبيّن من خلاله أن البيت لم يتعرّض للسطو أو التخريب. كانت رائحة عفونة خفيفة تفوح في المكان، لكن كان ذلك طبيعياً بالنسبة لإد، فهذه هي رائحة المنازل التي تُهجر لوقت طويل. اصطحبه والداه ذات مرة في عطلة الميلاد إلى أوستراليا لمدة شهر كاملة، وذلك لزيارة قريب لهم، وعندما عادوا إلى المنزل كانت الرائحة مماثلة للرائحة التي يشمّها الآن.

أزاح من وسط المدخل دراجة. وضع جاك على الصوفا في غرفة الجلوس وألقى نظرة سريعة على المكان. كانت هناك صورتان على رف الموقد لجاك وعائلته، واحدة كانت له ولأختيه والأخرى للعائلة كلها، يقفون بلباسهم الأنيق في حديقة كبيرة... ربما في زفاف. كان هناك جاك، يبدو خجولاً. لم يكن قط يحب أن يتصور. وهناك كانت والدته ووالده، تماماً كما يتذكرهما إد من المرات القليلة التي قابلهما فيها. كان والده يضع نظارة، كان أصلع قليلاً لكن وجهه كان لطيفاً وضاحكاً. أمه، الصغيرة الحجم والنحيفة، كانت تبدو متعبة وابتسامتها متوترة.

كلاهما ميتان الآن على الأرجح.

ماذا عن أختَي جاك؟ ما هي فرصة أن تكونا على قيد الحياة؟ ليس أخته الكبرى. هذا مؤكد. كانت في الرابعة عشر من عمرها قبل اجتياح الوباء. ليس من الضروري أن تكون ميتة، افترض. ربما موبوءة فحسب. وجهها الجميل مغطى بالدمامل، وبشرتها متقشرة...

اتجه إد إلى المطبخ. فتح الثلاجة: كان بداخلها كتل من العفن الأخضر والفطريات. فتش جميع خزائن المطبخ. لم يجد شيئاً باستثناء بعض القدور والمقالي والأطباق. لم يكن هناك ما يصلح للأكل.

في خزانة صغيرة أسفل السلالم وجد مماسح وفراش ومكنسة كهربائية، إضافةً إلى صندوق من الكرتون المقوّى خُبِّئ في الخلف، كان مليئاً بالمعلبات.

لا بد أن عائلة جاك قد خبأته هناك. سحبه إد، فتحه فشعّ وجهه فرحاً. دراق، طماطم، اسباغيتي، سجق، كرات لحم، حمص، فاصولياء عريضة. أدرك إد أنه يتضور جوعاً. لم يكن قد تناول شيئاً منذ الصباح. لقد غادروا الشاحنة بسرعة فلم يفكروا في أخذ طعام معهم.

فتح علبة من الدراق وشرب سائله بنهم قبل أن يضع قطعة من الفاكهة في فمه.

بمَ كان يفكر؟ هذا الطعام ليس طعامه.

هرع نحو جاك ليطلعه على الأخبار الجيدة. وجده عند الموقد، يحمل

صورة العائلة والدموع تسيل على خديه. لفّ إد ذراعه حول صديقه وضمّه، فضمّه جاك أيضاً.

«لَم يحدث هذا يا إد؟»

«لا تفكر في الأمر»، همس إد في أذنه، «لقد عثرتُ على بعض الطعام يا صديقي.»

ابتعد جاك بلطف، أومأ برأسه وابتسم. وضع إدّ قطعة من الدراق بين شفتي صديقه، فشعّ وجه جاك مثل طفل أعطي للتو قطعة من المثلجات. مضغها بوهن، فسال السائل وقطع من الدراق على ذقنه.

«أشعر وكأنني شخصية رسوم متحركة»، قال، «أتعرف تلك الشخصية، حيث تُصاب بطلقات نارية وتشرب كوباً من الماء فيتناثر عبر الثقوب.»

حاول أن يضحك لكن ذلك كان يؤلم كثيراً، فساعده إد على العودة إلى الصوفا.

«أحتاج إلى إلقاء نظرة أخرى على الجرح»، قال، «يجب أن أرى مدى عمقه وأضع بعض الضمادات عليه.»

«أين بام؟»

لم يعرف إد بما يجيب، هل يُخفي الخبر السيئ عن صديقه؟ بدا وجهه خالياً من أي تعبير.

في النهاية قال ببساطة: «بام ميت.»

قال جاك «أوه» وأغمض عينيه. كانت المحادثة قد أرهقته، لقد انتهى ذلك السباق.

رفع إد قميص صديقه، كان فزعاً مما سيرى. كان المشهد مروعاً. لقد قطع ساطور غريغ عبر الضمادات الأساسية تحت أضلاع جاك. كان من المستحيل أن يعرف مدى عمق الجرح من دون المخاطرة في لمسه وتفحّصه مما قد يزيد الوضع سوءاً. نظّف الجروح بالمطهر ثم بذل ما بوسعه لوضع الضمادات، لكنه لم يكن ممرضاً.

عندما انتهى أعطى جاك بعض الماء والمزيد من الدرّاق. بدا أنها تنعشه

قليلاً. استجمع القليل من قوّته وتكلم، لكنه لم يقل سوى كلمتين:
«غرفة النوم.»
«هيا إذاً.»

مرة أخرى أسند إد رفيقه على كتفه المتألم ومشيا بتثاقل عبر الغرفة، نحو الرواق مجدداً ثم إلى السلالم.

«أتظن أنك تستطيع الوصول إلى الأعلى؟» سأل إد. أومأ جاك إيجاباً وأمسك بالدرابزين.

صعدا، خطوةً تلو الخطوة، وجاك يضعف أكثر فأكثر. وصلا إلى الأعلى. كم استغرقا من الوقت؟ نصف ساعة؟ ساعة؟ لم يعد إد يحس بالوقت. كان لا يزال نهاراً في الخارج، لذا لا يمكن أن يكون الوقت متأخراً.

عندما وصلا إلى الطبقة العلوية كاد جاك يفقد الوعي مجدداً، فاضطر إد للبحث بين الغرف ليعرف أيّاً منها غرفة جاك. على باب إحدى الغرف عُلِّقت إشارة كُتب عليها «ابقَ خارجاً» إلى جانب رسم لجمجمة يسيل منها الدم. كم كان عمر جاك عندما علّقها على بابه؟لا بد أنها غرفة جاك. فهذا ليس نوع الإشارات التي تضعها الفتيات. لا بد أنه كان في سنّ العاشرة، وربما أقل. الأهل يحبون الحفاظ على الأشياء القديمة.

عبرا الرواق وصولاً إلى ذلك الباب، فتحه إدّ بقدمه. كانت طبقة رفيعة من الغبار تغطي كل شيء. باستثناء ذلك، بدا كل شيء على حاله.

كان هناك سرير صغير إلى جانب الجدار، فُرشت عليه ملاءة زرقاء. فوق السرير عُلِّق ملصق فيلم «كازينو رويال». كان جانب الملصق متدلياً، وعلق في طرفه لاصق أزرق. وضع إد جاك على السرير، ولاشعورياً أعاد لصق جانب الملصق على الحائط.

جلس بالقرب من جاك، وتفحّص الغرفة. كانت غرفة فتى نموذجية. كان هناك مقعد صغير ورف للكتب، معظمها كتب قديمة. كان جاك بعيداً عن منزله منذ دخوله مدرسة داخلية منذ بعض سنوات. من بين الكتب: هاري بوتر، أليكس رايدر، ميلفين بورغيس، روبرت ماتشامور. على الأرض،

كانت تقبع مجموعة من مجلات الرسوم الهزلية، «الزومبي الكسالى» في الأعلى. ميّز إد غلاف **كيف والكر**. لقد قرأ ذلك العدد. استمتع به. على جانبي الباب، الذي عُلِّق ملصق لليدي غاغا، كان هناك رف للجوائز بالقرب من النافذة، لرياضات كرة القدم، الكريكيت والسباحة، وحتى الترامبولين. وهناك – أحس إد بقلبه يتوقف بين أضلاعه – كانت صورة لإد وجاك، التُقطت بعدما فاز فريق المدرسة بمنافسة في كرة القدم في هولندا. وقف إد وسار نحوها ليلقِ نظرة عن كثب. يتذكر جيداً حين التُقطت لهما. كان ذلك منذ سنتين. كان كلاهما في سن الثانية عشر. كانا يبدوان صغيرين جداً، وكأن عمراً كاملاً قد مر. كان شعر إد طويلاً حينها، وبدا جاك سعيداً ومرتاحاً. كانا واقفين، يلفان ذراعيهما حول بعضهما بعضاً، يبتسمان مباشرةً لعدسة التصوير، غير قلقين من شيء في العالم.

بينما كان إد يمعن النظر في الصورة، لمح انعكاس وجه في زجاج الصورة فاستدار سريعاً في خوف، ظنناً منه أنه رأى وجه موبوء.

أحمق. أحمق جبان. لم يكن موبوءاً.

كانت هناك خزانة في الغرفة، عُلِّق على بابها مرآة. مشى نحوها، بالكاد يجرؤ على النظر.

لا عجب أنه ظن نفسه موبوءاً.

كان الفتى الذي يقف هناك ينظر إليه في حالة مزرية، مغطى بالدم، ووجهه شاحب ومبقع بالسخام والرماد. وقعت معظم المناديل الورقية عن خده، وبقيت بضع قصاصات سوداء جافة علقت في الجرح الذي جفّ معظمه باستثناء بعض الشقوق التي كانت لا تزال تنزّ دماً. كانت عينه اليسرى متورمة، وتكحلت عينه اليمنى بدائرة من اللون البنفسجي الداكن.

قد يكون الفتى ذو الوجه المرح الذي في الصورة شخصاً مختلفاً.

عاد للجلوس قرب جاك، الذي كان ممدداً على ظهره، عيناه مغمضتان، أنفاسه بطيئة وخفيفة. كان لون الملاءة من حوله يتغير إلى داكن بسبب الدم. كان يرتجف.

ثم تذكر إد شيئاً.

كان هناك صندوق ألعاب في الزاوية. رفع الغطاء وفتّش في داخله. كان مليئاً بقطع الليغو ودمى الجنود البلاستيكية الصغيرة من دون رؤوس وأذرع. كانت هناك أيضاً قطع من دمية بيونسيل وبعض أشكال المقاتلين الأخرى. في أسفل الصندوق كانت هناك بعض الحيوانات البلاستيكية. لكن لا دمى محشوة.

أغلق الغطاء ونظر من حوله في الغرفة. رأى صندوق كرتون ممزقاً على ظهر الخزانة. مدّ نفسه والتقطه، فتأوّه من ألم كتفيه.

كان مليئاً بالألعاب المحشوة – بطة، بقرة، ثلاثة دببة، أفعى – وهناك... كلب ذو أذنين عريضتين وابتسامة سخيفة. تآكلت إحدى أذنيه فبقي القليل منها.

الكلب فلوبي.

حمله إلى جاك ووضعه بين يديه. في الحال وجدت أصابع جاك الأذن المتآكلة وبدأت تمسّدها.

استلقى إد بالقرب من صديقه ولفّ ذراعه حوله. كان جاك بارداً جداً، لا يتحرك.

«هل أنت مستيقظ؟»

«نعم»، همس جاك، بالكاد يخرج منه الصوت.

«أنت في المنزل يا صديقي»، قال إد، «في سريرك الخاص.»

«أعرف. هذا جيد. ما من مكان مثل سريرك الخاص، صحيح؟ لم أعد أشعر بالألم. أظن أنني أتحسن.»

«نعم.»

«عندما كنتُ صغيراً... أتمنى لو أعود صغيراً مجدداً...»، كان جاك يتكلم بصعوبة، «في المدرسة الابتدائية لم يكن هناك شيء مهم. كل شيء كان سهلاً. لم يكن هناك ما أقلق بشأنه باستثناء عندما اضطررت أن أدرس بجد من أجل امتحان الدخول إلى روهارست، لكن حتى ذلك... يبدو أننا حين

نكبر في السن يصبح هناك الكثير الكثير لنقلق بشأنه. أتمنى لو أنني في المنزل مع أمي.»

«أنت في المنزل يا جاك.»

«أوه نعم...»، فتح جاك عينيه ونظر إلى لعبته القديمة، «أوه، الكلب فلوبي»، قال ثم أغمض عينيه مجدداً، «هل انتهى كل شيء يا إد؟ هل حلّ الأمان؟»

«نعم. أنت في أمان يا صديقي. سنكون في أمان الآن. سنستيقظ صباحاً ونتناول الفطور، ثم سنذهب إلى المحال التجارية... ربما تفتح أبوابها مجدداً. ثم...»

«لا بأس يا إد. لستَ مضطراً لفعل ذلك.»

«حسناً.»

«أتعرف يا إد، أنا آسف لأنني نعتّك بالجبان. لست جباناً. أنت شجاع. أنت شجاع حقاً. لقد أوصلتني إلى المنزل. لم تتركني. أنت صديقي المفضّل يا إد.»

«وأنت صديقي المفضّل يا جاك. ستبقى هكذا دائماً.»

«شكراً.»

لم يقل أحدهما شيئاً بعد ذلك. لم يحتاجا أصلاً إلى ذلك. لم يعد هناك ما يُقال. كان إد يراقب السماء عبر النافذة المربّعة ولونها يخبو من الزهري إلى الرمادي، ثم الأزرق الداكن ثم الأسود. لم يكن القمر بازغاً الليلة لكن السماء كانت تتلألأ بملايين النجوم اللامعة، أكثر مما رأى إد يوماً. تخيل نفسه يطير خارج هذه الغرفة الصغيرة، نحو سماء الليل، ثم نحو النظام الشمسي، عابراً الكواكب إلى الفضاء الذي لا نهاية له. كونهما ممددين هنا وحدهما في المنزل الخالي لم يكن يعني الكثير فعلاً.

55

تمددت بروك وكورتني وأليشيا متقاربات على عدد من الفرشات في قسم هاوس 1940s. استطعن سماع فروغي يئنّ. لحسن حظه لم تخرق أسنان فريديريك كمّ سترته أو تجرحه، بل تركت مكانها كدمة بنفسجية بشعة على شكل فكها تماماً، كما لو أنه تعرّض للعضّ من سمكة قرش صغيرة. كان فروغي مزعوجاً جداً من الحادثة. كان مصدوماً أكثر منه متألماً، وذلك ما جعله يبكي الآن. شعروا جميعاً بالأمان لبعض الوقت. سعداء. لكن ليس بعد الآن. باتوا يعرفون أنهم قد يتعرضون لهجوم من أي مكان وفي أي وقت.

لم تستطع الفتيات إبعاد المشهد عن مخيلاتهن: فريديريك، بأسنانها المطبقة على ذراع الفتى ولا تريد إفلاته، بشعرها الطويل المنسدل على وجهها. الأولاد يصرخون، لا أحد يعرف ما يجب فعله. في نهاية الأمر أنقذ جوردن هوردرن الصغير فروغي. نزل من الطبقة العلوية، ومشى بهدوء نحو فريديريك وضربها بيده ضربة خفيفة في جانب رقبتها.

حمل دوغ نت وجوردن جسمها الضعيف بعيداً.

«هل سيحدث ذلك للباقين منا؟» سألت أليشيا وهي تحدّق في ضوء الليل المتلألئ، مسرورةً بدفء صديقتيها على الجانبين.

«لا تفكري في الأمر»، قالت بروك، «اخلدي للنوم.»

«لا أستطيع. عندما أغمض عيني لا أستطيع سوى أن أراها... قادمة إليّ... مثل ساحرة، تتفوه بكل تلك الكلمات الفرنسية غير المفهومة مثل

بونجور، ميرسي، مولان روج...»

«الفرنسية لغة غبية»، قال كورتني، «وفرنسا مزبلة.»

«لا تخافي منها»، قالت بروك، «إنها سجينة الآن. لا يمكنها أن تؤذي أحداً الآن.»

«ماذا إن خرجت وأنت متسللةً عبر المتحف؟ لا أحب المكان هنا.»

«لطالما شعرت أنها غريبة الأطوار»، قالت كورتني، «لم أثق بها أبداً. لدي... ماذا تُسمى؟ الحاسة السادسة.»

«كنت تشعرين بالغيرة فحسب»، قالت بروك.

«مااااذا؟»

«نعم، لأنها نحيفة وأنت... سمينة.»

«برووووك!»، قالت أليشيا محتجةً، «ما هذا الذي تقولينه؟ لا داعي لتفوهك بكلام مزعج كهذا.»

«نعم»، قالت كورتني، «لستُ سمينة. أنا ضخمة.»

«نعم، ضخمة وسمينة»، أطلقت بروك ضحكة يرافقها شخير، «لا أعرف كيف تسمنين هكذا يا فتاة نظراً للكمية القليلة التي نأكلها. أنت مثل ذلك الشخص السمين هارلي في برنامج الضائعون. تتحطم به الطائرة على جزيرة مهجورة، حيث لا ماكدونالد أو ما إلى ذلك، وهو لا ينحف حتى بعد أسابيع.»

«لستُ سمينة يا بروك!»

ضحكت بروك ومالت فوق أليشيا لتعانق كورتني بعجالة.

«لا يقلّ حبي لك أبداً لأن حجمك كبير يا فتاة. أنت هي أنتِ. صديقتي. لا أبالي بشكللك الخارجي. أنا أقول فقط إنك لم تحبي تلك المتبجحة الفرنسية لأنها نحيفة. أليس كذلك؟»

«لا»، قالت كورتني، «لا أحب فريديريك لأنها موبوءة حاولت أكل فروغي.»

«أيمكننا التحدث في أمر آخر؟»، قالت أليشيا، «فهذا يخيفني. لم أعد أشعر بالأمان. كلما أسرع الفتيان في العودة كان أفضل.»

56

عندما استيقظ إد كان هناك ضوء في السماء. لم يتحرك منذ وقت طويل. كان جسمه متيبساً وبارداً، وقد استحوذت عليه مختلف الآلام والأوجاع. أخيراً، سحب ذراعه بهدوء من تحت رأس جاك، ثم وبحذر شديد أسدل بيده جفون صديقه. كان جلد جاك بارداً جداً، باستثناء الجزء الجانبي الذي كان ملتصقاً بجسد إد طوال الوقت.

«وداعاً يا صديقي»، قال إد، لكن لم تعد هناك دموع ليذرفها.

لقد مات جاك أخيراً سعيداً، في منزله، في فراشه، بين أشيائه المألوفة. بدا في سلام، متمدداً هناك مع كلبه القديم.

رفع إد نفسه عن الفراش ووقف على السجادة، يحاول التمدد ليخفّف من تشنّج جسمه. عندما أحس أنه استرد القليل من طاقته، نزل إلى المطبخ ونظر نحو الحديقة. كانت النباتات تتمايل وتتلوى بفعل رياح قوية؛ شجيرات ونباتات القراص وأعشاب تتقاذف من مكان إلى آخر كما لو أن يدَ عملاق تتلاعب بها.

لقد حَلّ الصباح، لكن لا يزال الجو كئيباً. كانت غيمة الدخان الأسود منتشرة في معظم السماء وكان هناك وهج ناري بالقرب. استطاع شمّ رائحة الدخان. ذكّره الأمر حين دخلوا الكنيسة ووجدوا مات المجنون وأصدقاءه مغمى عليهم.

منذ متى حصل ذلك؟ وكأنه حصل منذ أسابيع. لكن هذا غير صحيح، لقد حصل ذلك منذ ثلاثة أيام فقط.

سعل. سيضطر إلى الاستعجال. لا بد أن النيران تقترب. كانت هناك مجموعة من الكتب على خزانة. ألقى نظرة سريعة على العناوين. كان معظمها كتب طبخ. لكنه كان يبحث عن شيء يتواجد في كل منزل في لندن.

ها هو.

سحبه. كان كتيباً يتضمن خرائط لكل طرقات لندن. بحث عن عنوان جاك وتتبع بإصبعه طريق العودة إلى المتحف. تأكد من العنوان مرة تلو الأخرى، مستعيداً في ذاكرته أسماء الشوارع. حالما تأكد من الاتجاهات وضع الكتيب في حقيبة ظهره ثم ذهب نحو أحد الأدراج التي بحث فيها ليلة البارحة، وجلب علبة عيدان ثقاب. أخيراً وبحركة عشوائية التقط كتاب طبخ وصعد إلى الطبقة العليا.

فتح نافذة غرفة نوم جاك ونظر نحو الشارع. كانت الرياح قوية لكن لم يكن هنا أثر لأي إنسان. قبل أن يخلد إلى النوم ليلة البارحة سمع أصواتهم - الموبوءون الذين يخرجون عند حلول الظلام - وهم يجولون الشوارع ويتقاتلون بحثاً عن الطعام، لكن لم يقترب أيٌّ منهم من المنزل.

مزّق مجموعة من صفحات كتاب الطبخ، جعّدها ودسّها تحت رأس سرير جاك. ثم جمع كل ما يمكن أن يحترق - المزيد من الكتب، مجلات هزلية، دبية محشوة، ملابس - ثم أشعلها بمجموعة من عيدان الثقاب. خلال لحظات اندلعت شعلة وملأ الدخان الغرفة.

«وداعاً جاك»، قال وهو يدسّ الكلب فلوبي تحت ذراع صديقه، قبّله على جبهته وغادر الغرفة.

نزل السلالم سريعاً، ووضع أكبر قدر ممكن من الطعام في حقيبته، وكذلك المسدس في قرابه، التقط الدراجة من الرواق، ثم فتح الباب الأمامي وخرج إلى الشارع. نظر نحو المنزل. كانت غرفة جاك قد اشتعلت بالنار والدخان يتصاعد من النافذة المفتوحة.

على الأقل، لن يعثر أيّاً من الموبوئين على جاك.

استدار إد نحو الطريق، ركب الدراجة وابتعد.

57

كانت فريديريك تدندن بنعومة مع نفسها لحناً مألوفاً لكنها لم تتذكر اسمه أو الكلمات. اعتاد والدها غناء هذا اللحن لها عندما كانت طفلة صغيرة. شعرت بأنها أكثر هدوءاً، بعيداً عن الضوء. كانت ملفوفة بالظلام وذلك يعني أنها تستطيع التفكير بوضوح، فالضوء يؤذي دماغها، يؤلمها، أما الظلام فكان لطيفاً، مثل...

أنّت ومررت أصابعها عبر شعرها. كانت الكتل والأورام تغطي جلدة رأسها. كأن دماغها يتمدد، يدفع بتلك الزوائد خارج رأسها. إذا ركزت جيداً، وهي تمرر أطراف أصابعها على تلك الكتل، فيمكنها بطريقة المكفوفين قراءة كلّ تلك الأفكار التي تدور في رأسها...

يمكنها أن تفكّر بطريقة للهرب من المكان الذي سجنوها فيه. ستهرب وستعاقبهم على ما فعلوه بها.

أول ما عليها فعله هو التفكير بطريقة لتحرير يديها من هذه الأشياء، هذه الأساور، هذه الأغلال.

ستجد طريقة ما.

فهي ذكية الآن.

أذكى منهم...



لم يستطع إد أن يتخلص من رائحة الدخان في أنفه. كانت في كل مكان، مع الهواء الساخن. كان الدخان يلسع عينيه فكانت تدمع وهو يقود دراجته. كان يشعر بالحكاك تحت جلده، وبالتوتر. كان هناك توتّر وغرابة في الأجواء كما لو أن العالم كله في كارثة. شعر أن لا شيء على ما يرام. كانت الدنيا مظلمة في الوقت الذي يجب أن يكون نهاراً، فأصبح النهار والليل متساويين في الوقت نفسه.

دفعته الريح، مثل طفل مزعج، فجعلته متوتراً. ذلك الشارع الخالي الذي أطل عليه من نافذة جاك منحه أملاً خائباً. امتلأت الشوارع بالموبوئين أكثر من أي وقت مضى. كانوا في كل مكان، مذعورين من النيران المقتربة بقدره هو. كان يتوقع هجوماً آخر في أي لحظة.

اعتراه شعور بالخيبة لم يسبق أن شعر به من قبل. بدت السماء الملبّدة بالغيوم وكأنها تضغط عليه بثقل لا مثيل له، وكأنها غطاء، تنغلق ببطء، تخنق العالم، تحصر الدخان والنيران والرياح. ذكّرته الأجواء بتلك الأساطير والخرافات التي تحكي أن السماء شيء صلب ويجب أن يُحمل. لم يكن ذلك العملاق هناك، ذلك الذي رفعها على كتفيه.

أطلس. نعم، هذا هو اسمه. أطلس يحمل السماء.

حسناً، يبدو أن أطلس قد سقط صريعاً.

كان يقود دراجته بأقصى سرعة ممكنة، لكن لم يكن ذلك سهلاً. كانت معظم الطرقات مسدودة بالآليات المهجورة، لذا كان يضطر للالتفاف من

حولها. لم يلاحظ ذلك البارحة عندما كان وجاك يسيران، لكن ركوب الدراجة مختلف. يجب الانتباه إلى كل مطبّ وحفرة وعقبة. أما قيادة السيارة في هذه الأحوال فمستحيلة.

في الواقع كان بين الحين والآخر يجد سيارة تشتعل بالنيران، في خضم تحولها إلى فولاذ وبلاستيك متلوٍّ. كان هناك ركام آخر، في كل مكان، نفايات وحاويات وجثث، وفي بعض الأحيان مبانٍ محترقة منهارة. كم كان يتوق إلى مساحة واسعة، لكنه يعرف أنه لن يجد ذلك المكان.

اضطر إلى تغيير مساره عدة مرات. كانت المنطقة حول الملعب البيضاوي جحيماً. كانت النيران تنتشر بسرعة في الأبنية المحيطة، وبدا أن هناك حريقين في طريقهما إلى الاتصال ببعضهما ليشملا جنوب لندن. كان عليه أن يتوقف كل بضع دقائق للتأكد من خريطته وليعدل من خط مساره، وأي الطرقات هي الأكثر أمناً.

وجود الموبوئين كان يصعّب الأمور أكثر. بدا أن هناك مجموعات منهم أينما ذهب، يقفون في وسط الطريق يحدّقون في السماء أو يتجولون على غير هدى. ذات مرة اضطر إلى الالتفاف من حول مجموعة صغيرة كانوا يتقاتلون مثل السكارى، مثل أولئك المدمنين الذين كانوا يتسكعون في شوارع المدينة الضيقة، يتشاجرون ويلكمون بعضهم بعضاً.

تابع سيره. بدأت طريقه الملتوية تقرّبه من المتحف... وبأمان. تمنى لو أن قلبه لا يدق بسرعة بين أضلاعه ولو أن أنفاسه ليست متسارعة ولا تؤلمه.

خلال سيره مرّت صور بمخيلته من الأحداث الأخيرة. جاك وبام حيّان يُرزقان يضحكان. بام يرقص رقصة الانتصار على الموبوئين، ثم متمدداً على الرض الصلبة الباردة، وجاك في سريره يحمل الكلب فلوبي. الأحياء والأموات.

الأموات.

كل تلك الجثث في الملعب البيضاوي. نافورة اللحم الأحمر المرتفعة فوقها عند وقوع الانفجار. تساءل في نفسه كم عدد الأماكن التي تشتعل

الآن في لندن، وكم عدد الجثث المتكدسة؟ كان يعلم أن عدداً كبيراً من الناس غادروا المدينة عندما غزا الوباء وبدأ يقتل الناس. رأى ذلك في الأخبار... زحمة سير لأميال طويلة. كانت تلك بعضاً من آخر المشاهد التي بُثت على التلفاز قبل انقطاع البث. لقد حدث كل شيء بسرعة كبيرة.

حاول إد تخيل العالم بأجمعه بهذه الحالة، يتخبط في الفوضى والدمار. عدد لا نهاية له من الجثث المنتشرة في كل مكان. و... الأسوأ... الأحياء، الزومبي، محصورون بين الحياة والموت. تذكر الشعور عندما انقضّ على غريغ: رائحته الكريهة؛ حرارة جسمه ورطوبته؛ الجنون في عينيه، يقاتل من أجل الساطور...

غريغ كان هناك في مكان ما.

مع المسكين الصغير ليام.

أمر نفسه أن يركّز على الطريق، دون أن يسهب التفكير في أي شيء آخر. حاول قدر الإمكان عدم استرجاع تلك الصور في مخيلته.

ماذا عن غريغ؟

كان هناك أمرٌ آخر... شيء أسوأ.

عندما نظر إد في عينيه رأى الجنون، لقد ميّز شيئاً ما وفهم الآن ما هو. كان هناك أمر متشابه لدى كليهما: جنون القتل. عندما وجد إد شجاعته البارحة فقد شيئاً ثميناً جداً؛ فقد جزءاً كان يجعله إنساناً.

إنه شخص مختلف الآن، وليس شخصاً أفضل. أوه، نعم، يمكنه القتال، يمكنه سحق الموبوئين مثل الذباب، كان بطلاً دموي، أليس كذلك؟ كان الموت بحدّ ذاته، يركب دراجة.

أهذا ما يكون البطل عليه؟ آلة قاتلة من دون قلب؟

توقف يا إدّ، كفّ عن التفكير، واصل السير، عد إلى المتحف لمقابلة الآخرين، أصدقائك الجدد.

ذلك سيساعده على إبعاد الحزن، وذلك الجزء المظلم الذي استحوذ على نفسه يخنقه مثل الغيوم السوداء في السماء.

جاك ممدد هناك على سريره، بارداً، والكلب فلوبي لا يزال بين ذراعيه.
واصل السير، واصِل السير فحسب. هذه الدموع سببها الدخان...
ركِّز على البقاء على قيد الحياة؛ على الذكي جاستن الذي قاد الشاحنة، على الأولاد الصغار، على الثرثارة بروك والفتيات، على الضخمة كورتني والنحيفة أليشيا، على كريس ماركر الغريب الأطوار ووجه المدفون في الكتاب، حتى على المجنون مات وأتباعه. لقد اشتاق إليهم جميعاً.
لا تنسَ جوردن هوردرن ودوغ نت وفريديريك...
يا إلهي. فريديريك. ماذا سيقول لها؟ لقد أُعجبت بجاك فعلاً. كانت تعتمد عليه. كيف يمكن أن يوصل الخبر إليها؟ لا بد أنها ستغرق أكثر في حزنها.
لم يكن إد معتاداً على نقل الأخبار المحزنة للآخرين. منذ بضعة أسابيع مضت لم يكن هناك شيء سيئ في حياته.
الأخبار السيئة كانت من مهام الأكبر سناً، هم من يتعامل معها وليس الصغار. أوه، نعم، كان لديه صديق ماتت أمه في حادث سيارة. كان قد ترك المدرسة. لكن ذلك لم يؤثر فعلياً بإد. لقد نسي ذلك الأمر بعد وقت قصير. أما الوباء فقد أجبرهم جميعاً على التصرف مثل الأكبر سناً. أن يحملوا أعباء الأكبر سناً من قلق ومسؤوليات.
توقف.
كان الطريق أمامه مسدوداً بالكامل.
وصل إلى جسر سكة حديد تحطّم فوق قطار. لا بد أن شيئاً حصل للمحرك فهوى من فوق الجسر، جارّاً معه العربات ومحطّماً نصف الهيكل. كانت هناك أكوام من المعادن المهترئة والأحجار في وسط الطريق. كانت هناك رافعتان تقفان على مقربة مع آليات طوارئ، وكانت هناك جثث مغطاة بقطع من المشمع، وأخرى على متن القطار. لقد تُركت جميعها هناك. هُجرت.
لا، ليست مهجورة تماماً. عندما دقّق إد النظر رأى مجموعة من الموبوئين

يجثمون فوق جثة، يقتاتون عليها.

لم يروه بعد، لذا يجدر به إيجاد طريق مختلف. راجع خياراته ورأى أن المزيد من الموبوئين يقتربون من الطريق الذي أتى مسبقاً منه. كان المسار البديل الآخر يشمل طريقاً جانبياً يتفرّع من الزاوية اليمنى، لكن ذلك أيضاً كان يعجّ بالموبوئين.

كان عليه مغادرة هذا الشارع. اتخذ قراراً سريعاً واتجه إلى حديقة أحد المنازل المصطفة جانب الطريق. ترك دراجته خلف السياج. حتى لو عثر عليها أحد الموبوئين فلن يعرف ماذا يفعل بها. انخفض ومشى متفقداً المبنى. قادته الدرجات إلى الباب الأمامي. كانت هناك نافذة واسعة تتصل بالأرضية المرتفعة تطلّ إلى الداخل على طبقة سفلية ضيقة.

هذا المكان سيفي بالغرض.

زحف نحو النافذة. بدت كبيرة كفايةً ليمرّ من خلالها. انبطح على ظهره وركل الزجاج. أمِل أن لا تجذب الضجة أيّاً من الموبوئين، ثم انزلق من الفتحة.

جذب نفسه حتى هبط على الأرضية الصلبة، ووقف بسرعة عند زاوية النافذة ليرى الخارج جيداً.

كان الموبوءون يعبرون الشارع. لحسن الحظ أنّ أحداً منهم لم يدخل الحديقة. كل ما كان عليه فعله الآن هو الجلوس هنا حتى يصبح الطريق آمناً.

سحب مسدسه من قرابه واتكأ على الحائط، أنفه قريب من النافذة. إنه بأمان الآن. يمكنه أخذ قسط من الراحة واستعادة القليل من طاقته التي نفدت منه بفعل التوتر المتواصل، فقد كان متعباً ومرهقاً طوال الوقت.

أغمض عينيه وتنهّد تنهيدة طويلة، ثم تجمّد. كان هناك صوت تنهيدة أخرى، ثم صوت حركة خلفه. لم يتفقد الغرفة جيداً عندما نزل إليها. كانت مظلمة وكان يركّز على ما يحدث في الخارج.

استدار ببطء وهو بالكاد يجرؤ على النظر. كان هناك ضوء كافٍ يتسلل من النافذة المكسورة ليبين له أنه في مطبخ طبقة سفلية واسع.

كان مليئاً بالناس.

كانوا ممددين على الأرض، ملتصقين ببعضهم بعضاً، عددهم أكبر من أن يُحصى. موبوءون يختبئون من ضوء النهار. كانوا قد بدأ يستيقظون، يرمشون في المكان المظلم. غطّت رائحة الدخان في الهواء على رائحتهم النتنة، لكن إدّ استطاع الآن شمها. رائحة فظيعة مثل رائحة المراحيض. كما يمكنه الإحساس بالحرارة من ناحيتهم. تجشّأ الموبوء الذي كان إلى جانبه وجلس يشمّ الهواء. تمدّد في اتجاه رجل إدّ فركله بعيداً. سبّب ذلك فوضى وسرعان ما بدأت مجموعة منهم تنهض على أقدامها بصعوبة.

فكر إدّ بمحاولة التسلق من النافذة، لكن كان جميع الموبوئين من حوله مستيقظين الآن ويمدّون أيديهم في اتجاه ملابسه. سيسحبونه قبل أن يتمكن من الوصول إلى منتصف الحافة.

يميناً، على مسافة خمس أمتار، كانت هناك سلالم تقود إلى الطبقة التالية. دفع إدّ بموبوء بعيداً عنه واتجه نحو السلالم. وقفت موبوءة تسدّ طريقه، ومن دون تفكير صوب إد المسدس إلى صدرها وضغط على الزناد. أجفلت الطلقة باقي الموبوئين في الغرفة فتجمّدوا في أماكنهم لوهلة. اقتنص إد الفرصة وانطلق، يدفع باقي الموبوئين الذي كانوا في طريقه.

ركض على السلالم، ركل الباب أعلاها ومنه دلف إلى الرواق. واصل التحرك بسرعة حتى وصل إلى الباب الأمامي. بدأ يحاول فك السلاسل والأقفال بيدين مرتبكتين. من المؤكد أن الموبوئين كانوا يستخدمون طريقاً آخر للدخول والخروج من المنزل، لكن لم يكن لديه الوقت للبحث عنه. يمكنه سماعهم وهو يصعدون السلالم، أقدامهم ترتطم بالدرجات الخشبية، وأيديهم تحفّ على الجدران. كان القفل الأخير عالقاً، من الواضح أنه بحاجة إلى مفتاح. شدّه مرة تلو الأخرى، شتم وركل الباب بعنف.

«هيا!»

لم يحصل أي فرق. كان عالقاً هنا.

استدار وأطلق رصاصة نحو الموبوء الذي كان يتقدّم الباقين فتعثر إلى

الخلف. ثم راودته فكرة.

كم عدد الأفلام التي رأى فيها مشهداً كهذا؟

هل نجح ذلك حقاً؟

صوب مسدسه نحو القفل وضغط على الزناد ثلاث مرات.

تطايرت في الرواق قطع صغيرة من الفولاذ ونثرات الخشب. جرحت إحدى القطع رقبته لكنه بالكاد أحس بذلك.

شدّ المقبض، وقعت بقايا القفل فأحدثت قرقعة وانفتح الباب على مصراعيه.

لا يهم ما هو في الخارج... أي شيء أفضل من أن يكون عالقاً في الداخل مع مجموعة من الموبوئين. ركض على الدرجات الأمامية. أعاد المسدس إلى قرابه. التقط دراجته وجرّها نحو الشارع.

لا بد أنّ هناك عشرين أو ثلاثين موبوءاً، منتشرين على طول الشارع. كانت هناك مجموعة في حالة يُرثى لها، عفنين ومرتبكين. جثث متجولة. لم يكونوا يشكّلون أي خطر.

كان الطريق الجانبي على بُعد حوالى خمسين متراً. إذا سار بسرعة فقد ينجح. لم يكن الموبوءون يسيرون في مجموعات. كان أكثرهم يسيرون فرادى أو في مجموعة من اثنين. كانت هناك فرصة في أن يلتف من حولهم.

ركب دراجته ووقف على الدواستين، منحرفاً من حول عدد من الأمهات اللواتي تآكلت أجسامهن من الثآليل، ثم عبر من بين مجموعة أخرى. تجاهل موبوءَين عجوزين لا يملكان شعراً أو أسنان، مدّا في اتجاهه أذرعهما النحيلة وهو يمرّ من قربهما. كان يقترب بسرعة من الطريق الجانبي. التف عند الزاوية وراح يدوس أسرع.

لكن عندما استدار عند الزاوية لم يرَ سوى المزيد من الموبوئين، متجمهرين في هذا الطريق الضيق. توقف فجأةً وفكر بالاستدارة عائداً. لكن كان الموبوءون من الشارع الرئيسي يقتربون في ذلك الاتجاه الآن. كان عالقاً.

59

لو أنّ إد لم يتوقف بدراجته عندما التف عند الزواية لكان تمكّن من شق طريقه عنوةً عبر الموبوئين المنتظرين، لكنه انتظر وقتاً أطول من اللازم. كانوا يحتشدون. لم يكن هناك من مهرب في الاتجاهين.

ترجّل عن الدراجة وسحب مسدسه. هل عليه شقّ طريقه بالسلاح؟ لقد استخدم الكثير من ذخيرته. أراد أن يحتفظ ببعض منها للطوارئ.

اللعنة، كيفما نظر إلى الظروف وجد أنها حالة طوارئ.

أطلق النار، محاولاً أن تبقى ذراعه مستقيمة وثابتة قدر الإمكان، ثم أطلق مجدداً، ومجدداً. كل ذلك وهو يجرّ دراجته إلى الأمام. لم يكن تصويبه ممتازاً. أسقط اثنين منهم، ووقف الباقون هناك، غير متأكدين مما عليهم فعله، غير متأكدين مما يحدث.

واصل إد السير وإطلاق النار، دراجته بمثابة درع واقٍ لجانبه الأيسر. كم طلقة في المشط الواحد؟ عشرة؟ عشرون؟ ماذا سيفعل عندما تنفد منه؟

شتم الموبوئين.

رغم أنه كان يتحرك، لكنه كان في الواقع يتغلغل أعمق أكثر فأكثر في قلب حشودهم. كانوا يسدّون الطريق عليه من الخلف وهو يمر، ينتظرون لحظتهم المناسبة. حتى توقفت الطلقات...

عندما طقطق المسدس أخيراً معلناً فراغه من آخر الطلقات، عرف إدّ أن كل شيء قد انتهى.

شتم مجدداً. تمنى لو أنه يملك سلاحاً آخر. كره أن تنتهي الأمور هكذا.

ثم رأى مشهداً استثنائياً. طابور من طلاب المدرسة يرتدون سترات رياضية حمراء ويحملون مضارب، يسيرون على طول الطريق، وعلى ظهورهم حقائب، مثل وحدة مقاتلة في الحروب النابليونية.

كان الطابور عبارة عن صفين متلاصقين وطوله حوالى عشر أشخاص في كل صف. كان الفتى الذي يترأسهم، بسترته السوداء وبشرته البيضاء بياض الطبشور والمنقطة بالنمش، يصدر الأوامر. حافظ الفتيان على تشكيلتهم، حتى وصلوا إلى مؤخرة الموبوئين المتجمهرين وبدأوا يشقّون طريقهم بالمضارب وصولاً إلى إد.

مستخدماً دراجته كسلاح للضرب، مرّ من بينهم.

«مِن هنا!» نادى الفتى القائد، مشيراً إلى مسار بين صفين مِن المنازل. أسرع إد، وهو يدفع الموبوئين عند الجانبين. عندما وصل إليهم شكل الفتيان حوله درعاً واقياً. ثم، محافظين على هذه التشكيلة، تراجعوا إلى الخلف في اتجاه المسار، تاركين الموبوئين المرتبكين خلفهم.

سار الفتيان على طول المسار، بين مجموعة منازل صغيرة، متخلصين من بعض الموبوئين المتناثرين هنا وهناك، وسرعان ما وجدوا طريقهم إلى شارعٍ خالٍ، توقفوا فيه.

شعر إد بالارتياح والذهول والارتباك فلم يعرف ما عليه قوله. في النهاية كل ما تمكن من قوله كان كلمة «شكراً.»

«سمعنا صوت طلقات نارية»، قال الفتى القائد، «ونحن نعرف أن الغرباء لا يستطيعون استخدام السلاح.»

«الغرباء؟»

«هذا هو الاسم الذي نطلقه على الأشخاص المصابين بالمرض. أفترض أن الجميع يطلقون عليهم تسميات مختلفة.»

«لِمَ غرباء؟»

«تعلّمنا دائماً أن نحذر الغرباء.»

«الغرباء خطر؟» قال إد.

«بالضبط.»

نظر إد نحو الفتيان الذين كانوا واقفين ويحدّقون فيه بصمت.

«من أين أتيتم جميعاً على أي حال؟» سأل.

«نحن من مدرسة سانت هيلدا في ساري»، قال القائد.

«مدرسة سانت هيلدا؟»، ابتسم إدّ مما سبّب نوبة من الألم في خده المجروح، «أعرف سانت هيلدا. اعتدنا منافستكم في الكثير من مباريات الروكبي وكرة القدم. أنا من مدرسة روهارست.»

«روهارست؟ يا إلهي، أنا أعرفكم يا لاعبي الروكبي!» تقدّم فتى آخر، ذو شعر زغبي، وقد برزت ياقة قميصه من فوق سترته بطريقة مقصودة.

«أنت من روهارست إذاً؟»، تابع، «لقد أتينا إلى مدرستكم في فصل الخريف. كانت مباراة جيدة أيضاً. كان لديكم لاعب لا مثيل له. فتى يدعى بام. هل تعرفه؟»

«بالطبع!» قال إد متحمساً، ثم لاحت فجأةً على وجهه تعابير الحزن وعضّ على شفته.

«ماذا عن جونو؟»، سأل الفتى من سانت هيلدا، «وبيرز؟»

«أعرفهم جميعهم»، قال إد بهدوء.

«هل هم برفقتك؟»

«لا»، قال إد، «كانوا برفقتي. كانوا...»

أحسّ بغصة في حلقه، غصّة منعته من قول شيء آخر. يبدو أن الفتى فهم الأمر فلم يضغط على إد أكثر.

«حظ سيئ»، قالها وهو يمد يده مصافحاً، «أنا بود، على أي حال. ما اسمك؟»

«إد كارتر.»

«يسرني لقاؤك يا إد.»

«إد كارتر؟»، برز فتى ذو أنف طويل من بين الفتيان الباقين، «أنا أعرفك. أندي توماس»، قال وهو يضع يده على صدره، «أعرفك من فريق كرة القدم.»

«نعم، مرحباً»، قال إد مبتسماً في وجه أندي، لكنه في الواقع لم يكن قادراً على تذكره على الإطلاق.

«هل أنت بخير؟ تبدو إصابتك بالغة»، قال إندي وهو يشير إلى خد إد.

هز إد كتفيه وقال: «أظن أنها بالغة بالفعل.»

«إذاً، هل تجول الشوارع على غير هدى أم أن لديك مكان آمن تلجأ إليه؟» سأل الفتى القائد.

«لدي مكان آمن»، قال إد، «كنت أحاول الوصول إلى هنا. متحف إمبيريال وور.»

بدا القائد مهتماً.

«أيمكنك أخذنا إلى هناك؟»

«يمكنني ذلك»، قال إد، «لكنني لست المسؤول هناك. الفتى الذي يدير المكان هو... حسناً، ليس من النوع الذي يرحب بالوافدين الجدد. لقد وضع مخططاً معيناً ولا يحب أن يفسده. لا يريد وافدين جدداً إطلاقاً.»

«سأتعامل مع هذا الأمر عند وصولنا إلى هناك»، قال الفتى بثقة، «أنا دايفيد، على أي حال، دايفيد كينغ. كنتُ رئيس الطلاب في المدرسة الإعدادية في سانت هيلدا. هلا انطلقنا الآن؟»

«بالتأكيد»، سحب إد كتيب الخرائط من حقيبته وتفحصه بسرعة. كان المتحف أقرب بكثير ممّا كان يظنّ.

انطلقوا، إد يدحرج درّاجته في مؤخرة الطابور إلى جانب دايفيد. كانت سرعة الرياح قد ازدادت وأصبحت أشرس وأكثر حرارةً. اضطر إد إلى رفع صوته ليسمعه الآخرون بسبب الضجة.

«هل قطعتم كل تلك المسافة من مدرستكم إلى هنا؟» سأل.

«نعم. كان عددنا أكبر بكثير عندما انطلقنا.»

ألقى إد نظرة على أصحاب السترات المتشابهة.

«لم تنقذوا أحداً خلال مسيركم؟»

ابتسم دايفيد وقال: «ذلك الفتى الذي يُدير المتحف يفكّر تفكيراً صائباً.

يهتم بمجموعته فحسب. هل لي أن أرى مسدسك؟»

«بالطبع.» مرّر إد المسدس إليه.

«المسدس شيء ثمين جداً»، قال دايفيد وهو يزنه في يده.

«هذا صحيح جداً.»

نظر إد إلى دايفيد. كان يظهر على وجهه تعبير جدي ومتغطرس نوعاً ما. كان أمراً مضحكاً وغريباً في آن بالنسبة إلى فتى في سنه، لكن إد كان يعرف الظروف التي جعلت من الصغار كباراً.

«فهمت»، قال وفي صوته نبرة تعجب، «لم تكونوا تحاولون إنقاذي، كنتم تحاولون إنقاذ المسدس!»

«شيء من هذا القبيل»، قال دايفيد، «والآن يمكنك أن تساعد في أخذنا إلى المتحف، لذا استطعنا ضرب عصفورين بحجر واحد، أليس كذلك؟ يمكننا أن نوصلك إلى هناك بأمان وأنت يمكنك إدخالنا.»

«سأحاول»، قال إد، «لكن قد تكون هناك ظروف معينة.»

«أنا بارع في التفاوض»، بدا دايفيد واثق جداً من نفسه.

«حقاً؟»

«نعم. أفترض ذلك. سأحتفظ بهذا مكافأةً مقابل إنقاذنا حياتك.»

صوب دايفيد المسدس نحو إد. ابتسم إد، غير متأكد ما إن كان دايفيد فتى مراوغ بالفعل.

«مررت بالكثير لأحصل على هذا المسدس»، حافظ إد على صوتٍ هادئ ومتزن، «لذا أخشى أنني لن أتخلى عنه»، بهدوء استردّ المسدس من دايفيد ووضعه في قرابه، «يمكنك الحصول على هذه الدراجة إذا أردت.»

«لا شكراً»، قال دايفيد، ثم أضاف: «كان بامكاني إرداؤك صريعاً حينها.»

«لا، لم يمكن بإمكانك ذلك»، قال إد مجبراً نفسه على الابتسام رغم ألم وجهه المصاب، «المسدس غير ملقّم.»

60

«يجب أن تأتي لترى هذا»، كان دوغ نت يقف عند البوابات الرئيسية ينظر نحو المساحة المفتوحة أمام المتحف، «إنه الجيش الأحمر.»

أتى الفتى الذي كان يناوب في الحراسة وانضم إليه، وضحك على ما كان يحدث في الخارج.

كان دايفيد يتقدم نحو المتحف مترئِّساً الطابور وإلى جانبه إد. كان فتيان سانت هيلدا يسيرون بخطى ثابتة وهم يغنّون.

صعد الطابور السلالم وصولاً إلى الأبواب، ودراجة إد تهتز على الدرجات.

«مرحباً!»، نادى إد، «افتحوا! هذا أنا.»

خرج دوغ نت لملاقاته، وسأل:

«من أين أتيت بهذه المجموعة يا أخي؟ هل حصلت لنفسك على مرافقة؟»

«احتجت إلى ذلك بالفعل.»

نظر دوغ نت إلى وجه إد المشوّه بتعبير متألم وقال: «أوه، يجب أن يفحص أحدهم ذلك.»

«نعم، سيحصل»، قال إد وهو يتحرك في اتجاه الأبواب، «لندخل. أحتاج إلى الجلوس.»

رفع دوغ نت يده.

«أنت تعرف قوانين جوردن»، قال وأومأ برأسه في اتجاه دايفيد

والآخرين، «لا يمكنهم الدخول.»

«أوه، لا تكن سخيفاً جداً»، قال دايفيد، وقبل أن يتمكن دوغ نت من فعل أي شيء مرّ من جانبه وقاد فتيانه إلى الداخل.

استدار دوغ نت إلى إد ونظرة الفزع تبدو على وجهه.

«إد!»

«لستُ مسؤولاً عنهم يا دوغ نت.»

«أنت من أحضرهم إلى هنا.»

«لم يكن لدي خيار، صدقني.»

«مهلاً»، بدا دوغ نت محتاراً، «أين جاك وبام؟ أليسا معك؟»

تبع إد دايفيد إلى الداخل. «لا»، قال بلهجة جلفة بينما أسرع دوغ نت خلفه.

«ماذا تقصد؟ أين هما؟ ألن يعودا؟» قال دوغ نت.

«لا، لن يعودا»، قال إد.

«تعني أنهما...»

«دوغ نت!»، زعق إد، «إنهما ميتان، حسناً؟»

«تباً...»

كانت الفوضى عارمة داخل المتحف. كان فتيان دايفيد يتجولون على راحتهم وحراس جوردن يصرخون عليهم.

«إد، عليك أن تجد حلاً لهذا يا رجل»، قال دوغ نت.

«ليست مشكلتي.»

كان الأولاد يخرجون من مقهى المتحف ليروا ما يحدث، وكانت بروك من بينهم. وعندما رأت إد تجلّت على وجهها ابتسامة عريضة وركضت نحوه. في وسط الطريق رأت الجرح في خده فتوقفت مذهولةً، ارتفعت يدها على فمها وجحظت عيناها.

«أوه يا إد»، قالت من تحت أصابعها التي كانت تغطي فمها، «ماذا فعلوا بك؟»

شعر إد فجأةً بالتعب. أحس بأنه يحمل على كاهليه ثقل كل شيء حصل في الأيام القليلة الأخيرة. ماذا فعلوا به؟ تسللت الدموع إلى مقلتيه. أحدهم مر بجانبه. تجاهله. بدت أصوات الفتيات الغاضبة في القاعة الرئيسية آتية من ملايين الأميال. من خلال غطاء من الدموع رأى بروك تهز رأسها، تتراجع إلى الخلف مذعورةً. قبل أن يتمكن من قول أي شيء ظهر جوردن أعلى السلالم.

«اهدأوا!» صرخ، وبأعجوبة ساد صمت تام. التفتت كل العيون نحوه وهو ينزل السلالم، معطفه العسكري الطويل يحفّ على الدرجات الحجرية.

«ماذا يحدث؟» سأل، فبرز دايفيد من بين الجموع.

«أنا دايفيد كينغ. لقد أعدنا إد كارتر إليك»، قال.

«إنه لا ينتمي إلى جماعتي.»

«هو يعيش هنا، أليس كذلك؟»

«نعم.»

«وأنت المسؤول هنا، أليس كذلك؟»

«صحيح.»

«إذاً هو ينتمي إلى جماعتك»، ومدّ دايفيد يده مصافحاً وقال: «لا بد أنك جورد هوردرن.»

نظر جوردن إلى يد دايفيد الممدودة من خلال نظارته السميكة، لكنه لم يُظهر أي استعداد للمصافحة.

«شكراً على مساعدتكم لإد»، قال جوردن، «لكني أخشى أن عليكم المغادرة الآن. ليس لدينا طعام كاف للجميع.»

«أفهم ذلك»، قال دايفيد، «كنتُ سأطلب الأمر نفسه لو كنتُ مكانك. لكن هل تسمح لي بالتحدث إليك للحظة؟»

«نعم»، قال جوردن مفتوناً بأسلوب دايفيد الغريب والصارم الذي يشبه أساليب الكبار، «يمكن لفتيانك الانتظار خارجاً.»

«في الواقع، سينتظرون في الداخل»، قال دايفيد، «لا أريدهم أن يتعرضوا

لأي خطر. لقد قطعت كل تلك المسافة معهم من ساري. أنا مسؤول عنهم. سيبقون معي». كان حازماً، واثقاً جداً من نفسه، ممّا فاجأ جوردن. نظر من حوله إلى الفتيان ذوي السترات الحمراء الذين كانوا منتشرين في أرجاء القاعة.

«لا بأس بهذا»، قال، «لكن عليهم البقاء هنا في القاعة الرئيسية، ومن دون التسبب بأي فوضى. لن يعترضوا على أي شيء نتفق عليه أنا وأنت، اتفقنا؟»

«لن يسبّبوا أي مشاكل. سيفعلون ما آمرهم به.»

أصدر دايفيد بعض الأوامر وبدأ الفتيان بالتقاط حقائبهم عن الأرض والبحث عن مكان ليجلسوا فيه.

«لقد أتقنت تنظيمهم»، قال جوردن وقاد دايفيد إلى أعلى السلالم.

«لكنّا جميعاً أموات من دون تنظيم»، قال دايفيد، «ألم يكن المستكشف رولد أموندسن من قال "المغامرة مجرد تخطيط سيئ»؟»

«أكان هو؟»

«أظن ذلك.»

«أنت تذكّرني بنفسي كثيراً»، قال جوردن، «وهذا ليس بالضرورة أمراً جيداً. المكان لا يتّسع لجنرالين هنا.»

«أنا أقدّر هذا»، قال دايفيد، «لكني متأكد من أننا نستطيع التوصّل إلى تسوية ما.»

ضحك جوردن ضحكة قصيرة وقال: «سنرى بهذا الشأن.»

وضع دوغ نت يده على كتف إد وقال: «أنا آسف بشأن جاك وبام. كانا شخصين طيبين.»

«نعم»، قال إد، «كانا الأفضل. لم يجدر بنا المغادرة أبداً. ثلاثتنا فحسب»، نظر في اتجاه المقهى، فلاحظ غياب بروك، «هل الجميع بخير هنا؟»

«يجب أن أتحدث إليك بهذا الشأن يا صديقي.»

«ماذا؟» نظر إلى دوغ نت. كان يفترض أن الجميع بخير.
«إنها الفتاة الفرنسية»، قال دوغ نت.
«فريديريك؟ ماذا حدث لها؟»
«من الأفضل أن تأتي لترى بنفسك. لا تخف، الباقون جميعهم بخير. إنها هي فحسب.»
«أين هي؟ هل تأذت؟»
«اضطررنا إلى حجزها في قسم بليتز إكسبيريانس»، قال دوغ نت وهو يقود إد إلى مؤخرة القاعة الرئيسية، «من أجل سلامة الجميع.»
كانت «بليتز إكسبيريانس» عبارة عن نسخة لملجأ من الغارات الجوية في زمن الحرب وجزءاً من شارع لندن المقصوف. كان إد قد زار هذا القسم مرة منذ عدة سنوات. تذكر التأثيرات الصوتية للطائرات المحلّقة وصفارات الإنذار قبل الغارات الجوية وكذلك القنابل المتساقطة والمتفجرات، وتصريحات الإذاعة والتسجيلات الصوتية. كل تلك الأشياء لا تعمل الآن. سيكون مكاناً مظلماً وصامتاً من دون طاقة للأضواء والأصوات.
أشعل دوغ نت شمعة وحمل بندقية ذات رأس حربة وأعطاهما لإد، ثم، وهما يسيران إلى الطبقة التالية، شرح باختصار كل ما حدث.
«أتريد أن أدخل معك؟»، سأل وهو يفتح الأبواب، «فقط من باب الحيطة؟»
«لا أعرف»، انتظر إد عند المدخل، «هل هي خطرة؟»
«إنها سجينة، مكبّلة بالأصفاد، لكن لا تقترب منها كثيراً.»
«سأراها وحدي»، دخل إد إلى الظلام، «فهي تعرفني. قد تكون بحال أفضل مع شخص واحد.»
«حسناً. حظّاً موفقاً يا أخي»، أغلق دوغ نت الباب خلفه.

61

كان السير عبر ملجأ الغارات الجوية المزيف كالسير عبر صندوق إسمنتي بمقاعد على الجانبين ونسخ لملصقات دعائية قديمة من زمن الحرب. مشى إد حتى الطرف ومر عبر المعرض الرئيسي. كان هناك شارع مدمّر مع مشاهد من لندن المصغّرة وجزء من سان بول. رأى فريديريك عند الطرف، بالقرب من متجر تحطّم بفعل انفجار، تجلس على كرسي خشبي قديم. كانت منحنية، متكوّرة على نفسها، تلفّ ذراعيها حول معدتها. كانت ترتدي سترة منتفخة وتنورة طويلة، وكانت تتدلى من تحت كرسيها سلسلة ذات حلقات متصلة بقضيب حديدي كان جزءاً من الموقع. كان هناك طبق طعام لم يُلمس بالقرب منها وقنينة مياه بلاستيكية ودلو لم تستخدمه أبداً. على الأرض، بالقرب من الطبق، رأى شيئاً يشبه فخذ دجاجة نصف مأكول.

«فريديريك...؟»

حين اقترب إد منها رفعت يدها لتظلل عينيها وأطلقت لهاثاً خفيفاً. حجب إدّ لهب الشمعة بيده وقال: «آسف، أهذا أفضل؟»

«الضوء وامض جداً»، قالت فريديريك.

تساءل إد إن كان عليه إطفاء الشمعة، إذ من الواضح أن ضوءها كان يؤذيها. حملها إلى طرف المعرض ووضعها خلف واجهة مسطّحة لمشهد من لندن. ترك مسدسه هناك أيضاً، حتى لا يُخيف فريديريك.

بينما كان يسير في اتجاهها كانت تراقبه باهتمام بعينين واسعتين، وقد اتّسع بؤبؤاها حتى بدوا مثل حفرتين سودواين في رأسها.

جلس إد على قطعة ديكور.

«أهذا أفضل؟»

شمّت فريديريك الهواء: «oui»

كانت عينا إد قد بدأتا تعتادان الظلام. استطاع أن يرى أن هناك رطوبة حول أنف فريديرك وفمها وصفّاً من البقع تحت ذقنها.

«كيف حالك؟» سألها بلطف.

«المكان هنا أفضل»، أتى صوت فريديريك ضعيفاً وحزيناً، «الضوء في الخارج ساطع جداً. كانت الشمس حارة جداً. لم أكن أستطيع التفكير جيداً. أما هنا فأكثر هدوءاً. الأصوات في رأسي نائمة. أين جاك؟»

«إنه... إنه بخير. أراد أن يبقى في منزله لوقت أطول»، لم يستطع إد إخبارها بالحقيقة، «أراد فعل أشياء معينة»، أضاف بتردد.

«أود أن أراه، أن أتحدث إليه.»

«يمكنك التحدث إلي.»

«حسناً.»

لكنّ إد لم يكن يعرف ماذا يقول لها. كيف له أن يبدأ بما حدث. وكان الأمر واضحاً. جلس هناك لفترة طويلة ينظر إليها بينما كانت تحدّق في المسافة بينهما، بالكاد تتحرك، منحنيةً إلى الأمام، مكتفّة اليدين.

أخيراً أدرك إد أنْ ليس هناك من طريقة سهلة ليطرح السؤال الذي يريد، لذا عليه السؤال مباشرةً.

«فريديريك؟»

«oui؟»

«كم عمرك؟»

تنهّدت فريديريك. أغمضت عينيها. كان رأسها منحنياً فبدت متكوّرةً في مقعدها على شكل كرة.

«خمسة عشر»، قالت بهدوء، «أكاد أبلغ السادسة عشر.»

«حسناً...» بدا كل شيء واضحاً الآن بالنسبة إلى إد. كانت كل تلك

العوارض ظاهرة أمام عيونهم لكنهم أخطأوا جميعاً في تحليلها. قال لها: «هذا ما كنت خائفة منه، أليس كذلك؟ ليس الراشدين، بل المرض.»

«نعم. فكَرتُ أنه في عدم مرض غريغ أمل بالنسبة إلي. لكن عندما... حتى هو... أنا جائعة جداً يا إد.»

«يوجد طعام هناك. لقد جلبوا لك طعاماً.»

«لا أستطيع تناول هذا. أحتاج إلى... أوه... لم أعتد تناول اللحم. الآن... كل ما أريد... لا أعرف ما أريد... وما لا أريد.»

«أنا آسف جداً يا فريديريك.»

«سأموت، أليس كذلك؟»

«ليس بالضرورة، أقصد، ليس الجميع...»

ضحكت فريديريك ضحكة قصيرة تملؤها المرارة، وقالت: «لا، أنت على حق، لا يموت الجميع. أتظن أن ذلك سيكون جيداً؟ أن أكون مثلهم. لقد رأيتهم. لا أريد أن أكون مثلهم. إنهم... حُمر.» شمت فريديريك الهواء مجدداً.

«حُمر؟»

«الكلمة، لا أعرف، الكلمة الإنكليزية... حُمر... rouge... sang... أوه...»

تمتمت فريديريك كلمات بالفرنسية لكن إد لم يفهمها.

«ما مدى الضرر؟» سأل.

سال مخاط من أنف فريديريك فعادت وشمّته إلى الداخل.

«لدي، ماذا يسمونه، un mal de tete؟»، قالت.

«صداع؟»

«نعم، ومعدتي تؤلمني أيضاً. إنها حية. جلدي يحكّني. أريد أن أحكّ طوال الوقت. أحكّ وأحكّ. لا أستطيع التفكير في الضوء. أنا بأمان هنا. لكن لا أعرف إلى متى...»

رفعت رأسها ونظرت إلى إد بعينين سوداوين واسعتين، وقد تخضّب

بياضهما باللون الزهري. اتّسع منخراها وشمّت الهواء بقوة. فقع شيء واهتزّ في حنجرتها.

تنهدت، لعقت شفتيها الجافتين ثم أبعدت خصلة شعرها عن إحدى أذنيها.

«انظر.»

مال إد إلى الأمام. كانت هناك مجموعة من الدمامل الكبيرة المنتفخة بالقيح، تناثرت حول أذنها، لتسدّ فتحة الأذن. من هناك تراصّت نزولاً حتى رقبتها وتحت ذقنها، لتصبح أصغر حجماً.

«هذا ليس الأسوأ»، قالت، «جسمي أسوأ. أوه يا إد، لا أريد أن أُصاب بالوباء. لا أريد أن يصبح للأحمر أن يستحوذ عليّ.»

«معذرة؟ ماذ؟ لم أفهم.»

«لم أقصد قول ذلك. أنا... أردتُ أن أقول... لا أعرف. أحتاج إلى أكل شيء. لكنني أشعر بالعطش. هل لديك بعض الماء، رجاءً؟»

«توجد قنينة هناك»، قال إد، «أتريدين أن أفتحها من أجلك؟»

«شكراً لك، أنت لطيف جداً، أنت Mechant.»

«ماذا تقصدينِ؟»، سأل إد وهو يلتقط القنينة، «أهذه كلمة فرنسية؟»

«لا أعرف. لمَ الظلام دامس هنا؟»

«قلتِ إن الضوء يؤذي عينيك»، قال إد وهو يفتح غطاء القنينة.

«ماذا؟»

«سألتيني لماذا...»

«لم أقل شيئاً.»

«خذي. اشربي القليل من هذا»، بقي إد على مسافة منها ومدّ القنينة نحوها. حتى من مكانه استطاع شمّ رائحة كريهة جداً تفوح منها.

لم تمد فريديريك يدها لتأخذ القنينة، لكنها تحركت في مكانها. كانت بائسة بالفعل. شعر بالأسى حيالها، وليس بالخوف. ثم سمع صوت قطرات فنظر إلى الأسفل ليرى بريكة من الدم تحت كرسيها.

كان هناك خطب ما.

نظر إلى القنينة وطبق الطعام وبقايا الدجاج النيء على الأرض. الجلد أبيض. نيء.

لا. هذا غير منطقي.

لِمَ عساهم يقدمون لها دجاجاً نيئاً؟

لم تكن حيواناً.

وتلك لم تكن دجاجة.

نظر مجدداً.

كان إبهاماً بشرياً. تدلّى من الطرف قطعة جلد دامية ونتأت عظمة مكسورة من الطرف.

ابتلع إد ريقه. كان فمه جافاً وكأنه مليء بالغبار.

إبهام مَن هذا؟

لا بد من أنه إبهامها.

لكن لم عساها تقطع إبهامها؟

عرف الجواب لكن بعد فوات الأوان. كانت فريديريك قد نهضت عن كرسيها وتوجهت نحوه وذراعاها ممدودتان أمامها. الأصفاد متدلية من خصرها، واليد الطليقة تفتقد إبهاماً. كان الدم يسيل على ذراعيها.

تقدمت بسرعة، وقبل أن يقوم إد بأي رد فعل أمسكت بقميصه من الأمام ودفعته بقوة نحو الحائط، بقوة لم يتخيل أن تتمتع بها أبداً. حاول الابتعاد عنها لكنها أمسكت به بقوة. أحسّ برأسه يدور. كان متعباً جداً من حمل جاك ليلة يوم البارحة وكانت عضلاته كلها تؤلمه. لم يظن أنه يملك القوة الكافية لقتالها. كشّرت عن أسنانها. كان اللعاب يقبق من بينها. قربّت وجهها أكثر. كان بياض عينيها يكاد يكون أحمر. خرجت قطرات رفيعة من الدم من قنواتها الدمعية وسالت على جانبي أنفها. فتحت فكّها باتساع واقتربت بفمها نحو إد. كانت قواها مرعبة. رائحة فمها كريهة مثل حيوان في حديقة الحيوانات. كان إد على شفير فقدان الوعي.

أخرجت لسانها ولعقت الجرح على خد إد.

«لا!»، صرخ، «ابتعدي عني!»

تمكّن بطريقة ما من التلوّي وضرب جانب فريديريك بكوعه، موقعاً إياها أرضاً. عوت وهاجمته مجدداً على أطرافها الأربعة. هذه المرة عرف إد أنها ستعضه. ركلها على فكها فسقطت على ظهرها.

كان لدى إد الوقت الكافي ليلتقط مسدسه ويصوبه نحو فريديريك قبل أن تتمكن من النهوض. جثمت هناك، تتلوى وتبصق.

«فريديريك، توقفي!»

تلوّت الفتاة المسكينة بألم وبدأت تتقيأ. تقيّأت سائلاً فضيّاً دبقاً تناثر على الحصى.

حينما خسرت المعركة تراجعت إلى الخلف، ضغطت بوجهها على الأرض وبدأت تنتحب.

«اقتلني يا إد»، توسلت، «أرجوك اقتلني. لا يمكنني الاستمرار هكذا.»

«لا يا فريد، لا... لا بأس، ستكونين بخير...»

كم عدد الكذبات التي كذبها عليها اليوم؟

واحدة أخرى بعد.

«انتظري هنا»، قال، «سأحضر شيئاً، سيساعدك.»

«حسناً...»

ابتعد إد عنها وطرق الباب ليفتح دوغ نت له.

62

مشى إد سريعاً إلى وسط القاعة الأمامية حيث كانت تقف عصابتان متنافستان من الفتيان يتطلعون بعضهم إلى بعض في ريبة.

«حسناً!»، صرخ، «اسمعوني جيداً. أحتاج إلى أن يجلب الجميع أسلحتهم وتشكيل صفين من أعلى السلالم التي تقود من مؤخرة القاعة إلى الأبواب الأمامية. لنشكّل مساراً، تكونون فيه مستعدين لأي تحرك. سأمرّر شخصاً ما عبره. إنها موبوءة، اتفقنا؟ لكنها واحدة منّا، لذا لا أريد أن يؤذيها أحد. أريد أن أخرجها من المبنى فحسب، وبعيداً عن هنا.»

«أمتأكد من أنك تعرف ما تفعل يا رجل؟» كان دوغ نت قد تبع إد من الطبقة السفلية، رأسه الصغير يتمايل فوق رقبته النحيفة، متوتراً.

اصطحبه إد إلى المدخل الأمامي.

«لا يمكننا إبقاءها سجينة هناك مثل حيوان»، قال بهدوء وبسرعة، «ستزداد حالتها سوءاً فحسب. إذا أطلقتُ سراحها فيمكنها على الأقل محاولة الاعتناء بنفسها.»

«حتى لا تضطر إلى التعامل معها؟»

«لا. ربما. نعم.»

«لكن إن أطلقتَ سراحها يا إد...»

«إنها صديقة.»

«إنها موبوءة الآن»، قال دوغ نت، «هذه هي التسمية التي تحبّون أن تطلقوها عليهم، أليس كذلك؟ موبوءة. والموبوءون ليسوا أصدقاءنا.»

«لكنها كانت...»، قال إد، «كانت صديقتي. ستموت هناك.»

«هذا صحيح»، أشار دوغ من خلال الباب نحو الحدائق، «وهناك ستكون حرة لتهاجم أي ولد تريد.»

«إذاً؟»، صرخ إد بغضب، «ماذا تريدني أن أفعل؟ أطلق النار عليها؟ أن أغرز حربتي في بطنها؟»

«لا أعرف...»

«حسناً، ولا أنا. لذا سأطلق سراحها. افتح الأبواب، وكن حذراً، لقد استطاعت خلع الأصفاد.»

«كيف فعلت ذلك بحق الجحيم؟»

«لقد عضت ابهامها حتى قطعته.»

«يا إلهي...»

كفّ دوغ نت عن الجدال. فتح الأبواب الأمامية ثم عمل على تشكيل الفتيان كما أمر إد الذي ذهب بدوره إلى فريديريك.

وقف الفتيان هناك في صفين طويلين، مسلحّين بالعُصي والحراب والسيوف والمضارب. انتظروا، بعضهم يضحك ويتفوّه بكلمات ساخرة وآخرون انتظروا صامتين مستغرقين في التفكير، مثل أولاد أُعدّوا ليشاركوا في لعبة لا يعرفون قوانينها.

بعد لحظات خرجت فريديريك، ترمش ومرتبكة، تغطي عينيها بيدها السليمة، والأصفاد تقرقع.

جفلت لرؤيتها الأسلحة وتقدّمت بين الصفين. سخر بعض أفراد مجموعة جوردن منها، وآخرون تفوّهوا بتعليقات لاذعة. حينها رفعت يدها المصابة، فصمتوا جميعاً.

تبعها إد، سلاحه مصوّب في حال حاولت فريديريك أن تستدير وتهرب عائدةً.

لكنها لم تفعل. واصلت المشي ببطء نحو المدخل الرئيسي. عندما وصلت إلى هناك توقفت. تأذّت من أشعة الشمس الساطعة، أحنت رأسها. أتى إد خلفها.

«عليكِ أن ترحلي»، قال.

استدارت نحوه. بدت حزينة فجأةً، طبيعية جداً، خائفة مثل فتاة صغيرة. هزّت رأسها.

أدار مسدسه نحو ظهرها وحثّها على التقدم.

«أرجوك يا فريديريك، اذهبي فحسب.»

سالت من عينيها على خديها دموع مختلطة بالدم. كانت شفتها السفلى ترتجف.

«إد»، قالت.

«اذهبي فحسب!» قالها إدّ بعصبية ودفعها فوقعت متعثرةً على الدرجات الأمامية.

أغلق دوغ نت الأبواب.

نهضت فريديريك، تقدمت نحو الزجاج وخربشته بيديها. جفل دوغ نت عندما رأى التمزق حيث كان إبهامها سابقاً. كانت تتوسل بالفرنسية وتنتحب.

«أنا آسف»، قال إد، فرمت فريديريك بنفسها على النافذة، يسيل لعابها عليها، تلطخها بالقذارة. حيوان مجدداً.

لم يرد إد أن ينظر. استدار وتركها هناك تضرب وتخربش الزجاج. لم يصدّق مدى السرعة التي مرضت بها، السرعة التي تغيّرت بها، السرعة التي انهارت بها.

هل سيكون وضعها أسوأ الآن بخروجها إلى الضوء؟ أسرع؟ لم يكن يعرف طبيعة عمل الوباء، لكنه رأى ما يكفي ليعرف كم تُسرع أشعة الشمس في تطوره.

حاول أن يبعدها عن تفكيره. مشى بين صفّي الفتيان الذين التزموا الصمت.

بقي دوغ نت واقفاً مكانه. لا ينظر إلى الفتاة بل إلى الأعلى، إلى السماء. كان يحسّ بألمٍ حاد في أحشاءه.

63

كان جوردن هوردن يجلس خلف مكتبه. كان قد اتخذ من مكتب المدير العام للمتحف في إحدى زوايا الطبقة الأولى مقراً له. كان قد وضع هناك سريراً بالقرب من الحائط، حيث يمضي معظم وقته في القراءة والتخطيط. كان باقي الأولاد ينامون في غرفة مجلس الإدارة، والتي حولوها إلى مهجع. كانت الغرفتان تطلاّن على المتنزه وكانت الرؤيا منها جيدة.

كان دايفيد كينغ يجلس أمام جوردن عند المكتب، يضع رجلاً فوق رجل بطريقة أنيقة، يستمع إلى جوردن وهو يشرح القوانين. لم تختلف القوانين التي نصّها على دايفيد عن تلك التي نصّها على أولاد الحافلة سابقاً. إذا استطاع هو وفتيانه العثور على الطعام لأنفسهم فوجودهم هنا مرحب به.

«ربما لا نريد البقاء.»

«هذا قرارك أنت.»

«قلتَ بنفسك إنه لا يمكن أن يكون هناك اثنين في القيادة»، تابع دايفيد، «أظنني على دراية كاملة بالأمور ولا أحتاج إلى من يملي عليّ تصرفاتي.»

«هذا عادل أيها الجندي. إلى أين كنتم تتجهون قبل عثوركم على إد؟»

«إلى مكان ما في وسط المدينة، مكان نجد فيه طعاماً وشراباً، مكان آمن، مكان مثل هذا، في الواقع.»

«حسناً، أخشى أننا وصلنا إلى هنا أولاً.»

«نعم.»

«لكن لماذا لندن؟ ألم تكن حالكم لتكون أفضل في الريف؟» سأل جوردن.

«سنتحول إلى مجتمع زبّال خلال السنوات القليلة المقبلة»، قال دايفيد، «سنعيش على ما يتركه الراشدون. هذا المكان، على سبيل المثال، مليء بالأسلحة التي لم نأمل يوماً في صنعها بأنفسنا. ليس حتى نتعلم المهارات المطلوبة.»

«صحيح. لذا لندن هي المكان الأمثل للقدوم. الريف سيكون بحال أفضل عندما يصبح أكثر آماناً، عندما يموت الغرباء وعندما نتعلم كيفية زراعة طعامنا بأنفسنا. لكن حالياً الوضع فظيع هناك. من المضحك أن المدينة هنا أكثر هدوءاً.»

«ستجدون مكاناً تلجأون إليه»، قال جوردن.

«أشك في أننا سنجد مكاناً آخر فيه هذا الكمّ من الأسلحة.»

«حسناً»، قال جوردن، «هذا هو الأمر إذاً؟ الأسلحة؟»

«لديكم بكل تأكيد أكثر مما تستطيعون استخدامه.»

«ليس بالضرورة. من يدري إلامَ ستؤول الظروف؟ من يعرف إلامَ سنحتاج في المستقبل؟»

«عشرون بندقية»، قال دايفيد، «هذا كل ما أطلبه. أعطني عشرين بندقية. لا بد أن لديك المئات منها هنا.»

«ماذا عن الذخيرة؟» قال جوردن.

«لم أفكر في ذلك.»

«معظم هذه الأسلحة من دون فائدة. ليست هناك ذخيرة لها. عثرنا على القليل من الأسلحة الفعالة في الترسانة وعلى بعض الذخيرة، لكنها ليست كمية كبيرة.»

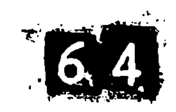
«حسناً إذاً، إذا كانت هناك بعض الأسلحة التي لا تستفيدون أنتم منها»، قال دايفيد، «فلمَ لا تعطينا إياها وتدعنا نقلق بشأن تأمين الذخيرة؟»

«إذا أعطيتكم الأسلحة، هل ستغادرون؟» سأل جوردن، لكن دايفيد لم يكن يستمع إليه. كان رأسه متصلباً في اتجاه واحد.

«أيمكنك سماع ذلك؟» قال.

«ماذا؟»

«يبدو أنه صراخ.»



كان هناك شجار كبير في القاعة الرئيسية بين مجموعة دايفيد ومجموعة جوردن. يبدو أن الطرفين، في غياب قائديهما، قد فقدا انضباطهما. كانا ينعتان بعضهما بعضاً بأسماء طفولية. كان فتيان دايفيد من مدرسة رسمية متميزة، بينما أكثر فتيان جوردن من المدارس الخاصة. لم يكن أي من الطرفين متأكداً كيف بدأ الشجار، لكن نشبت مباراة سباب شرسة من كليهما، فكانا يشتمان بعضهما بعضاً بأشنع الكلمات الموجودة.

نزل دايفيد وجوردن على السلالم يصرخان ويحاولان إعادة النظام. لكن الشجار كان قد خرج عن حدوده ولم تكن هناك من طريقة سهلة لإيقافه. كان الطرفان يتصرفان مثل فريقي كرة قدم متنافسين يخوضان عراكاً على أرض الملعب بينما كانا جوردن ودايفيد مثل الحكمين. كان أولاد الحافلة يؤدّون دور المتفرجين، يلكزون بعضهم بعضاً ويشيرون بأصابعهم، ويستمتعون بالحدث.

بدا أن بطاقات حمراء كثيرة ستصدر اليوم. كان لاعب الروكبي الضخم تحديداً غاضباً جداً.

«عليك أن تطلب منهم الاعتذار يا دايفيد»، واصل القول، ولم يكف دايفيد بدوره عن تجاهله.

في النهاية فقد دايفيد هدوءه وصرخ به:

«اصمت فحسب بود! اصمتوا جميعكم.»

خفّت الضجة قليلاً.

سأل بود: «ما الذي قررتماه على أي حال؟ لأكون صادقاً معك، لا أريد البقاء هنا مع مجموعة الأوغاد هذه.»

«فاشل»، صرخ أحدهم.

«إذا كنت مصراً أن تعرف، فنحن لم ننهِ نقاشنا بعد»، قال دايفيد، وقد عاد الهدوء إلى صوته.

«ألا يمكنهم أن يعطونا بعض الأسلحة ونغادر هذا المكان؟» قال بود.

«نعم، اغرب من هنا!» أتى صوت من بين الحشود.

«هناك الكثير لنتحدث عنه»، قال دايفيد، «وأنتم لا تسهّلون الأمر عليّ أبداً. أنتم تتصرفون مثل مجموعة من الصغار.»

«دايفيد»، قال أندي، الفتى ذو الأنف الكبير، «نحن صغار فعلاً.»

«لن أسمح لكم بالقتال بهذه الطريقة. يمكنني حل الأمور، لكن لأفعل ذلك عليّ أولاً أن أترككم خمس دقائق من دون أن تتقاتلوا.»

«هم بدأوا»، قال بود.

«لم نفعل!»

«قد لا يهم ذلك في مطلق الأحوال»، قال دوغ نت، الذي كان قادماً من المدخل الأمامي، «من الأفضل أن تأتوا لتلقوا نظرة على هذا.»

65

إد وجوردن ودايفيد ودوغ نت كانوا يقفون على سطح المتحف. كانت السماء مغطاة تقريباً بالدخان الأسود الكالح، الذي بدا واضحاً أنه ينتشر من جهة جنوب شرق لندن مثل حبرٍ يلطّخ قدراً من الماء. كانت هناك أصوات هدير وقرقعة مثل صوت شلال بعيد، وكان بإمكانهم رؤية اللهب يتمايل في السماء عن بعد. حملت الرياح الحارة رماداً وجمراً. كانت الطيور ترفرف هاربةً، والكلاب النحيلة التي نهشتها البراغيث تركض في اتجاههم، تخبّ على طول الطرقات وذيولها بين أرجلها.

«النيران تجعلهم يهربون بهذا الاتجاه»، قال دايفيد.

«الوضع يزداد سوءاً»، قال دوغ نت.

«نحن في مساحة مفتوحة هنا، أليس كذلك؟»، سأل إد، «أقصد أنّ المتنزه يحيط بالمكان، صحيح؟»

«ليس من الخلف»، قال جوردن، «هناك مبانٍ قريبة علينا جداً. إذا خرجت النيران عن السيطرة فقد تنتشر إلى المتحف. أظن أن علينا محاولة صدّها بطريقة ما.»

«المسألة هي»، قال دايفيد، «إذا احترق كل شيء من حولك فإنك لا تريد البقاء هنا، أليس كذلك؟ ستكون أرضاً قفراً.»

«على الأقل لن يبقى موبوءون»، قال إد.

«لن يبقى شيء»، قال دايفيد، «ستتقطّع بكم السبل هنا.»

«لن نغادر»، قال جوردن، «لقد قاتلنا كثيراً من أجل هذا المكان.»

«لكنك قلتَ بنفسك إنّ النيران قد تشتعل»، قال إد.

«سنخاطر.»

«حقاً؟»، كان دوغ نت قلقاً، «أنا لا أحب النار يا كابتن. سأكون صريحاً معك، إذا اقتربت النيران من هنا فسأغادر.»

«دوغ نت على حق»، قال إد، «لقد رأيت ذلك في الملعب البيضاوي. عندما تصبح النيران حارة كفاية فهي تحرق كل شيء.»

«ربما ستخفّ سرعة الرياح»، قال جوردن، «ستغيّر اتجاهها.»

كانت هذه هي المرة الأولى التي يشعر فيها إد أن جوردن يتكلّم بشكّ وتردد.

«شاهدت برنامجاً عن حرائق الأشجار مرةً»، قال دايفيد وهو يحدّق إلى السماء، «في كاليفورنيا وأوستراليا. تحولت بلدات بكاملها إلى رماد وأنقاض. تعتمد المدن على فرق الإطفاء. من دونها تنتشر النيران بسرعة، وحينها يستحيل إخمادها. سآخذ فتياني وأغادر، لكن أولاً عليك أن تعطينا بعض الأسلحة يا جوردن. لا جدوى من تركها هنا لتحترق.»

«أنا أؤيد دايفيد»، قال إد، «سأستعد على الأقل للمغادرة. عليك أن تفعل ذلك أيضاً يا جوردن. احزم كل شيء، ضعه في الشاحنة إن أردت.»

«لا يمكنني مغادرة المتحف.»

«اللعنة يا جوردن. انظر إلى هذا! الأفق بأكمله تغطيه النيران. يمكنك العودة بعدئذ. ستتفقد إن كان المتحف لا يزال بخير. أما أنا فلن أخاطر. سأعيد تحميلَ طعامنا إلى الشاحنة. إذا رأينا أن النيران تكاد تصل إلى هنا فسنتجه شمالاً، عبر النهر. على الأقل سيمنع التايمز النار من الانتشار أكثر. صدقاً يا جوردن، لندع النيران تنهش ما تريد وسنعود عندما ينتهي كل شيء.»

«لن أغادر.»

66

خلف الكلاب، ظهر الأولاد. أعداد قليلة ثابتة منهم تتجه نحو الجسور. فتيان وفتيات متسخون، مرهقون، مذعورون. كان معظمهم يسيرون في مجموعات صغيرة، بعضهم يركبون الدراجات، وآخرون يجرّون أمامهم عربات تبضّع مليئة بالمتاع، من بينها حقائب ذات دواليب صغيرة. آخرون احتشدوا في سيارات، يقودون ببطء عبر الطرقات المكتظة.

وزّع جوردن الحرس على جميع مداخل المتحف لمنع أي شخص من محاولة الدخول عنوةً، لكن لم يرد أحد التوقف. لقد رأوا النار، كانوا يعرفون ما يمكنها أن تفعل، لذا أرادوا الفرار فحسب.

نظم إد مجموعة الحافلة في فريق. جمعوا كل الطعام وأعادوا تحميله إلى الشاحنة إضافةً إلى أكياس النوم وبطانياتهم. ساعد دوغ نت، وبقي في الخارج مع إد للتأكد من أن أحداً من الأولاد المارة لن يسرق شيئاً. مرّتين انحرفت مجموعة من الأولاد الضخام عن مسارها، وأتوا لإلقاء نظرة، لكن عندما رأوا أسلحة الفتيان تابعوا سيرهم وهم يتهكّمون ويرمونهم بالأشياء.

مجموعة، من ثلاثة فتيان وفتاة، توقفت لطلب الماء. أعطاهم إدّ قنينة وسألهم عن النيران.

«كنا نختبئ في بناية عالية في بريكستون»، قال الفتى، «كان عددنا كبيراً جداً. البارحة تأججت النيران في السماء. هذا الصباح، كان كل شيء يشتعل. كنا في الأعلى واستطعنا رؤيتها تلتهم المباني، المبنى تلو الآخر. لن يوقفها شيء أبداً. هل ستهربون؟»

«على الأرجح»، قال إد.

«لا تنتظروا طويلاً يا رجل، فهي تتحرك بسرعة. إنها عاصفة نارية. إذا اقتربت لن يمكنكم تجاوزها. سنقطع النهر، سنخاطر بالذهاب إلى الجانب الشمالي، رغم أنني كرهت شمال لندن دائماً. لكن لا خيار الآن، بالكاد ظلّ شيء من جنوب لندن.»

«صدقاً»، قالت الفتاة، «لا تتأخروا في المغادرة. المجانين قادمون، الآلاف منهم، قادمون في هذا الاتجاه هرباً من النيران. برأيي جميعهم، حتى آخر مجنون في جنوب لندن.»

كان ويكي وجيبر جابر يرتّبون الأطعمة في مؤخرة الشاحنة برفقة زهرة وفروغي.

«أيمكن أن نحترق؟» قال فروغي، وعيناه الكبيرتان أوسع من أي وقت مضى.

«نعم»، قال ويكي.

«هل ستحترق لندن بأكملها؟»

«على الأرجح لا. ستخفّ سرعة الرياح، أو قد تُمطر، كما أن هناك النهر الذي يشكل مانعاً طبيعياً للنار. لكن في حريق لندن الكبير، عام ألف وستمئة وستة وستين، احترقت ثلاثة عشر ألف منزل. حينها كان يسكنها ثمانون ألف شخص. حوالى سبعين ألفاً منهم خسروا منازلهم. عام ألف وتسعمئة وستة في سان فرانسيسكو تدمّرت خمسة وعشرون ألف مبنى بسبب النيران... في الواقع، ترافقت تلك النيران بهزة أرضية.»

أتى إد ليتفقد سير العمل. كان برفقته جميع أفراد مجموعة الحافلة. كان كوانيلي يسير معه، وهو يجر حقيبته، وكان يرتدي زي أدميرال عثر عليه سابقاً. كان يتبعه كريس ماركر، للمرة الأولى لا يقرأ كتاباً. كان جاستن الذكي يحمل مدفع رشاش خفيف الوزن لحماية نفسه. لم يكن ملقّماً، لكنه بدا خطراً ومنحه ذلك حسّاً بالأمان. ثم أتى المجنون مات وأرتشي وأتباعه، يحملون رايتهم السخيفة. كان الجرح على جبهة مات ملتهباً، لكنه

لم يغطيه، بل جعله يبرز كوسام شرف. في المؤخرة كانت بروك وكورتني وأليشيا، هادئات على غير عادتهن، خائفات.

أومأت بروك في اتجاه الأولاد الذين كانوا يهرولون عبر الطرقات، وقالت:

«أترين يا أليشيا. لسنا وحدنا. قلتُ لك ذلك.»

احتشدوا جميعاً، متوترين، يراقبون السماء. صرخ إد ليحظى بانتباههم.

«بقي منا فقط ثلاثة وعشرون شخصاً»، كانت قد انتشرت الأخبار عن جاك وبام رغم أن إد لم يرد التحدث بالأمر، «وسنفقد المزيد. مفهوم؟ لذا إليكم الواقع، النار تنتشر في اتجاهنا، وتنتشر بسرعة.»

«سنتجه شمالاً»، قال مات بثقة كبيرة، «لم يُقدَّر لنا البقاء هنا أبداً. الحمل هو من أرسل النار.»

«أرجوك يا مات...»

«علينا أن نعبر النهر والذهاب إلى المعبد في المدينة، إلى سان بول. أليس كل ما يحصل واضحاً؟»

«لا، ليس واضحاً على الإطلاق»، كان إد يحاول عدم فقدان السيطرة على أعصابه، «لِمَ عسانا نذهب إلى سان بول؟ سنقرر إلى أين نتجه بعد عبور النهر.»

«علينا أن نُسرع»، قال فروغي، «لا أريد أن أحترق.»

«هناك بعض الأمور التي عليّ فعلها قبل المغادرة»، قال إد.

«سنذهب إلى سان بول»، أصرّ مات.

«اخرس. دعني أنهي كلامي!»، حدّق إد في مات حتى تأكّد من أن الأخير لن يقاطعه مجدداً، ثم تابع كلامه: «كوانيلي، أريدك أن تذهب للعثور على جوردن. قل له إذا كان يريد تحميل أي شيء في الشاحنة فمن الأفضل أن يُسرع. جاستن، أحتاج إلى التحدث إليك أنت وويكي في الداخل. ليبقَ الباقون هنا قرب الشاحنة.»

«يجب أن ننقذ الكتب»، قال كريس.

«أي كتب؟»

«توجد مكتبة كاملة في الداخل. سأحتاج إلى مساعدة الجميع في إنقاذ الكتب الأكثر فائدةً.»

«لا نحتاج إلى كتب الآن يا كريس.»

«بلى، نحتاج إليها»، قال كريس بعنف، «إذا أردنا أن ننجو فنحن بحاجة إلى المعرفة. والكتب تحتوي على المعرفة. ثق بي. ستنقذ الكتب حياتنا بقدر الأسلحة.»

«حسناً، حسناً. بروك، أنت مسؤولة عن مساعدة كريس. اذهبن ثلاثتكن معه، ساعدنه في جلب كل ما يريد ولتُحمَل الكتب في أحد هذه الأقفاص الفارغة. في قفص واحد فقط، اتفقنا؟ ثم اصعدن إلى الشاحنة من دون الجدال معه. ابقين هادئات. نفذن مهمتكن فحسب.»

«بالتأكيد أيها الرئيس.»

«وافعلن ذلك بسرعة، الوقت يتأخر.»

«حسناً.»

«من يبقى إذاً لحراسة الشاحنة؟»

«سنفعل ذلك»، قال مات.

«أنت؟»

«جميعنا مسلحون.»

بالفعل، رأى إد أن مات وأتباعه قد حصلوا على بنادق وكانوا يحملون أيضاً سكاكين وسيوفاً.

«حسناً»، قال إد، «لكن إياك أن تراودك أي أفكار غبية بشأن المغادرة من دوني»، استدار نحو جاستن، «تعال معي. علينا التحدث.»

67

«فريديريك غادرت. أظن أن الجميع يعرف ما حدث لها؟»

«نعم»، قال جيبر جابر.

كان إد في متجر المتحف مع جاستن وويكي. أصر جيبر جابر أن يأتي برفقتهم. لم يكن من الممكن إبعاد ويكي وجيبر جابر عن بعضهما، والآن كان يقصّ ما حدث بطريقته المسرحية.

«لقد أصيبت بالوباء، لقد جُنّ جنونها وحاولت التهام فروغي، مثل قطة برية. هكذا بدت، كانت مخيفة جداً، ليست مخيفة بقدر غريغ عندما جنّ جنونه داخل الحافلة، لكنّ ما حدث لم يكن لطيفاً، لا بد أنها كذبت علينا بشأن سنّها.»

« لم نسألها عن سنها أبداً»، قال إد، «نحن خمّنّا.»

«هذا يفسر الكثير»، قال جاستن.

«بالضبط. تكاد تبلغ السادسة عشرة.»

«ماذا سيحدث لها؟» سأل ويكي.

«وحده الله يعلم»، قال إد، «إنها لوحدها الآن. حاولت مهاجمتي عندما كنتُ أتحدث إليها. بدت طبيعية في البداية. لمَ عندما يصابون جميعهم بالمرض يريدون أن يهاجموننا؟»

«أهذا ما أردت التحدث معنا عنه؟» سأل جاستن.

«حسناً، الأمر الأساسي...»، سكت إد غير متأكد إن كان عليه أن يُكمل.

«ماذا؟»

«حسناً. لكن عليكم أن تعدوني أنكم لن تخبروا أحداً.»

«حسناً.»

«عيد مولدي الأسبوع القادم»، قال إد، «سأبلغ الخامسة عشر. سؤالي هو: هل سأصاب بالوباء مثل فريديريك؟»

جلس الفتيان الثلاثة هناك، يحدّقون فيه فحسب. تابع إد:

«أقصد، ماذا يحدث لنا عندما نكبر في السن؟ هل سنصبح جميعاً موبوئين؟»

كان الفتيان لا يزالون صامتين.

«هيا»، قال إد، «قولوا شيئاً.»

«لا نعرف يا إد»، قال جاستن، «من أين لنا أن نعرف؟»

«لا بد أن لديكم فكرة عن الأمر.»

«حسناً...»، عضّ جاستن على شفته، «حسناً. أظن أن وضعك لن يكون سيئاً في مطلق الأحوال.»

«لماذا؟»

«عليك أن تبحث عن دليل»، قال ويكي.

«حسناً، حسناً، أي دليل؟»

«كنا نتكلم في هذا الأمر أنا والأصدقاء»، قال جاستن، «أحياناً، عندما نتكلم في مسألة ما يقلّ خوفنا منها. لذا كنت نتحدث عن السبب الذي يجعل الموبوئين يأكلون الأولاد.»

«حسناً، يمكنني أن أرى كيف أن التحدث في هذا الأمر يجعل فروغي أقل خوفاً»، سخر إد.

«إنه كذلك في الواقع»، قال داستن، «إذا استطعتَ فهم أمر معين يمكنك التحكم به. وهناك أمر مختلف بيننا وبين الموبوئين.»

«نعم، قليلاً»، قال جيبر جابر، «إنهم مجانين!»

«ونحن فكّرنا بالأمر على الطريقة الداروينية»، تابع جاستن، متجاهلاً جيبر جابر.

«ما الذي تقصده بالضبط»، قال إد، «ليس لدينا وقت طويل. ما هي الطريقة الداروينية؟»

«البقاء للأصلح: علم الوراثة، طقوس الزواج، الرجل ألفا، ملكات النحل، مستعمرات النمل، وكل تلك الأمور في سلسلة دايفيد أتينبورو.»

«ما علاقة هذا بكوني سأبلغ الخامسة عشر؟»

«نحن حيوانات بقدر أي حيوانات أخرى»، قال جاستن، «وكل ما نفعله هو من أجل البقاء. كذلك الموبوءون.»

«دعني أبسّط الأمر»، قال ويكي، «مهما كان ما يفعله الموبوءون، فهو أمر غير عشوائي. لذا علينا أن نفترض أن الموبوئين يأكلوننا للبقاء على قيد الحياة.»

«أوه، اللعنة، نحن نعرف ذلك!»، حاول إد ألا يضحك على سخافة المحادثة. كان ويكي وجاستن يتحدثان بجدية وعلمية بحتة، «يحتاجون إلى أكل شيء، لذا يحاولون أكلنا.»

«لكن لَم نحن؟»، قال جاستن، «لَم، من بين كل مصادر الأطعمة المتوافرة، يختارنا الموبوءون نحن؟ أقصد، من المعلومات التي جمعناها، لو لم يكن هناك أولاد لأكلوا أي شيء للبقاء على قيد الحياة – جرذان وحمائم ميتة – أي طعام يمكنهم العثور عليه، حتى رقائق البطاطا المقرمشة على ما أظن، هذا إن تمكنوا من فتح أكياسها. لكن إذا توفر الخيار فهم يفضّلون أكل الأولاد. رغم أننا نقاتلهم؛ رغم أننا نقتلهم. حتى لو قدّمنا لهم شريحة طرية من اللحم اللذيذ مع المقرمشات فلن يهتموا، سيحاولون قضم يدك وأكلها بدلاً من ذلك.»

«حسناً، أفهم ذلك.»

«حسناً»، قال جاستن وهو يلوي أصابعه معاً مثل أستاذ مدرسة عجوز. كان يستمتع بهذه المحادثة بالفعل، «في البرية تعرف الحيوانات ما يجب أن تأكل وما لا يجب أن تأكل. ليس هناك طعام ذو تسميات غذائية، لا تواريخ انتهاء صلاحية، لا نصائح غذائية أو برامج فن الطبخ. حتى إنها تأكل بعض الأشياء كدواء.»

«أتعرفون كلبي؟»، قال جيبر جابر، «اعتاد أكل العشب ليجعل نفسه مريضاً، كان يعلكه ثم يبصقه، كان يبدو مضحكاً، لكن مقرفاً في نفس الوقت.»

«بالضبط»، قال جاستن، «الكثير من الحيوانات تفعل أموراً كهذه. لا تعرف لماذا تفعلها لكنها تفعلها فحسب. لديها دافع ما. يبدو أن أجسامها تعرف ما تحتاج إليه وإن لم تكن أدمغتها تعرف ذلك.»

«هل تقول إنّ الموبوئين بحاجة إلى أن يأكلونا، بطريقة أو بأخرى؟»، سأل إد وقد زاد اهتمامه الآن، «للبقاء على قيد الحياة؟»

«يبدو أن هذا هو الجواب الأمثل حتى الآن»، قال جاستن، «دعونا ننظر إلى الوقائع»، وأخذ يعدّ على أصابعه، «أولاً، عندما يمرض أحدهم، ما الشيء الأول الذي يفعلونه؟»

«يهاجمونه.»

«صحيح. ثانياً، لِمَ لم يمرض غريغ بسرعة مثل الراشدين الباقين؟»

«لا أعرف. لماذا؟ ليست لدي أي فكرة.»

«هيا فكر... ماذا كان يأكل؟ ذلك اللحم المدخّن.»

«أوه صحيح. وتظن أن ذلك لحم بشر؟»

«ليس أي لحم بشر عادي. لحم صغار.»

«حسناً. أفهمك الآن على ما أظن»، ابتسم إد، «حسناً، أنت تقول: إذا أكلونا فذلك يساعدهم في إبعاد المرض. أهذا ما تقوله؟»

«ربما»، نهض جاستن وبدأ يمشي ذهاباً وإياباً، «انظر إلى أقوى الموبوئين. إنهم ليسوا موبوئين كثيراً، صحيح؟ لذا هم يمسكون بنا نحن الأولاد بطريقة أسهل. ربما الأمر يشبه أحجية الدجاجة والبيضة، أي أن الأمرين متصلان ببعضهما بطريقة ما. كلما أكلوا المزيد من الأولاد يمرضون أقل، وكلما مرضوا أقل يحصلون على أولاد أكثر للأكل.»

«أنت تقول إننا نوع من الدواء بالنسبة إليهم؟»

«بطريقة ما، نعم.»

«اللعنة»، قال إد وهو يهز رأسه ببطء، محاولاً فهم كل ما سمع للتو.

«نظن أن هناك شيء فينا يحتاج الراشد إلى أكله حتى يبقى على قيد الحياة»، قال ويكي، «هذا يعني أن سبب عدم إصابتنا بالوباء هو أننا مختلفون عنهم؛ مختلفون بيولوجياً بطريقة ما. كل شخص أصغر من خمسة عشر سنة لديه شيء ما في الداخل، شيء يقيه من المرض.»

«ما هو؟»

«ليست لدينا أي فكرة»، قال جاستن، «لكنّ الموبوئين يستطيعون الشعور به من دون وعي. ممم... لا أعرف، ربما يستطيعون شمّه. أتذكر ما حدث مع فريديريك عندما تعرضت للهجوم عند الشاحنة؟ لم يهتم الموبوءون بها. تركوها وشأنها وذهبوا يسعون خلف أولاد آخرين. وهذا يفسّر سبب عدم أكلهم لبعضهم بعضاً، حسناً، ليس إلا إذا كانوا يائسين كلياً. دافعهم الأساسي هو مهاجمة وقتل وأكل الأولاد، لأننا الشيء الوحيد الذي يُبقيهم على قيد الحياة. لَم يموت البعض من المرض وآخرون يعيشون؟ يعيشون لأنهم يأكلون الأولاد. وكلما أكلوا أكثر يعيشون أطول.»

«هذه الفكرة ليست جميلة أبداً.»

«نعم، لكن كما قلت، المعرفة قوة»، قال جاستن، «كلما فهمناهم أكثر عرفنا كيف ندافع عن أنفسنا.»

«وماذا عن أشعة الشمس إذاً؟»

«ماذا تقصد؟»

«لَم أشعة الشمس تجعل حالتهم أسوأ؟»

«حقاً؟» قطب جاستن. هذه معلومة جديدة عليه.

«أوه، بربك يا جاستن»، قال إد مسروراً لأنه يعرف شيئاً لا يعرفه جاستن، «لا بد أنك رأيت ذلك. عندما تضع موبوءاً مريضاً في الشمس...»

«يتحوّل إلى فُشار»، قاطع جيبر جابر، «مثل يساريع متفجرة.»

«حسناً»، قال جاستن، «تابع.»

«يفضّلون البقاء في الظلام»، قال إد، «وعدم الخروج إلى ضوء النهار.

وفريديريك كانت بخير في الظلام، لكن جُنّ جنونها في الضوء. عندما تحدثتُ إليها كانت تقول إن أشعة الشمس تؤذيها.»

«ربما هناك شيء في الإشعاع الكهرومغناطيسي في الشمس»، قال ويكي، «ربما الأشعة فوق البنفسجية أو شيء من ذلك. قد تسرّع أشعة الشمس من المرض. هناك أشخاص حساسون لأشعة الشمس. يضطرون للبقاء في الظلام وإلا تنبت البثور في جلودهم. يُسمّى الطفح الضوئي متعدد الأشكال.»

«من الواضح أننا لا يزال أمامنا الكثير لنتعلمه عن الوباء»، قال جاستن وهو يجلس مجدداً.

«ربما علينا القبض على بعض الموبوئين وإجراء التجارب عليهم»، قال إد.

«نعم»، قال جاستن، «قد يكون ذلك خطراً، لكن إن أردنا فعلاً أن نعرف ما يحصل فعلينا فعلاً أن نُجري اختبارات على بعضهم.»

«جاستن، كنتُ أمزح!»، قال إد، «لا يمكنك إجراء تجارب بشرية.»

«لم يعودوا بشراً يا إد. نحن البشر الوحيدون الباقون.»

«حسناً، كما تريد»، تنهّد إد وبدأ ينقر بأصابعه على الطاولة، «لكنكم لم تجيبوا فعلياً على سؤالي الأساس: هل سأظل بشرياً بعد عيد مولدي؟»

«تقول إن فريديريك حاولت مهاجمتك.»

«نظرت إليّ وكأني غداءها»، قال إد، «هاجمتني بفم مفتوح وواسع.»

«إذاً لا بد أنك تملك في داخلك ذلك الشيء الذي يقيك من المرض.»

«نعم، لكن هل سيبقى هناك عندما أكبر في السن؟»

«جوابي المنطقي هو نعم»، ابتسم جاستن لإد، «أنت بخير على الأرجح.»

«على الأرجح؟»

«من الصعب أن تحسم شيئاً في العلوم»، قال جاستن، «وعلى الأرجح هي أفضل ما يمكننا أن نقدمه لك.»

«إنها أفضل من لا شيء»، ابتسم إد له، «حمداً لله على وجود الأذكياء في هذا العالم.»

«لكن عند أول إشارة لسعال أو برد»، أضاف جاستن، «أو حمى أو طفح جلدي أو بثور من أي نوع، ستبتعد عني كلياً، مفهوم؟ وستبقى بعيداً!»

قبل أن يتمكن إد من الإجابة رأوا وميضاً وسمعوا صوتاً هادراً. اهتزّ المبنى بكامله وتكسّر عدد من النوافذ.

«ما كان ذلك؟» قال جيبر جابر وهو يقفز خوفاً.

«انفجار من نوع ما على ما أظن»، قال جاستن. أشار في اتجاه النوافذ المكسورة، «من هذا الاتجاه.»

«خزانات الغاز»، قال إد، «أراهن أنها خزانات الغاز. هذا يحسم الأمر، سنغادر المكان في الحال.»



«يبدو أننا لن نذهب إلى أي مكان. أظن أننا سنبقى أوفياء للجنرال»، صنع دوغ نت مسدساً من أصابعه وأطلق طلقتين خياليتين في الهواء، «طخ – طخ!»

«هل ستبقى؟»

«نعم.»

هزّ إد رأسه: «أنت مجنون.»

«هذه ليست معلومة جديدة يا صديقي!»

كانت لا تزال هناك حركة متواصلة للأولاد العابرين بالقرب من المتنزه، يحدّقون بتجهم نحو المتحف. كان إد ودوغ نت يقفان عند مؤخرة الحافلة. كان جاستن قد ركنها على العشب عند جانب المتحف، مستعدة للانطلاق. كانت النيران تقترب أكثر فأكثر. امتلأت السماء بالشرارات والدخان المتصاعد الذي كان يحرق الحناجر. كانت الرياح حارة جداً وكأنك تفتح باب فرن.

لوّح إد بيده بحركة يائسة. «سينفجر المكان بأكمله»، قال وهو يرفع صوته ليُسمع بسبب الضجة.

هزّ دوغ نت كتفيه: «لا أعرف يا صديقي. المكان هنا هو كل ما لدينا. إلى أين سنذهب إذا غادرنا؟ ماذا سنفعل؟ ربما علينا المواجهة. أتفهم قصدي؟»

«لا يمكنكم مواجهة النيران.»

«جوردن هوردن يستطيع ذلك. إنه فتى قوي. القائد الهمام.»

«حسناً. كما تريدون. لكننا سنغادر هذا المكان»، ربت إد بيده على كتف دوغ نت ومشى في اتجاه مقعد السائق، «حظاً موفقاً!»

«لحظة واحدة!»، ناداه دوغ نت، «لقد أعطاني الجنرال بعض العتاد من أجلكم. فكر أنكم قد تنتفعون منها»، لوّح دوغ نت لفتى كان يقف داخل المتحف، فخرج الأخير يجرّ عربة محمّلة بالأسلحة. رأى إد بنادق، سيوفاً، فؤوساً، مضاربَ، حراباً... مجموعة أسلحة ممتازة.

أحس أنه يريد البكاء.

«لقد رقّ قلب جوردن هوردرن»، قال وهو يلتقط بندقية ثُبتت حربة في طرفها، «ليس قاسياً كما يبدو عليه، أليس كذلك؟»

«لا تقلق»، قال دوغ نت مع ابتسامة ملتوية، «ليس ملاكاً. لقد احتفظ بالأشياء الجيدة لنفسه.»

«ماذا عن دايفيد؟»

كزّ دوغ نت على أسنانه: «لقد حصل على أسلحته.»

لم يكد دوغ نت ينهي جملته حتى خرج دايفيد وفتيانه من المبنى، يحملون بفخر بنادقهم المعلقة على أكتافهم. ألقى دايفيد أوامره وتوقفوا ليصطفوا بالقرب من الشاحنة، وجميعهم يبدون في غاية الجدية وكأنهم عسكر حقيقيون، لكن لم يخلُ الأمر من ابتسامات طفولية وهم ينظرون إلى بعضهم بعضاً فرحين بأسلحتهم مثل فرحهم بالألعاب الجديدة.

أتى دايفيد إلى إد.

«نحن نريد أن نكون بمثابة مرافقة لكم»، قال، «أظن أننا ببقائنا معاً لدينا فرصة أكبر في عبور النهر.»

«هذا عمل صائب منك يا دايفيد»، قال إد، «لكن ماذا تريد في المقابل؟»

«بعضاً من طعامكم.»

تبادل إد النظرات مع دوغ نت ثم قال: «هذا عادل بما يكفي، لكن هل ستتمكنون من اللحاق بنا؟»

«انظر من حولك»، قال دايفيد، «الطرقات كلها مزدحمة. كان السفر

عبرها صعباً جداً من قبل، والآن بات شبه مستحيل. يمكننا إفساح الطرقات من أجلكم. أنتم لا تريدون أن تعلقوا بالتأكيد.»

«حسناً»، نظر إد مجدداً إلى المبنى ثم إلى دوغ نت، «إنها الفرصة الأخيرة يا دوغ نت»، لفّ إد ذراعه حول كتفي الفتى النحيل، «أمتأكد من أنك لا تريد مرافقتنا؟ يمكننا الاستفادة من شخص مثلك.»

«دوغ نت سيبقى هنا يا صديقي. جوردن لا يجبرنا على ذلك أو شيء من هذا القبيل. إنه خيارنا. نحن فريق. سنبقى هنا. سنقاتل من أجل ما لدينا. لقد عانينا الكثير لنكسب هذا المكان.»

«ودّعه من أجلي»، قال إد، «وشكراً.»

«حظاً موفقاً يا أخي»، قال دوغ نت، «عد لرؤيتنا عندما تخمد النيران.»

ضحك إد، صفق الأكفّ مع دوغ نت وعاد إلى الشاحنة حيث كانت تقف مجموعة الحافلة في انتظاره.

«حسناً»، صرخ، «جاستن، إلى الأمام. سأركب معك. وبروك؟»

«نعم؟ ماذا؟»

«أنتِ أيضاً، معي ومع جاستن. ليركب الباقون في الخلف.»

تسلّقَ جاستن مقعد السائق، وجلس إد وبروك إلى جانبه.

«ماذا تريدني أن أفعل هنا، معك في المقدمة؟»

تنهّد إد وقال: «أعرف أنكم جميعاً تريدونني أن أكون القائد وأن أتّخذ القرارات الصعبة، لكنني لست متأكداً من أنني أعرف دائماً التصرف الأفضل.»

«حسناً! إذاً؟»

«وأنت ثاني شخص هنا يحظى بالاحترام الأكبر من الآخرين. من الآن وصاعداً أنتِ وأنا سنعمل معاً، اتفقنا؟»

استهجنَت بروك الأمر لكنها شعرت بالإطراء والخوف في آن واحد.

«حسناً.»

التفت إد جنوباً، يحاول أن يُقدّر المسافة التي تبعد بها النار عنهم، ثم استدار إلى بروك.

«هل أنتِ مستعدة إذاً؟»

جفلت برَوك وانكمشت بعيداً عنه. لم ترد أن تنظر إلى الجرح الذي خطّ وجهه، لكنها كانت مفتونة في الوقت نفسه.

«أنا آسفة»، قالت، «لا أكفّ أنسى. ما زلتُ غير معتادة عليك، وأنت... مجروح. يبدو الجرح فظيعاً يا إد. أنت لم تنظفه حتى كما يجب. ألم يكن بإمكانك أن تطلب من أحد فتيان جوردن أن يساعدك؟»

تنهّد إد ومرّر أصابعه على الجرح. كان وجهه يؤلمه جداً وعينه متورمة. أمل أن لا تكون عينه الداخلية قد تأذت.

«لم يكن لدي وقت»، قال.

«إد، عليك أن... أنت لا تريد أن تسوء حالك. تبدو بحالة يُرثى لها.»

كان إد مشغولاً جداً ليفكّر بجرحه، وأراد أن تبقى الحال كما هي، فهناك الكثير ليقلق حياله.

«ما الذي برأيكِ يستطيعون فعله على أي حال؟»، قال بطريقة جلفة، «يلصقون ضمادة عليها ويعطونني باراسيتامول؟»

«إن لم تدع أحداً يعالج هذا الجرح فلن يرضَ أحد بأن يقبّلك مجدداً»، دمدمت بروك بغضب، منزعجةً من أسلوب إد.

«سأهتم بالأمر لاحقاً»، قال إد، «علينا أن ننطلق الآن. سيحلّ الظلام قريباً، هذا إن لم تُضئ النيران المدينة بأكملها.»

«دعني أنظفه على الأقل»، قالت بروك، «لديك شيء مثل الورق والأوساخ العالقة عليه. يبدو نتناً»، مدّت بروك يدها نحو وجه إد ثم سحبتها بعيداً باشمئزاز.

«تبدو كأنك واحد منهم»، قالت، «أنت لا تتحول إلى فريديريك، أليس كذلك؟»

«أغلقي باب الشاحنة فحسب يا بروك، ولنبتعد عن هذا المكان.»

69

حرثت الشاحنة الأرض عبر السياج عند جانب المتنزه، فسطحته أرضاً، وهلّل الأولاد في مؤخرة الشاحنة. عند وصولهم إلى الشارع اضطروا إلى السير ببطء. كان الشارع يغصّ بالأولاد الهاربين. تقدمت الشاحنة بخطوات حلزونية، ودايفيد وفتيانه يفتحون الطريق أمامها، يُبعدون أكوام الركام الذي يسدّ الشارع، وكذلك عدداً من السيارات المعطلة. كل بضعة أمتار كانوا يواجهون عقبة على الطريق. ذات مرة، اضطروا إلى إزاحة لوحة إعلانية.

عندما قطعوا جسر سكة الحديد اضطروا إلى التوقف كلياً. كانت هناك سيارة مهجورة أخرى في طريقهم. وقف فتيان دايفيد مرتبكين، والشاحنة تهتز في مكانها، أما إد فبدأ يُصاب بخيبة أمل. كان يكره أن يكون عالقاً في زحمة خانقة، غير قادر على فعل شيء سوى المراقبة. كان جاستن يتعرق ويشتم، يترنّح على حافة الذعر، أما بروك فنكدة المزاج ومضطربة لإبعادها عن صديقتيها. لم تكفّ عن اختلاس النظرات المشمئزة إلى وجه إد. في النهاية، لم يعد إد يحتمل. ركل الباب وقفز لمساعدة فتيان دايفيد في إزاحة السيارة.

حالما أصبح الطريق خالياً قرر البقاء والسير معهم لبعض الوقت.

من الأسفل بدت الشاحنة ضخمة وكانت تتحرك ببطء عبر الحشود. ذكّره المشهد بأفلام الديناصورات القديمة، حيث تضطر إلى الهرب من كارثة طبيعية فظيعة. فيه تركض الديناصورات الصغيرة بسرعة، في وسطها أبتوسوريس يمشي بتثاقل.

كان التأخير يستغرق وقتاً طويلاً. خلفهم كانت النيران تقترب أكثر، تنتقل أسرع منهم، تلتهم بثبات طريقها عبر لندن. استطاع إد سماع هسيسها وفرقعتها ورؤية اللهب يرتفع في السماء فوق أسطح المنازل. سُمعت صرخات متباعدة، لكن كان من المستحيل معرفة من أي اتجاه هي قادمة.

أخيراً وصلوا إلى النهر، حيث اتسع الطريق قليلاً. أمامهم كان الطريق متلوياً، وعند الجانب البعيد كان يقع جسر لامبث. إلى اليسار ارتفع مبنى حديث من الفولاذ والزجاج وجدران مقوّسة. إلى اليمين، في تناقض حادّ، بدا ما يشبه كنيسة من القرون الوسطى، ومن الجانب الآخر تلك المباني المربّعة ذات القرميد الأحمر لقصر لامبث. كانت الكنيسة تتربّع وسط حديقتها الخاصة التي كانت تعجّ بالأولاد الذين ينتظرون عبور الجسر.

كان هناك طريق رئيسي يمتد على طول النهر، وهذا أيضاً كان مكتظاً. كان العدد الهائل للأولاد يشكّل زحاماً خطراً وبدا أن لا أحد يتحرك. كانت الزحمة على الجسر أيضاً، واضطر الأولاد إلى التسلق فوق السيارات ومن حولها للعبور. كانت فوضى عارمة. كانت هناك كلاب تنبح، أبواق تُبوّق، صبيان وبنات من جميع الأعمار يجلسون على الطريق متشبثين بصرر عتيقة تحوي أغراضهم الخاصة. حين وصل المزيد والمزيد من الأولاد بدأوا يتزاحمون ويتضاربون ويدفعون بعضهم بعضاً.

«لن نعبر أبداً»، قال أحد فتيان دايفيد وهو يحدّق في الجموع الغفيرة على الجسر.

«يجب أن نعبر»، قال إد، «لن تكون حال أيٍّ من الجسور الأخرى أفضل، ولن نصل إلى أي منها على الوقت.»

من مكان ما، إلى اليسار، دوّى انفجار. انطلقت في الأعلى نافورة من الشرارات الملونة، وبعد ثوانٍ قليلة أحسّ الجميع بقوته عندما اجتاحتهم هزة أرضية تخللت الحشود التي بدأت تُصاب بالذعر. بدأ الفرار الجماعي، لكن على غير هدى. ركض الأولاد في جميع الاتجاهات، يصدمون بعضهم بعضاً ويتعثرون بالأصغر سناً.

كان إد يشدّ شعره ويقضم جلده حول أظافره. ما الذي كان يحدث حقاً؟ لقد استحوذ عليه المزاج السيئ اليائس. لم يعد يملك الطاقة الكافية لفعل شيء. لقد استنفذها كلها. أنزل البندقية عن كتفه، أغمض عينيه، وانزلق ببطء، ظهره إلى أحد إطارات الشاحنة الكبيرة، وجلس على الإسفلت. وضع يديه على أذنيه حتى لا يسمع أصوات الصراخ.

سيموتون جميعاً هنا، على هذا الطريق اللعين، وكانت تلك غلطته. لم يجدر به قيادة الأولاد أبداً بعيداً عن أمان المتحف.

70

كانت النيران قد وصلت إلى المتحف، تحثّها الرياح القوية، فنهشت المنازل الواقعة في الخلف وكذلك صفاً من الأشجار عند طرف المتنزه. الآن، أخيراً، سقطت شجرة وحطمت زاوية المتحف، ليصبح مفتوحاً على الخارج.

بدأ الدخان ينتشر عبر المعارض.

كان جوردن في مكتبه يضع خططاً مع مجموعة صغيرة من الفتيان. كان دوغ نت في الخارج بالقرب من مدفعَي البحرية، يراقب الفوضى والارتباك. تصاعد الدخان بكثافة عبر المتنزه الذي بدأ يشتعل بسبب نيران قريبة.

كان دوغ نت قد بدأ يتمنى لو أنه غادر مع إد والآخرين. كانت طاقة النيران عظيمة ومخيفة. لم يرَ شيئاً مماثلاً قط. كانت قوة لا يمكن إيقافها. هل سيصمدون في هذا المكان؟

عاد إلى الداخل. كان الصبيان يجلسون برؤوس محنية، مرهقين من الخوف والتوتر. ألقى دوغ نت نظرة سريعة. كان رفاقه يجلسون في حالة من الغموض، وكأنّ قناعاً ما قد تعلّق في الهواء بينهم. نظر إلى الأعلى، إلى نافث اللهب الذي يتدلى من السقف. كان ضائعاً في الضباب الرمادي.

بلع دوغ نت ريقه. آلمته حنجرته.

«انظروا إلى هذا»، أشار أحد الفتيان إلى ما خلف القاعة الرئيسية.

71

«انهض!»

رفع إد رأسه ونظر إلى دايفيد بعينين نصف مغمضتين. كان يقف فوقه، مُمسكاً ببندقيته، شكل أسود تحت سماء نارية.

«لماذا؟»

«انهض يا إد.»

«ما الجدوى؟»

أمسك دايفيد بسترة إد وأنهضه على قدميه.

«ربما تريد الجلوس هنا لتُشوى»، قال، «أما أنا فلا. على كل واحد منا القيام بواجبه. لقد أرسلت بود وثلاثة آخرين ليتحروا الوضع عند الجسر. باقي أفراد فرقتي يحرسون الشاحنة. لا يمكننا أن نسمح بحدوث شيء للحمولة.»

أخذ إد نفساً عميقاً وقال: «ربما علينا هجرها فحسب. إذا نزل الجميع منها ومشو فسيكون العبور أسهل.»

«أهذا ما تريده حقاً؟»

تنهد إد.

«لا.» في الواقع لم يحتمل فكرة هجر الشاحنة. حياتهم كانت تعتمد على ما في داخلها، كما أنها مكان آمن للأولاد. لم يكن هناك مهرب من واقع أن الوضع على الجسر يزداد سوءاً. وصل المزيد والمزيد من الأولاد من كل حدبٍ وصوب، كانوا يملأون المساحات الفارغة، وكلما طال الوقت

الذي يجلسون فيه في انتظار أن يخلو المكان كانت النيران تقترب أكثر. كانت الرياح لا تزال تهبّ بقوة في اتجاههم، وكان الدخان كثيفاً جداً في الهواء فكان يحرق عيني إد ويلسع حنجرته فلم يكن يتوقف عن السعال.

دفعه دايفيد إلى جانب الشاحنة ورمقه بنظرة قاسية جداً.

«هل ستستسلم؟» سأل.

هزّ إد كتفيه. أراد فقط أن يتكوّر تحت الشاحنة ويخلد للنوم.

«أهذا ما كان سيريده أصدقاؤك الذين لم ينجوا؟» تابع دايفيد.

«لا.»

«إذاً، افعل ذلك من أجلهم.»

كان دايفيد على حق. لَم كان كل ذلك، كل ما مرّ به، كل ذلك القتال؟ أمن أجل أن يموت جاك وبام والآخرون؟

التقط إد بندقيته بتعب.

«جيد»، نظر دايفيد إلى ساعته، «لقد تخطت الساعة السادسة. علينا مواصلة السير. ما لم نأخذه في الاعتبار هو ما على الجانب الآخر. سيخرج الغرباء من مخابئهم. كلما أسرعنا في الوصول إلى مكان آمن كان أفضل.»

دوّت صرخة فاستدار دايفيد ليرى بود عائداً مع فرقة الاستطلاع.

«لقد اصطدم عدد من الأوغاد بسياراتهم»، شرح بود عندما وصل، «إنهم يتشاجرون ويتقاتلون مع بعضهم بعضاً. هناك المزيد من السيارات المتوقفة خلفهم، تحاول العبور أيضاً وتزيد من الأمر سوءاً. إنها تسدّ الجسر بكامله.»

«علينا أن نبعد السيارات عن الطريق»، قال دايفيد.

«كيف؟» سأل إد، مذهولاً من ثقة دايفيد.

رفع دايفيد بندقيته: «لدينا هذه، أليس كذلك؟»

«لا يمكنك إطلاق النار على كلّ مَن على الجسر.»

«لن أفعل ذلك»، قال دايفيد، كما لو أنه كان يتحدث إلى أحمق، «السلاح سيمنحنا بعض السلطة. هيا يا بود، أحضر الجميع، سنفتح الطريق أمام الشاحنة.»

سارت فرقة دايفيد نحو الجسر، دايفيد يصرخ على الأولاد المشتتين للابتعاد عن الطريق. بأعجوبة نفذوا الأوامر. ذهب إد نحو مقعد السائق وصرخ إلى جاستن ليتبعه، لكنهم الآن أصبحوا معرضين للهجوم من جحافل الأولاد الذين لم يكن أمامهم مكان يذهبون إليه. كانوا متعبين وجائعين ويائسين. لو عرفوا ما على متن هذه الشاحنة فما كان ليمنعهم شيء من مهاجمتها.

بينما كانت الشاحنة تتقدم ببطء، قفز إد على لوحة الأرقام الأمامية ومال نحو نافذة السائق.

«لا تسمح لهم بأن يسدوا الطريق أمامك»، قال لجاستن، «سيحاول دايفيد أن يفتح الطريق أمامنا. أبقِ الأبواب مغلقة ونافذتك مرفوعة. بروك، ابقي بالقرب من جاستن. أنت مسؤولة عن الشاحنة الآن.»

«ما الذي ستفعله؟»

«سأبقى هنا للتأكد من أحداً لن ترادوه أفكارٌ ذكية بشأن سرقتنا.»

«حسناً.»

قفز إد وشقّ طريقه نحو مؤخرة الشاحنة. كان مصراع الباب نصف مرفوع، والأولاد ينظرون إلى الجموع في الخارج من بين الأقفاص.

«أحتاج إلى المساعدة»، قال وهو يتسلق الباب الخلفي، «لقد ذهب فتيان دايفيد لفتح الطريق لنا، وأنا أحتاج هنا إلى المزيد من الأشخاص لحماية الشاحنة.»

في البداية لم يتحرك أحد، ثم نزل مات وأرتشي بيشوب وأتباعهما، يحملون رايتهم الغريبة. وقفت كورتني وأليشيا، اللتين كانتا خائفتين سابقاً، وهبطتا خلفهم. كوانيلي وكريس ماركر والأولاد الأصغر سناً لم يُحرّكوا ساكناً.

إد لا يستطيع لومهم، فالأجواء سيئة جداً هنا.

«أنتما الاثنان ابقيا هنا في الخلف»، قال إد لكريس وكوانيلي وهو يقفز إلى الطريق، «لا تسمحا لأحد بدخول الشاحنة. لن نبتعد كثيراً.»

أومأ كريس وقد امتقع وجهه. التقط كوانيلي بندقيته ذات الحربة ووقف

بالقرب من فتحة الباب. كان السلاح يهتز بين يديه. نظر إلى الخارج. كانت الوجوه تنظر إليه من الطريق خلف الشاحنة، وخلفهم كانت تتأرجح ألوان حمراء وبرتقالية من فوق المباني. كل بضع ثوانٍ كانت الشرارات تعلو في السماء.

سارت الأمور على خير ما يرام لبعض الوقت. زحفت الشاحنة إلى الأمام وسارت فرقة إد الصغيرة في الخلف وعند الجانبين. حتى تلك اللحظات لم يزعجهم أحد. كان الجميع عازمين على عبور الجسر. لم يُسرّ أولئك الذين كانوا يُجبَرون على الابتعاد عن الطريق، لكن عندما كانوا يرون البنادق بين أيدي فتيان دايفيد والشاحنة الضخمة التي تزحف خلفهم لم يكونوا يجرؤون على الاعتراض.

استطاع جاستن الالتفات بالشاحنة عند الطريق الملتوية، لكن حين اقتربوا من بداية الجسر سمعوا صرخات من الخلف وركضت حشود الأولاد إلى الأمام. كان الجميع يصطدمون ببعضهم، يدوسون فوق بعضهم بفزع، يحتشدون مجدداً في المساحة التي أخلاها دايفيد أمام الشاحنة. كان ذلك الفرار الهائل للأولاد سيمنع الشاحنة من التقدم مجدداً.

ظنّ إد في البداية أن النيران قد اقتربت جداً، لكن عندما نظر إلى الأعلى لم يرَ تغيّراً. كانت النيران لا تزال على بعد بضعة شوارع.

ما الذي كان يخيف الجميع إذاً؟

استدار من حول فرقته.

«علينا أن نتقصّى ما يحدث»، قال. أومأ الآخرون موافقين، رغم أنه استطاع أن يفهم أنهم لم يكونوا مسرورين جداً لفكرة الابتعاد عن الشاحنة.

«ابقوا معاً» قال، وشقّوا طريقهم عبر الحشود نحو مؤخرة الشاحنة. كان من المستحيل رؤية أي شيء في تلك الفوضى وكان إدّ على وشك الاستسلام عندما اجتاحه فرارٌ آخر وبدأ الأولاد يدوسون فوق بعضهم بعضاً، فسقطوا أرضاً بأعداد هائلة. استطاع حينها أن يرى ما في الخلف، حتى صفّ الأبنية القريبة.

كانت أليشيا أول من تكلم، لكنها اختصرت بكلماتها ما كان في بال الجميع.

تفوهت بثلاث كلمات فحسب: «أوه... يا... إلهي...»

في حشد كبير، ككتلة واحدة ضخمة، كان مئات الموبوئين يتقدّمون، يعرجون ويجرّون أقدامهم على طول الطريق، غاضبين، مرتبكين ويائسين للابتعاد عن النيران المقتربة حالهم حال الأولاد. الموجة الأولى ستكون أفضلهم حالاً، الأقل إصابةً بالوباء، الأكثر خطراً.

خلفهم سيأتي أولئك الذي يكادون يكونون موتى، وخلفهم النيران.

كان الفتيان والفتيات الأصغر سناً يركضون عبر الطريق وهم يصرخون مذعورين، يتسلقون فوق بعضهم وهو يحاولون الهرب. رفع إدّ فتاة صغيرة على قدميها ومرّرها إلى أصدقائها لينتبهوا لها.

«علينا أن نمنعهم من الإصابة بالذعر»، صرخ في مجموعته، «علينا أن نصدّ الموبوئين.»

شقّ طريقه عبر الحشود، مُمسكاً بكلّ من يحمل سلاحاً من أي نوع، أو بدا كبير الحجم أو أقوى من غيره أو أقل خوفاً.

«تعالوا معي!»، صرخ فيهم، «علينا أن نصدهم. يمكننا فعل ذلك، هيا بنا!»

انسحب معظم الأولاد وشتموه أو اندفعوا نحو الجسر متجاهلين إياه، قلة قليلة فقط فهمت ما يحاول فعله وانضمت إليه.

عندما وصلوا إلى آخر صفوف حشود الأولاد استطاعوا رؤية الموبوئين بوضوح. كانوا يأتون من كل اتجاه، بعضهم مغطى بالدم، وآخرون متّسخون بالسخام. لقد حوّلهم خوفهم إلى مجانين. كانوا يزمجرون ويكشّرون عن أسنانهم ويهزّون أيديهم بطريقة هستيرية.

رأى إد فتاةً في حوالى العاشرة من العمر تركض في اتجاهه. تعثرت فالتقطها موبوء في الحال. عاد فتى أكبر سناً لإنقاذها، فاختفى بدوره بين الحشود الموبوءة. وقفت مجموعة أخرى من الأولاد للمواجهة بالقرب من

حدائق الكنيسة. لم يكن أمامهم خيار آخر، فليس هناك من مفر. لكن كان عددهم قليلاً جداً وكانوا مسلّحين فقط بعصي المكانس التي كانت تتكسّر سريعاً بمواجهة الهجوم الشرس. لم يكن لديهم أمل في الصمود. خلال لحظات ستقع لهم مجزرة.

سحب إد مسدسه، وأطلق رصاصة نحو جدار الأجسام المتعفنة. لم يكن لديه أي فكرة إن كان قد أصاب أحدهم لكن الضجّة كانت كافية لجذب الانتباه كاملاً إليه، من الأولاد إلى الموبوئين.

لثانية واحدة بدا أنّ الوقت قد توقف. تقدّم إد إلى الأمام، من بين جموع الأولاد.

«علينا صدّهم!»، صرخ بصوت أجش، «جميعنا. معاً. استديروا وواجهوا!»

حمل مسدسه عالياً، لا جدوى من إهدار الطلقات في هذه الجموع الغفيرة.

«ليأتي معي كل من يحمل سلاحاً»، قال وهو يرفع مسدسه فوق رأسه بيد واحدة.

«الحمل سيحميكم!» صرخ مات وهو يرفع رايته، متقدماً أيضاً من بين الحشود. لم يكن لدى أحد أي فكرة عمّ كان يتكلم أو معنى تلك الراية، لكن بدا أنها تمنح نوعاً من الأمل، وبدأ الأولاد يجتمعون من حوله.

الآن، ها هم يشنّون هجوماً لدعم المجموعة الصغيرة بالقرب من حديقة الكنيسة. تمكّنوا من التغلب على الصفوف الأولى من الموبوئين، وعادوا لتشكيل خط دفاع. وجد إد كلاً من كورتني وأليشيا إلى يساره وفتىً ذا رأس كبير مسلّح بشوكة خاصة بالبستنة إلى يمينه. كان الفتى يشتم ويصرّ على أسنانه.

«هيا، هيا أيها الأوغاد الموبوءون، تعالوا، هيا...»

بعد تراجع قصير هاجم الموبوءون مجدداً. وباتوا قريبين إلى إد بما يكفي ليقاتلهم وجهاً لوجه. أم من دون شفتين. مراهق بذراع مكسورة، عظامه

ناتئة من جلده. أب بعينين متورّمتين، يهزّ برأسه من جانب إلى آخر. وهناك...

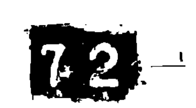
بيز.

فكه السفلي يضرب فوق صدره.

أحسّ إدّ بحمى الدم تجتاحه مجدداً. بدأ يشعر بذلك الهدوء الجسدي يستحوذ عليه مجدداً، شيء برّي وشرس وخارج عن السيطرة، مثل وحش مجنون يخرج من الظلام.

كان كما لو أنه يصبح شخصين.

«هجوم!»



كان دايفيد على الجسر مع فتيانه، يشقّون طريقهم بثبات، والشاحنة تتقدم خلفهم ببطء. كان حشود الأولاد خلفهم تزداد أكثر فأكثر، وكانوا في خطر التوقف مجدداً. كان مدركاً أن أمراً ما يحصل في الخلف... كان هناك صياح وصراخ، ثم طلق ناري. أصاب ذلك الأولاد على الجسر بحالة أكبر من الارتباك وكاد دايفيد يسقط أرضاً. منحته تلك الطلقة النارية فكرة.

حرّك مسدسه بين أصابعه، سحب الترباس إلى الخلف ونقل رصاصة من مخزن البندقية إلى التجويف. كانوا جميعهم قد تلقّوا تدريبات عسكرية في المدرسة، حيث تعلّموا مبادئ الجندية، ومن بينها استخدام البنادق. بنادق لي إينفيلد lee—enfield .303s التي كانوا يحملونها كانت تشبه بنادق 22s التي تدرّبوا عليها، لكن واقع استخدام البنادق في موقع قتالي حقيقي كان مختلفاً جداً عن الجو الهادئ والمنظّم للتدريب.

الأمر الأول، كان جذب انتباه الجميع.

صوّب إلى السماء وضغط على الزناد. اهتزّ السلاح، دوّت طلقة قوية وانطلقت الرصاصة نحو غيمة الدخان المعلقة فوق الجسر.

«ابتعدوا عن الطريق»، صرخ مصوّباً بندقيته نحو الأولاد في وسط الطريق، الذين التفتوا ليروا ما يحصل. صوّب فتيانه بنادقهم أيضاً، بعضها كانت تحمل حراباً، فأُخليت الطريق في الحال.

«إلى الأمام!» أمر دايفيد، فسار فتيانه في تشكيلتهم العسكرية، والشاحنة تتبعهم.

وصلوا إلى حيث السيارات المتوقفة. كانت هناك مجموعتان من الفتيان يتقاتلون. أولاد آخرون يصرخون عند الأطراف، هؤلاء أيضاً كانوا عالقين في سيارات مختلفة. عند جانب الطريق كانت تحترق حافلة من طبقتين، مما زاد الطين بلة.

«أوقفوا ما تفعلونه وحرّكوا سياراتكم من وسط الطريق!» صرخ دايفيد. بالكاد نظر الفتيان إليه. بعضهم لم يسمعه حتى، لذا أطلق النار في الهواء مجدداً. الآن استمعوا.

«أبعدوا هذه السيارات عن الطريق»، قال بلهجة ثابتة وهو يعيد تلقيم بندقيته، «أنتم تسدّون الجسر بكامله.»

«فلتصمت أيها الوغد الأحمق»، قال فتى قصير وبدين ذو وجه مسطح. ضحك أصدقاؤه. أنزل دايفيد بندقيته، صوّبها نحو صدر الفتى وأطلق النار.

شخر الفتى وسقط إلى الخلف. شتم بود، غير مصدّق ما حدث للتو. ساد صمتٌ صاعق بين الجميع.

حدّق دايفيد في دائرة الأولاد التي تشكّلت من حوله.

«قلت أبعدوا هذه السيارات عن الطريق.»

في الحال دبّ النشاط في الجميع، شُغِّلت المحركات، أُطلقت المكابح، دُفعت السيارات المتوقفة جانباً. خلال دقيقة كان هناك طريق مفتوح في وسط الجسر وواصل دايفيد سيره.

بالقرب من مقعد السائق، احتجّت بروك. نظرت إلى الأسفل، حيث كان يتمدد فتى سمين بالقرب منه فتاتان تنوحان. لم يكن يتحرك، كان من المستحيل معرفة أكان ميتاً أم على قيد الحياة. قالت:

«لا يمكنك فعل ذلك. لا يمكنك أن تُطلق النار على الناس بهذه الطريقة الهوجاء.»

«لقد فتح الجسر أمامنا»، قال جاستن.

«جاستن، لقد أطلق النار على فتى. بهذه البساطة.»

«إذا لم نستطع فتح طريق الجسر أمام الجميع للعبور»، قال جاستن،

«فسيموت المزيد من الأشخاص.»

«نعم، لكن... أقصد، لا يمكن إطلاق النار على الناس هكذا، هذا تصرف غير صحيح.»

«لا، غير صحيح»، قال جاستن، «لكن ما حصل حصل.»

«اسمعني يا جاستن، حالما نعبر الجسر، حالما يصبح الطريق خالياً أمامنا، علينا أن نهرب من هذا المعتوه، عليك أن تدوس بكل قوتك على دواسة البنزين هذه، مفهوم؟»

«ماذا عن إد؟»

«علينا أن نأمل أن يكون معنا. لن أنزل من الشاحنة للبحث عن أحد. أشك في أننا أكثر الناس شعبيةً على هذا الجسر في هذه الأوقات.»

غرز إد حربته في أبٍ سمين ولواها. تناثر الدم في المكان ودوّى عواء. سحب الحربة، لفّ سلاحه وضرب بمؤخرته وجه أم. لم يتوقف، غرز مجدداً، مخترقاً صفوف الموبوئين، مهشّماً جماجمَ، مُخرجاً أحشاءَ، بالكاد يدرك ما يحدث. كان الفتى ذو الرأس المربع إلى جانبه، يشتم مع كل غرزة من شوكته، يدفع ويصرخ ويركل. كورتني وأليشيا كانتا معه أيضاً، لكنه كان وحيداً بطريقة ما، ضائعاً في عالم من الدم، ينفّس عن كل غضبه ورعبه في بندقيته وحربته.

كان بيز يحدّق عبر عينين حمراوين منتفختين. يرى أكثر من أشكال بقليل، لكنه يستطيع شمّ رائحتهم.

ويمكنه تذوقهم.

كانت معدته تؤلمه، كانت تحترق بنيران باردة. الطريقة الوحيدة التي ستخمد ناره هي أن يرتشف دم واحد من هؤلاء الصغار. كان جائعاً جداً، لكنه لم يعد قادراً على الأكل بعد الآن. حاول لكنه لم يستطع أن يمضغ. فكّه لم يعمل.

مال برأسه إلى الخلف. يا لهذا الألم حول فمه. أحس بأن لسانه فوق

أسنانه مثل طفيلية تبحث عن بقايا طعام. لم يكن هناك طعام.

عوى بغضب. لمَ فكه لا يعمل؟ لم يكن يعرف أنّ فكيه غير متصلين، أن فكه السفلي يتدلى عاجزاً، خدّاه وأوتاره اختفوا. كل ما كان يعرفه هو أنه جائع وكان بحاجة إلى القتل.

كانت أليشيا مذعورة. كان الوضع أسوأ من البارحة. ما الذي تفعله هنا؟ لقد أتت مع كورتني من دون تفكير. أرادت أن تكون ذات فائدة وها هي الآن في خضم معركة مخيفة، محاطة بالأولاد، يصرخون وهم يضربون بقبضاتهم ويركلون بأرجلهم، يحملون قطعاً خشبية وأدوات حدائق ومعدات رياضية وأسلحة حقيقية. لكن الموبوئين لم يتوقفوا عن الظهور بأعداد أكبر، أعداد هائلة تندفع إلى الأمام، رائحتهم مثل رائحة المجاري الكريهة.

التجأت أليشيا إلى خلف كورتني وفتاة ضخمة أخرى، أرجحت مضربها نحو موبوء اقترب منها. لم يجدر بها المجيء، كانت صغيرة الحجم على هكذا أفعال بطولية، وغير قوية كفاية وغير معتادة إطلاقاً على القتال. قد تفقد حياتها في أي لحظة الآن.

نظرت عبر الصفوف. كان إد هناك، بندقيته تتأرجح عبر الهواء. كان قد جُرح جرحاً بليغاً وبدا مثل شخصية من تلك الشخصيات التي كانت تراها على حاسوب أخيها. تلك الشخصية، صاحب الندبة على خدّه ويحمل سلاحاً والدم يسيل منه. كان الشرر يبرز من عينيه، يزمجر بقوة كلما غرز حربته بشراسة في موبوء. كان الأولاد من حوله يحافظون على مسافة منه، خائفين منه بقدر خوفهم من الموبوئين. لو لم تكن تعرفه لخافت منه أيضاً.

اختفى عن نظرها بسبب الأجساد المتدافعة. كان الموبوءون يقتربون. رأت بيز، يخوض صفوف الراشدين، واللعاب يسيل على فكه السفلي إلى صدره.

ثم تشتت صفوف الأولاد، واندفع الموبوءون إلى الأمام.

73

حالما كان إد يجهز على موبوء يحل محله آخر. كان الأمر كما لو أنه يحاول إفراغ محيط بواسطة دلو. كان مخضّباً بالدماء والقيح الذي اشتد وهو يجف. آلمته ذراعاه من معصميه حتى الكتفين. أحس أن المسدس ثقيل بقدر عمود كهرباء طويل. تناثرت من حوله الجثث والأشلاء و لم تكفّ قدماه عن الانزلاق في بريكات من الدم. زحف الموبوءون الجرحى بعيداً وجلسوا هنا، مصعوقين بين الأشكال المتورمة لرفاقهم الموتى.

بات الأولاد محاصرين تماماً الآن، في وسط الصفوف الأولى للموبوئين. لم يعد بإمكانهم سوى الدفع والركل في خضم هذا الجسم الهائل من الموبوئين. توقف إد لثوانٍ، فسقط أيضاً. في لحظة كانت هناك مساحة ليؤرجح مسدسه، وفي أخرى كان يقاتل رجل شرطة متعرّقاً بدا أنه كان يحاول التكلّم.

«صدّوهم»، قال إد بصوت مخنوق، «علينا أن نحاول صدّهم!»

لكن حينها حصل شيء خلفه. تحرّكت حشود الأولاد التي كانت في الانتظار ووجد إد نفسه يسقط مجدداً إلى الخلف. تعثّر فوق جثة، عاد ووقف، ثم تعثّر مجدداً عندما هاجمته ثلاث أمهات.

سقط بقوة على ظهره، مؤذياً عموده الفقري. ركلته ركبة في وجهه، وللحظة أُصيب بالدوار. كان تحت شبكة من الأرجل.

كان قد سقط فتى آخر بالقرب منه وجرّته مجموعة من الآباء وهو يتلوّى ويتشنّج بين أيديهم ويحاول الإفلات.

عراك آخر نشب إلى يساره. لقد أمسك الموبوءون بفتاة. كان يستطيع رؤية جزئها الأدنى. أمسكت أم شابة بمضربها، وأخرى شدّت ذراعها بقوة فلم يعد بحوزة الفتاة ما تدافع به عن نفسها.

أنزلت إلى الأرض، فأدرك إد، وبرعب، أنها كانت أليشيا. حتى لو استطاع النهوض مجدداً فهناك الكثير من الناس بينهم ولن يصل إليها في الوقت المناسب.

راقب بعجز مراهقة ذات شعر طويل يتمايل حول وجهها تهاجم أليشيا. قاومت أليشيا، لكنّ الفتاة الموبوءة أمسكت بها بقوة وغرزت أسنانها في ساعدها. صرخت إليشيا وضربت مهاجمتها بيدها الطليقة. تجاهلت المراهقة صاحبة الشعر الطويل الضربات الضعيفة وجرّت أليشيا إلى عمق صفوف الموبوئين.

تذكّر إد مسدسه، أجبر نفسه على النهوض على ركبتيه، نزع المسدس من قرابه وصوب.

تفرّقت جموع الأجساد لثوان وكان أمامه هدف مباشر.

استدارت الفتاة ذات الشعر الطويل. تمايل شعرها إلى الخلف واستطاع إد رؤية وجهها بوضوح. حدّقت في إدّ وفجأةً خلت كل التعابير الشرسة من ملامحها.

كانت فريديريك.

قطّبت وابتسمت بحزن لإد، ثم مدّت يديها نحوه كما لو أنها تطلب المال.

ضغط إد على الزناد.

للحظة كانت فريديريك هنا، ولأخرى كانت قد اختفت.

تلقى إدّ ضربة أخرى وسقط مجدداً. ارتطم وجهه بالإسفلت ورأى نجوماً. بطريقة ما استطاع التلوّي ليصبح على ظهره، يبصق دماً، لا يستطيع الرؤية جيداً، لكنه وجد نفسه أمام وجه بيز المجوَّف الرطب ولعابه يسيل، وفكه السفلي يتأرجح مثل رقاص الساعة.

حاول تصويب المسدس نحوه، لكنه بالكاد استطاع الحراك. بدا أن

جسده يعمل بحركة بطيئة. جثم بيز فوقه، مثبتاً ذراعيه على صدره. تلك الرائحة الكريهة التي كانت تخرج من حنجرته الحمراء المجوّفة جعلت إد يُصاب بالدوار. أحسّ أنه على وشك أن يتقيأ. ضغط بيز بفمه على وجه إد، لكنه لم يستطع العضّ. أحس إد بلسانه يسعى كالحية فوق بشرته، رأى عينيه الزهريتي اللون، الشرستين. أحس بأصابعه تحكّ جلده.

زمجر.

ثم حصل شيء ما. أدرك أن أحدهم يغرز سلاحاً في ظهر الموبوء. مال بيز جانباً، تلوّى بقوة، ارتطمت قدماه بالأرض ثم هدأ كلياً. وقف مهاجمه فوقه، واضعاً قدمه على الجثة الميتة.

كان الفتى ذو الرأس المربع.

«حيوان قذر لعين»، قال وهو يسحب شوكته من صدر بيز، ثم مال إلى الأمام وساعد إد على الوقوف.

ملأ إد رئتيه المتألمتين بالأوكسجين وبدأ رأسه يصفو مجدداً. ألقى نظرة سريعة من حوله. كان مات وأتباعه يقفون في وسط حدائق الكنيسة، يلوّحون برايتهم. بدا أنهم يغنّون وينشدون. كان الأولاد الآخرون يحتشدون من حولهم. شق إد والفتى الطريق إليهم، ملتقطين في طريقهما كورتني. كانت أليشيا برفقتها، حمداً لله. بدت في حالة فظيعة، تنزف بقوة وترتجف. تعابير وجهها في حالة صدمة.

عندما وصلوا إلى الحدائق أمّنت لهم الأسوار المحيطة بهم بعض الحماية واستطاع إد بسرعة استيعاب الموقف. أخيراً، كانت جموع الأولاد عند الجسر تتقدم. والشاحنة كانت قد قطعت نصف المسافة. لكن مجموعة إد المقاتلة أصبحت بعيدة عن المجموعة الرئيسية، وطريق العودة إليها كان مقطوعاً بالموبوئين.

لتزداد الأوضاع سوءاً كانت النيران قد وصلت إليهم وبدأت تنهش قصر لامبث والمباني على جانبي الطريق. لن يطول الأمر قبل أن تصل إلى الكنيسة الصغيرة.

كان لدى إد دافع قوي للاستسلام مجدداً، ثم رأى الفتى صاحب الشوكة يبتسم له.

«هذا ممتع، أليس كذلك؟» قال.

«لا أعرف بهذا الشأن»، هزّ إد رأسه، «لكن شكراً لإنقاذك حياتي. ما اسمك على أي حال؟ أنا إد.»

«كايل»، قال الفتى.

«حسناً كايل»، أشار إد نحو الجسر، «علينا الوصول إلى هناك بطريقة ما، وإلا سنعلق هنا.»

«حسناً»، ابتسم كايل ابتسامة أوسع، «أنا معك يا صديقي.»

ابتسم إد. بطريقة ما استطاع جنون هذا الفتى التأثير إيجاباً في إد. ربما لم يكن ذلك مستحيلاً. عملا معاً على تنظيم الأولاد الباقين في وحدة صغيرة، يحيط بها أفضل المقاتلين المستعدين للقتال خلال مرورهم عبر الموبوئين.

«أصدروا بعض الأصوات المزعجة!» صرخ إد عندما أصبحوا مستعدين ثم انطلقوا من الحدائق، يزأرون صرخة المعركة.

لكن كان الوضع ميؤوساً منه، فقد كانوا يتقدمون خطوتين إلى الأمام ويرجعون ثلاثة إلى الخلف. عدد الموبوئين الذين يسدّون الطريق كبير جداً. بدلاً من التوجه نحو الجسر كان الأولاد يُجبرون على التنحي يميناً، نحو ذلك الطريق الذي يمتد شرقاً على طول النهر. كان الجسر يصبح بعيداً أكثر فأكثر. نظر إد في اتجاه الشاحنة لكنه لم يعد يراها. أمِل أن يتمكن الأولاد الباقون من الوصول إلى مكان آمن.

74

كانت زهرة تجلس في مؤخرة الشاحنة تشير نحو أفق لندن.

«أترى ذلك، فروغي؟ ما هذا؟» سألت.

مال فروغي نحو أخته وأنعم النظر على طول النهر.

اتسعت عيناه المنتفختان.

كانت هنا، تظللها السماء المضاءة باللهب، شرارات تتناثر في الهواء خلفها.

«عين لندن.»

«أترى؟»، قالت زهرة، «تبدو تماماً مثلما كنا نراها على التلفاز ليلة رأس السنة، أليس كذلك؟ مع تلك الألعاب النارية وما إلى ذلك.»

«نعم»، قال فروغي الضائع في سحرها، «إنها مذهلة.»

«وهناك مجلس البرلمان، وساعة بيغ بن.»

«نعم.» ابتسم فروغي لأخته، وفمه الكبير يتمدد من الأذن إلى الأذن. لفّت ذراعها حوله.

«سنكون بخير يا صغيري»، قالت.

كان كريس ماركس يجلس بالقرب من قفص الكتب التي أنقذها من المتحف، لكن للمرة الأولى كان لا يقرأ. لم يعرف إن كان السبب هو الخوف والتوتر أم التعب والجوع، لكنه كان يرى أشياءَ. من زاوية عينه: شكل رمادي كان سيختفي لو حاول النظر إليه مباشرةً. كان متأكداً من أنه شبح

المتحف، السيدة الرمادية. عندما أغمض عينيه استطاع تصوّرها بشكل واضح.

لقد أتت معه، للاعتناء بكتبها. كان يشعر بالارتياح لوجودها. تخيل أنها تلفّ ذراعها حوله، تحتضنه وتهمس في أذنه.

مثل أم حقيقية.

ليس مثل أولئك اللواتي في الخارج، الأمهات الموبوءات، وليس مثل أمه الحقيقة... لم تكن أماً فعلية له يوماً.

كانت السيدة الرمادية أمّاً شبحاً، أمَّ جميع مؤلفي الكتب التي أنقذها. ستحميه، ما دام يحمي الكتب.

75

كانت مجموعة إد محاصرة من ثلاثة اتجاهات الآن، ونهر التايمز من خلفهم والجسر إلى يمينهم. كانوا قد أجبروا على التراجع من وسط الطريق إلى رصيف المشاة الذي كان يتاخم النهر. كان إد يضرب ويشطّب العدو لكن لم يكن هناك من مفر: عليهم القتال حتى آخر رمق. وبدا أن الموبوئين سينتصرون. كانوا قد بدأوا يخترقون صفوف الأولاد، يعضّون ويخربشون، والأولاد كانوا منهكين جداً. شكّ إد في أنهم يستطيعون الصمود أكثر. كانت مسألة وقت فحسب قبل أن يجتاحهم كلياً جيش الراشدين الموبوء.

ما الجدوى من القتال؟ ما الجدوى من قتل المزيد منهم؟ لِمَ يواصل القتال؟ لقد أدّى واجبه على أكمل وجه. لقد أنقذ الآخرين وخلّد ذكر أصدقائه الذين رحلوا. لقد أظهر لدايفيد أنه لا يستسلم. لقد قاتل كالأبطال، والآن سيموت ميتة بطل، مذبوحاً على يد قوة أكبر.

ما الجدوى من القتال؟

لكن، بطريقة ما، لم يتوقف مسدسه عن التحرك، الغرز، والجَرح، الارتفاع والانخفاض، رجلاه ثابتتان لا تترنّحان من تحته. لم تكن لديه أي فكرة عن هذه الطاقة التي اجتاحته. لقد نسي كل التعب. كان أفضل بقليل من آلة.

بدا الموبوءون بعيدين، بعيدين جداً و لم يعد هناك ما يهم بعد الآن. كان قد عطّل عقله الواعي وترك جسده يقاتل من دونه.

ثم سمع طلقات نارية. صراخ. وفوضى تدبّ بين صفوف الموبوئين.

«هناك من يهاجمهم من الخلف»، صرخ كايل، «هيا! لنُرهم من هو السيد هنا!»

عاد إد إلى نشاطه مجدداً، استدار نحو أصدقائه المنهكين، وصرخ والدموع في عينيه:

«لا تستسلموا! المساعدة قادمة!»

احتدم القتال. كان الموبوءون يسقطون أمامهم واحداً تلو الآخر، يتنحّون جانباً، يحاولون الهرب، عالقين بين مجموعة إد وأيّاً كان أولئك الذين يهاجمونهم من الخلف.

تفرّقت مجموعة من الموبوئين وتعثّرت جانباً وبات بإمكان إد أن يرى...

كان جوردن هوردرن وطاقمه من المتحف، مدجّجين بالسلاح، يقاتلون بنشاط وقوة. كانوا يتحركون بلا رحمة بين الموبوئين الهاربين، يُجهِزون على كل من يأتي في طريقهم.

كان على رأسهم جوردن شخصياً، يصدر الأوامر وسيفه يتأرجح في يده.

وهناك كان دوغ نت، يقاتل بسيفه بكل قوة.

هللت مجموعة إد واندفعت نحو الموبوئين الباقين بغضبٍ وحشي. قاتلت المجموعتان للوصول إلى بعضهما حتى التقتا أخيراً.

حيّا جوردن إد.

«ماذا حدث؟» قال إدّ لاهثاً وهو على وشك الانهيار.

«لم نستطع البقاء»، كان هذا كلّ ما أجاب به جوردن، «ماذا عنكم؟»

«لقد افترقنا عن الآخرين»، شرح إد وهو ينظر في اتجاه الجسر، «علينا الوصول إلى هناك.»

«مستحيل»، قال جوردن بشكل قاطع، «مجموعتك منهكة تماماً وهناك مئات الأوغاد بيننا وبين الجسر. إضافةً إلى ذلك، النيران على وشك الوصول إلينا. لقد تمكّنّا من التقدم عليها بضعة أمتار فحسب.»

«ثم ماذا؟» قال إد، وقد بدأ الأمل يزول مجدداً.

«هناك»، قال جودرن وهو يشير برأسه.

كان يبرز رصيف مشاة من اتجاه النهر. كان يمتدّ رصيف معدني منه نحو مرسى رُبطت فيه بضعة قوارب.

«يمكننا ركوب أحد تلك القوارب»، قال جوردن.

«أتظن ذلك؟»

«أهناك خيار آخر؟»

«تراجعوا!»، صاح إد، «لنتجه إلى رصيف الميناء!»

شقّوا طريقهم نحو المقهى الذي كان ينتصب عند طرف رصيف الميناء، مرّوا بجواره ثم نحو الرصيف.

كان سطح التايمز يعكس ألواناً مختلفة، الأحمر والبرتقالي الفاقع والذهبي والأصفر، كانت تنعكس بأنماط مختلفة على سطح المياه السوداء عادةً. كانت تطفو مع التيار النفايات والحطام وجثث بشر وحيوانات.

واصل الأولاد التحرك على طول الرصيف نحو الميناء، حيث يرسو أقرب قارب، طرّاد أزرق وأبيض اللون، ذو سطح منخفض مغلق وآخر مرتفع مفتوح.

شقّ جوردن طريقه إلى حجرة القيادة التي كانت في المقدمة. عمل دوغ نت وأحد أصدقائه على فكّ الحبال. ساعد إد الأولاد الآخرين على متن القارب وتأكّد من أن الجميع بخير. إضافةً إلى طاقم جوردن، كان هناك حوالى عشرين آخرين ممن قاتلوا إلى جانبهم. لم تكن الخسائر في صفوف مجموعته سيئة بقدر ما خشي إد. لم ينجُ ثلاثة من أتباع مات، أما الباقون فكانوا مصابين إصابات غير بليغة. إد نفسه كان كمن طلي بالدماء من رأسه حتى قدميه... ووفقاً لما رأى حتى الآن، لم تكن الدماء دماءه على الإطلاق.

كانت كورتني وأليشيا آخر من صعد المركب. كانت ذراع أليشيا مخضّبة بالدماء وكانت تتألم كثيراً. بدت بشرتها السمراء رمادية، وبدت أصغر حجماً من أي وقت مضى، كما لو أنها انكمشت على نفسها.

قال إد: «خذيها إلى الأسفل. أجلسيها وابقي معها. عندما نصل إلى

الجانب الآخر سنلحق بالشاحنة وسنجد بعض المطّهرات والضمادات.»

«الشاحنة!»، قالت أليشيا، وقد أشرقت لسماع الكلمة، «هل استطاعوا العبور؟»

ابتسم إد: «نعم، لقد عبروا.»

«وهووو.» حاولت أليشيا أن تصرخ لكنها لم تكن قوية كفاية.

«ونحن سنعبر أيضاً»، قال إد بتحدٍّ، «سنهتم بمسألة يدك... في الواقع...»

أمسك إد بذراع كايل الذي كان يمر من جانبه حاملاً شوكته.

«كايل»، قال، «لا بد من أن هناك صندوق إسعافات أولية في مكان ما على متن هذا القارب. اذهب وابحث عنه.»

«حاضر أيها القائد!» حيّاه كايل وسار عبر السطح المهتز.

لم يحاول الموبوءون اللحاق بهم. كان الأولاد على متن القارب يهلّلون ويشتمونهم. في تلك الأثناء أتى دوغ نت إلى إد، وقال:

«بقي حبل واحد مربوط. هل أفكه؟»

ألقى إد نظرة أخيرة. كان قصر لامبث يحترق كلياً وقد بدأت النيران تلتهم الأشجار على طول النهر. كانت الضجة تصم الآذان، والسماء جنوباً بدت مثل مشهد من فيلم حربي.

كان الموبوءون قد بدأوا يعبرون جسر لامبث. كانت الشاحنة في مكان ما عند الجانب الشمالي، على متنها كل الطعام، المياه، الأسرّة، الأسلحة الإضافية، كل شيء كانوا يحتاجون إليه للنجاة. إن لم يتمكن إدّ والآخرون من الوصول إليها، إن لم يتمكنوا من الوصول في الوقت المناسب، وإن لم يتمكن جاستن من انتظارهم... عليهم أن يبدأوا من نقطة الصفر.

«ما الذي تنتظره؟»، قال، «هيا بنا!»

فكّ دوغ نت الحبل وانطلقوا في التايمز. بدأ القارب يستدير ببطء في المياه. كانت هناك حركة مدّ وجزر. لاحظ إد أنه لا بد أن المد عالٍ الآن لأنهم لم يكونوا يسيرون بسرعة. كانوا ينجرفون في اتجاه مجرى النهر، وكان عليهم بطريقة ما التجذيف في الاتجاه المعاكس.

لم يفكّر إد بهذا الأمر. أمِل أن يكون جوردن على دراية بما يفعل. كل ما أراد فعله هو الانهيار على مقعد من هذه المقاعد والنوم.

ليس بعد. كان عليه التأكد من أن أحدهم يتولى قيادة المركب.

اتجه إلى المقدمة وتسلّق السلالم نحو حجرة القيادة.

كان هناك زجاج مكسور على الأرض جرّاء نافذة مهشمة. كان جوردن يقف عند الدفة، برفقته مات وأرتشي بيشوب. عند مجيء إد كان الثلاثة يتشاجرون بشأن أمر ما.

«لن يعمل شيء من دون طاقة»، كان أرتشي بيشوب يقول.

«إنها تساعد قليلاً»، قال جوردن، «الدفة تدور.»

«دعني أتولَّ القيادة»، قال مات وهو يخطو نحوه ووجهه تعلوه اللهفة.

«لِمَ أنت؟»، سأل إد، «هل تعرف شيئاً عن القوارب؟»

«كل هذا مقدَّر أن يحدث»، قال مات.

تنهّد إد وسأل: «ما الذي تتكلم عنه هذه المرة؟ هذا ليس الوقت المناسب لترّهاتك الدينية.»

استدار مات بحماسة نحو إد وقال:

«لا يا إد، ألا ترى؟ نحن نُقاد إلى أسفل النهار نحو المعبد.»

«أرجوك لا تبدأ مجدداً قصة سان بول يا مات.»

«اسمعني!»، صرخ مات وهو يضرب بإصبعه الوسخة على الجرح في جبينه حتى نزف، «لدي علامة الحمل هنا. أنا أعرف الحقيقة!»

«لن نتجه إلى أسفل النهر يا مات»، قال إد، «علينا فقط أن نعبر إلى الجانب الآخر لملاقاة الآخرين.»

«لا. هذا غير مُقدَّر. من المفترض أن نذهب إلى معبد الحمل. لقد مُنحنا هذا القارب.»

«إنه على حق»، قال أرتشي بيشوب، «كل شيء مدوَّن في الأوراق... النيران، الطوفان، المعركة، نهر الدماء.»

«أي نهر دماء؟»

«انظر إلى النهر!»

التفت إد إلى التايمز الذي كان متّشحاً باللون القرمزي.

«(ثُمَّ سَكَبَ الْمَلاَكُ الثَّالِثُ جَامَهُ عَلَى الأَنْهَارِ وَعَلَى يَنَابِيعِ الْمِيَاه، فَصَارَتْ دَمًا)»، قال مات بصوت منخفض ومُلحّ، «(وَسَمِعْتُ مَلاَكَ الْمِيَاه يَقُولُ: عَادِلٌ أَنْتَ أَيُّهَا الْكَائِنُ وَالَّذي كَانَ وَالَّذي يَكُونُ، لأَنَّكَ حَكَمْتَ هكَذَا. فَأَعْطَيْتَهُمْ دَمًا لِيَشْرَبُوا. لأَنَّهُمْ مُسْتَحِقُّونَ ...).»

«أنت لا تُساعد في هذا يا مات»، قال إد والملل يستحوذ على آخر ذرّة صبر لديه.

«سنعبر إلى المكان الموعود»، قال مات.

«هراء»، قال إد بعنف، «علينا العبور إلى الجانب الآخر فحسب. عندما نصل إلى هناك يمكنك أن تذهب إلى سان بول أنت ورايتك السخيفة وصفحاتك من الورق المحترق، لكننا لن نرافقك، مفهوم؟»

«لكن حينها سنضطر إلى اجتياز لندن بكاملها»، احتجّ مات، «يمكن لهذا القارب أن يأخذنا مباشرةً إلى هناك.»

«ربما لا تكون لدينا خيارات أخرى»، قال جوردن، «النهر يحملنا بذلك الاتجاه.»

«حاول أن تسير بخط مائل»، قال إد، «يجب أن نكون في مسار الشاحنة.»

«أنا أحاول. صدّقني، أنا أحاول.»

«النهر يأخذنا إلى حيث يُفترض بنا أن نكون»، قال مات.

«مستحيل»، قال إد.

«طريقي أنا!» صرخ مات ورمى بنفسه على جوردن.

76

حاول مات استلام الدفة بالقوة من قبضة جوردن، وهو ينفخ ويلهث بجهد.

«ما الذي تفعله؟» زعق به جوردن، ولكم مات بعيداً عنه. لم تكن لكمة قوية – بالكاد تحرك جورن من مكانه – لكن مات طار عبر حجرة القيادة وارتطم بالباب وهو يتأوّه. رغم ذلك لم يستسلم. على الفور هجم وأرتشي على جوردن وأمسكا به كلٌّ من ذراع.

«ساعدني يا إد»، قال مات وهو يلهث.

«هل أنت مجنون؟» قال إد وهو غير متأكد أكان يجدر به أن يضحك أو يغضب. مرّ بالقرب من الفتيان المتقاتلين الثلاثة وتولّى قيادة الدفة. لم يكن متأكداً في أي اتجاه يستدير. كان القارب ينجرف مع التيار، خارجاً عن السيطرة، يدور ببطء.

رمى جوردن كلاً من مات وأرتشي، فانبطحا على الأرضية. مدّ مات يده وقبض على رجل جوردن، نهض أرتشي وحاول دفعه. حافظ جوردن على توازنه ولكم أرتشي أرضاً ثم ركل مات بعيداً عنه.

كان إد يلفّ الدفة لكن من دون نتيجة. لم تكن لديه أي فكرة في أي اتجاه يوجّهها وبدأ الرعب يدبّ في قلبه.

ثم سمع جوردن يقول: «أهذا ملقّم؟»

استدار ليرى مات يلوّح بمسدسٍ حربي بريطاني قديم.

أومأ مات إيجاباً. كانت قسماتٌ وجهه تتلوى بحماسة. كان واضحاً أن جوردن لم يكن يعرف إن كان عليه أن يأخذه على محمل الجد. هل يعرف

مات كيف يستخدم هذا الشيء؟

لكن سيكون من الغباء أن يخاطر معه.

نظر جوردن إلى إد.

«افعل شيئاً.»

«لستُ مسؤولاً عنه»، قال إد.

«إنه أحد أفراد مجموعتك.»

ضحك إد ضحكةً متوترة: «إنه لا يتبعني. بل يتبع الحمل.»

«هل سيطلق النار؟»

«إنه مجنون كفاية.»

تكلّم مات أخيراً فقال: «تولَّ الدفة يا أرتشي. خذنا في اتجاه أسفل النهر إلى سان بول.»

كان أرتشي يرتجف، أنفه ينزف وعينه متورّمة. دفع إد بعيداً وأمسك بالدفة وحاول السيطرة على القارب.

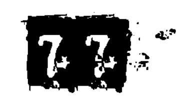
«لا أستطيع فعل ذلك يا مات. لا أعرف كيف.»

«دع الحمل يدلّك!»

«استخدم القوة يا لوك»، سخر منه إد فحملق فيه مات بغضب.

«لا يمكنني فعل ذلك»، صرخ أرتشي بصوت عالٍ ومرتجف.

«بلى، يمكنك ذلك!»



على متن القارب، كانت أليشيا ترتجف وهي تشدّ بذارعها على بطنها. كانت تجلس على أحد المقاعد وظهرها إلى النوافذ. كان كايل قد عثر على صندوق الإسعافات الأولية وراح يعمل مع كورتني على تطهير الإصابة وتضميدها. كانت إصابتها بالغة جداً، فقد تمزّق جلدها تماماً بفعل أسنان فريديريك. كانت أليشيا تحاول أن تبقى مبتهجةً، لكنها كانت لاإرادياً تنزلق إلى حالة من الصدمة، ترتجف، أسنانها تصطك، عيناها يدوران في رأسها.

لفّت كورتني ذراعها حولها.

«نحن جميعاً بخير الآن حبيبتي»، قالت، فأجبرت أليشيا شفتيها الرماديتين على الابتسام.

«نعم.»

نظر كايل عبر النافذة، نحو الليل في الخارج.

«سأذهب وأتأكد ممّا يحدث»، قال، «نحن في حالة من الفوضى. يبدو أن لا أحد يقود هذا الشيء.»

لم يكد يصل إلى الباب حتى دوّى صوت قوي وترنّح القارب إلى الجانب. سقط الجميع أرضاً ورأت كورتني هيكلاً حجرياً ضخماً يخدش زجاج النوافذ.

«لقد اصطدمنا بشيء!» صرخت.

تشقّق زجاج جميع النوافذ حيث كانت أليشيا تجلس. اثنتان منهما تهشّمتا كلياً، ليدخل من خلالهما الدخان ويُسمع صوت مياه النهر المتغرغرة. كانت

هناك أيضاً صرخات مذعورة وصوت تكسّر خشب وتحطّم زجاج.

بحثت كورتني عن صديقتها. كانت أليشيا قد سقطت أرضاً وارتطم رأسها بطاولة. كانت لا تزال واعية، لكن مصابة بالدوار. لم تكد كورتني تخطو خطوة في اتجاهها حتى تمايل القارب مرة أخرى وارتطم على شكل زاوية. أمسك كايل بكورتني ليمنعها من الوقوع. تدحرجت أليشيا جانباً.

«تماسكي يا أليشيا!» حاولت كورتني الإفلات من يد كايل التي كانت تُمسك بها، وحينها دوّى صوت تشقّق يصمّ الآذان، وانشطر القارب مفتوحاً كلياً. تدفّقت المياه عبر الشقّ، مثل يد سوداء عملاقة أطبقت حول أليشيا. ثم انسحبت عندما مال القارب مجدّداً في الاتجاه المعاكس.

«أليشيا!» صرخت كورتني، لكنّ صديقتها كانت قد اختفت.

«يا لك من أحمق يا مات»، صرخ إدّ وهو يرفع نفسه من المكان الذي سقط فيه بفعل الاصطدام.

«كان ذلك جسر وستمنستر.»

«نحن نغرق»، قال أرتشي، متشبثاً بالدفة حتى لا يقع.

«بل أسوأ من هذا»، قال جوردن وهو ينظر عبر النوافذ، «القارب ينشطر. علينا العثور على قوارب النجاة.»

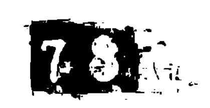
«أوه، انظر هناك!» أومأ أرتشي عبر نافذة حجرة القيادة. كان هناك سطح صغير أمامهم رُبط فيه قاربان صغيران.

«لن نتّسع جميعاً فيهما»، قال إد، «عددنا لا يقل عن ثلاثين.»

«ابحثوا عن المزيد»، قال جوردن وهو يتجه بصعوبة نحو الباب، «سأتولى أمر هذين القاربين.»

كان مات يحدّق في النيران التي تأجّجت فوق الجانب الجنوبي للنهر، وجهه مضاء بالأصفر والقرمزي. قال بهدوء:

«ثُمَّ بَوَّقَ الْمَلاَكُ الثَّالِثُ فَسَقَطَ مِنَ السَّمَاءِ كَوْكَبٌ عَظِيمٌ مُتَّقِدٌ كَمِصْبَاحٍ، وَوَقَعَ عَلَى ثُلْثِ الأَنْهَارِ وَعَلَى يَنَابِيعِ الْمِيَاهِ. إِسْمُ الْكَوْكَبِ يُدْعَى الأَفْسَنْتِينَ. فَصَارَ ثُلْثُ الْمِيَاهِ أَفْسَنْتِينًا، وَمَاتَ كَثِيرُونَ مِنَ النَّاسِ مِنَ الْمِيَاهِ لأَنَّهَا صَارَتْ مُرَّةً.»



كان كايل قد تخلص من شوكته واستبدلها بفأس. كان على سطح المركب مع ثلاثة من أتباع جوردن، يفكّون الحبال التي كانت تربط أربعة قوارب نجاة أخرى. كان عملاً صعباً وخطراً، وكان القارب مائلاً على شكل زاوية حادة، وكل بضع ثوان كان يتمايل بفعل المياه التي تشدّه، فتشطره ببطء إلى نصفين.

أتى إدّ وبدأ يساعدهم، متشبّثاً بحبل حتى لا يقع. بشكل مثير للدهشة، بدا أنّ كايل كان لا يزال يستمتع بما يفعل، كما لو أنّ كل هذا عبارة عن لعبة مجنونة.

كان الأولاد ينتشرون على متن القارب في حالة من الفزع. لم يكن هناك مكان يذهبون إليه سوى السطح أو المساحة المفتوحة الصغيرة في المقدّمة. سمع إدّ دوغ نت يصرخ في الأسفل طالباً منهم عدم القفز. مال وكلّمه منادياً.

«توجد قوارب نجاة هنا في الأعلى. سننزلها إلى المياه لكن انتبهوا وأنتم تصعدون. لدى جوردن قاربان آخران في المقدمة.»

كانت اللحظات القليلة التالية بمثابة كابوس. بالكاد كان إد يدرك كلّ ما يجري من حوله. كان الأولاد يحاولون ألاّ يقعوا من فوق القارب الذي كان ينشطر أكثر فأكثر. أولاد آخرون كانوا يحاولون إنزال القوارب إلى الماء من دون فقدانها. جثث وقطع من الحطام الطافي ترتطم بها. صيحات. شجار. أيدٍ تتشبّث بالحبال. ثياب مبللة بالمياه. كورتني تصرخ شيئاً بشأن أليشيا في

إحدى أذنيه، ودوغ نت يصرخ في أذنه الأخرى: «أسرعوا! أسرعوا!»
سارع الأولاد إلى ركوب قوارب النجاة ومغادرة القارب الكبير الذي بدأ يغرق في المياه. اكتظت القوارب فباتت في خطر من الانقلاب. كان جوردن يتولى التوجيه في المقدمة، يصرخ بالأولاد ليتمهلوا. أما إد فكان يحاول الحفاظ على بعض النظام على السطح.

«لا تنزلوا مباشرةً إلى وسط القوارب»، كان إد يصرخ وهو يُنزل الأولاد أنفسهم عند الجانب، أو كانوا يقفزون أو ينزلقون، «ستغرق هكذا. عليكم الهبوط إلى الماء بالقرب منها. سيسحبكم من على متن القارب.»

سرعان ما كانت المياه بين القارب الكبير وقوارب النجاة تعجّ بالأولاد. كان الظلام قد حل والفوضى في أوجها، فلا يُمكن رؤية من يغرق أو من تجرفه المياه. صلّى إد أن ينجو معظمهم.

الآن حان دوره. إذا بقي أكثر فسيغرق القارب وسيجذبه معه.

قفز في الهواء، ارتطم بالمياه بقوة. خطفت المياه الباردة أنفاسه. وصل نحو أقرب قارب نجاة ثم اختفى. أصبح تحت الماء. لقد هبط أحدهم فوقه، دافعاً إياه إلى الأسفل. أحسّ بحذاء صلب يركله. كانت المياه باردة جداً وبدأ يحسّ بطاقة جسده تنفد. نظرَ إليه وجهٌ شاحب عبر المياه المظلمة، ملامح تجمّدت على شكل صرخة، عينان واسعتان، فم مفتوح، ثم طفا بعيداً وأصبح وحيداً مجدداً. سحبه التيار. أراد أن يصرخ لكنّ فمه كان مغلقاً بسبب مياه التايمز النتنة والسامة.

وفجأةً أصبح في الهواء الطلق. كاد وهج النار يُعمي عينيه. أمسكت يدان قويتان بسترته وسحبته إلى أحد قوارب النجاة.

كان كايل لا يزال يبتسم مثل رجل مجنون. «كدتُ أفقدك أيها الرئيس»، قال وهو يسحب إد إلى قاع القارب. تمدّد إد هناك، عاجزاً مثل سمكة خارج المياه.

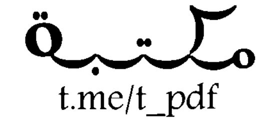
«كم عدد الذين نجوا؟» سأل حالما استعاد صوته. لم يسمعه أحد، لذا رفع نفسه بصعوبة ليجلس. رأى كورتني تجلس بين باقي الأولاد بالقرب

من دوغ نت. كانت تبكي.

التفت إد نحو القارب الكبير. كان قد انشطر إلى نصفين. غرق الجزء الخلفي، أما الجزء الأمامي فكان لا يزال طافياً، وينجرف في اتجاه أسفل النهر، نصف مغمور بالمياه.

ثم رأى مشهداً مذهلاً. مات وأرتشي والأتباع الأربعة الباقون يقفون على سقف حجرة القيادة، مثل طاقم من غواصة يصل إلى الميناء. كانوا يحملون رايتهم عمودياً، وجوههم تعكس النار التي كان مستعرة فوق جنوب لندن. لم يبدو خائفين أو قلقين أبداً، بل بدوا هادئين وفي سلام.

نظر إد إلى الراية. كانت مشتعلة، وبدا أن رسم الفتى الذهبي يسطع. خلفه، الفتى الآخر، الظل، بدا وكأنه مصنوع من الدخان. بسبب الطريقة التي كانت ترفرف بها الراية، بدا الحمل وكبش الفداء حيين، يتحركان. ثم مرّ القارب من تحت جسر واترلو، وكان ذلك آخر ما رآه إد من مات.



79

كان آخر المتشرّدين يعبرون الجسر، الأضعف، الأوهن، الأكثر مرضاً، يمشون بتثاقل والنيران تستعر خلفهم في السماء، وتمطر رماداً وسخاماً.

كان قد بقي في الخلف، وكان يقتات على جزءٍ من الجثث الصغيرة التي كانت في وسط الطريق. الآخرون، الأغبى، أرادوا فقط الهرب من النيران. ليس هو. كان يعرف أنّ عليه أن يأكل. اللحم حياة. بقي هنا، يجثم في وسط الطريق، بينما استعرت النيران في المباني القريبة. كان مشهداً جميلاً. أحب النار. لطالما أحبها.

لكن لا تستطيع النيران الوصول إليه. لا يمكن أن تتلوى عبر الطريق أو ذلك الشيء الدائري، الشيء الذي تلتفّ من حوله السيارات، الطريق المتلوي، الطريق المتلوي السحري. لكن لم يبقَ له شيء هنا. تجشّأ. كان متخماً. التقط حزمته ومشى نحو الجسر. كانوا هناك، أولئك الذين كان يحتاج إليهم. إنه يستطيع شم رائحتهم. الطعام الحي.

كانت هناك مياه أسفله الآن. توقف ليلقي نظرة. وهناك... عرف تلك المنازل، لقد عاش الفتيان الكبار هناك، الأوغاد، كان يعرف الاسم...

صلصة إتش بي، أو شيء ما، العملاق الأخضر.

بيغ بن.

آآاه، كل ذلك كثير عليه.

كل ما كان يعرفه هو أن الأوغاد قد عاشوا هناك، في المباني ذات الرؤوس الشائكة. أولئك الذين كانوا يسنّون القوانين...

السياسيون.

نعم. كان لا يزال يعرف الكلمات.

السياسيون.

نظر إلى الأسفل نحو النهر. كان متوهجاً بالألوان النارية، فيه الموت وقضبان.

لا، ليست قضباناً...

نظر إلى الألوان المتوهجة. أراد أن يرمي بشيء في المياه، ليراه يرتطم. ذلك ما كان يفعله سابقاً، أليس كذلك؟ كانت تلك لعبة.

أغصان قضبان!

لا.

ليست قضبان.

أغصان رفيعة.

تتسابق تحت الجسر. غصنان رفيعان. أي واحد منهما يصل إلى الجانب الآخر أولاً. كان يلعب هذه اللعبة معه، الصغير، الفتى، ما كان اسمه...؟

لقد رحل الآن.

لقد لعبا معاً. كانا يسابقان الغصنين تحت الجسر في المتنزه. لعبا اللعبة. أراد أن يرمي شيئاً الآن. كان لديه شيء. الشيء الذي يحمله. لم يعرف ما هو. لَم كان يحمله؟

كان وزنه ضئيلاً، مجرّد حزمة من القُصاصات والأغصان.

غصن، نعم. كان نوعاً من العصي الرفيعة.

أسنده إلى جدار الجسر، ثم دفعه، راقبه يتشقلب ويرفرف في الهواء، كما لو كان يحاول الطيران بعيداً. وبطريقة ما تحوّل إلى فتى، إلى ملاك صغير، يطير هبوطاً...

هبط وهبط، وسقط.

ثم رشّة ماء خفيفة.

راقبه يطفو بعيداً تحت الجسر.

الآن ماذا؟ كان هنا أمر يريد أن يفعله، شيء ما بشأن سباق وأغصان وقضبان وعملاق أخضر.

لقد رحل.

لا يهم. لا يهم. اعبر المياه إلى الجانب الآخر. ارجع إلى المنزل. اذهب لرؤية الفتى.

ابنه ليام.

هذا صحيح. اذهب إلى المنزل لرؤية ليام.

استدار ومشى.

80

اصطدم أول قوارب النجاة برصيف الميناء فهلّل الأولاد. كانوا قد بدأوا يتساءلون إن كانوا سيتمكنون من الوصول إلى الضفة الشمالية، أم أنهم سيُجرفون إلى مصبّ النهر ومن ثم إلى البحر. كانوا قد تمكّنوا من ربط القوارب ببعضها، ممّا منحها صلابة وحماية، لكن كانت قيادة هذا الطوف العملاق صعبة جداً. كانت حركة المد والجزر والتيارات قوية في التايمز، وكان الطوف قابلاً للالتفاف. بدا أن قوة المياه في ازدياد أكثر فأكثر، ومهما حاولوا توجيه الطوف نحو الطرف كانت تسحبهم مجدداً إلى الوسط حيث كان الجريان أقوى. بعد الاصطدام بجسر هانغرفورد عبروا من تحت سبعة جسورٍ أخرى، وفي كل مرة كان يدبّ الذعر بين الأولاد. كانت المياه تتجمّع وتشكل رغوة بين القوارب، وكادوا يفقدون قاربين خلال اصطدام. لكن حين عبروا من تحت جسر لندن تمكّنوا من السيطرة نوعاً ما على الطوف. سنتيمتراً بعد سنتيمتر، متراً بعد متر، أصبحوا أقرب إلى الجانب. رأوا رصيف ميناء فولاذي حديث يبرز من النهر لذا بات أمامهم هدف مباشر.

جذّفوا بأيديهم، مالوا بنصف أجسادهم فوق الجانبين وركلوا، جذّفوا بالمجاذيف القليلة التي لديهم. أخيراً توقفوا.

كانوا في مساحة واسعة من نهر التايمز. على الجانب البعيد كان ينتصب الهيكل العظيم للبارجة الحربية «إتش إم إس بيلفاست»، التي كانت تستخدم كموقع سياحي. في الأمام كان البرجان التوأمان على الطراز القوطي لـ«تاور بريدج». على هذا الجانب من النهر ارتفعت جدارن برج لندن.

خطا إد بقدمين ثابتتين على الرصيف الفولاذي للميناء واحتضن كورتني. كان كلاهما مبلّلين ومرهقين. تشبّثا ببعضهما بعضاً، يضحكان ويبكيان في الوقت نفسه.

لم تكن النيران قد وصلت بعد إلى أسفل النهر، لذا كان الظلام حالكاً. رغم ذلك كانت السماء من جهة الغرب مضاءة بوهج أحمر غاضب. ابتعد إد عن كورتني، مسح وجهه ونظر إلى الأعلى نحو أسوار البرج المرتفعة.

«كان ويكي، أليس كذلك؟»، قال، «أم كان جيبر جابر؟ لا يهم، واحد منهما، قال إنه يجدر بنا المجيء إلى هنا.»

«لا أعرف»، قالت كورتني، «أين نحن؟»

«ألا تميّزين المكان؟ إنه برج لندن.»

«يبدو مثل قصر.»

«هذا لأنه قصر بالفعل»، ضحك إد، «بُني أقدم جزء منه على يد الفاتح ويليام على ما أظن.»

«من يكون؟»

«لا يهم»، هزّ إد رأسه، «كل ما يهم الآن هو أننا وصلنا إلى أكثر منطقة آمنة يمكننا العثور عليها. إنه مكان مثالي للاختباء. لا يستطيع أي موبوء الوصول إلينا هنا.»

كان جوردن هوردن قد بدأ يعيد تنظيم الأولاد، يصرخ فيهم كي يشكّلوا مجموعات.

«نحتاج أن نعرف من نجا ومن لم ينجُ»، قال بصوتٍ عالٍ.

تفقّد إد طاقمه. لم يستغرق ذلك وقتاً طويلاً. هوَ وكورتني كانا من بقي فقط. فقد جوردن خمسة من فتيانه، إما في القتال أو عندما غرق القارب الكبير. من المجموعة الثالثة، الأولاد الذين انضمّوا إلى القتال، لم يكن أحد يعرف كم كان العدد أصلاً. كان بعض الأولاد يتحدثون عن فقدان أصدقاء لهم، لكن بدا كل شيء مربكاً... كان كل ما استطاعوا قوله هو أن أصدقاءهم ربما استطاعوا عبور جسر لامبث بأمان. تذكّر إد الوجه

الشاحب الغارق إلى جانبه عندما كان تحت الماء.

حاول إبعاد الصورة عن مخيّلته.

«يجب أن ندخل إلى البرج»، قال جوردن الذي كان من الواضح أنه توصّل إلى نفس النتيجة مثل إد، «يمكننا العثور على طعام وشراب في الصباح، لكن الآن نحتاج إلى مكانٍ دافئ وجاف وآمن. لكن أولاً علينا أن نتوقع وجود أناس في الداخل، لذا استعدوا للقتال»، نزّع نظّارته ونظفها، «إذا تعاونتم جميعاً وفعلتم ما أقول ستكونون بخير. لكن تذكّروا... أنا المسؤول، مفهوم؟ دوغ نت هنا هو مساعدي الأول، المسؤول المباشر عن فتياني. هذا إدّ هناك، الفتى ذو الندبة، هو المسؤول عن الباقين. تفعلون ما يطلبه منكم، وهو يفعل ما أطلبه أنا.»

«من عيّنه مسؤولاً علينا؟» قال فتى قصير ذو ذراعين ضخمتين ورقبة سمينة.

«أنا.»

«ومن يقول إنك أنت المسؤول هنا؟»

مشى جوردن نحو الفتى القصير. لم يحدّق فيه مباشرةً، لكنه وقف بالقرب منه ونظر عبر النهر نحو بارجة «إتش إم إس بيلفاست». بطريقة ما كان الأمر مُرعباً أكثر من النظر إليه مباشرةً.

«لا تجادلني»، قال بهدوء.

«اسمع...» قال الفتى، لكنّ جوردن قاطعه:

«إذاً، تريد أن تكون المسؤول، أليس كذلك؟»

«ربما؟»

التفت الفتى القصير من حوله بحثاً عن مساندة. لم يبدُ أنّ هناك من تشجّع على مساندته.

«ألا تظن أنني سأكون أفضل في موقع المسؤول؟» سأل جوردن بصوتٍ هادئ وثابت.

«نعم، لا بأس»، قال الفتى القصير، وابتعد عنه جوردن.

«يعجبني أسلوبه في التعامل»، قال كايل بهدوء وهو يقف بالقرب من إد، وكان لا يزال يحمل فأسه، ثم رفع صوته وخاطب الجميع: «ليست لدي أي مشكلة مع إد»، قال وابتسم ابتسامة عريضة، «هو يعرف ما يفعل. رأيته يقاتل. هذا الرجل مهووس! الآن، دعونا نتحرك. لقد بدأت أتجمّد من البرد هنا.»

كان القصر محاطاً بجدارين: جدار خارجي وجدار داخلي أعلى تعلوه أبراج دائرية. كان المدخل الرئيسي عبر بوابة كبيرة متّصلة بالقصر عبر ممشى ضيق فوق خندق واسع وجاف.

كانت البوابة الرئيسية ضخمة جداً وصلبة، لكن كانت هناك أنابيب صرف عند الجدار الخارجي للقصر، فتبرّع دوغ نت وكايل لمحاولة التسلّق عليها. منحهما جوردن الموافقة فتسلّقا حتى الحواجز عند أطراف الخندق ثم قفزا عبر الحشائش إلى الجانب الآخر.

توقفا عند أسفل الجدار ونظرا إلى الأعلى.

«ما رأيك؟» سأل دوغ نت.

«لا مشكلة»، قال كايل، «اعتدت الدخول عنوةً إلى المنازل طوال الوقت عندما كنتُ أصغر سنّاً. سأسابقك!»

كانت المهمة سهلة. تسلّق الاثنان أنابيب الصرف، ووصلا أعلى الجدار خلال أقل من دقيقة. ثم تسلّقا نزولاً بسهولة إلى الجانب الآخر ووجدا بوابات القصر الرئيسية من دون حراسة ومحصّنة فقط بقضيب فولاذي.

رفعا القضيب وخلال خمس دقائق كان الأولاد يدخلون البرج. بعضهم كان قد زار المكان أخيراً خلال رحلة مدرسية تعليمية، واستطاع إرشاد الباقين عبر بوابة أخرى تصل إلى ساحة داخلية. كانت هناك مساحة واسعة كبيرة. عند الأطراف هناك أنواع مختلفة من الأبراج الصغيرة وخليطٌ غير متطابق من المنازل ذات الطوب الأحمر، من نمط تيودور والنمط الفيكتوري. الجزء الأقدم، البرج الأبيض، عبارة عن مبنى طويل مربّع مع برج صغير عند كل زاوية، ويتربّع في الوسط على تلة منخفضة.

احتشد الأولاد في مساحة عند الجانب، مثل قرية خضراء مع كنيسة صغيرة عند أحد الأطراف ومنازل ذات إطارات خشبية عند طرف آخر.

«يبدو أن لا أحد هنا»، قال دوغ نت.

«لنتحقق من ذلك»، قال كايل، وقبل أن يمنعه أحد بدأ يصرخ، «يا قوم، يا قوم! هل من أحد هنا؟»

هرع جوردن إليه ليُسكته.

«ما الذي تفعله؟»، قال، «في حال كان يوجد أناس هنا فإننا لا نريد أن نوقظهم. سنفقد عنصر المفاجأة.»

«لماذا؟ ما الذي كنت ستفعله؟»، سأل كايل مع ابتسامة غريبة، «تذبحهم في أسرّتهم؟ تجزّ حناجرهم وهم نيام؟»

«لا يشكل ذلك أي فرق الآن»، قال جوردن، «ها هم قادمون.»

خرجت أشكال من منزل واحد. كان إد قد فقد بندقيته لكنه لا يزال يملك مسدسه في قرابه. كان على وشك أن يسحبه عندما رأى أنهم مجرد أولاد آخرين، ثلاثة فتيان وفتاة غير مسلحين، ملتفّين بمعاطف، بدا عليهم البرد والنعاس والارتباك.

«من أنتم؟»، سأل أحد الفتيان وهو يتثاءب. بدا أنه لم يأكل شيئاً منذ أيام. كان طويلاً ونحيلاً وقد غرق خدّاه في وجهه، وكان يعاني من سعالٍ حاد، «كيف دخلتم؟»

«من المسؤول هنا؟» سأل جوردن.

«لا أحد فعلياً»، هزّ الفتى كتفيه.

«ماذا عن توموكي؟» قالت الفتاة.

«نعم، توموكي على ما أظن.»

«اذهب وأحضره.»

«ماذا؟»

«اذهب وأحضر توموكي ذاك»، قال جوردن، «أريد أن أتحدث إليه.»

«سيكون نائماً.»

«أيقظه إذاً.»

«سأذهب»، قال الفتى الأصغر، وسار نحو المبنى ذي الإطارات الخشبية.

وقفت المجموعتان هنا تحدِّقان في بعضهما بعضاً. كان إد يرتجف من البرد وكان يريد فقط أن يدخل ويحظى ببعض الدفء. لكنّ جوردن لم يتحرك من مكانه.

«كم عدد الذين يعيشون هنا؟» سأل الفتى الذي يسعل.

«لا أعرف»، ردّ، «ربما ثلاثون؟»

«حسناً»، كان كل ما أجاب به جوردن.

بعد هنيهة عاد الفتى الصغير مع فتى أكبر سناً ذي شعر طويل ممسّد وملامح شرقية.

«ماذا يحدث؟»، قال ناعساً وهو يسير إليهم، «من أنتم؟»

«أنا جوردن هوردرن. هل أنت توموكي؟»

«نعم»، توقّف توموكي واتّجه بنظره نحو جوردن.

«هل أنت المسؤول هنا؟»

«أفترض ذلك.»

«لا يبدو أنّ هناك أحداً متأكد من الأمر.»

«حسناً، نعم»، قال توموكي، «أنا المسؤول هنا.»

«ليس بعد الآن، لم تعد كذلك»، قال جوردن.

«ماذا؟»

«من الآن وصاعداً أنا المسؤول.»

ضحك توموكي: «لا يمكنك المجيء بهذه البساطة و...»

«هذا هو المغزى، أليس كذلك؟»، قال جوردن.

«ماذا تقصد؟»

«لقد أتينا وبهذه البساطة»، خطا جوردن نحو توموكي بهدوء متوعّد، فالتزم توموكي الصمت وتراجع إلى الخلف. كان أقصر من جوردن وأقل ثقة.

بدأ المزيد من الأولاد يخرجون من المباني، وقد شعروا بالفضول بعدما أُيقظوا من نومهم. بعضهم كان مسلّحاً، لكنهم ظلّوا على مسافة. لم يبدُ أنهم يجرؤون على القتال.

«أنتم تشغلون أفضل أماكن لندن»، قال جوردن وهو ينظر نحو البرج الأبيض أكثر منه إلى توموكي، «المكان المثالي للعيش. قصر. مكان يسهل الدفاع عنه. مليء بالأسلحة. وما الذي تفعلونه هنا؟ ليس لديكم أي حرس. لم تكن البوابات حتى مغلقة. كل ما كان علينا فعله هو تسلّق عدد من أنابيب الصرف والدخول.»

«حسناً، الأمهات والآباء لا يتسلّقون أنابيب الصرف، أيستطيعون ذلك؟» احتج توموكي.

تابع جوردن بثقة: «أنت لا تستحق أن تكون مسؤولاً هنا. وإذا كنت لا تبالي بشأن إدارة المكان بطريقة صحيحة فلن يزعجك أصلاً أن أتولى المسؤولية.»

هزّ توموكي كتفيه بحركة رافضة. كان نصف نائم عند خروجه، ولم تكن لديه أي فكرة عمّا يحصل. الآن كان قد بدأ يستعيد نشاطه.

قال بهدوء: «عددنا أكبر من عددكم، لذا دعنا لا ندخل في شجار، اتفقنا؟ الآن لا أمانع بقاءكم هنا... بصراحة نحتاج إلى كل المساعدة التي نستطيع الحصول عليها. لم تكن الأيام الماضية سهلة علينا. لكن لا يمكنك أن تتوقع الدخول إلى هذا المكان وتولّي المسؤولية بهذه البساطة.»

«أوافقك الرأي»، قال جوردن، «دعنا لا ندخل في شجار، فأنا لا أحب الشجارات.»

«جيد.»

«لذا سأقاتلك من أجل ذلك.»

«تريد أن تقاتلني؟» قالها توموكي في شكّ.

«نعم.»

«لا تُؤخذ هكذا قرارات بهذه البساطة.»

«إنها كذلك الآن»، قال جوردن، «لقد تغيّر العالم. لذا، هيا.»

«لا»، قال توموكي، وتراجع عندما تقدّم جوردن في اتجاهه.

«قاتلني»، قال جوردن.

لم يتوقّف عن التقدم نحو توموكي الذي تراجع إلى الخلف. في النهاية وضع يده على صدر جوردن في محاولة لإيقافه.

ضربه جوردن ضربة خفيفة. كانت الحركة سريعة وعرضية في الوقت نفسه. اهتزّ رأس توموكي إلى الجانب ثم انهار على ركبتيه.

وقف جوردن فوقه للحظة ثم ساعده على الوقوف. تمايل توموكي على رجلين مرتجفتين، مذهولاً ومترنّحاً.

«لا ضغينة شخصية»، قال جوردن بهدوء، ثم استدار ليواجه مجموعة الأولاد التي خرجت لتفقّد ما يحصل.

«إذا أراد الباقون منكم قتالنا فلا بأس، لكن ستخسرون. لقد قاتلنا في المدينة حتى وصولنا إلى هنا... لن تتمكنوا من التغلب علينا. يستطيع توموكي الاحتفاظ بمكانته هنا، كممثل لكم، لكن من الآن وصاعداً سنعمل معاً وستنفذون ما أطلبه منكم. إذا كان هناك من لا يوافقني الرأي فليتكلم الآن وسأتناقش معه.»

لم يتحرك أحد.

شعر إد بمزيج غير مريح من الإحراج والفخر. لم يحب تكتيك جوردن في التنمّر الهادئ، لكن لم يستطع إنكار أنه على الأرجح الرجل الأفضل للمهمة. وكان حال إد حال الباقين، كان يريد فقط أن ينتهي الأمر بسرعة وعلى خير حتى يتمكن من الدخول والاستلقاء في مكان ما والخلود إلى النوم.

«جيد»، قال جوردن، «حُسم الأمر إذاً.»

تنهّد إد وأغمض عينيه.

في مكان آمن، أخيراً.



كانت شمس الصباح متوهّجة، تصيبه بالعمى. غطّى وجهه بيديه. كان يعرف هذا المكان. مساحة مربّعة واسعة وكبيرة، نُصب، نُصب تذكاري، نصب تذكاري حجري كبير في الوسط. تمثال الرجل في الأعلى. للرجل اسم. كان بطلاً. نعم، ما كان اسمه؟ كانت له عين واحدة وعلى رأسه قبعة.

نيلسون.

نعم. ابتسم. ما زال يعرف أشياء. سيتغلب على المرض. ألم يقل لهم ذلك؟ سيعيش. سيذهب إلى المنزل ويعيش حياة سعيدة.

المنزل.

كان يعرف طريق العودة الآن. كان يعرف هذا الجزء من... أين كان؟ ما كان اسم هذا المكان؟

نيلسون.

لورد نيلسون. ليس نيلسون. لورد لامبسدن. لندن. لورد لندن. مدينة لندن.

حين كان يعبر الساحة حلّقت مجموعة من الطيور من حوله، تدور في السماء وتربكه. لوّح بيده ليُبعدها عنه، شاتماً.

إنها خنازير.

قد تتمكن الخنازير من الطيران.

الحمام أيضاً.

خلال لحظات كان يُمسك واحدة. التقطها في وسط الهواء، مثل لاعب

غولف، مثل حارس مرمى. اتّسعت ابتسامته. كان ملك هذا المكان. يجدر به أن يكون أعلى هذا النصب. لورد لندن! كان هو. عصر الطائر حتى أحسّ بعظامه تتكسر، ثم دسّه في جيب بنطاله الرياضي. كان يشعر بالبرد. لقد فقد قميصه خلال قتال على جثة فتى. لقد مُزِّق عنه.

لقد فعل الفتى ذلك. من قبل.

سيؤدّب ذلك الفتى.

لقد فاز بالقتال، لكنه فقد... ما كانت تلك الكلمة؟ لقد عرفها للتو. سيتذكرها لاحقاً.

قميص. نعم، قميصه.

لفت نظره شيءٌ يلمع. كشك مقلوب. كانت فيه أوشحة وقبعات و... تذكارات.

كانت تلك كلمة جيدة. كلمة يصعب تذكّرها. كم عدد الناس الذين كانوا يعرفون تلك الكلمة.

قالها صارخاً: «تذكار! تذكار! تذكار!»

اقترب من الكشك وفتّش بين الأشياء، يرمي جانباً قمامة وملابس رثة وتذكارات.

ملابس. تذكارات رثة.

ثم عثر على صديرية دون كمّين. التقطها. بدت جيدة. أعجبته ألوانها. كان هنا نمط معين عليها صورة، وخطوط حمراء، بهذا الاتجاه وبذاك الاتجاه.

متقاطعة.

على شكل صليب.

ألقى تحية.

«لورد نيلسون، سيدي»، قال. الكلمات واضحة في رأسه لكنها تُخرج نخيراً مدغماً.

كان علماً.

صليب.

شدّه فوق رأسه. نعم. كان الملك الآن، ملك لندن، ملك العالم. وسيصبح أقوى وينتقم من أولئك الصبيان؛ صبيان المدرسة الأذكياء الذين ظنّوا أنهم يستطيعون التغلب عليه.

هو! لورد نيلسون؛ لورد لندن؛ ملك التذكارات.

والأسوأ هو أنهم قد فعلوا أمراً سيئاً. لقد أخذوا ليام منه. نعم، لقد قتلوه. كان يعتني بليام وهم قتلوه.

لا يمكنهم فعل ذلك به. كان بطلاً. كان تشارلي جورج. سان تشارل. سان جورج، قاتل الحمامة. هي ليست حمامة، بل تنين. نعم، سان جورج، وسيقتل كل تنانين العالم.

لكن أولاً كان عليه أن يذهب إلى المنزل ليرى ابنه. يجب أن يأخذه إلى مباراة كرة قدم. إلى الكنيسة الكبيرة، ما كان اسمها؟ دولاب كاثرين؟ لا. كاثوليك. كاتدرائية. نعم. كاتدرائيته الخاصة به. المدرج. مسرح الأحلام.

المنزل.

أرسنال.



بعد مرور سنة

كان إد يقف عند الأسوار برفقة كايل، يراقبان نهر التايمز وهو يتدفق بخمول. كانت قد أمطرت الليلة الفائتة وكان كل شيء يلمع ورطباً. الآن ظهرت رقعة زرقاء في السماء، تسللت الشمس عبر الغيوم وتوهّج كل شيء بلون ذهبي وفضي.

استدار بوجهه المشوه نحو كايل وابتسم.

«في الواقع، أشعة الشمس دافئة اليوم»، قال.

ابتسم كايل له، وقال:

«كنت على حق أيها القائد. سيحل الصيف قريباً.»

«رويدك يا صديقي»، قال إد، «لم يحل الربيع بعد.»

«لم أحفظ يوماً ترتيب الفصول»، ضحك كايل، «اعتبرني ممّن يعانون صعوبة في القراءة. إذا سألتني فلن أعرف حتى منذ متى نحن هنا.»

«وكأننا هنا منذ الأزل.»

تذكّر إد المرة الأولى التي وصلوا فيها إلى هنا. كانت الأسابيع الأولى في البرج كلها عمل ونشاط. جعل جوردن الجميع يعملون، مصرّاً على أن مفتاح النجاة هو التنظيم. لو تُرك الأمر للأولاد لتصرفوا على سجيتهم. كانوا سيقضون وقتهم في الشجار والتسبّب بالفوضى. لكنّ جوردن لم يكن ليسمح بذلك أبداً. كانت لديه رؤيا، وكذلك روح القيادة. سيعمل على نجاة الجميع.

بدأ بالعمل على نظام عسكري. حرّاس وجنود ومجموعات للعثور على الطعام. كان البرج الأبيض مليئاً بالأسلحة والعتاد، وكانت المباني محميّة جيداً. عُيّن إد كابتناً على حرس البرج، المسؤول عن الدفاع عن القصر. كان شخصاً قوياً وصلباً، وكان الجميع يثقون بقدراته. كان الأولاد الأصغر سناً يشعرون بالراحة والأمان لمجرد معرفتهم أنه موجود لحمايتهم. كان كايل يتصرّف بمثابة حرس شخصي له. لم يستطع إد فعل شيء لإبعاد ذلك الفتى ذي الرأس المربع. أينما كان يذهب كان كايل إلى جانبه.

عندما حلّ الربيع رُتّب الخندق وزُرعت بالبذور. تشجّع الأولاد على هذا الفعل بعد رؤيتهم عدداً من الصور التي عثروا عليها في البرج وتُظهر الخندق خلال الحرب عندما حُوِّل إلى حديقة خضار عملاقة.

رحل الربيع وحلّ الصيف، ورفع الضوء والدفء من معنويات الأولاد ومنحهم حسّاً أجمل بالحياة الجديدة. لكنّ الصيف رحل وحلّ الخريف بعده ومن ثمّ الشتاء. كان الطعام قليلاً دائماً. كانت فرق البحث عن الطعام تضطر إلى تفتيش المباني الأبعد أكثر فأكثر للعثور على شيء يأكلونه. وقد حالفهم الحظ مرتين وعثروا على مخازن كُدِّست فيها المؤونة. لكن رغم توزيع الطعام فيما بينهم، كان يصبح أقل أكثر فأكثر.

الجزء الأسوأ كان تعذّر العثور على طعام طازج. لم تثمر حدائق الخضار كثيراً. كان على الأولاد تعلّم الكثير، وفي الشتاء ارتفع منسوب مياه نهر التايمز وفاض على الخندق، لذا فقدوا كل محصولهم. داهموا متاجر أغذية وصيدليات ومختبرات، للبحث عن المؤونة والفيتامينات والمعادن، لكن لم يكن هناك بديل عن الفاكهة والخضار الطبيعية. مرض الكثير من الأولاد بسبب نقص الغذاء، وفي غياب الأطباء لم يكن بإمكانهم فعل الكثير. مات الكثير منهم.

مع حلول الشتاء جاء البرد والظلام المبكر، كما ازدادت حملات الهجوم على مجموعات البحث عن الطعام من قبل الموبوئين. كانوا يائسين وجياعاً بقدر الأولاد. تساقط الثلج في شهر كانون الثاني/ يناير، ورغم أن بعض الأولاد كانوا يستمتعون باللعب به، إلا أن البرد القارس كان يجعل الأولاد

في حالة بائسة. ليلاً، كان يجلسون في مجموعات كبيرة، مثل حشرات خلال سباتها الشتوي. ارتفعت نسبة الموت. انشغل الأولاد في نقل الجثث التي رُميت في مياه التايمز الجليدية.

بالنسبة إلى إد بدا أن الشتاء لن ينتهي أبداً، والآن منحه الشعور بالشمس على ظهره أملاً جديداً. سنة كاملة. لقد نجوا لسنة كاملة. من الصعب تصديق ذلك. والآن بات ممكناً، ممكناً فحسب، أن ينجوا لوقت أطول. لم يكن العالم لينتهي بعد.

كان إد مشغولاً طول الوقت، متعباً في الليل، مشتت الانتباه بكل شيء يحتاج إلى إنجاز، حتى أنّ عيد مولده مرّ دون أن يلاحظه. أدرك ذات مرة، وبذهول، أنه قد تخطى الخامسة عشر. حاول الانعزال بنفسه لعدة أيام لكن لم تظهر عليه أي عوارض باستثناء سعال خفيف، فجميع الأولاد كانوا يعانون من ألم في الحلق والسعال والبرد، لذلك لم يقلق كثيراً بذلك الشأن.

ابتسم. خلال بضع أسابيع سيُتم السادسة عشر. يبدو أن جاستن كان على حق. أيّاً كان ذلك الوباء الذي يُصيب الراشدين، فالأولاد لن يصابوا به أبداً.

«نحن على قيد الحياة»، قال.

بدا كايل مرتبكاً: «ماذا تقصد؟»

«أقصد نحن على قيد الحياة يا كايلو. رغم كل المصاعب لا نزال نقف هنا، نتنفس.» ربت على الجدار وأطلق صرخة فرح قوية. هزّ كايل رأسه ونظر إليه وكأنه ينظر إلى مجنون. لم يكن كايل يفكر بعمق حيال أي شيء.

سمعا صرخةً وظهر دوغ نت. لقد استطاع إظهار قوته وصلابته خلال السنة الماضية وكان يلقى احتراماً كبيراً من الأولاد الباقين. عيّنه جوردن كابتناً على المستكشفين، الاسم الذي منحه للباحثين عن الطعام.

«أترِيان ذلك!»، قال بفرح وهو ينظر إلى السماء، «لقد أشرقت الشمس أخيراً!»

ابتسم إد له وقال: «من الأفضل أن تخرج ببعض الفتيان للبحث لنا عن واقٍ للشمس.»

ضحك دوغ نت وجلس بالقرب منه: «يا لهذا الشعور الجميل.»
«كنت أفكر بتلك الليالي الأوَل، عندما وصلنا إلى هنا»، قال إد.
«أتذكر كثيراً تلك الأيام المجنونة في جنوب لندن»، قال دوغ نت، «يبدو كل شيء مثل الحلم، أو كفيلم شاهدته منذ وقت طويل جداً.»
«أعرف ما تقصد»، قال إد.
«هل تتساءل أحياناً عمّا حصل للباقين يا تُرى؟»
«كنتُ أفعل»، قال إد، «ليس مؤخراً. بالكاد أستطيع تذكّرهم، لأكون صادقاً معك.»
«لا بد أنك تتذكرهم؟»، قال دوغ نت، «فقد كانوا أصدقاءك.»
«مات جميع أصدقائي المقرّبين»، قال إد بهدوء، «مالك، بام، جاك...»
«ما كان اسم ذلك الفتى الذكي الذي قاد الشاحنة؟»
«جاستن»، قال إد، «كيف عساني أنساه. وهناك ويكي الصغير وصديقه جيبر جابر، وكان هناك أيضاً... يا إلهي، ما كان اسمه؟»
«من؟»
«ذلك الفتى الذي كان يقرأ طوال الوقت؟ كريس ماركر! نعم، وكوانيلي.»
«أي واحد كان كوانيلي؟» سأل دوغ نت.
«الفتى الذي كان يرتدي بذلة أنيقة طوال الوقت.»
«أوه، نعم، الفتى المتأنّق. أترى، ما زلت تذكر!»
«نعم. احتجت فقط إلى إنعاش ذاكرتي.»
«ما كان اسم ذلك الفتى المتدين المخبول؟» سأل دوغ نت.
«المجنون مات»، قال إد بهدوء، «لقد كان انشطار القارب غلطته وبسببه غرِقت أليشيا. كان من الممكن أن يقتلنا جميعاً. لكن الآخرين... آمل أنهم تمكنوا من النجاة. كان لديهم كل ذلك الطعام في الشاحنة، وذلك الفتى الغريب الأطوار، دايفيد، يهتم بهم، لذا أظن أنهم يختبئون في مكان ما مثلنا تماماً.»

«ألا تفكر أبداً ببروك؟» سأل دوغ نت.

«أوه، نعم، بروك»، نفخ إد الهواء بقوة من أنفه، «أفكر فيها بين الحين والآخر على ما أظن.»

«أفكر بها طوال الوقت يا رجل»، قال دوغ نت، «أقصد، حين كنا جميعاً معاً كنتُ أعرف أنني انتظر دوري، فهي كانت معجبة بك أنت...»

«حتى حصلتُ على هذه»، قاطعه إد وهو يضع يده على الندبة التي شوّهت وجهه.

«ألهذا السبب لم تعد مهتماً بها؟» سأل دوغ نت.

«ماذا تقصد؟»

«أتظن أنها لن تعود معجبة بك بسبب هذه؟»

«لا أهتم حقاً»، قال إد.

«ألا تريد أن تعرف ماذا حصل لها؟»

«لأكون صادقاً معك يا دوغ نت، لم أفكّر بالأمر فعلاً. كانت هناك أمور كثيرة تشغلني، ومحاولة النجاة. نعم، أقصد، أتساءل بين الحين والآخر عمّا حصل لها.»

«أنا لا أتساءل فحسب»، قال دوغ نت، «كان لديها مشاكلها، لكنها كانت قوية يا رجل، وتعجبني تلك الفتاة. إنها من النوع القوي الذي تحتاج إليه في أوقات كهذه. إضافةً إلى ذلك كانت جميلة جداً.»

«ما هذا الذي تقوله يا دوغ نت؟»، سأل إد، «أتريد أن تخرج للبحث عنها؟»

«علينا أن نعرف ماذا يريد الأولاد الآخرون أن يفعلوا في الخارج يا صديقي»، قال دوغ نت، «لا يمكننا الجلوس خلف هذه الجدران والصلاة بأن يكون العالم على ما يرام.»

«لكنك كابتن المستكشفين.»

«نعم، لذا يجدر بي أن أقوم بعمل المستكشف! سأوضح المسألة للجنرال. لن يكون له أي شأن بقراراتي. الأمور على ما يرام هنا. تحدثت إلى عدد

من الأولاد، وبعضهم يريد مرافقتي. لقد تفرقوا عن إخوانهم وأخواتهم وأصدقائهم المقربين. كورتني أيضاً تشتاق إلى بروك.»

«حسناً، حظاً موفقاً لك يا صديقي»، قال إد.

«السبب الذي جعلني أخبرك بالأمر يا إد»، قال دوغ نت، «هو أنني فكرت أنك قد تريد مرافقتنا.»

استدار إد ونظر نحو القصر. كان الأولاد منشغلين في كل مكان، كانوا آمنين. كان المكان مثل بلدة صغيرة.

«هذا هو منزلي يا دوغ نت»، قال، «هؤلاء قومي هنا.»

خلال الأيام القليلة التالية ترك دوغ نت إد ليفكّر في محادثتهما. لم يكن إد قد أخبر دوغ نت بالحقيقة كاملة. كان أصدقاؤه في ذاكرته أكثر من أيّ وقت مضى. كان يرى كوابيسَ معظم الليالي، بأن جاك كان لا يزال على قيد الحياة. كان يأتي إليه في الظلام، بوحمته النبيذية اللون على خده. كان يبدو دائماً حزيناً وغاضباً، كان يسأل إد دائماً لِمَ تركه للموت، ثم كان إد يرى دمامل على وجه جاك وأنه قد أُصيب بالوباء، حينها كان يستيقظ وهو لا يستطيع التنفس.

كانت الكوابيس تراود معظم الأولاد. كان أمراً منطقي، لكن بدا أن هناك شيئاً غريباً بشأن هذه البلدة. كان هذا الجانب هو الجانب القديم لمدينة لندن، القلب التاريخي للعاصمة منذ العصر الروماني. كان يسهل تصديق أن سحراً قديماً يكمن في أعماق هذه الحجارة هنا. لم يذهب الأولاد إلى المدينة نفسها أبداً، تلك التي كانت الدائرة المالية قبل الكارثة، منطقة المكاتب وناطحات السحاب والكنائس القديمة جداً. كانت بالنسبة إليهم المنطقة الممنوعة. ليس فقط أن الطعام كان غير متوفّر في تلك الأماكن الضيقة، بل كان هناك جو غريب وغير مريح، وكان هناك الموبوءون الذين ظلّوا على قيد الحياة، وكانوا خطرين ولا يمكن التنبؤ بتصرفاتهم.

ذات أمسية ماطرة كان إد وكايل في الخارج يحرسان مجموعة كانت

تعمل على تأمين إغلاق البوابات عند محطة «تاور هيل». كان الأولاد ينوون إغلاق المكان لبعض الوقت. كانت الأنفاق المظلمة في الأسفل مكان اختباء مثالي للموبوئين. كان الفتيان يقظين ومسلّحين جيداً. لم يكن أي فتى يحلم بمغادرة القصر من دون سلاح. كان إد يحمل سكيناً وسيفاً ثقيلاً وقوس ونشاب. كان مسدسه قد فرغ من الذخيرة منذ وقت طويل، لكنه احتفظ به تحت سريره كتذكار من الأيام السابقة. حمل كايل مِطرَداً... كان السلاح الدفاعي الأمثل، وهو عبارة عن سلاح أبيض مؤلّف من رمح وفأس.

كان يوماً مقلقاً. كانت هناك بعض الاضطرابات في المنطقة الممنوعة. كان الموبوءون منتشرين في كل مكان. كانوا يبقون على مسافة بعيدة عن البرج، علماً منهم أنها منطقة خطرة بالنسبة إليهم. لكن اليوم تغيّر النمط المعتاد وبلّغت فرقة المستكشفين عن رؤيتها مجموعات منهم بالقرب من شارعي ألدغيت وفينتشرش.

«سألقي نظرة أخرى في المكان»، قال كايل، «لا أحتمل الوقوف هنا دون فعل شيء.»

«حسناً»، قال إد، «لكن كن حذراً.»

ابتسم كايل كعادته وربت على ظهره. «متى أكون حذراً؟» قال، وسار حاملاً مطرده فوق كتفه، وهو يضحك ويتمتم شيئاً لنفسه.

تحسّس إد وجهه. مرّر أطراف أصابعه على الندبة الناتئة التي ارتسمت من جبهته حتى ذقنه. كان الجرح يؤلمه هذه الليلة، يؤلمه ويخزه. لم يكن يؤمن بالخرافات، لكن عندما كان يؤلمه جرحه بهذه الطريقة كان يراوده شعور بأنه يحذّره بشأن أمر ما. لم يتحدث بهذا الأمر مع أيٍّ من أصدقائه خشية أن يتّهموه بأنه يتحول إلى هاري بوتر.

سمع وقع أقدام وصلصلة شيءٍ معدني، ورأى مجموعة من الأولاد قادمين عبر طريق تحتي تمتد تحت طريق رئيسي بالقرب من البرج. كان جوردن هوردرن على رأسها. كان يرتدي درعاً للصدر وخوذة، وهذا كان يتناقض تماماً مع نظارته المخدوشة. الفتيان الأربعة الذين كانوا برفقته كانوا يحملون مطارد.

«ليلة غريبة»، قال عندما رأى إد.

«أيمكنك الشعور بذلك أيضاً؟» سأل إد.

«نعم»، قال جوردن، «الجميع قلق. ربما هناك عاصفة رعدية قادمة. ماذا كنت تفعل هنا على أي حال؟»

«أتينا لإغلاق المحطة. بسبب الأحداث الأخيرة، حاولنا فعل كل شيء اليوم. الفتيان ينهون عملهم الآن.»

«يجدر بك استدعاؤهم للعودة»، قال جوردن، «أكانوا قد أنهوا عملهم أم لا. المكان ليس آمناً الليلة.»

«لا بد أنهم ينهون عملهم الآن.»

مشوا إلى بوابات المحطة حيث كانت فرقة العمل تحزم معدّاتها. ساعدهم جوردن ومجموعته بتسليط أضواء مصابيحهم اليدوية على حقائب المعدّات ليحزموها في وقت أسرع.

بينما كانوا يستعدّون للمغادرة عاد كايل وعلى وجهه تعبير غريب.

«عليكم أن تأتوا وتروا هذا»، قال بهدوء.

«ما الأمر؟» سأل جوردن.

«تعالوا لتروا بأنفسكم.»

طلب جوردن من الآخرين البقاء بعيداً عن الأنظار وتبع كايل برفقة إد وحارسين آخرين عبر الطريق الذي أتى منه. ساروا متقاربين. عبروا جداراً رومانياً قديماً ثم مبنىً رمادياً حديثاً بشع الشكل، أمّن لهم بعض الحماية. تحركوا بسرعة وبهدوء. عندما وصلوا إلى مبنى المكاتب توقف كايل وأومأ في اتجاه الشارع. زحف إد إلى الزاوية، وبحذر جال بنظره في المكان.

نظر إلى الشارع في اتجاه جسر السكة الحديدية وشهق، مستنشقاً الهواء الذي حبسه في رئتيه. لم يستطع أن يصدّق ما يراه.

تراجع إلى الخلف واستدار إلى جوردن.

«ألقِ نظرة»، قال.

كان دور جوردن. انتظر إد ردّة فعله، ليرى إن كان مشابهاً لردة فعله.

هل رأى حقاً ما ظن أنه رأى؟ قطّب وحكّ ندبته. كانت تؤلمه مجدداً. كان قد أخبر نفسه أنه يتصرف بحماقة. كان يتخيّل أشياءَ، وتراوده أفكار غريبة بشأن يوم مقلق.

أخيراً تراجع جوردن إلى الخلف والتفت إلى إد.

«هذا غير معقول»، همس.

تحرك إد ليلقي نظرةً أخرى عندما أمسك به كايل وأرجعه إلى الخلف. جثم الأربعة هناك في الظلام، بينما كان هناك شخصان يميشان عند طرف المبنى على طول الطريق في اتجاه البرج.

كانا صبيين صغيرين لم يتجاوزا سن التاسعة أو العاشرة، متّسخين ومرهقين، عيناهما متّسعتان خوفاً. بدا أنهما بالكاد يستطيعان الوقوف، فكيف بالسير. كانا متبللين جرّاء الأمطار التي تنهمر من دون انقطاع.

لكن ما جعل أنفاس إد تنقطع هو أن الصبيين كانا يشبهان تماماً ذينك الصبيين اللذين كانا على راية مات الدينية؛ تلك الراية التي سخر منها الجميع عندما كتب هاري راين «أنغوس داي» عليها.

الحمل و كبش الفداء.

كان أحدهما يسير متقدماً قليلاً على الآخر، تماماً مثلما صُوِّر الحمل على الراية. كان يرتدي قميصاً أبيض متّسخاً وكان شعره عادياً وبشرته شاحبة. أما الفتى الآخر فكان شعره أشعث داكناً وبشرته قذرة لدرجة أنه بدا أسود اللون. كان يسير خلف الفتى الأول مثل ظله.

«إنها مصادفة»، همس إد، «لا بدّ أن تكون كذلك.»

«علينا أن نتوخى الحذر»، قال جوردن، «لقد أتوا من المنطقة الممنوعة. هناك شيء مريب بشأنهما.»

كان إد قد بدأ يُصاب بالفزع. لم يرَ جوردن غير متأكد من أمر ما من قبل.

«اللعنة يا جوردن»، همس، «لا تقل لي إنك بدأت تصدّق ترّهات مات؟»

«لقد فكّرتَ تماماً بما فكّرتُ به عندما رأيتهما يا إد.»

«كفاك يا جوردن، إنهما مجرد صبيين صغيرين.»

لكن حتى وهو يقولها كان إد يشكّ بكلماته. لقد حدثت أشياء غريبة في العالم. إذا كان مات على حق فقد يعني ذلك أنّ هذين هما من سيحكم العالم الجديد، يسيران بالقرب منهم، على مسافة أقل من خمسة أمتار.

لا تكن أحمقاً.

نهض إد. «قفا مكانكما. لا تتحركا.»

تجمّد الصبيّان مكانهما.

«نحن ولدان صغيران»، صرخ الفتى ذو الشعر العادي دون أن يستدير، «مجرّد ولدين صغيرين.»

«لنأمل ذلك»، قال إد بصوت منخفض ثم صرخ إليهما مجدداً، «يمكنني رؤية ذلك. من أين أتيتما؟»

«ويتروز»، قال الفتى.

أراد إد أن يضحك لكنه منع نفسه. كان ذلك سخيفاً جداً. لم يأتيا من الجنة. لقد أتيا من متجر للتسوق.

«ويتروز؟»

استدار الفتى نحوهم: «في هولوواي.»

«أين ذلك المكان؟»

«شمال لندن. بعد كامدن تاون.»

حاول إد أن يتذكّر كم يبعد ذلك المكان. لم يكن على معرفة كبيرة بجغرافية لندن لكنه كان متأكداً من أن كامدن كانت على مسافة بعيدة.

«هل قطعتما كل تلك المسافة من هناك إلى هنا؟»

«نعم... أحاول الوصول إلى قصر باكينغهام.»

كان الأمر يصبح سريالياً أكثر فأكثر.

«حسناً، أنتما أكثر من تائهين»، أشار.

«أعرف»، قال الفتى، «أرجوكم، نحن تعبان وجائعان جداً. كنا نهرب من الراشدين طوال اليوم»، بدا خائفاً، يكاد ينهار.

«هل أنتما وحدكما؟»

«نعم.»

خرج إد والآخرون من مكانهم، واقتربوا من الصبيين.

«هل ستساعدوننا؟»، سألهم الفتى ذو الشعر الداكن، «لم يعد بإمكاننا السير. لن تحملنا أرجلنا أكثر.»

همس إد شيئاً لجوردن: «هل أنت راضٍ؟ إنهما مجرد صبيين صغيرين.»

«أعرف»، قال جوردن، «لكن كان يجدر بنا توخي الحذر. كان يوماً غير عادي. وعليك أن تعترف...»

«نعم، أعرف، لكن أقصد...»، توقف إد، كان يحاول إقناع نفسه أكثر من أن يقنع جوردن بأنه لم يكن هناك شيء غير طبيعي بشأن هذين الولدين، «أنت لا... تشعر بأي شيء؟»

«قلتها بنفسك يا إد، إنهما مجرد صبيين صغيرين.»

«نعم.»

سار إد نحو الصبيين وهو ينزع خوذته. نظر الصبيان إلى ندبته بعينين مصدومتين. كان يعرف التأثير الذي تتركه عند من يراه للمرة الأولى لذا ابتسم حتى لا يخيفهما وجثا على ركبتيه أمامهما.

«كم عمركما؟» سأل.

«تسع سنوات»، أجابا بصوت واحد.

«واستطعتما قطع كل تلك المسافة من شمال لندن؟»

«فتى القريدس فعل»، قال الفتى، «أنا كنتُ أعيش بالقرب من سبيتالفيلدز لكني دخلت الأنفاق وضللت الطريق و...»

«مهلاً، مهلاً، لا تتكلم بسرعة»، رفع إد يده ليوقفه، «إذاً كنت في سبيتالفيلدز؟ من كان يعتني بك؟»

جفل الفتى. «لا أحد. كان برفقتي عدد من الأولاد، لكنهم ماتوا جميعاً، أنا متأكد من هذا الأمر. بقيت وحيداً. لكن لاحقاً عثرتُ على القزم. كنا نساعد بعضنا بعضاً. نحن صديقان.»

هزّ إد رأسه وأطلق ضحكةً أشعرتهما بالارتياح.

«وها نحن نظن أننا أذكياء وأقوياء لنجاتنا هنا في البرج. جعلتمانا أيها الصغيران نبدو كمجموعة من المخنثين.»

«هل المكان آمن هناك؟» سأل الفتى ذو الشعر العادي.

«في البرج؟»، فكر إد بالأمر...، «آمن بما يكفي.»

«متأكد؟»

«لقد مررتما بالكثير، أليس كذلك؟»

هزّ الفتى ذو الشعر العادي رأسه إيجاباً.

«حسناً، إنه آمن مثل أي مكان آخر على ما أظن. أكثر أمناً من الشوارع. أكثر أمناً من الأنفاق، هذا مؤكد.»

«هل ستأخذنا إلى هناك؟»

«بالتأكيد. لم لا؟»

«هل سنكون بأمان فعلاً؟ أنتم هناك فقط؟ أولاد فقط؟»

«يعيش هناك سبعٌ وستون ولداً»، شرح إد، «جميعنا أولاد، من جميع الأعمار. لا نعيش أفضل حياة في العالم، لكنها حياة. أنتما بأمان الآن يا صديقيّ.»

شهق الصبيان بالبكاء.

كاد إد ينضم إليهما. ضمّهما إلى صدره حتى توقفا عن البكاء، ثم حملهما على جانبيه وانطلق بهما نحو البرج.

بينما كانوا يمشون عائدين عادت صورة الراية إلى مخيلته مجدداً.

ربما، فقط ربما، كان مات على حق طوال الوقت.

العدو هاجم

الموتى استيقظوا

والآن تتواصل القصة...

لكن هل يمكنك تحمّل

الخوف؟

تابع القراءة... إن كنت تجرؤ؟؟

(**الخوف** يصدر خريف 2014)

الجامع

أشياء... المزيد من الأشياء... احصل على المزيد من الأشياء... أشياء جيدة...

كان الظلام دامساً في الخارج. المغادرة آمنة. عصر جسده الضخم في الرواق ومنه عبر الباب الأمامي، يشمّ الهواء. تمايلت ستارة من الشعر الدهني أمام عينيه، فأرجعه إلى الخلف بيد سمينة جداً، ملطّخاً وجهه بخط أصفر من بثرة انفقأت على خده.

ابتسم. كان سيخرج للعثور على أشياء.

المزيد من الأشياء.

كل ما كان يهتم به هو الأشياء: أشياء، عدّة، أدوات، ألعاب. كان قبو شقته مليئاً دائماً بالأشياء. أمضى أياماً ولياليَ في الأسفل، أمام حاسوبه... التلفاز يعمل، الموسيقى تصدح، يلعب ألعاباً إلكترونية: يلعب ويلعب ويلعب حتى فقد كل مسار للوقت. كان سعيداً جداً هناك، محاطاً بأشيائه، رفوف ممتلئة بالـ«دي في دي» والأقراص المدمجة والمجلات الهزلية، وشخصيات «ستار وارز» و«مانغا» ومجموعات «ستار تريك»، كتب ومجلات، علب وجبات جاهزة، لعب رجال آلبين، لوحات مفاتيح وأنظمة هواتف نقالة... لم يرمِ شيئاً. تكدّست حواسيب قديمة في الزوايا، هواتف نقّالة، عدسات تصويرٍ، أكوام من الشرائط والمقابس... أشياء... حياة من الأشياء.

أخيراً صنع ثقوباً في الجدران، حفر خارج شقته، استولى على الأقبية

من الجانبين، وعندما امتلأت انتقل إلى الأعلى، طابقاً تلو طابق، يملأ المبنى أكثر فأكثر بأشيائه.

والآن ها هو يخرج مجدّداً للعثور على المزيد من الأشياء. كان الأمر أسهل الآن. كانت الأشياء مرمية في كل مكان، تنتظره لجمعها فحسب. كان يحمل حقيبةً في كل يدٍ من يديه السمينتين، لكنه لم يظن أنه يحتاج إليهما هذه الليلة. الليلة كان يبحث عن ألعاب. كانت ألعابه الأخيرة قد انكسرت بعد التصليح، توقفت عن العمل، توقفت عن تسليته، توقفت عن إصدار تلك الأصوات المضحكة. ما فائدة الألعاب إن كنت لا تستطيع أن تلعب بها بعد الآن.

عندما كانت تتوقف عن العمل كان يأكلها بكل بساطة.

جمع الأشياء وأكلها، كان هذا كل ما يفعله الآن. عندما كانت ألعابه تتعطّل وتتكسّر كان يجلس على أريكته ويحدّق في الشاشة المطفأة لتلفازه، في انتظار حلول الليل. أحياناً كان يجلس أمام شاشة حاسوبه، ينقر على لوحة المفاتيح، ذكرى قديمة تتحرك في داخله. لساعات طويلة. ينقر وينقر وينقر. يُصدر نوعاً غريباً من الموسيقى.

لكن الآن لديه هدف.

تهادى على طول الشارع، منتبهاً لكل خطوة يخطوها. كان هناك ضوء كاف ليرى طريقه من القمر الباهت والنجوم البعيدة. لم يكن ينزعج من الظلام. في الواقع لطالما كان مخلوقاً ليلياً، يجلس والستائر مسدلة، ليس لديه أي اهتمام بأشعة الشمس أو الهواء العليل أو الناس الآخرين.

كان حذراً. إذا وقع، فسيكون النهوض صعباً جداً. خطت قدماه العاريتان بصلابة على السطح القذر للشارع الذي كان يعرفه جيداً. ليلة بعد ليلة، كان يأتي إلى هنا ويتنقل من متجر إلى آخر، من منزل إلى آخر، ينهبها من أجل المزيد من الأشياء. مثل دب ضخم ينهب صناديق قمامة الغير، ذراعاه القويتان تمزّقان للوصول إلى ما يحتاج إليه.

لقد أغراه المبنى الضخم عند آخر الشارع. المتجر الواسع هناك. لكن

المكان أكثر خطورةً الآن. لقد دخله آخرون وأقاموا أعشاشاً وحاولوا أحياناً الهجوم عليه وهو يبحث عن أي أشياء منسية. لم يتمكنوا من أذيته – كان ضخماً جداً، ثقيلاً جداً، صلباً جداً – لكنه كان يحب أن يعثر على أشيائه بهدوء، لذا اعتاد نهب المنازل بدلاً من المتاجر. كانت هناك دائماً أشياء في المنازل. كان هذا حيّاً ثريّاً. كان ينتزع شرائط مكبرات الصوت وشاشات تلفاز مسطحة عن الجدران، يبحث في الأدراج عن عدسات تصوير وآي بود وهواتف نقالة، يضعها كلها في حقيبته ويحملها إلى المنزل ليضمّها إلى مجموعته.

لكن ليس الليلة. يجب أن يركز، أن لا ينسى ما يبحث عنه.

ألعاب.

لقد سمع أصواتها في الليلة السابقة. شمّ رائحتها. في طريق عودته إلى المنزل بحقيبته الممتلئة حاول أن يصل إليها، حيث كانت تختبئ في أحد المباني، لكن كانت السماء قد بدأت تتشح بنور الصباح فوق المباني، فانسلّ عائداً إلى قبوه للاختباء حتى يحلّ الظلام مجدداً.

كان يكره الشمس. كانت تحرق جلده، تعميه، تجعل أفكاره تتشتت فلا يعود يفكر بوضوح. أما الظلام فكان دافئاً ومريحاً، مثل ملاءة قديمة. كان يجلس مرتاحاً على أريكته طوال اليوم: ينتظر، ينام، يحلم. والآن... لديه الليل بكامله ليدخل ذلك المكان ويعثر على الألعاب.

ابتسم عندما تخيّل كل ذلك المرح الذي سيحصل عليه عندما يحصل على الألعاب ويضمّها إلى مجموعته، ينخسها، ويجعلها ترقص على الأرض. سيجعلها تهرب، ثم يجذبها مجدداً. ضحك، صوت غرغرة رطبة في حنجرته.

أشياء...

كان يتمنى فقط لو أنها تبقى لوقت طويل ولا تنكسر بسرعة، لأنّ القبض عليها كان عملاً صعباً. كانت تهرب وتُصدر ضجة قوية. معظمها تنكسر قبل أن يصل بها إلى المنزل.

تبع الرائحة عبر الشارع، يمسح المخاط الذي يخرج من أنفه على شكل فقاقيع، مخاط دبق ينزل على قميصه المتسخ.

أشياء...

استغرق وقتاً طويلاً ليصل إلى آخر الشارع، عند الزاوية، وإلى الطريق الآخر. كانت خطواته تهبط بنعومة على الإسفلت. أمِل أن لا يكون أحدهم قد وصل إلى هناك قبله. كانت رائحة الألعاب قوية جداً.

هناك، كان المكان. متجر اعتاد الذهاب إليه كثيراً. متجر أدوات. لم يأتِ إليه منذ وقت طويل، لكنّ الألعاب في الداخل. مرّ من قربه ليلة البارحة فصدمته الرائحة الجميلة مثل مطرقة. حاول الدخول لكن كانت هناك حواجز خشبية عبر الواجهة.

كان لديه كل الوقت الذي يحتاجه هذه الليلة.

ابتسم مجدداً.

أشياء...

أشياء جيدة. أشياء رائعة. المزيد من الأشياء. أشياء جميلة. المزيد من الأشياء. أشياء أشياء أشياء.

لم يكن هناك أحد غيره. كانت الشوارع هادئة الليلة. سار على طول الشارع، رجلاه تُصدران صوتَ حفيفٍ وهما تحتكّان ببعضهما بعضاً. دسّ وجهه في فتحة بين حاجزين خشبيين وتنفّس.

كان عليه التأكد. أحياناً كانت تبقى رائحة الألعاب لأيام، حتى عندما تنتقل. لا. كانت لا تزال هنا. ألعابه. مال بوزنه على الحواجز، سمعها تصرّ وتقرقع، أحسّ بها تنشطر. أنّ ببهجة. كانت تلك الطريقة المناسبة للدخول. ليلة البارحة ارتكب خطأً عندما حاول شدّ الحواجز بيديه العاريتين. من الأفضل أن يدفعها. مشى إلى الخلف. وضع حقيبته، ثم تحرّك إلى الأمام، لا يركض تماماً، بل يزيد من سرعته. حتى...

ارتطم بالحواجز، سمعها تطقطق ثم سمع أصواتاً عند الجانب الآخر. هرولة. أصوات هامسة. كانت الألعاب مستيقظة.

ارتطام.

رجع إلى الخلف، إلى مسافة أبعد، ثم تقدّم مجدداً، أنفاسه تصفّر عبر أنفه.

ارتطام.

مجدداً. مجدداً ومجدداً ومجدداً - بثبات، دون تفكير، بصبر - حتى تشقق الخشب أخيراً وسقط، وصار في الداخل. في الظلام.

أشياء... هيا... أين الأشياء الرائعة؟

كانت رائحة الألعاب أقوى الآن، تملأ رأسه وتجعله ثملاً. أغمض عينيه وزمّ شفتيه، ثم أخرج لسانه متذوّقاً الهواء. كانت الألعاب على مقربة. لو يستطيع فقط القبض على لعبتين، ربما ثلاث، فسيحظى بالليل بكامله يلعب بها قبل أن يخلد إلى النوم. بعد ذلك، كم سيطول الأمر؟ بضعة أيام قبل أن تنكسر.

لكن أين كانت؟ توقف عن الحراك ووقف هادئاً جداً حتى ينصت. كان هناك صوت حفيف، قرقعة وطرطقة. المزيد من الهمسات. هسسس... هسسس... هسسس... تحرّك في اتجاه الصوت، متلمّساً طريقه عبر المتجر المظلم، بالقرب من الرفوف الفارغة وإلى الخلف.

كانت هناك. أربعٌ منها. تحاول فتح باب خلفي. لقد سدّت طريق خروجها بمتاريس. فتح ذراعيه على وسعهما وتجشأ. احتضنت الألعاب بعضها، وجهها مبيضّ من الخوف. هاجمته إحداها، لكن بالكاد أحس بذلك. مثل فراشة ترتطم بنافذة. كانت تصرخ. لَمَ تصرخ دائماً؟ لَمَ لا تأتِ بهدوء فحسب؟

هيا... أيتها الأشياء... سهلي الأمر عليّ...

كانت عند الزاوية، يسهل حملها، لكن يسهل كسرها أيضاً. اختار واحدة، محاولاً أن لا تُشتت انتباهه الألعاب الأخرى. اختار أصغرها. تراجع إلى زاوية، بينما تسلقت البقية منها على ظهره. مجرّد فراشات.

حسناً. قبض عليها. التقطها ووضعها تحت إبطه، وزن ذراعه يمنعها من الانزلاق. واصلت الألعاب الباقية ضربه، تصرخ، أصواتها الرفيعة تزعجه. ربما لو حاولت الهرب لكانت استطاعت الفرار لأنها أسرع منه. لكن كان

سيقتفي أثرها طوال الليل، ببطء وثبات، يتبع رائحتها، وكان يعرف أن الصغيرة منها لا تستطيع الهرب لوقت طويل... تتعب دائماً قبله. لكن هذه بقيت للقتال، لذا سيكون عمله أسهل.

حملت اثنتان منها عصياً. الكبريان. سقطت الضربات غير مؤذية على لحمه، ليست أكثر من دغدغة. تنهّد ولوّح بيده الطليقة، فارتطمت إحداها بالجدار. عرف أن تلك الضربة ستكسرها لكنه لن يأخذها كلها إلى المنزل على أي حال. وقعت اللعبة المهشّمة أرضاً وتمكّن من التقاط الصغيرة الأخرى. لعبتان كانتا كافيتين. سيكون حمل لعبتين أسهل إن كانتا ستقاومان. أحياناً كانت الألعاب تقاوم وأحياناً تكون هادئة وتتركه يحملهما. أرجح اللعبة الثانية ودسّها بين طيات لحمه الكثيرة. لعبتان.

ربما يجدر به محاولة التقاط الثالثة، يحملها تحت رقبته. أحياناً كانت تنكسر عندما يفعل ذلك.

لا، سيترك الثالثة. ربما ستبقى في مكان قريب ويعود من أجلها يوم غد.

تنهّد مجدداً وسار نحو واجهة المتجر الأمامية.

تبعته اللعبة الرابعة عبر المتجر. كانت قد عثرت على عصا أكبر. كانت اللعبة تصرخ بصوت عالٍ جداً وضربته بقوة بالعصا. قد تلحق به إلى الشارع، حتى المنزل، وضجّتها ستجذب الآخرين. ثم سيقاتلونه للحصول على كنزه.

توقّف، استدار ودفع ببطنه الضخمة نحو اللعبة، فحشرها عند الجدار. ضغط أكثر فأكثر، يراقب طيات اللحم تغطّي اللعبة حتى باتت غير مرئية. أحس بها تتلوّى بوهن.

تلوّت وتلوّت، ثم... أخيراً، هدأت.

تراجع الجامع إلى الخلف، فكانت الجثة الصغيرة عالقةً على بطنه. أمسكها من شعرها ورماها إلى الشارع. لن تصلح للعب لكن يمكنه أن يرميها مع أكوام الطعام لديه.

وهكذا، مع لعبة تحت كل ذراع، جرّ اللعبة المكسورة الثالثة عبر الشارع في اتجاه المنزل.

سيترك حقيبته حيث هي، لديه الكثير منها. كانت لديه أكوام وأكوام منها بين أشيائه. شعر بانقباضة صغيرة. كان يكره أن يترك شيئاً خلفه.

ركلت اللعبة تحت ذراعه وقاومت لكن عند وصوله إلى الباب الأمامي كانت قد توقفت، مرهقة. كان راضياً عن نفسه. كانت هذه ليلة وافرة. لقد حصل على المزيد من الأشياء الرائعة. ألعاب جديدة. ستبقيه هذه سعيداً لعدة أيام. كان يحلم بكل الأشياء التي سيفعلها بها، كل الألعاب التي سيلعبها. أولاً، حالما يصل إلى المنزل عليه أن يكسر أرجلها الصغيرة. تعلّم من درسه، فهي قد تهرب إن لم يفعل ذلك. لِمَ تحاول دائماً الهرب على أي حال؟ لِمَ لا تبقى وتلعب بهدوء؟ لِمَ تجعل الأمور دائماً أكثر صعوبةً؟

ولِمَ، في النهاية، يجب أن تنكسر دائماً؟





وباء قاتل يصيب كل من تزيد أعمارهم عن أربعة عشر عاماً.

الموت يلف الشوارع. ما من مكان آمن.

ماكسي وبلو وباقي طاقم هولوواي ليسوا الأولاد الوحيدين الذين يحاولون الهرب من الراشدين المتوحّشين الذين يصطادونهم ليقتاتوا بهم.

جاك وإد صديقان مقربان، لكن معركتهما للبقاء على قيد الحياة تختبر صداقتهما إلى أقصى الحدود بينما يهربان مع مجموعة من الأولاد المختلفين شكلاً ومضموناً ـ الأذكياء المستضعفين، والمقاتلين، والغريبي الأطوار، ومع راشد واحد هو غريغ، الجزار، الذي يدّعي أن لديه مناعة ضدّ المرض.

عليهم العمل معاً إذا أرادوا النجاة في هذا العالم الجديد المخيف، لكنهم مع تهديد انتشار كارثة جديدة في لندن، يدركون أنهم لن ينجوا جميعاً...

"وحشية، دموية، تغزوها وحوش الزومبي... إنها الورقة الرابحة"

FHM.com

"أتقن هيغسون الموازنة بين إراقة الدم والعنف"

Daily Mirror

هل قرأت؟





ISBN 978-1-85516-934-0

9 781855 169340 >

www.saqikids.com